

مركز تحقيق التراث

نهاية الأرب في فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثامن والعشرون

مققه ووضع حواشيه

دكتور محمد هاني محمد أحمد
كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

دكتور محمد أمين
كلية الآداب - جامعة القاهرة



١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

نَهَائِمُ الْأَدَبِ
فِي

فِيُونِ الْأَدَبِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وذريته وتابعيه إلى يوم الدين.

وبعد فهذا هو الجزء الثامن والعشرون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، وهو الجزء السادس والعشرون من مخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة كوبريللى بالأستانة، والتي توجد منها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة.

ويختلف منهج التحقيق في هذا الجزء بالذات عن منهج تحقيق الأجزاء السابقة، فضلا عن الأجزاء اللاحقة، ذلك، أنه توجد عدة نسخ غير متكاملة من مخطوط نهاية الأرب لدرجة أنه توافرت لبعض الأجزاء أربع نسخ، منها نسخة بخط المؤلف في بعض الأحيان، مما جعل مهمة تحقيق النص أكثر سهولة، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لهذا الجزء بالذات، فلا توجد نسخ أخرى كاملة من هذا الجزء بين ما هو معروف من نسخ كتاب نهاية الأرب.

وتزداد صعوبة العمل في تحقيق هذا الجزء لوجود نقص في أوله — قد لايزيد عن بضع ورقات — كما يوجد نقص في آخره — قد يكون ورقة واحدة —، كما أن سياق الكلام والحوادث غير متصل فيما بين اللوحتين ١٢٤، ١٢٥.

فأوراق هذا الجزء تبدأ باللوحة رقم ٧ ، وعلى هامشه إشارة لأحد العاملين بدار الكتب «الأصمعي» في الثلاثينات من هذا القرن ، تفيد أن الأوراق من ١ إلى ٦ موضوعة خطأ . وبالبحث عن هذه الأوراق المفقودة ، وبالرجوع إلى سلبيات تصوير هذا الجزء ، والتي ترجع إلى سنة ١٩٢٣ ، تبين أن هذه الأوراق موجودة بالسلبية ، ولكن بها أخبار حوادث سنوات ٥٩٩ - ٦٠٢ هـ ، وهذه الأحداث تقع ضمن الجزء التالي ، وأن الأوراق التي نزعنا من بداية الجزء ٢٦ نقلت إلى موضعها في بدايات الجزء ٢٧ من المخطوطة .

وإزاء هذا الوضع لم نجد بداً من تقديم المتن الموجود من الجزء ٢٦ من المخطوط كما هو ، مع الإشارة إلى مواضع النقص .

وإزاء عدم وجود نسخ أخرى من هذا الجزء كان لزاما الرجوع إلى المصادر التي نقل عنها النويري للمقابلة عليها في محاولة لتقديم نص أقرب مايكون لنص المؤلف ، ولم يكن الأمر سهلا ، فرغم أن النويري يبدأ عباراته بلفظ «قال» ، أو «قال المؤرخ» ، فإنه لا يذكر لنا من الذي قال ، أو من هو المؤرخ إلا في حالات محدودة ذكر فيها صراحة أنه نقل عن «ابن جلب راغب في تاريخ مصر» ، وهو المعروف بابن ميسر .

وعن طريق متابعة هذه الإشارات ، مع مقارنة النصوص ومقابلتها على المصادر المعاصرة للأحداث أمكن التعرف على أهم مصادر النويري في هذا الجزء .

وطبيعة هذا الجزء الذي يتناول فيه النويري «أخبار ملوك الديار المصرية» من بداية العصر الطولوني حتى دخول الملك العادل الأيوبي القاهرة في أوائل العصر الأيوبي ، جعلت النويري ينتقى لكل فترة

مصدرا أو أكثر يأخذ عنه مادته العلمية، فعل سبيل المثال، عندما يتناول أخبار الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا يعتمد على كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، وعندما تنتقل الدولة إلى مصر يعتمد على كتاب أخبار مصر لابن ميسر، وعندما يتحدث عن الحملة الصليبية الأولى يعتمد على كتاب الكامل لابن الأثير، وهكذا.

وبالإضافة إلى هذه المصادر الأساسية كان النويرى ينقل عبارات أو مقتطفات من مصادر أخرى يضمنها كتاباته، وعلى سبيل المثال أيضا ما كان يأخذه عن كتاب أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر.

لذلك استلزم تحقيق هذا الجزء بالذات مقابلة ما ورد به مع المصادر المعاصرة للأحداث، في محاولة لتقديم نص متكامل أقرب ما يكون إلى نص المؤلف، واقتضى الأمر إضافة بعض الكلمات أو العبارات، أو تصحيح بعضها وفقا لما يرد في هذه المصادر.

وفي جميع الأحوال أشرنا إلى ذلك في الهوامش، فكل ما أضيف إلى المتن وضع بين حاصرتين []، وكل ما تم تصحيحه تم التنبيه عليه في الهوامش.

وبالإضافة إلى معالجة النص تم التعرف بالأعلام والأماكن والمصطلحات بقدر الإمكان، وذلك عند ورودها لأول مرة، مع ترك المعروف منها والمتواتر حتى لا نثقل الهوامش ويطغى التعليق على النص الأصلي للمؤلف.

ولما كان هذا الجزء يتناول أساسا العصر الفاطمي، من الورقة ٢١ إلى الورقة ١٠٥، فقد كان للنصوص التي نشرت حديثا عن هذا العصر

أهمية خاصة في تحقيق هذا الجزء ، وعلى سبيل المثال : أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر والذي صدر عام ١٩٧٢ ، والجزء الثالث من اتعاظ الحنفا للمقريزى عام ١٩٧٣ ، وكتاب افتتاح الدعوة للقاضى النعمان عام ١٩٧٥ ، وأخبار مصر للمسبحى عام ١٩٧٨ ، وأخبار مصر لابن ميسر عام ١٩٨١ ، ونصوص من أخبار مصر لابن المأمون عام ١٩٨٣ .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أحب أن أشير إلى أن مؤسسة التأليف والترجمة سبق وأن عهدت إلى المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة بتحقيق هذا الجزء من كتاب نهاية الأرب ، وقد قام رحمه الله بإنجاز هذا التحقيق فى حوالى سنة ١٩٦٥ ، ولكن لأسباب مختلفة تأخر طبع أجزاء كتاب نهاية الأرب .

وعندما شرع مركز تحقيق التراث فى تقديم هذا الجزء إلى المطبعة فى عام ١٩٨٥ رأى أن التحقيق المقدم من المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد منذ عشرين عاما فى حاجة إلى استكمال . ولم يكن فى وسع أحد أن يستكمل ما بدأه الدكتور محمد حلمى محمد أحمد نظرا لاختلاف مناهج التحقيق ، فضلا عن ظهور العديد من المصادر والمراجع التاريخية التى لم تكن متوافرة وقت أن حقق المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد هذا الجزء ، ومن ثم أصبح من الضرورى إعادة قراءة هذا الجزء وتحقيقه فى ضوء المصادر التى ظهرت بعد سنة ١٩٦٥ .

ورغم عدم إمكانية الإفادة من التحقيق الذى قام به الدكتور محمد حلمى محمد أحمد — للأسباب المذكورة — فى رأى أن أضع اسم المرحوم الدكتور محمد حلمى محمد أحمد — كمحقق مشارك — على غلاف هذا الجزء باعتبار أنه — رحمه الله — أول من عمل فى تحقيق هذا

الجزء ، وأن ظروف وفاته هي التي حالت دون أن يظهر هذا الجزء بتحقيقه ، وذلك تكريماً له ، وإحياءً لذكراه ، رحمه الله .

وفي ختام هذه المقدمة لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى كل من الأستاذ محمد كامل محمد شحاته ، وكيل الوزارة ورئيس قطاع دار الكتب والوثائق القومية ، والأستاذ على عبد المحسن زكى مدير عام مركز تحقيق التراث ، لما قاما به من تذليل للصعاب والمعوقات الإدارية ، وتوفيرهما للمخطوطات والمصورات التي احتجت إليها عند تحقيق هذا الجزء .

كما أوجه الشكر إلى السيد / محمد محمد صقر الباحث الأول بمركز تحقيق التراث لما بذله من جهد في الإشراف على طبع هذا الجزء وتصحيح تجارب الطباعة ، مما أدى إلى إخراج الكتاب على هذا النحو . كذلك أوجه الشكر إلى السيدة / حكمت الخضري لما بذلته من جهد في إعداد (ماكيت) الكتاب .

وبعد ، فالكمال لله وحده ، ولايسعني إلا أن أذكر قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ، وأدعوه سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة التراث الإسلامى ،

والله ولى التوفيق ..

دكتور محمد محمد أمين

القاهرة ١٥ شعبان ١٤٠٦ هـ

في ٢٤ ابريل ١٩٨٦ م

[الباب الثاني عشر من القسم الخامس

من الفن الخامس

أخبار ملوك الديار المصرية ^(١)]

[الدولة الطولونية ^(٢)]

[٧] فتجهز أحمد للمسير إلى الشام ^(٣) ، وسار في شوال سنة أربع وستين لقصده ^(٤) . واستحلف على مصر ابنته العباس ، وعصده بأحمد بن محمد الواسطي . وكتب إلى علي بن أماجور وإلى أصحاب أبيه الذين أقاموه يذكر أن الخليفة ^(٥) أقطع الشام والثغور مضافاً إلى ما بيده . فأجابوه بالسمع والطاعة . وتلقاه ابن أماجور بالرملة . فأقره عليها . وسار إلى دمشق فملكها وأقر قواد أماجور على إقطاعاتهم . وسار إلى حمص فتلقاه عيسى الكرخي ،

(١) [إضافة من خامئة جـ ٢٥ من مخطوط نهاية الأرب عن نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢١٤ معارف عامة . وهي صورة عن نسخة بخط المؤلف محفوظة بمكتبة أمانة خزينة باستنبول تحت رقم ١٣٧١ .

(٢) [إضافة تتفق مع الموضوع التالي ، وهو أخبار الدولة الطولونية .

(٣) هذه بداية ما وجد من الجزء السادس والعشرين من مخطوط نهاية الأرب .

وفي سيرة ابن طولون : « ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور ، وكان أحد من يعرب عليه ، ويسعى في أذيته فلا تمكنه ، فلما بلغه موته حمد الله عز وجل على ذلك ، واستخلف ابنه العباس على مصر ، وخرج من وقته » - ص ٩١ .

(٤) المقصود هنا علي بن أماجور ، وورد في الكامل : « وفي هذه السنة (٢٦٤ هـ) توفي أماجور مقطوع دمشق ، وولى ابنه مكانه . فتجهز ابن طولون ليسير إلى الشام فيملكه » - ج ٧ ص ٣٦٦ . ورد أن خروج أحمد بن طولون كان في شعبان - الولاية والقضاة ص ٢١٩ .

(٥) المقصود هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد المعتمد على الله ، ولي الخلافة في الفترة من

٢٥٦-٢٧٩ هـ / ٨٧٠-٨٩٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

وكان يتقلدُها ، فشكاهُ أهلُها فعزله عنهم [وولَّاهُ يُمنَ التركي] (١) . وملك حَمَاة وحلب .

وأرسل إلى سِما الطَّويل بأنطاكية يدعُوهُ إلى طاعته لِيُقَرَّ على ولايته ، فامتنع ، فعَاوَدَهُ ، فلم يُطعه ، فسَارَ إليه . ودكَّوه على عَوْرَةِ أنطاكية فنصب عليها المجانيق ، وملك البلد عنوة ، وقاتله سِما الطويل حتى قتل ، فسَاءَ أحمد قتله لأنَّه كان نصيحه قديماً (٢) ؛ وكان ذلك في المحرم سنة خمس وستين ومائتين .

ورحل عن أنطاكية إلى طرسوس (٣) . فدخلها في جَمْعٍ عظيم ، وعزم على المُقام بها ومُلازمة العزْو ، فعَلَا السَّعر وضاقَت بعساكره ، فركب أهلها إليه بالخيِّم وقالوا له : لقد ضيقت علينا بلدنا وأغليت أسعارنا ، فإما أقمت في عَدَدٍ يسير وإمَّا رحلت عنا ، وأغلظوا له في القول وشعَبُوا عليه ، فقال لأصحابه أن ينهزموا عن الطرسوسيين ويرتحلوا عن البلد ، لِيُظْهَر للعدو أن ابن طولون على كثرة عساكره لم يَقوَ لأهل طرسوس ، وأنه انهزم عنهم ، لِيَتَمَّع مهابتهم في قلوب العدو .

وعاد إلى الشام ، فأتاهُ خبيرٌ ولدو العباس أنه عصى عليه بمصر وأخذ الأموال وسار إلى برقة ، فلم يكثرث أحمد لذلك ، وقضى أشغاله ، وحفظ

(١) [إضافة من سيرة ابن طولون للتوضيح .

(٢) أمر أحمد بن طولون رجاله ألا يقتلوه وإن أمكن قتله ، وألا يرموه ، وأن يأخذوه سلباً ، ولكن أهل أنطاكية رموه بالطوب والحجارة من منازلهم لِبفضهم له ، فتحير في الميدان ، ولحقه سهم فصدعه ، فقتل في المعركة ، ولم يعلم أحد إلا بعد انتهائها — سيرة ابن طولون ص ٩٦ ، انظر أيضاً الكامل ج ٧ ص ٣١٧ .

(٣) طرسوس : بفتح أوله وثانيه ، مدينة بنفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم — معجم البلدان .

أطراف بلادِهِ . وبعث إلى حَرَّانَ (١) أحمد بن جِيغَوِيَه في جيشٍ كثيفٍ ،
ونزل غلامُهُ لُوْلُو بِالرَّقَّةِ (٢) في جيشٍ كثيفٍ ، وكانت حَرَّانَ لمحمد بن
أَتامشٍ ، فأخرجه أحمد بن جِيغَوِيَه عنها ، وهزمه هزيمةً قبيحةً ، فاتصل
خبرُهُ بأخيه موسى بن أَتامشٍ ، وكان شجاعاً بطلاً ، فجمع عسكراً كثيراً ،
وسار بهم إلى نحو حَرَّانَ . فاتصل ذلك بأبن طولون ، فأهمه وأقلقه
وأزعجه ، فظفر إليه رجلٌ من الأعراب يقال له أبو الأغرِّ ، فقال له : أيها
الأمير أراك مفكراً منذ أتاك خبرُ ابن أَتامشٍ ، وما هذا محلُّه ، فإنه طائش
قلبي ، ولو شاء الأمير أتيت به أسيراً . فغاضه قوله (٣) ، وقال : لقد شئت أن
تأنيبني به أسيراً [فقال الاعرابي] (٤) فاضمُّم إلى عشرين اختارهم .
قال : افعل . فانتقامهم أبو الأغرِّ ، وسار بهم .

فلما قاربَ عسكرَ موسى ، كَمَنَ بعضهم ، وجعل بينه وبينهم إشارةً إذا
سمعوها ظهرُوا .

ثم دَخَلَ العسكرَ فيمن بهي معه على زِيِّ الأعرابِ ، وأصحابِ موسى
على غرةٍ ، وقد تفرَّقَ بعضهم في حوائجهم ، فانزعج العسكرُ وركبوا ، فركب
موسى ، فانهزم أبو الأغرِّ بين يديه ، فأتبعه حتى أخرجه من العسكرِ ، واستمرَّ
حتى جاور الكمينَ ، فنادى أبو الأغرِّ بالإشارة التي بينته وبينهم ، فثاروا ،

(١) حَرَّانَ : بفتح الحاء وتشديد الراء ، قسبة ديار مضر بالجزيرة ، على الطريق الرئيسية الموصلة
إلى الموصل والشام ، وإلى منطقة الثغور - معجم البلدان .

(٢) الرَّقَّةُ : بتشديد الراء والقاف : بلدة على الفرات اتخذها بعض الخلفاء العباسيين مصطفا
لهم - معجم البلدان .

(٣) يرى البلوي أن الأمير الذي أغاضه هذا القول هو ابن جغويه ، وليس أحمد بن طولون ، كما
يذكر النويري وابن الأثير - سيرة ابن طولون ص ١٠٤ ، وانظر الكامل ج ٧ ص ٣١٨ .

(٤) [إضافة من سيرة ابن طولون ص ١٠٤ .

وعطف أبو الأغر على موسى فأسره ، وأخذوه حتى وصلوا به إلى ابن جيعونه
وإلى ابن طولون فاعتقلاه ، ورفع إلى مصر . وكان وصوله إليها في سنة ست
وستين (١) ..

ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه وما كان من أمره

وفي سنة خمس وستين ومائتين عصى العباس بن أحمد على أبيه ، وسبب
ذلك أن أباه لما استخلفه بمصر ، كما ذكرناه ، وخرج إلى الشام ، حسن
للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والإنسراح (٢) إلى برقة ، ففعل
ذلك ، وحمل معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه ، وأمين الأسود
مقيدين .

فلما رجع أحمد إلى مصر وجدته قد أخذت ألف دينار ، واستلقت من
التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضممها لهم ، ففعل .
فراسل أحمد ابنه واستعطفه ، فلم يرجع ، فخاف من معه وأشاروا عليه
بقصد إفريقية ، فسار إليها ، وكاتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم وامتنع
بعضهم . وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب (٣) يقول : إن أمير المؤمنين قللتني

(١) « وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائتين » - الكامل ج ٧ ص ٣١٨ .

(٢) « الإنسراح » في الكامل ج ٧ ص ٣٢٤ .

(٣) هو إبراهيم (الثاني) بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، كان على رأس دولة الأغالبة التي
استقلت بتونس عن الدولة العباسية ، وولى إبراهيم الحكم في الفترة من ٢٦٦ - ٢٨٩ هـ /
٨٧٥ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٦ .

إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن لَيْدَةَ^(١) ، ففتحها أهله له ،
فقابلهم أسوأ مقابلة ، ونهبهم ، ففضى أهل الحصن إلى إلياس بن منصور
القنوصي ، رئيس الإياضية هناك ، فاستغاثوا به ، فغضب لذلك ، وسار إلى
العباس ليقاتله .

وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال
العباس ، فالتقوا وقاتلوا قتالاً شديداً حتى حجز بينهما الليل . فلما كان الغد
وأفأهم إلياس ابن منصور الإياضي في اثني عشر ألفاً من الإياضية ، فأجمع
هو وعامل طرابلس على قتال العباس . فقاتلوا ، فقُتِلَ من أصحابه خلقٌ
كثير ، وانهمز أقبح هزيمة ، وكاد أن يُوسر . فخلَّصه مولى من مواليه ، ونهبوا
سواده ، وأكثر ما حمله من مصر . فعاد إلى برقة أقبح عود .

[وشاع بمصر أن العباس قد انهزم]^(٢) [٨] فاغتم أبوه لذلك غمّاً
شديداً ، وسير إليه العساكر ، فقاتلهم وقاتلوه ، فانهمز ، وكثر القتل في
أصحابه ، وأخذ أسيراً ، وحمل إلى أبيه . فحبسه في حجرية في الدار إلى أن
قدمت العسكر ببقية الأسرى من أصحابه . فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده ،
والعباس معهم ، وأمره أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم ، ففعل ذلك .
فلما فرغ منهم وبخه أبوه وذنبه . وقال له : هكذا يكون الرئيس والمقدم !
كان الأحسن أنك ألقيت نفسك بين يديّ وسألت الصّفح عنك وعنهم ،

(١) ليدة : مدينة فينيقية قديمة ، تقع شرق طرابلس بشمال بيبس - بنحو ١٢٤ كم - معجم
البلدان اللبية ص ٢٩٥ .

(٢) « وكان الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قزح عامل طرابلس بخادم له يعرف ببلاغ في جمع من
أهل القيروان كثير » - سيرة ابن طولون ص ٢٥٤ .

(٣) [هذه العبارة مشطوبة بالأصل ، وأثبتناها اهتداءً بما جاء في سيرة ابن طولون ص
٢٥٥ . والكامل ج ٧ ص ٣٢٥ .

فكان ذلك أعلى لمحكك . وكنت قضيت حقوقهم^(١) . ثم أمر به فضربه مائة مِقرعة ، ودُموع أحمد تجرى على خده رقة على ولده ، ثم رده إلى الحجره واعتقله ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين .

ذكر خلاف لؤلؤ على احمد

كان سبب ذلك أن الحسين بن مهاجر^(٢) غلب على أحمد بن طولون ، وحسن له جمع الأموال ومنعه من سماحته وجربه على عوائده الجميلة ، فنقرت القلوب عن أحمد ، وتغيرت الخواطر عليه . فتنكر له غلامه لؤلؤ ، وكان عمدته عليه . وكان في يده حلب وحمص وقنسرين وديار مصر . وكان أحمد إذا أنكر على لؤلؤ شيئاً أوقع بكاتبه محمد بن سليمان . ويقول له . هدامك ليس منه ، فحمل محمد بن سليمان الخوف من أحمد على أن حسن [-] (٣) لؤلؤ حمل جملة من المال إلى الموق^(٤) . فحمل ذلك إليه ، وكتب إليه عن لؤلؤ كتاباً يعرفه برغبته في المصير إليه ، والتصرف تحت أمره ونهيه . ولندخول في طاعته ، فسر الموق لذلك واستبشر . بما في نفسه من أحمد ، ورأى أن ذلك من الفرص التي يتعين انتهاؤها . فأجابه بأحسن جواب ، ونفذ إليه خلعاً .

(١) « وكتب قضية حقوقهم » في الأصل ، والتصحيح من سيرة ابن طولون ص ٢٧١ . الكامل ج ٧ ص ٣٢٥ .

(٢) « الحسن بن مهاجر » في سيرة ابن طولون ص ٢٧١ .

(٣) [ل] إضافة من سيرة ابن طولون ص ٢٧٦ تتفق وسياق الكلام .

(٤) هو طلحة ويقال محمد بن المتوكل . الموق أبو أحمد . ولي عهد أخيه الخليفة العباسي المعتمد على الله . وكان في خلاف مع أحمد بن طولون . ونوفى الموق سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ . -

شدرات الذهب ج ٢ ص ١٧٢

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد ، فلما أنكروا حاله ، وأطلعوا على ما فعله ، فارقوه ، والتحقوا بأحمد ، وأطلعوه على ما كان من أمر لؤلؤ . فتألم لذلك . وأخذ في إعمال الحيلة والمخادعة للؤلؤ والتلطّف به ، ومكاتبة محمد بن سنيار ، فلم يُقَدِّ ذلك عنده . فكتب أحمد إلى المعتمد على الله كتاباً يقول فيه : إني خائفٌ على أمير المؤمنين من سوء بلحقه ، وقد اجتمع عندي مائة ألف دينار أنجاد ، وأنا أرى لسيدى أمير المؤمنين الأنجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الامتحان إلى نهاية العز ، ولا يتبسط لأخيه الموفق شيء مما يخافه عليه . وجهز له قرين ذلك ، سفائح (١) بمائة ألف دينار ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين . وأظهر أحمد الخروج لهذا الأمر . فلما وصل كتابه إلى الخليفة . تجهّز لقصد مصر ، فكان من خروجه ورجوعه إلى بغداد ما ذكرناه في أخباره .

وأما أحمد فإنه تجهّز إلى الشام ، وأخذ معه ابنه العباس مقيداً ، واستخلف ابنه خمارويه على مصر . فسار ، فوصل إلى دمشق وهو يُظهِر الانتصار للمعتمد ، ويَقْصِدُ لؤلؤاً غلامه فعند ذلك التحق لؤلؤ بالموفق ، وكان لحاقه به في سنة تسع وستين .

وانتهى إلى أحمد عوذ المعتمد ، وأنه نسيق عليه ، فأحضر أحمد قضاة أعماله وفيهم بكّار بن قتيبة (٢) والعمرى وأبو حازم ، وغيرهم ، وخلع الموفق ، فكلّهم وافقه على ذلك إلا بكّار . وأسقط أحمد دعوة الموفق ، وقلع اسمه

(١) سفينة - سفائح : صك مالى . أو حوالة مالية - القاموس المحيط . السلوك ج ٢ ص

(٢) . دلى قضاء مصر من قبل الخليفة العباسى المتوكل . سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م . وتوفى سنة

من الطُّرُز . فلَمَّا بَلَغَ المَوْفِقَ ذَلِكَ أَمَرَ بَلْعَنَ أَحْمَدَ بِنَ طُولُونَ فِي المَنَابِرِ فِي سَائِرِ الأَمْصَارِ . ثُمَّ رَجَعَ المَوْفِقَ عَنِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ كَاتِبَهُ صَاعِدَ بِنَ مُحَمَّدٍ وَجَمَاعَةَ مِنْ خَاصَّتِهِ بِمَكَاتِبَةِ أَحْمَدَ بِنَ طُولُونَ وَتَوْبِيخِهِ عَلَى مَا فَعَلَهُ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَأْذَنُوهُ ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ عَنِ رَأْيِ المَوْفِقِ وَإِذْنِهِ لَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ بِأَحْسَنِ جَوَابٍ . فَعَرَضُوا كُتْبَهُ عَلَى المَوْفِقِ ، فَسَرَّهُ مَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ ابْنَ طُولُونَ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِمَعَالَاتِهِ فِي المَنَاصِحَةِ هُمْ . وَكَانَ المَوْفِقُ كَامِلَ العَقْلِ ، فَسَكَّنَ ذَلِكَ مِنْهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى أَحْمَدَ ، وَمَالَ قَلْبَهُ إِلَيْهِ . وَكَتَبَ المَوْفِقُ إِلَى أُخِيهِ المَعْتَمِدِ يُعَلِّمُهُ بِرِجْوَعِهِ عَنِ أَمْرِ أَحْمَدَ وَنَدَمِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي حَقِّهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ ، فَسَرَّ المَعْتَمِدُ بِذَلِكَ ، وَكَتَبَ إِلَى أَحْمَدَ كِتَابًا بِخَطِّهِ ، وَأَمَرَهُ بِالرِّجْوَعِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ المَوْفِقِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ كِتَابَ المَوْفِقِ بِرِجْوَعِهِ عَنِ لَعْنَتِهِ ، وَاتَّفَقَ الكِتَابُ مَعَ الحَسَنِ بِنِ عَطَّافٍ . فَلَمَّا بَلَغَ الرِّقَّةَ بَلَغَهُ وَفَاةُ أَحْمَدَ ابْنَ طُولُونَ^(١) ، فَرَجَعَ إِلَى الحَضْرَةِ .

وَأَمَّا لَوْثُو فَإِنَّهُ بَلَغَهُ أَنْ مَوْلَاهُ أَحْمَدُ بَاعَ أَوْلَادَهُ وَخَدَمَهُ بِسُوقِ الرِّقِيقِ بِمِصْرَ ، وَقَبِضَ عَلَى أَمْلَاكِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْهُ كَلِّ مَبْلَغٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى المَوْفِقِ وَيَكِي ، وَسَأَلَهُ إِتْفَاقَ الجِيُوشِ مَعَهُ ، وَضَمِينَ لَهُ أَخَذَ البَلَدَ مِنْ مَوْلَاهُ ، وَبَسَطَ لِسَانَهُ فِي سِيرَتِهِ ، فَخَلَعَ المَوْفِقُ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى دَابَّةٍ ، وَوَعَدَهُ ، وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِ الجِيُوشِ [٩] مَعَهُ ، كَلِّ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْخَرُ بِهِ وَيَمَاطِلُهُ إِلَى أَنْ يَعُودَ جَوَابُ أَحْمَدَ مَعَ الحَسَنِ ابْنِ عَطَّافٍ ، فَقَبِضَ حِينَئِذٍ عَلَى لَوْثُو وَرَدَّهُ إِلَى مَوْلَاهُ ، وَاسْتَفْتِيحَ مَا فَعَلَهُ لَوْثُو فِي حَقِّ سَيِّدِهِ ، فَلَمَّا اتَّفَقَ وَفَاةُ أَحْمَدَ ، أَقَامَ لَوْثُو فِي

(١) توفي أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م - الكامل ج ٧ ص ٤٠٨ ، شذرات الذهب ج

٢ ص ١٥٧ ، وانظر ما يلي عن وفاته .

خدمة الموفق إلى سنة ثلاثٍ وسبعين ، فقبض الموفق عليه ، وأخذ منه أربعائة ألف دينار ، وكان لؤلؤ يقول : ليس لي ذنب إلا كثرة مالى .
ولم تنزل أمور لؤلؤ في إذربا إلى أن افتقر ، ولم يبق له شيء ، فعاد إلى مصر في آخر أيام هارون بن خنارويه بغلام واحد . وهكذا تكون ثمرة القدر وكفر الإحسان .

ذكر وفاة أحمد بن طولون وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في نصف الليل من ليلة الأحد لعشر ليالٍ خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين .
قيل : وكان سبب وفاته أن نائبه بطرسوس (١) وثب عليه يازمان (٢) الخادم وقبض عليه ، وأظهر الخلاف على أحمد . فجمع أحمدُ العساكر ، وسار إليه . فلما وصل إلى أذنة (٣) كاتبه وراسلَه واستماله ، فلم يلتفت

(١) ولى في الفترة من ٢٨٣ - ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ - ٩٠٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢٨ .

(٢) كان نائب أحمد بن طولون بطرسوس . أخوه موسى ، فلما حضرته الوفاة استخلف عليها أحد

أعوانه يسمى خليفة طخشى ، وهو الذى ثار عليه يازمان - سيرة ابن طولون ص ٣١٠ .

(٣) ورد في المخطوط بعدة صور : مازيار ، بازمار ، بازيار ، وورد في الكامل بازمار ، وورد في سيرة

ابن طولون ، والنجوم الزاهرة يازمان ، فوجدنا الرسم طبقاً للصورة الأخيرة لورودها في

سيرة ابن طولون ، والولاية والقضاة .

(٤) أذنه = أطنه : بفتح أوله وثانيه ، من بلاد الثغور - قرب المصيصة - معجم البلدان .

يا زمان الخادم إلى رسالته . فسار أحمدٌ إليه وحَصَره ، فخرق يا زمان نهر البلد^(١) على مَنزلة العسكر ، فكاد النَّاسُ يهلكون . فرحل أحمد حَيِّقًا ، وكان الزمان شتاءً ، وكتب إلى يا زمان : إنني لم أرحل إلا خوفًا أن تُنخِرَ حرمةً هذا الثَّغْرَ ، ويطمع العدو فيه . وعاد إلى أنطاكيَّة ، فأكل من لبن الجواميس وأكثَرَ منه ، فأصابته هيضة واتَّصلت به حتى صار منها ذَرْبٌ^(٢) . وكان الأطباء يعالجونه ، وهو يأكلُ سرًّا غير ما يصفونه ، فلم ينجع الدَّواء فيه . فمات رحمه الله .

هكذا ذكر ابنُ الأثير الجزري في تاريخه الكامل في سبب وفاته^(٣) . وأما صاحبُ الدَّول المنقطعة^(٤) فإنه قال : إنَّه رجع إلى مصر واعتلَّ بزلق للمعدة . واشتدَّت به العلة وطالت ، فعهد إلى ابنه أبي الجيشين حُزَارويه ، وأطلَقَ ابنَه العباس من قيده ، وذلك في القَعْدَة سنة سبعين ومائتين ، وخلع عليه وقلَّده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشَّامات والثُّغور ، وأوصاه بتقوى الله وطاعة أخيه . ثم تُوْفِيَ رحمه الله وسنَّه يومئذٍ خمسون سنة وشهرٌ وثمانية وعشرون يومًا ، ومدَّة إمرته على مصر ستَّ عشرة سنة وشهر واحد وسبعة وعشرون يومًا^(٥) .

(١) كان يسمى « نهر اليردان » ، ويعرف حاليًا بنهر « قره صوره » . أى النهر الأسود - سيرة ابن طولون ص ٣٦٠ .

(٢) ذرب : فساد المعدة .

(٣) الكامل ج ٧ ص ٤٠٩ .

(٤) هو على بن ظافر . جمال الدين . المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م - انظر مقدمة الجزء المطبوع من كتابه : أخبار الدول المنقطعة ، نشر أندريه فريد - القاهرة ١٩٧٢ .

(٥) انظر أيضًا تفاصيل أمر مرضه ووفاته في سيرة ابن طولون ص ٣١٢ وما بعدها . الولاية والقضاة ص ٢٣٦ .

وأما سيرته ، فإنه ، رحمه الله ، كان عادلاً شجاعاً ، كريماً متواضعاً ،
حَسَنَ السَّيْرَةِ ، يُبَاشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ وَيَتَّقِدُ رَعَايَاهُ ، وَحُبُّ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَيُلْتَنِي
مَجَالِسَهُمْ . وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ . وَهُوَ الَّذِي بَنَى قَلْعَةَ يَافَا ، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ
بِغَيْرِ قَلْعَةٍ .

اولاده ثلاثة وثلاثون^(١) . منهم^(٢) : أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ ، أَبُو الْجَيْشِ
خُارَوِيهِ ، أَبُو الْعِشَائِرِ مُضَرِّ . أَبُو الْكَرْمِ رَيْبَعَةُ ، أَبُو الْمُقَاتِبِ شَيْبَانُ ،
أَبُو نَاهِضِ عِيَاضُ ، أَبُو مَعْدَ عِدْنَانَ ، أَبُو الْكَرَادَيْسِ خَزْرَجُ . أَبُو حَبْشُونَ
عَدِيٌّ ، أَبُو شَجَاعِ كِنْدَةَ ، أَبُو مَنْصُورِ أَغْلَبُ ، أَبُو بَهْجَةَ مَيْسِرَةَ ، أَبُو الْبَقَاءِ
هَدِيُّ ، أَبُو الْمَفُوضِ غَسَّانُ ، أَبُو الْفَرَجِ مَبَارِكُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ ، أَبُو الْفَتْحِ
مُظْفَرُ .

والبنات ستّ عشرة ، وهُنَّ : فَاطِمَةُ ، وَلَيْسُ ، وَتَعْلَبُ^(٣) ،
وَصَفِيَّةُ ، وَغَالِيَةُ^(٤) ، وَخَدِيجَةُ ، وَمَيْمُونَةُ ، وَمَرْيَمُ ، وَعَائِشَةُ ، وَأُمُّ
الْقُرَى^(٥) ، وَمُؤْمِنَةُ ، وَعَزِيزَةُ ، وَزَيْنَبُ ، وَسَمَانَةُ ، وَسَارَةُ ، وَغَيْرُهُ .

وَحَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ كَثِيرًا ، وَمِنَ الْعِلْمَانِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ
أَلْفَ غَلَامٍ ، وَمِنَ الْمَوَالِي سَبْعَةَ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَمِنَ الْخَيْلِ سَبْعَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةَ
وَخَمْسِينَ رَأْسًا ، مِنْهَا : لِرُكَابِهِ ثَلَاثِمِائَةَ وَخَمْسُونَ ، وَمِنَ الْجَمَالِ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ

(١) « منهم سبعة عشر ذكراً ، وست عشرة أنثى » سيرة ابن طولون ص ٣٤٩ .

(٢) هكذا بالأصل ، والواقع أن المؤلف أوردتهم جميعاً حسب رواية البلوى .

(٣) هكذا بالأصل ، وفي سيرة ابن طولون ، ولعله محرف عن « تغلب » .

(٤) لم تذكر في سيرة ابن طولون .

(٥) « أم الهدى » في سيرة ابن طولون .

جمل ، وألف بغل ، ومن المراكب الحربية الكبار مائتي مركب بآلتها ، ومن الأمتعة والفُرُش والآلات والأواني ما لا يُحصى كثرة ولا يُعدّ اتساعا ، وأنفق على الجامع مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وعلى اليمارسِستان ستين ألف دينار ، وعلى العين التي بالمعافر مائة ألف وأربعين ألف دينار ، وعلى حصن الجزيرة مائة ألف دينار . وأنفق في بناء الميدان مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وعلى مرّمات الثغور وحصن يافا مائتي ألف دينار .

وكانت صدقاته في كلّ شهر ألف دينار سيوى المرتبات ، وكانت له وظائف من خبز ولحم تجرى على قومٍ مستورين ، في كلّ شهر ألفا دينار . وكان يصنع في كلّ جمعة من أصناف الأطعمة والحلو أشياء كثيرة يحضرها الناس من فقير ، ومستور ، ومتجمل ، ومحتاج ، وكان إذا عين ذلك وهو بمشرف عالٍ يسجدُ لله تعالى شكراً تارةً ، ويصلّي تارةً ، ويدعو تارةً ، ويكي تارةً . فكانت سيرته رحمه الله أجمل سيرة ، وفراسته أعظم فراسة ، بحيث إنّه كان ينظر إلى الرّجل فيدرك [١٠] بفراسته غرضه ، ولمّا مات ملك بعده ولده .

ذكر ولاية أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الثاني من ملوك الطولونية

ملك بعد وفاة أبيه في يوم الأحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ، وهو ابن عشرين سنة وشهور ، في خلافة المعتمد على الله . وذلك أنّه لما توفّي والده اجتمع الأجناد وقتلوا ولده العباس الأكبر وولّوا خمارويه ، فاستقلّ بالأمر .

ذكر مسير إسحاق بن كنداجق^(١) ومحمد بن أبي الساج إلى الشام

قال المؤرخ^(٢) : لَمَّا توفى أحمدُ بن طولون كان إسحاق بن كنداجق على الموصل والجزيرة ، وابن أبي السَّاج^(٣) على أرمينية والجلال ، فطمعا في الشَّام ، واستصغراً أولاد أحمد بن طولون ، فكاتبوا الموفق واستمدَّاه ، فأمرهما بقصد الشام ، ووعدهما إنفاذ الجيوش . فجمعاً وقصدًا ما يجاورهما من البلاد ، فاستوليا عليها ، وأعانهما نائب دمشق الذي كان من قبيل أحمد بن طولون ووعدهما الأنحياز إليهما ، وأظهر العُضيان ، واستولى إسحاق على حلب وحمص وأنطاكية ودمشق .

فلَمَّا انتهى الخبر إلى أبي الجيش خُارويه ندب العساكر المصرية إلى الشام ، فملكوا دمشق ، وهرب نائبها . وسار عسكر خُارويه من دمشق إلى شيزر^(٤) لقتال إسحاق وابن أبي السَّاج ، فطاولهم إسحاق ينتظر المدد من العراق . وهجم الشتاء على الطائفتين ، وأضرَّ بأصحاب خُارويه ، ففترقوا في المنازل بشيزر . ووصل العسكر العراقي إلى ابن كنداجق وعليهم أبو العباس أحمد بن الموفق ، وهو المعتضد بالله . فلَمَّا وصل سار مجدداً إلى عسكر

(١) « بن كنداجيق » في الكامل جـ ٧ ص ٤٠٩ . « بن كنداج » في الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .
النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٥٠ .
(٢) المقصود ابن الأثير . فالمؤلف يكاد ينقل عنه الأحداث التالية — الكامل جـ ٧ ص ٤٠٩ —
٤١٠ .

(٣) هو محمد بن ديوداد أبي الساج — الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .
(٤) شيزر : بتقديم الزاي على الراء ، وفتح أوله . كانت تابعة لحمص — معجم البلدان .

خُارَوِيه بشيزر ، فكبسهم في المساكن ووضع فيهم السيف ، فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وسار مَنْ سَلِمَ منهم إلى دمشق على أقبح صورة . فسار المعتضدُ إليهم ، ففارقوا دمشق وتوجَّهوا إلى الرملة ، وأقاموا بها . ودخل أبو العباس المعتضد إلى دمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين . وكتبَ عسكرُ مصر إلى خُارَوِيه ، فخرج من مصر بعساكره .

ذكر وقعة الطواحين

وفي سنة إحدى وسبعين ومائتين كانت وقعة الطواحين (١) بين أبي العباس أحمد بن الموفق ، وهو المعتضد ، وبين أبي الجيش خوارويه بن أحمد . وكان سببُ هذه الوقعة أن المعتضدَ لَمَّا ملك دمشق سار بعساكره إلى الرملة لقصْدِ عسكر خُارَوِيه ، فأناه الخبر بوصول خوارويه إلى عسكره وكثرتْ مَنْ معه من الجموع ، فهمَّ المعتضد بالعود ، فلم يُمكنه مَنْ معه من أصحاب ابن طولون الذين صاروا معه . وكان المعتضدُ قد أوحش ابن كنداجق وابن أبي السَّاج ونسبها إلى الجبن ، حيث انتظراه حتى وصل إليهما ولم ينجزا عسكر خوارويه الحرب ، ففسدتْ نيأتهما .

قال : ويوحل خُارَوِيه ونزل على الماء الذي عليه الطواحين [عند الرملة] (٢) وملكه ، فنسبت الوقعة إليه . ووصل المعتضد وقد عبأ أصحابه ، وفعل خوارويه كذلك ، وجعل كميئًا عليهم سعد الأيسر ، فحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خُارَوِيه فانهمزمت . فلَمَّا رأى خُارَوِيه ذلك ، ولم يكن

(١) الطواحين : موضع قرب الرملة - معجم البلدان ، وورد أن هذا الموضع على « نهر أبي

فطرس » - الولاة والقضاة ص ٢٣٥ .

(٢) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ٧ ص ٤١٤ .

رأى مصافاً قبله ، ولّى منهزماً في طائفة من الأحداث الذين لا علم لهم بالحرب ، ولم يقف دون مصر .

ونزل المعتضدُ إلى خيام خُارويه وهو لا يشكُّ في تمام النَّصر ، فخرج سعد الأيسر بالكمين وانضاف إليه مَنْ بَقِيَ من الجيش ، ونادوا بشعارهم ، وحملوا على عسكر المعتضد وقد اشتغلوا بنهب السَّواد ، فوضع المصريون السَّيفَ فيهم . فظنَّ المعتضدُ أنَّ خُارويه قد عاد ، فركبَ وانهمز لا يَلْوِي على شيء ، ووصل إلى دمشق فلم يفتح له أهلها ، ففضى منهزماً حتَّى وصل طرسوس . واقتتل العسكران وليس لواحدٍ منها أمير [١١٧] ، وطلب سعد الأيسر خُارويه فلم يجده . فأقام أخاه أبا العشائر مقامه . وتمت الهزيمة على العراقيين ، وقتل منهم خلق كثيرٌ ، وأسر خلق كثير .

وجاءت البشائر بالنَّصر إلى مصر ، فسُرَّ خارويه بالظفر ، وخبَّج من الهزيمة ، وأكثر الصَّدقة ، وفعل مع الأسرى ما لم يُسبق إليه ، وقال لأصحابه : هؤلاء أضيُّفُكم ، فأكرموهم . ثم أحضرهم بعد ذلك وقال : من اختار المَقام عندنا فله الإكرام والمواساة ، ومن أراد الرجوع جهَّزناه وسيرناه ، فمنهم من أقام ، ومنهم من عاد مكرماً . وسارت عساكرُ خُارويه إلى الشَّام ففتحه أجمع ، واستقر ملك خُارويه (١) .

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين زلزلت مصر في جُادى الآخرة زلزلةً شديدةً أخربت الدُّور والمسجد الجامع ، وأحصى بها في يومٍ واحدٍ ألف جنازة .

(١) انظر الكامل ج ٧ ص ٤١٤ - ٤١٥ .

ذكر اختلاف محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق والخطبة لخارويه بالجزيرة

وفي سنة ثلاثٍ وسبعين ومائتين فسدت الحالُ بين محمد بن أبي أساج وإسحاق بن كنداجق^(١)، وكانا قبل ذلك متفقين بالجزيرة .

وسببُ ذلك أن ابن أبي الساج نأفَسَ إسحاق في الأعمال وأراد التقدُّم ، فامتنع إسحاق عليه ، فكاتبَ محمدُ بن أبي الساج خُارويه وانضمَّ إليه ؛ وخطب له بأعماله ، وهي قنَّسرين ، وسير ولده ديوداد^(٢) إلى خارويه رهينةً ، فأرسل خُارويه إلى الشَّام ، واجتمع هو وابن الساج بيالس^(٣) . وعبر ابنُ أبي الساج الفرات إلى الرِّقَّة فلقبه إسحاق ، وكان بينهما حرب انجلت عن انهزام إسحاق ، واستولى ابنُ أبي الساج على ما كان معه . وعبر خُارويه الفرات ونزل الرَّاغِقَةَ^(٤) ، وانهمز إسحاق إلى قلعة مَارِدِين^(٥) ، فحصره ابنُ أبي الساج بها ، وسار عنها إلى سنجار^(٦) ، وأوقع بطائفةً من

(١) أحمد بن إسحاق بن كنداجق « في الأصل ، والتصحيح مما سبق ، ومن الكامل جـ ٧ ص ٤٢٢ .

(٢) « ديوداد » في الكامل جـ ٧ ص ٤٢٢ .

(٣) بالس : بين حلب والرقّة ، كانت على الضفة الغربية للفرات ، ثم انحرف عنها الفرات شرقاً حتى صار منها على مسافة أربعة أميال — معجم البلدان .

(٤) الرافقة : بلدة متصلة البناء بالرقّة على الفرات — معجم البلدان .

(٥) ماردین : قلعة على قمة جبل بإقليم الجزيرة . ومتازها متدرجة على سفح الجبل — معجم البلدان .

(٦) سنجار : بلدة في لُح ف جبل عال ، قرب الموصل — معجم البلدان .

لأعراب . وسار إسحاق إلى الموصل فَلَقِيَهُ ابنُ أبي السَّاجِ بِبَرْقَعِيدِ (١) ،
وَكَمَّنَ له ، واقتتلوا ، فخرج الكمينُ على إسحاق ، فانهزم وعاد إلى مَارِدِين .
فَقَوَى ابنُ أبي السَّاجِ وظهر أمره ، واستولى على الجزيرة والموصل ، وخطب
لخارويه فيها ، ثمّ لنفسه بعده .

وفيهما أيضًا ثار السودان بمصر ، وحصروا صاحبَ الشرطة (٢) ، فركب
خارويه بنفسه ، ويده سيفٌ مسلول ، وقصد دَارَ صاحبِ الشرطة ، فقتل
مَنْ لَقِيَهُ من السُّودان ، فهزمو ، وكثر القتل فيهم ، وسكنت مصر .

ذكر الاختلاف بين خارويه ومحمد بن أبي السَّاجِ والحرب بينهما

وفي سنة أربع وسبعين ومائتين خالف محمد بن أبي السَّاجِ على خارويه ،
فسار خارويه إلى الشَّام ، فَقَدِمَهَا في آخر السنَّة ، وسار ابنُ أبي السَّاجِ إليه ،
فالتقوا عند نَيْبَةِ العقاب (٣) ، على مرحلةٍ من دمشق إلى جهة حمص .
واقتتلوا في الحَرَمِ سنة خمسٍ وسبعين ، فانهزمت ميمنةُ خارويه ، وأحاط
عسكرُ خارويه بابن أبي السَّاجِ ، فانهزم ، واستبيحَ عسكره .

وكان قد خَلَفَ بحمص أموالاً كثيرة ، فندب خارويه إليها قائداً من قواده
في جيشٍ جريدهً (٤) ، فسبقوا ابنَ أبي السَّاجِ إليها ومنعوه من الدخول

(١) برقعيد : بلدة من أعمال الموصل - معجم البلدان .

(٢) هو موسى بن طونيق ، الذي صرف في مستهل المحرم سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م - الولاة
والقضاة ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

(٣) نيب العقاب : بالضم ، تشرف على غوطة دمشق ، في الطريق من دمشق في اتجاه حمص -
معجم البلدان .

ورود في الكامل « فالتقى في البثنية من أعمال دمشق » - ج ٧ ص ٤٢٨ .

(٤) الجريده : الفرقة من العسكر الفرسان ، والفرقة من الجند إذا خرجت بسرعة من غير أنقال
لهمة تستدعى الإسراع في الخروج - لسان العرب .

والاعتصام بها ، واستولوا على أمواله التي بها . ففضى إلى حلب ، ومنها إلى الرقة ، فتبعه خُارويه ، ففارقها . وعبر خُارويه الفرات وسار في أثره ، فوصل إلى مدينة بَلَد^(١) ، وسبقه ابنُ أبي السَّاج إلى الموصل ، ثم فارقها إلى الحديثة^(٢) ، وأقام خُارويه ببَلَد ، وعُجِّلَ له سريراً طويلَ الأرجل ، وكان يجلس عليه في دجلة .

ذكر الدعاء لخُارويه بطرسوس

وفي سنة سبعٍ ومائتين دعا يازمان بطرسوس لخُارويه . وسببُ ذلك أنَّ خُارويه أنفَذَ إليه ثلاثين ألفَ دينار ، وخمسمائة ثوب ، وخمسمائة مطرف ، وسلاحاً كثيراً ، فلماً وصل ذلك إليه ، دَعَا له ، ثمَّ وجَّهَ إليه خمسين ألفَ دينار .

ثم توفى يازمان في جُادى الآخرة سنة ثمانٍ وسبعين ، فخلفه ابنُ عجيف ، وكتب إلى خُارويه بوفاة يازمان ، فأقرَّه على ولاية طرسوس ، وأمدَّه بالخيَل^[١٢] والسَّلاح والنَّخائر ، ثمَّ عزله ، واستعمل عليها ابنَ عمِّه محمَّدَ ابنِ موسى بن طولون .

ذكر الفتنة بطرسوس

وفي سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين ثار النَّاسُ بطرسوس بالأمير محمَّد بن موسى ، فقبضوا عليه . وسببُ ذلك أنَّ الموفق كان له خادم من خواصه يقال

(١) بلد : اسم لمواضع كثيرة ، والمقصود هنا بلدة من نواحي دجيل قرب الحظيرة وحرى ، من أعمال بغداد — معجم البلدان .

(٢) الحديثة : هي حديثة الموصل : كانت على دجلة بالجانب الشرقى قرب الزباب الأعلى — معجم البلدان .

له رَاغِبٌ ؛ فلَمَّا مات الموقَّ اختارَ رَاغِبَ الجهاد ، فسار إلى طرسوس على عَزمِ المقامِ بها ، فلَمَّا وصل إلى الشَّامِ سَيرَ ما مَعَهُ من دَوَابٍّ وآلاتٍ وخيامٍ وغير ذلك إلى طرسوس ، وسار هو جريدة إلى خُجَّارَوِيهِ لِيُزَوِّرَهُ ويعرِّفَهُ ما عزم عليه ، فَلَقيَ خُجَّارَوِيهِ بدمشق ، فأكرمه خجارويه وأُتِسَ به وأحَبَّهُ ، فاستَحْيَا رَاغِبَ أن يَطْلُبَ منه المسير إلى طرسوس ، فطال مَقَامُهُ عنده . فظنَّ أصحابه أَنَّهُ قَبِضَ عليه ، وأذاعوا ذلك ، فاستعظَمه النَّاسُ ، وقالوا : يَعْمَدُ إلى رجلٍ قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه ، فشَعَبُوا على أميرهم ، وقبضوا عليه ، وقالوا : لا تزالُ في الحبس حتى يُطْلِقَ ابنُ عمِّكَ خجارويه رَاغِبًا ، ونهبوا دارَهُ ، وهتكوا حرمة .

ويبلغ الخبر خُجَّارَوِيهِ فأطَّلَعَ رَاغِبًا عليه ، وأذِنَ له في المسير إلى طرسوس . فلَمَّا دخلها أطلق أهلها أميرهم مُحَمَّدَ بن موسى ، فسار عنها إلى البيت المقدس . ولَمَّا سار عنها وَلِيَهَا أحمد العجيني ، وكان يليها قبل ذلك (١) .

ذكر زواج المعتضد بالله بابنة خجارويه

ابن أحمد بن طولون

قال : ولَمَّا توفي المعتضد على الله (٢) وتولَّى المعتضد بالله (٣) بادَرَ خُجَّارَوِيهِ

(١) انظر الكامل ج ٧ ص ٤٥٠ .

(٢) توفي في ١٩ رجب ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م - الكامل ج ٧ ص ٤٥٥ ، شذرات الذهب ج ٢ ص

١٧٣

(٣) هو أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، المعتضد بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة

٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

إليه بالهدايا الجليلة على يد الحسين^(١) بن عبد الله بن منصور بن الجصاص الجوهري ، فأقره المعتضد بالله على ما يده من الأعمال . وسأل خُارويه المعتضد أن يزوجه ابنته قطر الندى^(٢) للمكتفي بالله وليّ العهد ، فقال المعتضد بل أنا أتزوجها . [وكان ذلك]^(٣) في سنة ثمانين ، وحُمِلت إليه في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وأُصدّقها ألف ألف درهم .

وقيل : إن المعتضد بالله إنما قصد بزواجها إفقار الطُّلُونِيَّة ، وكذلك كان ، فإن خُارويه جهَّزها بجهاز لم يسمع بمثله^(٤) ، حتى قيل إنه كان لها ألف هاون من ذهب ، وشرط المعتضد على خُارويه أن يحمل في كل سنة مائتي ألف دينار ، بعد القيام بجميع وظائف مصر وارضاق الجند ، فأجاب إلى ذلك .

ذكر مقتل أبي الجيش خُارويه

كان مقتله في ليلة الأحد لثلاثِ بَقِينٍ من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وقيل^(٥) في ذى الحجة منها بدمشق .

(١) « الحسن » في الأصل ، وهو الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص ، التاجر

الجوهري ، ت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) قطر الندى ، واسمها اسهاء ، توفيت سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، ودفنت داخل قصر الرصافة

ببغداد - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٣) [إضافة تنفق وسياق الكلام .

(٤) عن جهاز قطر الندى انظر المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣١٩ ، وفيات الأعيان ج ١ ص

٤٠٥ ، ج ٢ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦١ وما بعدها .

(٥) الكامل ج ٧ ص ٤٧٤

وكان سببُ قتله أنه قيل له إن جواري داره قد اتخذت كل واحدةٍ منهنَّ خَصِيًّا وجعلته لها كالزوج ، وقال له الناقل إن شئت [أن] (١) تعلم صحَّة ذلك فقررَّ بعضَ الجوارى بالضرب ، فكذب من وقتِه إلى نائبه بمصر بامرُه أن يسيرَ إليه الجواري ، فاجتمع جماعةٌ من خدَم الخاصَّة وتواعدوا على قتله ، فذبحوه على فراشه ليلاً . فلما قُتِل قُتِل من خدَمه الذين اتَّهموا بقتله نيفٌ وعشرون نفساً .

وحُمِل خَارُوِيه إلى مصر فدفن بجبل المقطم . وكانت مدَّة ملكه ثنتي عشرة سنة وأياماً .

ذكر ولاية أبي العشائر جيش

ابن أبي الجيش خارويه بن أحمد بن طولون

وهو الثالث من الملوك الطولونية

ملك بعد وفاة أبيه في يوم الأحد لثلاث بقين من دى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وذلك أن خَارُوِيه لما قُتِل اجتمع القوادُّ على ابنه أبي العشائر [١٣] واباعوه ، وكان مع أبيه بدمشق ، وهو أكبر ولده ، ففرَّق فيهم الأموال ، ورجع إلى مصر ، وكان صبيًّا غيًّا .

(١) [إضافة يقتضها سياق الكلام من الكامل جـ ٧ ص ٤٧٥ .

ذكر عصيان دمشق على جيش وخلاف جنده وقتله

وفي سنة ثلاثٍ وثمانين ومائتين خرج جماعةٌ من قواد جيش بن خمارويه وجاهره بالخلاف ، وقالوا : لانرضى بك أميرًا ، فاعتزلنا حتى نولى الإمارة ^(١) عمك .

وكان سببُ ذلك أنه لما ولى قَرَبَ الأحداث والسَّفل ، وأخذ إلى سماع أقوالهم ، فغيروا نيته على قواده وأصحابه ، فصار يقعُ فيهم ويدمُّهم ، ويُظهر العزمَ على الاستبدالِ بهم ، وأخذَ نعمهم وأموالهم ، فاتفقوا على قتله وإقامة عمه . فبلغه ذلك فلم ينته ، وأطلق لسانه فيهم ، ففارقه بعضهم ، وخلعه طُغج بن جُف ^(٢) أمير دمشق .

وسار القوادُ الذين فارقوه إلى بغداد ، وهم : محمد بن إسحاق بن كنداجق ، وخاقان المفلحي ، وبدر بن جُف أخو طغج ، وغيرهم من قواد مصر ^(٣) . فسلكوا البرية وتركوا أموالهم وأهلهم ، فتأهوا أيامًا ، ومات جماعةٌ منهم من العطش ، وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتين ، وقدموا على المعتضد ، فخلعَ عليهم ، وأحسن إليهم . وبقي سائرُ الجند بمصر على خلافهم ، فسألهم كاتبه على بن أحمد الماذرائي أن ينصرفوا يومهم ذلك ،

(١) « ففتح عنا حتى نولى عمك نصر بن أحمد بن طولون » في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) ولى حكم دمشق وطبرية من قبل خمارويه - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٥٧ .

(٣) عن هؤلاء القواد انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٩ - ٩٠ .

فرجعوا ، فقتل جيش عمّين من عمومته (١) ، فنار الجند إليه ، فرمى لهم بالرّاسين ، فهجم الجند عليه وقتلوه ، ونهبوا داره ، ونهبوا مصر وأحرقوها (٢) . وكانت ولايته تسعة أشهر ، وقيل ثمانية ، والله أعلم .

ذكر ولاية أبي موسى هارون ابن أبي الجيش خارويه بن أحمد بن طولون وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية

ملك بعد مقتل أخيه في سنة ثلاثٍ وثمانين ومائتين ، وهو ابن عشر سنين ، فاختلفت الأحوال ، واختلف القواد وطمعوا ، فانحلّ النظام ، وتفرقت الكلمة ، ثم اتفقوا على أن جعلوا أبا جعفر بن أبي التّركي مدبّر الدولة ، وكان مقدّمًا عند أبيه وجده . فأصلح الأحوال جهّد طاقته . وجّهز جيشًا إلى دمشق عليه بدر الحامى والحسن بن أحمد الماذرائى ، فأصلحا حالها ، وقرّرا أمور الشّام ، واستعملا على دمشق طعج بن جُفّ الفرغانى ، وهو والدُ الإخشيد ، ورجعا إلى مصر ، وفي الأمور اختلالٌ ، والقواد قد تغلّبوا ، وضمّ كلُّ منهم إلى نفسه طائفةً من الجند . ولم يزل الأمر على ذلك إلى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(١) أحدهما نصر بن أحمد بن طولون - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) تعددت الروايات في قتله انظر تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٤٥ ، الولاة والقضاة ص ٢٤٢ ، والروايات المختلفة التي وردت في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٩ وما بعدها .

ذكر انقراض الدولة الطولونية

كان انقراضها في يوم الخميس لِلْيَلْتَيْنِ بقينا من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين

وسبب ذلك أن الخليفة المكتفي بالله^(١) ندب محمد بن سليمان كاتب الجيش في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وخلق عليه وعلى جماعة من القواد ، وأمرهم بالمسير إلى الشام ومصر وانتراعها من هارون بن خنارويه ، لِمَا ظهر من عجزه واختلاف أصحابه عليه .

فسار عن بغداد في شهر رجب ، هو وعشرة آلاف ، ووصل إلى حدود مصر في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ووجه المكتفي أيضا دميانة الرومي غلام يازمان بالمراكب ، فوصل إلى تيس^(٢) ودخل نهر النيل ، فوجه إليه هارون جماعة من القواد ، فالتقوا ، فهزمهم دميانة ، وزحف محمد بن سليمان بالجيوش في البر حتى دنا من مصر ، وكان من بها من القواد ، فكان أول من خرج إليه والتحق به بدر الحامى ، وهو رئيس القواد ففت ذلك في أعضاد المصريين . وتتابع القواد إليه . فلما رأى هارون ذلك خرج بمن بقي معه من القواد لقتال محمد بن سليمان ، فكانت بينهم حروب ، ثم وقع بين

(١) هو علي بن أحمد بن طلحة ، أبو محمد ، المكتفي بالله ، ولي الخلافة العباسية ببغداد في الفترة من ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٢) تيس : من المدن المصرية القديمة ، ما بين الفرما ودمياط ، وهي جزيرة بهيمة المنزلة - القاموس الجغرافي - القسم الأول ص ١٩٧ - ١٩٨ .

أصحاب هارون في بعض الأيام ، فاقتتلوا ، فخرج هارون ليسكنهم ، فرماه بعض المغاربة بجزراق^(١) فقتله ، وقيل بل فعل ذلك عمه شيان ، وذلك لانتفى عشرة ليلة بقيت من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

وكانت مدة ولايته نحوًا من تسع سنين تقريبًا .
فبايع الأجناد عمه [١٤] أبا المقانب شيان بن أحمد بن طولون ، وهو الخامس من ملوك الدولة الطولونية ، وعليه انقضت .

قال : ولما بويغ بذل الأموال للجند فأطاعوه^(٢) ، وقاتلوا معه قتالاً شديداً ، ثم لم يلبثوا أن وافتهم كُتُب بدر الحمamy يدعوهم إلى الأمان فأجابوه إلى ذلك . وسار محمد بن سليمان إلى مصر ، فدخلها في يوم الخميس لليلتين بقيتًا من صفر ، سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأرسل إليه شيان يطلب منه الأمان ، فأتمه ، فخرج إليه ولم يعلم به أحدٌ من جنده ، فلما أصبحوا قصدوا دار الإمارة فلم يجدوه ، فبقوا حيارى .

واستولى محمد بن سليمان على مصر ، وعلى منازل آل طولون وأموالهم ، وقبض عليهم كلهم ، وهم عشرون رجلاً ، فقيدهم وحبسهم ، واستصفي أموالهم . وكتب بالفتح إلى الخليفة ، فأمره بإشخاص آل طولون وأشياءهم^(٤) من مصر والشام إلى بغداد ، فحملهم وأتباعهم وأنقض

(١) جزراق : ما زرق به . وهو نوع من الرماح ، صغير ، ويرمى به من اليد - خزائن السلاح ص

(٢) « فأطلقوه » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٣) « قصدوا داره » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٤) « وأسباهم » في الأصل . و « وأسباهم » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ ، تاريخ الطبرى ج ١٠

قصورهم ، وعاد إلى بغداد ، وولّى معاوية^(١) مصر عيسى النوشري^(٢) .

وانقرضت الدولة الطولونية ، وكانت مدتها من لَدُنْ ولاية أحمد بن طولون وإلى آخر أيام أبي المقانب سبعا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وملك منهم خمسة نفر .

(١) « معاوية » في الأصل ، والتصحيح مما يلي ، ومن الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٢) انظر الولاية والقضاء ص ٢٥٨ .

وهو عيسى بن محمد النوشري ، الأمير أبو موسى - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٥ .

ذكر أخبار من ولي مصر بعد انقراض الدولة الطولونية
وإلى قيام الدولة الإخشيدية من الأعمال
وملخص ما وقع في أيامهم من الحوادث

لما انقضت الدولة الطولونية كما ذكرنا ، كان أول من ولي مصر
عيسى النوشري ، رتبته في ولاية معاونتها محمد بن سليمان الكاتب ، فلما
سار محمد إلى العراق ظهر بمصر رجل يسمى إبراهيم الخليجي وتغلب
عليها .

ذكر إبراهيم الخليجي ^(١) وما كان من أمره

كان إبراهيم هذا من القواد الطولونية ، وكان قد تحلف عن محمد بن
سليمان ^(٢) ، فاستمال جماعة وخالف على السلطان وكثر جمعه . وعجز النوشري
عنه ، فسار إلى الإسكندرية ، ودخل الخليجي مصر . وكتب النوشري إلى
المكتفي بالخبر ، فندب إليه الجنود مع فاتك مولى المعتضد ، وبدر الحماني ،
فساروا في شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ووصلوا إلى نواحي مصر في سنة

(١) ورد اسمه في الصادر بصور مختلفة فهو « ابن الخليج » في السلاة والقضاء ص ٢٥٩ .
و « إبراهيم الخليجي » في تاريخ الطبري ج ١٠ ص ١١٩ ، و « محمد بن علي الخليج » في
المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٢٧ ، و « محمد بن علي الخليجي » في النجوم الزاهرة ج ٣
ص ١٤٧ ، و « الخليجي » في الكامل ج ٧ ص ٥٣٦ .

(٢) « كان تغلبه في دمشق ومعه شفيع الخادم الطولوني » - النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٧ .

ثلاث ، فتقدم أحمد بن كيغلف^(١) في جماعة من القواد ، فلقبهم الخليجي بالقرب من العريش ، فهزهم أقيح هزيمة ، فندب من بغداد جماعة من القواد فيهم إبراهيم بن كيغلف^(٢) فخرجوا في شهر ربيع الأول . وأصلت الأخبار بقوة الخليجي حتى برز المكتفى بالله إلى باب الشماسية على عزم السير إلى مصر ، ثم التقى القواد بالخليجي ، واقتتلوا قتالاً شديداً عدة دفعات ، كان آخرها أن انهزم الخليجي ودخل فسطاط مصر ، واستتر عند رجل من أهلها ، ودخل عسكر الخليفة فظفروا به وأخذوه هو والذي استتر عنده^(٣) وحبسوهما ، وكتبوا بذلك إلى الخليفة ، ووجه فاتك إبراهيم الخليجي إلى بغداد ، فدخلها هو ومن معه في شهر رمضان ، فحبسهم المكتفى .

واستقر عيسى النوشري بمصر إلى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فتوفي في شعبان منها ، وحمل إلى البيت المقدس فدفن به .

واستعمل المقتدر^(٤) على مصر تكين الخاصة^(٥) في منتصف شهر رمضان من السنة .

(١) ولى حكم مصر مرتين سنة ٣١١ هـ/ ٩٢٣ م . ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م — الولاية والقضاء ص ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢ — ٦٣ ، وانظر ما يلي .

(٢) توفي سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٣ .

(٣) وذلك في رجب سنة ٢٩٣ هـ/ ٩٠٥ م — الولاية والقضاء ص ٢٦٢ .

(٤) هو جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل ، المقتدر بالله ، ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ/ ٩٠٨ — ٩٣٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٥) ولى حكم مصر ثلاث مرات ، وتوفي بها في المرة الثالثة سنة ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٢ ، وانظر ما يلي .

وفي سنة ثلاثمائة ندب تكين عسكريًا وجعل مقدمه أبا النمر^(١) أحمد بن صالح ، فضى إلى برقة والتقى مع عسكر حُباسة قائد المهدي ، وأبلى بلاء حسنًا ، ثم صرفه تكين وولى حر المنصوري فضى إلى برقة فوجد أبا النمر موافقًا لحباسة ، فلما علم أبو النمر بعزله تخاذل حنقا^(٢) على تكين ، فاغتم حباسة الفرصة وحاربها ، فكسرها ، وعادًا إلى مصر .

ذكر استيلاء حُباسة على الإسكندرية

[١٥] وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة سار حباسة قائد المهدي من برقة ودخل الإسكندرية وملكها ، فوصل من بغداد أحمد بن كيغخ ، وأبو قابوس محمود بن حمد ، والقاسم بن سبأ ، في جمع من القواد والعساكر ، وكان وصولهم في العشرين من صفر ، فخرج بهم تكين إلى الجيزة في يوم الاثنين لسبع خلون من جادى الأولى فعسكر بها ، وسار حباسة من الإسكندرية بعسكر مستوفى ، ونودى في فسطاط مصر بالتفير في العشرين من الشهر ، فخرج الناس إلى الجيزة ، ولم يتخلف أحد من الخاصة والعامة ، وتقدم حباسة في جيوشه والتقى الفريقان وكثرت القتلى بينهم ، فقتل أكثر رجال حباسة ، وانهمز بمن بقي معه .

ثم قدم مؤنس الخادم من العراق في منتصف شهر رمضان من السنة ، ومعه جمع من الأمراء ، وأمر أحمد بن كيغخ بالمسير إلى الشام ، وصرف

(١) هكذا بالأصل ، والولاية والقضاة ص ٢٦٨ ، و« أبو اليمن » في المواعظ والاعتبار ج ١ ص

٢٢٧ ، و« أبو اليمنى » في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) « حقا » في الأصل والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

تكوين الخاصة عن ولاية مصر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . فكانت مدة ولايته خمس سنين وشهرين .

وفي سنة ثلاث وثلاثمائة قدم أبو الحسن ذكا (١) الأعرور الرومي أميراً على مصر ، وذلك لانتفى عشرة ليلة خلت من صفر ، وخرج مؤنس بجيوشه إلى العراق لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج ذكا إلى الإسكندرية لإصلاحها ، وجعل فيها ولده مظفرًا وتتبع من كان يُذكر بمكاتبة المهدي ، فحبس جماعة منهم ، وقطع أيدي جماعة وأرجلهم .

ذكر وصول أبي القاسم بن المهدي إلى الديار المصرية واستيلائه على الإسكندرية والقيوم والأشمونين

وفي سنة سبع وثلاثمائة ، في الثاني من صفر ، وصل أبو القاسم بن المهدي بجيوش المغرب إلى الإسكندرية وملكها . وهي الدفعة الثانية ، فإنه كان قد قدم في سنة إحدى وثلاثمائة وملكها أيضاً ، ثم عاد إلى أفريقية .

ووافق وصوله الآن والجند مخالفون لذكاً أمير مصر ، فتقاعدوا عن الخروج معه للقاء عسكر المهدي ، فخرج إلى الجيزة في عسكر قليل في التصف من صفر ، وابتنى حصناً بالجيزة ، واحتفر خندقاً على عسكره ، ثم صُرف ذكاً ، وتوفى لليلة خلت من شهر ربيع الأول من السنة ، وكانت مدة إمارته أربع سنين وأياماً .

(١) « دعا » في الأصل ، كما ورد في الأصل بعد ذلك « وكا » . والتصحيح هنا وفيها يلي من الولاة والقضاة ص ٢٧٣ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٦ .

وقدم أبو قابوس محمود بن حمد أمير الشام بعساكره نُصْرَةَ لعساكر مصر ، فكان قدومه لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، ونزل الجيزة ، ثم قدم إبراهيم بن كيغلغ لسبع بقين من شهر ربيع الآخر . ودخل تكين الخاصة متولياً لإحدى عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة ، ونزل الجيزة ، وحفر خندقاً ثانياً ، وأقبلت مراكب المهدي صاحب إفريقية ، وهي مائة مركب حرية^(١) ، وعليها سليمان الحاكم^(٢) ، فبعث تكين إلى بَمال الخادم أمير طرسوس أن ينجده ، فحضر إليه في مراكبه^(٣) وانتهى إلى ثغر رشيد ، والتقت مراكبه بمركب المهدي لعشر بقين من شوال من السنة ، وكان بينهم حرب شديدة ، وهبّت ريح على مراكب المهدي فألقته إلى البر ، وتكسّر أكثرها ، وأسْرَمَ فيها ، وقتل منهم خلق كثير ، ودخل من بقى منهم إلى الفسطاط ، وهم سبعائة نفر ، فقتلوا عن آخرهم .

وقدم مؤنس الخادم من بغداد في الخامس من المحرم سنة ثمان وثلاثمائة^(٤) ، وتولّى إمرة مصر من بغداد هلال بن بدر ، ودخلها في السادس من ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة ، وأقام إلى سنة^(٥) عشرة ،

(١) « ثمانون مركباً » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٧١ .

(٢) هكذا بالأصل ، و« عليها سليمان الخادم ويعقوب الكتافي » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٧١ ، وانظر أيضاً الولاة والقضاة ص ٢٧٦ .

(٣) في اتعاظ الحنفا أن الخليفة المقتدر هو الذي أمر بإرسال مراكب طرسوس ج ١ ص ٧١ .

(٤) « وصرف تكين عن مصر يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة وولى مؤنس عليها أبا قابوس محمود بن حمك فأقام عليها أياماً ، ثم رد تكين عليها يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأول فأقام أربعة أيام » - الولاة والقضاة ص ٢٧٨ .

(٥) « وأقام إلى ست عشرة » في الأصل ، والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٧٩ .

فشغب عليه الجند ، وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصُرف هلال عن مصر في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . فكانت مدة ولايته نحو ستين .

وتولى مصر أحمد بن كيخلف فقدمها في شهر رجب من السنة ، فأقام بمنية الأصيغ^(١) ، وأحضر الجند ، ووضع العطاء فيهم ، وأسقط كثيراً من الرّجاله ، فسعت الرجال عليه ، وخرجوا لقتاله ، فانتقل إلى فاقوس وأقام بها إلى أن قدم رسول تكين الخاصّة بولاية مصر ، وذلك في ذى القعدة من السنة .

وقدم تكين من العراق لعشر مضيّن من المحرم سنة ثنى عشرة وثلاثمائة ، فكان بها إلى أن توفى في السادس من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وحمل إلى بيت المقدس فدفن هناك ، فكانت مدة ولايته هذه تسع سنين وأربعة أشهر إلا أربعة أيام ، واستخلف ابنه محمد ، وكان الوزير بمصر والمتولّى لخزاجها يومئذ محمد بن علي الماذرائي^(٢) فوقع بينه وبين محمد

(١) « فشعت » في الأصل . والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٧٩ .

(٢) منية الأصيغ : قرية تنسب إلى أبي ريان أصيغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . أنشأها على الخليج المصرى عرفت باسمه ، وعرفت في العصر الفاطمى بقرية الخندق . وهى فى شرق القاهرة حالياً بوسط منطقة دير الملك . القاموس الجغرافى - القسم الأول ص ٤٢٨ .

(٣) اختلفت المصادر - فى رسم هذا الاسم . وفى الأصل . وعقد الجمان . « الماذرائى » . وفى

المواظ والاعتبار « الماذرائى » . و « الماذرائى » فى الولاية والقضاء ص ٢٤٤ .

ونسبت هذه الأسرة إلى ماذاريا : من أعمال البصرة . ويقول ياقوت : ينسب إليها الماذرائيون ، كتاب الطولونية بمصر - معجم البلدان .
ولذلك تم تصحيح الاسم هنا وفى المواضع التالية .

ابن تكين فتنة لأربع بقين من الشهر ، وانتشرت حتى قامت الحرب بينهما ، وقتل فيها جماعة من الفريقين وأحرق دور الماذرائي الوزير وجماعة من أصحابه .

[١٦] وخرج محمد بن تكين هارياً من مصر ، ودُعي بمصر لمحمد ابن طُفج بن جُفّ الإخشيدى في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة ، ثم دُعي لأحمد بن كيغلف^(١) في شوال من السنة ، ثم رجع محمد بن تكين إلى مصر في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وأقام بالجيزة أياماً ، ودخل دار الإمارة بمصر ، واستقر بها لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، ودُعي له بالأمانة ثم وقع بينه وبين عرب المغاربة حرب انجلت^(٢) عن انهزامهم إلى الصعيد ، وأقام محمد بن تكين ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، ثم هرب مع جماعة من أصحابه لخمس خلون من شهر رجب . ودخل أحمد بن كيغلف في يوم السبت السادس من الشهر ، ثم رجع محمد بن تكين لقتاله لثلاث بقين منه ، وكان بينها حرب انجلت^(٣) عن انهزام محمد بن تكين ، ثم نفى بعد ذلك إلى الصعيد ، فلم يزل هناك إلى أن جاء محمد بن طُفج .

(١) « لمحمد بن كيغلف » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٨٢ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٢ ، وما يلي .

(٢) « أجلت » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام ، وما جاء في الولاية والقضاء ص ٢٨٢ .

ذكر أخبار الدولة الإخشيدية وابتداء أمر من قام بها وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده إلى أن انقرضت أيامهم

كانت هذه الدولة بمصر والشام ، وهي من الدول المشهورة . وأولى من ولي من ملوكها الإخشيد أبو بكر محمد بن طنج . واسم طنج عبد الرحمن ابن جف بن يلكين بن قورى بن خاقان الملك ، وهو من فرغانة ، وكان طنج من القواد الطولونية ، وتولى لخمارويه بن أحمد [بن طولون] (٢) دمشق والشام . ولما مات طنج ترك من الأولاد أبا بكر محمداً الإخشيد ، وأبا القاسم علياً ، وأبا المظفر الحسين ، وأبا الحسن عبيد الله ، وكان أبو بكر أكبرهم فتولى الولايات وتنقل في المراتب إلى أن ملك مصر والشام .

وكان ابتداء ولايته الديار المصرية والدعاء له بها في يوم الجمعة لاثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، كما قدمناه ، ولم تثبت ولايته هذه . ثم دُعي لأحمد بن كيغنج ، وكان ما ذكرناه ، ثم ولي مصر في سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة في خلافة الرّاضى بالله (٣)

(١) « بن قورى » في الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان - انظر ترجمة أبو بكر محمد بن أبي محمد طنج ج ٥ ص ٥٦ رقم ٦٨٩ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

(٣) هو أحمد بن جعفر المقتدر بالله . أبو العباس الراضى بالله ، ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

وكانت هذه الولاية مفتعلة في ابتدائها ، وذلك أن التقليد من دار الخلافة ببغداد خرج باسم محمد بن تكين الخاصة ، وكان بن طنج بالساحل قبض على الرسول الواصل من دار الخلافة وأخذ منه التقليد وكشط « تكين » وكتب « طنج » وأنفذ التقليد إلى مصر فورد في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ، فاعتزل أحمد بن كيغلق النظر ، وامتنع محمد ابن علي الماذرائي الوزير من التسليم له ، وكان غالباً على أمر أحمد [بن كيغلق]^(١) ، وعزم على قتال محمد بن طنج ، فبلغه ذلك ، فبعث صاعد بن كلثم بمراكب كثيرة من ساحل الشام ، وسار هو في البر ، فقدمت عساكره مصر براً وبحراً ، ووصل صاعد إلى الجيزة في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان ، وأقام خمسة أيام ، وأحرق الجسر ، ووصل الإخشيد إلى مصر فلقبه محمد بن علي الماذرائي الوزير وأحمد بن كيغلق ومحمد بن عيسى النوشري وبرزوا لقتاله . فلما تصافوا للقتال انحاز أحمد بن كيغلق وانضم إلى الإخشيد ، وقاتل الماذرائي وابن النوشري قتالاً شديداً ، ثم انهزما إلى الفيوم .

ودخل الإخشيد مصر بعد القتال في يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان من السنة ، فندب صاعداً لقتال الماذرائي وابن النوشري ، فوقع بينهما حرب انجلت^(٢) عن قتل صاعد وهرب النوشري إلى برقة ، وراسل القائم^(٣)

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) « أجلت » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام ، وما ورد في الولاة والقضاة ص

. ٢٨٧

(٣) هو الخليفة الفاطمي الثاني بالمغرب ، وهو القائم باقه أبو القاسم محمد . ولى الخلافة بالمغرب

في الفترة من ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ - ٩٤٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٣ .

صاحب إفريقية يطلب نجدة ، فسير إليه عسكرياً عليه أبو تازرت^(١) فدخلوا الإسكندرية وملكوها ، فخرج إليهم أبو المظفر الحسين بن طنج ومعه صالح ابن نافع ، ووقع بينهم القتال ، فانهمز النوشري وعسكر المغاربة ، وقتلوا أبو تازرت ، وأسر عامر المجنون ، وجماعة منهم . وأما محمد بن علي الماذرائي الوزير فإنه استتر ، ودام استتاره إلى أن دخل الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة وتلقاه الإخشيد ، وزينت له مصر ، فأخرجه . ثم وصل التقليد من دار الخلافة لمحمد بن طنج في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

وفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة نعت الخليفة الراضي بالله محمد بن طنج بالإخشيد بسؤالٍ منه في ذلك . ومعنى الإخشيد ملك الملوك .

وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة خرج الإخشيد إلى الشام واجتمع بالخليفة المتقي بالله بالرقّة ، وخدمه ، ومشى بين يديه ، وسأله المسير معه إلى مصر [١٧] وخوفه من توزون التركي ، فلم يقبل منه . فضمّ إليه الإخشيد عسكرياً وقائداً من قواده ورجع الإخشيد إلى الشام ، ثم إلى مصر . وولاه المتقي مصر والشام والحرمين ، وعقد لولديه من بعده ،

(١) « أبو تازرت » في الأصل ، والتصحيح من الولاية والقضاء ص ٢٨٨ .

(٢) « المتقي بالله » في الأصل ، وهو تحريف .

وهو أبو إسحاق إبراهيم المتقي بالله ، ولي الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من

٣٢٩ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

أَنُوجُورِ وَعَلَى ، عَلَى أَنْ يَكْفَلَهَا ^(١) كَافُورِ الْخَصَى . وَكَانَ عَوْدُ الْإِخْشِيدِ إِلَى مِصْرَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ جَمَادَى الْأُولَى ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى النَّاسِ لَوْلَاهُ أَبِي الْقَاسِمِ أُنُوجُورِ لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا .

(١) « أُنُوجُورِ وَعَلَى ، وَعَلَى أَنْ يَكْفَلَهَا » فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَسَيَجْرِي تَصْحِيحُ اسْمِ أُنُوجُورِ فِيهَا إِلَى طَبَقًا لَضَبْطِهِ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ وَهُوَ « بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ النَّوْنِ وَالْجَمِيمِ بِعَدَمِهَا وَقَبْلَهَا وَوَاوِ سَاكِنَةٍ »

ذكر مسير الإخشيد إلى الشام ووفاته وشيء من أخباره وسيرته

وفي خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج الإخشيد إلى الشام والتقى بأصحاب ابن حمدان (١) ، على لَدَا (٢) ، وهزَمَهُمْ . ثم سار إلى حمص وقاتل سيف الدولة بن حمدان ، ومضى إلى حلب . ثم وقع الصلح بينها ، وتسلم الإخشيد من سيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية (٣) ، وتزوج سيف الدولة بنت عبيد الله بن طنجح أخى الإخشيد . ثم عاد الإخشيد إلى دمشق فتوفى (٤) بها في يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان عمره ستاً وستين سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام ، وكانت مدة ولايته الثانية (٥) من لدن دخوله إلى مصر وإلى حين وفاته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا يوماً واحداً .

قال التنوخي (٦) : وكان الإخشيد حازماً شديداً ، يتيقظ في حروبه ،

(١) هو على بن عداقه بن حمدان ، سيف الدولة ، أبو الحسن حكم حلب في الفترة ٣٣٣ -

٣٥٦ هـ / ٩٤٤ - ٩٦٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٢) لُدَا ، بالضم والتشديد : هي مدينة اللد ، من فلسطين - معجم البلدان .

(٣) عن تفاصيل الصراع بين الإخشيد وسيف الدولة انظر الكامل ج ٨ ص ٤٤٥ ، النجوم

الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٦ ، الولاة والقضاة ص ٢٩٢ ، مصر في عصر الإخشيد ص

٣٦٧ - ٣٧٢ .

(٤) « فتولى بها » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الولاة والقضاة ص ٢٩٣ .

(٥) « الأولى » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث - انظر ما سبق .

(٦) هو المحسن بن أبي القاسم على بن محمد ، القاضي أبو على التنوخي ، صاحب كتابي الفرج

بعد الشدة ، وجامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، والمتوفى سنة

٢٨٤ هـ / ٩٩٤ م - وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥٩ رقم ٥٥٧ .

حسن التدبير ، مكرماً للأجناد ، أيداً^(١) في نفسه ، لا يكاد يجرّ قومه الأفاذ من الناس لقوته ، حسن السيرة في رعيته ، وكان جيشه يحتوي على أربعة آلاف رجل ، وله ثمانية آلاف مملوك ، يجرسه في كل ليلة منهم^(٢) ألفا مملوك . وكان إذا سافر يتنقل في الخيام عند التوم حتى كان ينام في خيمة الفراشين . قال وترك الإخشيد سبع بيوت مال ، في كل بيت مال منها ألف ألف دينار من سكة واحدة .

أولاده : أبو القاسم أنوجور ، أبو الحسن علي .
 كتابه : أبو جعفر بن المنفق ، وابن قوماقس ، وابن الرودباري .
 ولما مات ملك بعده ابنه أنوجور .

ذكر ولاية أبي القاسم أنوجور

ومعنى أنوجور محمود ، ابن أبي بكر محمد بن طنج ، وهو الثاني من ملوك الدولة الإخشيدية .

كانت ولايته بالشام بعد وفاة أبيه لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وبويع له بمصر عند ورود الخبر بوفاة الإخشيد في اليوم الثاني من المحرم سنة خمس وثلاثين ، وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة . وقام بيعته الوزير أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل^(٣) . وكان أبوالمظفر الحسن بن

(١) د ، يثيد ، أيداً : اشتد وقوى وصلب - القاموس .

(٢) « منها » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق ، فالضمير عائد على ثمانية آلاف مملوك .

(٣) هو صاحب خراج مصر يومئذ - الولاة والقضاة ص ٢٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص

طُفِجَ بِمِصْرَ قَبِيضَ عَلَى الْوَزِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَذْكُورِ فِي ثَالِثِ الْحَرَمِ ، وَعَزَلَهُ ، وَوَلَّى الْوِزَارَةَ (١) مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَازَرَانِيَّ ، وَحَبَسَ ابْنَ مِقَاتِلَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الْإِعْتِقَالِ إِلَى أَنْ قَدِمَ كَافُورٌ بِالْعَسْكَرِ مِنَ الشَّامِ فَأُفْرِجَ عَنْهُ . وَكَانَ قَدُومُ كَافُورٍ بِالْعَسْكَرِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لَيْثَانِ مَضِينَ مِنْ صَفْرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ .

ثُمَّ خَرَجَ كَافُورٌ بِالْعَسْكَرِ إِلَى الشَّامِ وَمُقَدِّمَهُ أَبُو الْمَظْفَرِ بْنُ طُفِجَ ، أَخُو الْإِخْشِيدِ ، وَذَلِكَ لِسَبْعِ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ . وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ أَنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ طَمَعَ فِي مَلِكِ الشَّامِ لَمَّا تَوَفَّى الْإِخْشِيدَ ، فَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ وَمَلِكِهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الزَّمَلَةِ فَلَقِيَهِ كَافُورٌ بِهَا وَقَاتَلَهُ ، وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ عَلَى ابْنِ حَمْدَانَ . وَاسْتَعَادَ الْإِخْشِيدِيَّةَ مَا كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ كَافُورٌ بِالشَّامِ .

ذِكْرُ قِيَامِ أَبِي نَصْرِ عَلْبُونِ بْنِ سَعِيدِ الْمَغْرَبِيِّ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ

كَانَ قِيَامُهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى = لِسَبْعِ اسْمِ بِيْطٍ ، وَأَخْمِيمَ مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ ، فَعَزَلَهُ [١٨] كَافُورٌ عَنْهَا وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَامْتَنَعَ ، وَطَمَعَ لِحُلُولِ الْبِلَادِ مِنَ الْأَسْتَاذِ كَافُورِ ، فَغَدَبَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَهَزَمَهُمْ عَلْبُونُ ، وَهَزَمَ عَسْكَرًا ثَانِيًا ، وَتَقَوَّى بِمَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ . ثُمَّ سَارَ إِلَى الشَّرْقِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ ثُمَّ سَارَ مِنْهَا وَنَزَلَ عَلَى بَرَكَةِ الْحَبِشِ (٢) فَخَرَجَ إِلَيْهِ جَاعَةٌ مِنَ الْإِخْشِيدِيَّةِ

(١) « وولى مكانه على الخراج » فى النجوم الزاهرة . « وجعل مكانه » فى الولاية والقضاة .

(٢) بركة الحبش : من أجل متزهات مدينة الفسطاط ، وكانت تعرف ببركة المغافر وحسير ، وتعرف باصطبل قماش ، وكانت فى ملك أبى بكر محمد بن على المازرانى - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٢ .

فهزمهم . فرحل عند ذلك أبو القاسم أنوجور وأخوه وأهلها^(١) ، والوزير إلى الشام ، وأخليت دارُ الإمارة ، فدخل غلبون مصر وسير عسكراً إلى أبي القاسم فتبعه إلى مسجد تبر^(٢) . ومُسِك الوزير محمد بن الماذرائي وجيء به إلى غلبون ، فلما رآه أطلقه .

وسار أبو القاسم نحو الشام ، فلقيه مرتاح الشراي في أثناء الطريق ، وقد قدم من قِبَل كافر في جماعة من الإخشيدية ، فردّه . وعاد أبو القاسم إلى مصر بالسكر فوجدوا غلبون وقد تفرّق عنه أصحابه في البلد ، فحاربهم في نفر يسير ، فانهزم . ودخلوا دار الإمارة ، فوجدوا الوزير ابن الماذرائي ، فهموا بقتله ، فأخذته القائد منجح وخبأه عنده ، ونُهبت دُورُه وأحرق بعضها .

ووصل الخبر إلى كافر بالشام فقبض على ولده ، واستوزر عوضاً عنه أبا الفضل جعفر^(٣) بن الفرات المعروف بابن حنزابية ، ثم قديم الأستاذ كافر من الشام في شهر رمضان ، سنة ست وثلاثين ، فأطلق الوزير ابن الماذرائي وأكرمه ، وردّ عليه ضياعه وأملاكه ، واستوزر محمد بن علي بن مقاتل .

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة لست خلون من صفر زُلزلت مصر ، وتتابعت الزلازلُ بها ، فهتدّم أكثر دُورها ، وسقط من الجامع العتيق بمصر

(١) « وأهلهم » في الأصل والتصحيح يتفق وسباق الكلام .

(٢) مسجد تبر : خارج القاهرة ، وعرف قديماً بالينر والجيمزة ، وتسميه العامة مسجد التين وهو خطأ ، وموضعه خارج القاهرة من المطرية - وتبر أحد الأمراء الأكابر في أيام كافر - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣) هو جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات . المعروف بابن حنزابية . توفي سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٦ رقم ١٣٣ .

قطعة ، وتوالت الزلازل في سنة أربعين أيضًا ثلاثة أيام متوالية ، ونُحِسَ بعضُ القرى وهلك من كان بها .

فقال محمد بن عاصم من قصيدة مدح بها كافور جاء منها :
 ما زُلزِلتِ مِصرٌ من سُوءٍ يُرادُ بها وإنما رَقَصَتْ مِنْ عَذْلِهِ فَرَحًا
 وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة انقضت نارٌ من السماء فأحرقت أكثر
 دُور مصر .

ذكر وفاة الوزير أبي بكر محمد بن الماذرائي وشيء من أخباره ومآثره

وفي شوال من سنة خمس وأربعين وثلاثمائة مات الوزير أبو بكر محمد بن
 علي بن أحمد بن إبراهيم الماذرائي ، وزير الخارويه بن أحمد ولغيره من أمراء
 مصر ، ومولده بالعراق سنة سبع وخمسين ومائتين ، وكان له ضياعٌ
 وأملاكٌ ، قيل إن مقدار ارتفاعها ^(١) في كل سنة أربعمائة ألف دينار . وواصل
 الحجَّ من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين ، وكان ينفق في كل
 حجة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وكان يحمل معه أحواضًا من الخشب
 على الجمال ، مزروعٌ فيها الخضروات ، وكان لا ينصرف عن الحجاز إلا وقد
 استغنى فقراؤه . ثم واصل الحج من سنة ثمان وعشرين إلى سنة أربعين . وقام
 أربعين سنةً يصوم .

(١) « وزير » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٢) ارتفاعها : إيرادها .

وقال المسبّحى فى تاريخه (١) : حبس هذا الوزير على مكة والمدينة ضياعاً ارتفاعها نحو مائة ألف دينار فى كل سنة ، منها كورة سيوط ، ومنها نوير ، ومنها بركة الحبش . وحبس أيضاً عليها بالشام . وقال فى كُتُب وقفه : من بدلها فرسولُ الله صلى الله عليه وسلم خصمه . رحمه الله تعالى .

وفى سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة خالف شبيب العقيلي ، وكان والياً على الرملة والساحل ، وسار إلى دمشق وفتحها ، ودخل إليها من باب الجابية ، فوقع عن فرسه ميتاً ، واختلِف فى موته ، فقيل إن امرأةً أرخت عليه حجرَ طاحون ، وقيل بل مات حتف أنفه ، واتصل الخبرُ بالأستاذ كافور فسكن بعد قلق عظيم . والله أعلم .

ذكر وفاة أبى القاسم أنوجور وولاية أخيه أبى الحسن على بن الإخشيد

كانت وفاته لسبع (٢) خلون من ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكانت مدّة وقوع اسم الملك عليه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأياماً . وكان كافور هو الغالب على أمره والحاكم [١٩] فى دولته ، وليس لأبى القاسم معه إلا مجرد الاسم .

(١) هو محمد بن عبيد الله بن أحمد . الأمير المختار عز الملك المسبّحى ، المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م ، صاحب كتاب أخبار مصر ، ولم يصل إلينا منه سوى الجزء الأربعين ويتناول أحداث سنتى ٤١٤ ، ٤١٥ هـ ، ونشره أين فؤاد سيد ، وتيارى بيانكى — المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٨ .

(٢) « لثمان » فى الولاية والقضاة ص ٢٩٦ ، « سابع أوثانين » فى النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٣ .

ولما مات عَقِدَت البيعة بعده لأخيه أبي الحسن عليّ في يوم الأحد لثلاثين
 خلون من ذي القعدة ، فجرى الأستاذ كافر مع علي قاعدته مع أخيه ،
 وزاد على ذلك بأن حجبه ومنعه من الظهور إلى الناس إلا معه .
 ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن تُوَفِّي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم
 سنة خمس وخمسين (١) وثلاثمائة ، وكان مدة ملكه خمس سنين وشهرين
 وأيامًا ، وقيل : إن وفاته كانت في هذا التاريخ من سنة أربع وخمسين ،
 وكان مولده لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلاثمائة ،
 وخلف ولدًا واحدًا وهو أبو الفوارس أحمد .

ذكر ولاية أبي المسك كافر الحصى الإخشيدى واستقلاله بملك مصر دون شريك ولا منازع

كانت ولايته بعد وفاة أبي الحسن علي ، ابن سيده ، لإحدى عشرة ليلة
 خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . وقيل في هذا التاريخ من سنة
 أربع وخمسين .

قال الفرغاني المؤرخ : لما توفي علي بن الإخشيد استدعاني كافر وقال
 لي : ما ترى أن أصنع ؟ فقلت له : أيها الأستاذ إن للمرحوم عندك صنائع
 وآثارًا تقتضى أن يُنظر لعقبه ؛ والرأي عندي أن تنصب أحمد بن الأمير علي
 مكان (٢) أبيه ، وتدبر أنت الدولة كما كنت . فاعتذر بصغره ، فقلت : قد

(١) اتفق على هذا التاريخ الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٩٦ ، وابن تفرى بردى : النجوم
 الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦ .

(٢) « ما كان » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

عُقد لأبيه ولم يبلغ سنُّه ، وأجاز ذلك ثلاثة أئمة : المتقي والمستكفي^(١) والمطيع^(٢) . فقال ننظر في ذلك . وانصرفت . فبلغني أنه قال بعدى : أبو محمد لا يشك في ولائه^(٣) لكنه يميل إلى الفرغانيَّة ، ثم لم يقبل ما أشار به الفرغاني ، بل وثب على الأمر وأنزل اسم مواليه عن المنابر ، وأقام كذلك إلى أن تُوفِّي في يوم الثلاثاء لعشرين بَقِينَ من جُمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

وكان سبب وفاته أنه سُمِّ في لوزينج^(٤) قدمته له إحدى جواربه وقد أتى من الميدان وهو جائع ، فأكله ومات ، وقُتِلت الجارية بعده ، وكانت قد وُضعت لذلك . ومات وله من العمر خمس وستون سنة على التقدير ، فإنه جُلِب في سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة وعمره أربع عشرة سنة ، وبيع بأثنى عشر دينارًا^(٥) .

قال المؤرخ : وكان لكافور معروف في كل سنة للحاج أكثر ما^(٦) يُفقد معهم مالاً وكسوة وطعاماً ، وبيعت معهم صندوقين من كسوة بدنيه تُفَرَّق على الأشراف . وكان له من الغلمان الأتراك ألف وسبعون غلاماً يغلِق عليهم باب داره ، وتنام الأئني غلام روم ، سيوى المولدين والسودان، يكون عادةً

(١) هو أبو القاسم عبد الله المستكفي باه . الخليفة العباسي ببغداد ، ولى في الفترة من ٢٢٢ -

٣٣٤ هـ / ٩٤٤ - ٩٤٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع قه . الخليفة العباسي ببغداد ، ولى في الفترة من ٣٣٤ -

٣٦٣ هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٣) « في ولايته » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) لوزينج : نوع من الحلوى .

(٥) « اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيد بثمانية عشر ديناراً من البزياتين » - النجوم

الزاهرة ج ٤ ص ١ .

(٦) « في كل سنة لحاج أكثر » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

غلمانه أربعة آلاف غلام . وكان راتبه في مطبخه في كل يوم ألف وسبعمائة رطل لحمًا سوى الدجاج والفراريج والخزاف المشوية والحلوى وغير ذلك . وخطب له بالحرمين الشريفين ، ونفذ حكمه في الشام والحجاز وطرسوس . وكانت له خزانة شراب يُفَرَّقُ منها في كل يوم خمسون قرابة (١) من سائر الأشرية في الحاشية . ولما مات كافور خلف في خزائنه عينًا وجوهراً وثياباً وسلاحاً بمبلغ ألف ألف دينار .

وحكى عنه أنه كان في ابتداء أمره قبل اتصاله بالإخشيذ لحقه جرب حتى كان لا يتأكل فطرده سيده ، وكان يمشى في سوق بني جاسة ، وفيه طبّاخ يبيع الطبيخ ، فطلب كافور منه أن يطعمه ، فضره بالمفرقة على يده ، وهي حارة ، فسقط مغشياً عليه ؛ فأخذه رجل من المصريين ودأواه حتى وجد العافية فأتى إلى سيده فقال له سيده : خُذْ أجرة ما فعلت . فأبى ؛ وقال : أجرى على الله . وكان كافور كلما عزت نفسه يذكرها بضرب الطبّاخ بالمفرقة ، وربما يركب ويأتى ذلك الحُطَّ ويتزل ويسجد شكراً لله عز وجل .

وحكى أيضاً أنه اجتاز يوماً بالنجاسين وهو في موكبه فوقف على حانوت هراس (٢) ، وكان إلى جانبه الوزير ابن الفرات فبكى كافور بكاءً شديداً وكان يقول في بكائه : فاز الجمال فاز الجمال ، وساق وهو على تلك الحال ، فلما استقر بمكانه وسكن ، سأله الوزير عن سبب بكائه ، فقال : لما طلعتُ من المركب من بحر الحجاز ، وكان يومئذ سيدي الذي جلبني إبراهيم البلوقى ،

(١) قرابة : من الآنية : ما قارب الامتلاء - والمقصود راوية الماء التي تصنع من جلد الحيوان ، وتستخدم في نقل الماء .

(٢) هراس : أى بائع المريسة ، وهى نوع من الحلوى .

فركب الجمل وقصدنا قُوص ونزلنا في بعض الأيام وجلستُ مع الجمال ورجلي آخر كان معنا قد وصل من الحج ، فقال الرجل : أشتهى على الله قِدر هريسة قدامي . فقلتُ : أنا أشتهى على الله ملك مصر ، فقال الجمال اشتيتُ على الله الجنة . وغاب عنى هذا الحديث . فاتفق أن سيدي إبراهيم باعني لمحمد بن هاشم ، ثم باعني لأبي أحمد بن عيَّاش ، فوهبني لجارية له ، ثم وهب [٢٠] أبو أحمد الجارية بعد مدّة الإخشيد ، فطلبني تكين الخاصّة من الإخشيد فأهداني إليه ، فلم أزل إلى أن ملكت مصر . وصاحبُ الحانوت الذي وقفتُ عنده هو الذي اشتهى القِدر الهريسة ؛ فعرفتُ أن ذلك الوقت وهب الله لكلِّ منّا ما اشتهى ، ففاز الجمال بالجنة .

وحكى أبو جعفر المنطقي قال : دعاني كافور يوماً وقال لي : أتعرف منجماً ، كان يجلس عند دار فلان ؟ فقلت : نعم . قال : ما صنع ؟ قلت : مات منذ سنين كثيرة . فقال : مررتُ عليه يوماً فدعاني وقال : أنظرُ لك ؟ قلت : افعل . فنظر ، ثم قال : ستَملك هذه المدينة وتأمُر فيها وتنهى . وكان معي درهمين فدفعتهما إليه ، وقلت : ما معي غيرهما . وقال : وأزيدك ؛ ستَملك هذه المدينة وغيرها وتبلغ مبلغاً عظيماً ، فاذكرني . فانصرفت . فلما نمتُ البارحة رأيتُ في منامي وهو يقول لي : ما على هذا فارسي . وأريد أن تمضي وتَسأل عن حاله ، وهل له ورثة ؟ فسألْتُ عنه فقيل : له ابنتان إحداهما بكر والأخرى متروجة ، وأعلمته ؛ فاشتري لها داراً بأربعمائة دينار ، ودفع للبكر مائتي دينار تتجهز بها .

وقال الحسن بن زولاق المصرى المؤرخ : كان الشريف عبد الله بن أحمد

الحسيني ، وهو ابن طباطبا ، يرسل إلى كافر في كل يوم جامين (١) حلوى (٢) ورغيفاً في مندبل محترم ، فحُوطِب كافر في الرغيف وقيل له الحلوى حَسَنٌ فما تصنع بالرغيف ؟ فأرسل إليه وقال : يُخْرِينِي الشَّريفُ في الحلوى على العادة . ويعضني من الرغيف ، فركب الشَّريف إليه وقال : أَيُّدِكَ اللهُ ، أنا ما أنفذ الرغيف تطاولاً ولا تعاضماً وإنما هي صبيّة حَسَنِيَّة تعجته بيدها وتخزبه ، فأرسله (٣) على سبيل التبرك ، فإذا كرهته قطعناه . فقال : لا والله ، ولا يكون قوتى سواه .

وقيل أنه ركب يوماً في موكبه والشَّريف أبو جعفر (٤) نقب الطالبين يسايره ، فوقعت مقرعته ، فنزل الشَّريف فناوله إياها ؛ فتذمّم كافر من ذلك وتأوه وبلغ منه مبلغاً عظيماً . فلما نزل إلى داره أرسل إلى الشَّريف جميع ما كان يملكه في موكبه من ممالك ودواب وآلة واعتذر منه . قال التنوخي في نشوار المحاضرة : وكان قيمة ما سيره إليه خمسة عشر ألف دينار (٥) .

وفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة قدم عليه أبو الطيب المتنبي (٦) فأكرمه وخلع عليه ، وأنزله بدار ، وحمل إليه ألوقاً من المال ، فقال أبو الطيب

(١) الجام : إناء من فضة - القاموس المحيط .

(٢) « حلوا » في الأصل .

(٣) « فيرسله » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) هو مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلوي النسابة ، أبو جعفر - النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ .

(٥) انظر تفصيل ذلك في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ - ٤ .

(٦) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي الكوفي ، أبو الطيب المتنبي ، الشاعر

المشهور ، توفي سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ رقم ٥٠ .

قصيدته التي أولها :

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسب^(١) المنايا أن تكون أمانيا
تَمَنِّيْتُهَا لما تَمَنِّيْتُ أن أرى صديقا ، فأعيا أو عدواً مداجبا

وجاء منها في مدح كافور :

فجاءت^(٢) به إنسانَ عينِ زمانه وخلصت بياضاً خلفها وماقيا

فَحَسُنَ موقعه عند كافور ، ثم هرب منه وهجأه بما هو مسطورٌ في
ديوانه^(٣) .

ولما مات كافور قام بالأمر بعده أبو الفوارس أحمد بن علي بن
الإخشيد محمد بن طنج بن جُف ، كانت ولايته بعد الأستاذ كافور لعشر
بقيين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . وذلك أن القواد
والغلمان الإخشيدية اجتمعوا وتحالفوا ألا يختلفوا ، وعقدوا الرئاسة له ،

(١) « وحب » في الأصل ، والتصحيح من ديوان المتنبي .

(٢) « فجاءت بنا » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧ .

(٣) للمتنبي في كافور أحاج كثيرة ، أشهرها قصيدته الدالية ، التي قالها في يوم عرفة قبل مفارقتها
مصر بيوم واحد والتي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديدُ
ومنها :

من علم الأسود المخصى مكرومة أقومه البيض أم آهأزه الصيد

أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود

انظر ديوان المتنبي ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨ .

وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وجعلوا الخليفة عنه الحسن^(١) بن عبد الله ابن طنج ، وهو ابن عم أبيه ؛ وردوا تدبير العساكر والرجال إلى شمول^(٢) الإخشيدى ، وتدبير الأموال إلى جعفر بن حنزابة^(٣) الوزير ؛ وذلك كله قبل دفن كافور . ؟

وأقام الأمر على ذلك ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً ، واشترك معه ابن عم أبيه الحسن بن عبيد الله بن طنج ، وكان يخطب لها جميعاً بمصر والشام والحرمين ، يبدأ في الخطبة بأبي الفوارس ويثني بأبي محمد الحسن .

ثم سار الحسن إلى الشام لقتال القرامطة ، وصادر الوزير جماعة من المصريين ، وقبض على يعقوب بن كلّس وصادره على أربعة آلاف وخمسمائة دينار ؛ وقبض على إبراهيم بن مروان التصرفاني ، كاتب أنوجور وعلى ابني الإخشيد وصادره على عشرة آلاف دينار . ولم يقدر الوزير على رضا الإخشيدية والكافورية لتباين أغراضهم ؛ فاضطرب التدبير على الوزير ، واستتر مرتين ، ونهبت داره ودور أصحابه ، فكتب جماعة من وجوه البلد إلى المعز بإفريقية يستدعون منه إنفاذ العساكر^(٤) .

وكان بمصر في هذه السنة غلاء شديد وفناء عظيم ، فإن النيل انتهت زيادته في سنة ست وخمسين وثلاثمائة إلى اثني عشر ذراعاً وتسعة عشر

(١) « حسين » في الأصل ، والتصحيح من بعض المواضع التالية فقد ذكر حسين وأحياناً الحسن ،

ومن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩ .

(٢) « سمول » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١ .

(٣) هو جعفر بن الفرات ، أبو الفضل ، انظر ما سبق ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠ .

(٤) هو معد بن إسماعيل ، أبو تهم ، المعز لدين الله ، أول الخلفاء الفاطميين بمصر ، توفي بالقاهرة

سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٤ رقم ٧٧٧ .

أصبغاً ، ولم يوف في السنة التي قبلها ، فاشتد الغلاء ، وكثر الوباء .
نقل بعض المؤرخين أنه أحصى من كُفِّن ودُفِن خارجاً ، عدا من رُمي في
البحر ، ستمائة ألف إنسان .

وفي سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة قدم الحسن بن عبيد الله من الشَّام
[٢١] منزهاً من القرامطة ، ودخل مصر ، وقبض على جعفر بن الفرات
الوزير ، واستوزر الحسن بن جابر الرياحي ، ثم أطلق الوزير بن الفرات ،
بوساطة أبي جعفر مسلم الحسيني الشريف ، وفوض إليه الوزارة ، ثم سار
الحسن بن عبيد الله إلى الشَّام في مستهل شهر ربيع الآخر ، وخرج جماعة من
الأولياء والكتاب والأشراف إلى الشام ، وخرج يعقوب (١) بن كلّس إلى
الغرب مستتراً ، ثم صار منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ثم تواترت الأخبار في جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة أن المعزَّ
صاحب إفريقية قد جهّز عساكره مع غلامه جوهر إلى مصر ، فجمع الوزير
القواد ووقع رأيهم على تقديم تحرير سويران فاستدعوه من الأشمونين (٢) ،
وعقدوا له الرئاسة عليهم .

ووصل الخبر بوصول جوهر إلى برقة ، فاجتمع رأى الجماعة على أن بعثوا
الشريف أبا جعفر مسلماً الحسني وأبا إسماعيل بن أحمد الزينبي وأبا الطيب

(١) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلّس ، أبو الفرج ، استوزره العزيز
بالقاهرة الخليفة الفاطمي ، وتوفي ابن كلّس سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م — وفيات الأعيان ج ٧ ص
٢٧ رقم ٨٣١ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢ ، الإشارة إلى من نال الوزارة ص ١٩ ، كنز الدرر
ج ٦ ص ٢٢٦ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨ ، وانظر ما يلي في خلافة العزيز
بأقواله .

(٢) الأشمونين : من المدن المصرية القديمة ، وهي حالياً قرية من قرى مركز ملوى ، محافظة
أسيوط — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٤ ص ٥٩ - ٦٠ .

العباس بن أحمد العباسي والقاضي أبا ظاهر، وغيرهم، لتقرير الصلح بينهم وبين جوهر على تسليم البلاد له، فساروا في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فلقوه على تَرْوِجَةَ (١)، فأكرمهم وأجابهم إلى ما طلبوه ثم بعد انفصالهم اجتمع القواد على إبطال المصالحة وتجهزوا للحرب، ورجع أولئك التفر بكتاب الأمان، فلم يقبل القواد ذلك، وخرجوا إلى الجزيرة بأجمعهم.

ووصل جوهر وابتدأ القتال يوم الخميس الحادي عشر من شعبان من السنة، ثم سار جوهر بعد ذلك إلى منية شَلْقَانَ (٢) وملك المخايض، فبعث المصريون مزاحم بن أرتق لحفظها فلم يحفظها، وخامر عليهم، وعدى (٣) جوهر، وانزهم الإخشيديون، ودخل جوهر مصر بعد العصر من يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان منها، وندب القائد جوهر المعزى بعد ذلك جعفر بن فلاح إلى الشام، والتقى هو والحسن بن عبيد الله على الرملة في شهر رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، واقتلا (٤) فانزهم الحسن وأسر، وملك جعفر الشام أجمع.

وانقرضت الدولة الإخشيدية، وكانت مدتها خمسا وثلاثين سنة، وتسعة أشهر، وأياما.

(١) تروجة: من القرى المصرية القديمة، من أعمال البحيرة، مكانها اليوم كوم تروجة بمركز أبو المطامير بمحافظة البحيرة - القاموس الجغرافي ق ١ ج ١ ص ١٩٠.

(٢) منية شلقان: من القرى المصرية القديمة، من أعمال القلوية، وحالياً تبع مركز قلوب - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٦.

(٣) «عدا» في الأصل.

(٤) «واقتلوا» في الأصل.

ذكر أخبار الدولة العبيديّة
التي انتسب ملوكها إلى الشرف
والحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنها

هذه الدولة من الدول التي امتدّت أيامها واتسعت ممالكها ، واستولت
ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقاً وغرباً ، ببلاد المغرب ، والديار
المصرية ، والبلاد الشاميّة ، والثغور والعواصم ، وغير ذلك .
وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب ، وإنما أوردناها في أخبار
ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي لأن الديار المصرية
قاعدة ملكهم وبها قام أكثر ملوكهم .

ولنبداً بذكر أخبار ملوك هذه الدولة وابتداء أمرهم ، وما قيل في نسبهم
وإلى من ينسبون ، وكيف تنقلت^(١) بهم الحال إلى أن ملكوا البلاد ،
واستولوا على الأقاليم . وهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة . هم الذين مهدوا
لهم البلاد . ووطنوا الممالك . وهزموا الجيوش ، وفتحوا الأقاليم ، وأبادوا
الأبطال . حتى استقر المملك للملك هذه الدولة وتسلموه عفوًا صفوًا .

(١) « تنقلب » في الأصل .

لأبد لنا أن نبتدئ بذكر أخبارهم ، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم ، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة واحداً بعد واحد إلى أن انقرضت دولتهم وبادت أيامهم .

ف نقول وبالله التوفيق :

أول من ملك منهم عبيد الله المنصور بالمهدي ، ونسب نفسه أنه :
عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأهل العلم بالأنساب من المحققين يُنكرون ذلك وينفونه عن ^(١) الشرف ، ويقولون : اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح ^(٢) بن أبي شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب كتاب « الميدان في نصر الزندقة » ، وهو من أهل رامهرمز ^(٣) ، كورة من كور الأهواز ، وكان من خرمية الجوس ^(٤) ، ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد وأن أبا سعيد يهودي .
وقال القاضي أبو بكر بن الطيب ^(٥) في كتابه المسمى بكشف الأسرار

(١) للدراسة التفصيلية انظر : ذكر ما قيل في أنساب خلفاء الفاطميين - اتعاظ المنفا ج ٦ ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) « القراج » في الأصل .

(٣) رامهرمز : وتسميها العامة : رامز تكاسلا ، وهي من نواحي خوزستان - معجم البلدان .

(٤) الخرمية : حركة دينية ترجع إلى أصول مجوسية ، يعتقدون في تناسخ الأرواح ، ويتحللون من القيم الدينية - الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ .

(٥) هو محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر ، البصري ، البغدادي ، المالكي ، الأشعري ، المعروف بالهاقلاقي ، توفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ / ٩٨٨ م - العبر ج ٣ ص ٨٦ .

وهتك الأستار : إن سعيداً هذا كان قد رياه عمّه محمد بن أحمد المكنى بأبي الشلغلغ [٢٢] وكانوا دُعاةً لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون البلاد باسمه ويدعون أنه حيٌّ يُرزق إلى زمانهم ، وفيه عمل ابن المنجم قصيدته التي يقول فيها :

فإنك في دعواك أنك منهم كمن يدعى أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقاً بآل رسول الله يوماً إذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة أبو نصر [بن] ^(١) عضد الدولة فناخسرو، ابن بويه ، بغداد جمع الطالبين من آفاق العراق ، وسألم عنهم ، فكلهم أنكرهم ونفاهم ، وتبرأ منهم ؛ فأخذ خُطوطهم بذلك . وكان ممن شهد الشريفان الرضى ^(٢) والمرضى ^(٣) وأبو حامد الأسفراينى ^(٤) ، وأبو الحسين

(١) [بن] إضافة يقتضياها السياق فهو بهاء الدولة أبو النصر فيروز بن عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ ، وانظر ترجمة عضد الدولة في وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٠ رقم ٥٣٢ .

وقد ولي أبو نصر بهاء الدولة حكم العراق في ظل الخلافة العباسية في الفترة من ٣٧٩ - ٤٠٤ هـ / ٩٨٩ - ١٠١٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ .

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم ، الشريف الرضى أبو الحسن ، توفى ببغداد سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م - وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤ رقم ٦٦٧ .

(٣) هو علي بن الحسين بن موسى ، أخو السابق ، توفى ببغداد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٣ رقم ٤٤٣ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراينى الشيخ أبو حامد ، الفقيه الشافعى ، توفى ببغداد سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م - وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٢ رقم ٢٦ .

القُدُورِيُّ^(١) ، وغيرهم^(٢) ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة^(٣) بأمر القادر بالله^(٤) العباسي .

هذا مع ما ينسب إلى بني بويه من التشيع . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبدالعزيز بن شدّاد بن الأمير تميم بن المعزّ بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديسان بن سعيد الغضبان ، وكان ميمّن صحباً أبا الخطّاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد^(٥) ، فألقوا إلى كلّ من اختصّوا به أنّ لكل شيء من العبادات باطلاً ، وأنّ الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاةً ولا زكاةً ولا صوماً ولا حجّاً ؛ ولا حرّم عليهم شيئاً من المحرمات ؛ وأباح لهم نكاح البنات والأخوات . وإنما هذه العبادات عذابٌ على الأمة وأهل الظاهر ، وهي ساقطة عن الخاصّة . يقولون ذلك ليمنّ يثقون به ويسكنون

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو الحسين القدوري ، الفقيه الحنفي ، توفي ببغداد سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٨ رقم ٣٠ .

(٢) عن أسماء الموقعين على هذا المحضر انظر الكامل ج ٩ ص ٢٣٦ ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) « في سنة ٤٠٢ هـ » في كل من الكامل و اتعاظ الحنفا .

(٤) هو أبو العباس أحمد القادر باقر ، ولي الخلافة العباسية ببغداد في الفترة من ٣٨١ -

٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٥) هو محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، مولى بني أسد ، ويعرف أصحابه بالخطابية ، وهم من غلاة الشيعة - الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩ .

إليه . ويقولون في آدمَ وجميع الأنبياء : كذّابون محتالون طلابٌ للرئاسة .

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً ، يُظهرون التقشّف ، والزهد ، والتصوّف ، وكثرة الصلاة والصيام ، يُعرّفون الناس بذلك وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب إلى أن قامت البيّنة بالكوفة أن أبا الخطاب أسقط العبادات وأحلّ المحارم ، فأخذه عيسى^(١) بن موسى الهاشمي ، مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم ، فتفرّق بقيّة أصحابه في البلاد ، فصار قومٌ ممن كان على مذهبه إلى نواحي خراسان ، وقومٌ إلى الهند ، وصار أبو شاعر ميمون بن سعيد إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه ، وأخذوا في تعلم الشعبة^(٢) والنانجيات^(٣) والحيل ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ، ومحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة بإظهار الزهد والورع ، ونشأ لأبي شاعر ابن يقال له عبدالله القداح ، علّمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة ، فتحذّق وتقدّم ، وكانوا يظهرون التشيع والبكاء على أهل البيت ويزيدون أكاذيب خترعوها يخدعون بها ضعفاء العقول .

وكان من كبار الشعوية^(٤) رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهاز نجار

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي ، ولي عهد السفاح بعد أخيه المنصور ، خلفه المهدي ، توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م - العبر ج ١ ص ٢٥٣ .

(٢) يقال : شعوز وشعبذ ، والشموذة والشعبذة : خفة في اليد ، وأخذ كالسحر ، القاموس المحيط .

(٣) النانجيات : هي الرقى أو الطلاسم أو السحر ، وعن أخبار أصحاب النانجيات والحيل . انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٢٩ - ٤٣٥ .

(٤) « الشعوية » في الأصل .

الملقب دندان^(١) وهو بنوحي الكرج^(٢) وأصفهان له حالٌ واسعةٌ وضياعٌ عظيمةٌ ، وهو المتولّى على تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ويذمّهم ، ويجمع معاييبهم ، وكان كلُّ من طمع في نواله تقرب إليه بذمّ العرب ، فسمع به عبد الله بن ميمون القدّاح وما يتحلّه من بغض العرب وصنعة التّجوم ، فسار إليه ، وكان عبد الله يتعاطى الطبّ وعلاج العين ، ويقدحُ الماء التّازل فيها ، ويظهر أنه إنما يفعل ذلك حبسَةً وتقرباً إلى الله عز وجلّ ، فطار له هذا الاسمُ بنوحي أصفهان والحليل ، فأحضره دندان وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحبّ ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوى العرب والطنن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتدّ إعجابُه به ، وقال له : مثلك لا ينبغي أن يطبّ ، وإنّ قدرك يرتفع ويحلّ عن ذلك ، فقال : إنّما جعلت هذا ذريعةً لما وراءه ممّا ألقبه إلى الناس وإلى من أسكن إليه على رفقٍ ومهّل ، من الطّعن على الإسلام ، وأنا أشير عليك ألا تُظهر ما في نفسك إلى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدّين ، فإنّ هذا الدّين قد غلب على الأديان كلّها فما يطيقه ملوك الرّوم ، ولا الترك ، والفرس ، والهند ، مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدّة بابتك صاحب الحُرّمية^(٣) وكسرة عساكره ، وأنّه لما أظهر ما في نفسه من بغض الإسلام وترك التّستر بالتّشيع^(٤) [٢٣] كما يقول أولاً قلع أصله ،

(١) اختلفت المصادر في رسم هذا الاسم فهو زيدان ، وزندان ، وذيدان .. إلخ كما اختلفت في التعريف به المصادر السننية عن المصادر الشيعية - للتفصيل انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٩

هامش ٥ .

(٢) الكرج : مدينة بين أصفهان وهمدان - معجم البلدان .

(٣) بابك الخرمي : قائد حركة خارجة عن الدولة العباسية ، بدأت في سنة ٢٠١ هـ / ١١٦ م .

واستمرت هذه الحركة حتى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م - الكامل ج ٦ ص ٣٢٨ ، ص ٤٧٧ .

(٤) « ترك السير بالتشيع » في الأصل ، والصحيح يتفق والسياق .

فإنَّه اللهُ أن تُظهر ما في نفسك ، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت ، فإنَّك تجد مَنْ يساعذك على ذلك من المسلمين ، ويقول : هذا هو الإسلام [وسبُّ أبابكر وعمر]^(١) وادَّع عليها عداوة الرسول وتغيير القرآن وتبديل الأحكام ، فإنَّك إذا سبَّتها سبَّت صاحبها^(٢) ، فإذا استوى لك الطعنُ عليها فقد اشتفيت من محمد ، ثم تُعملُ الخيلة بعد ذلك في استئصال دينه . ومَنْ ساعذك على هذا فقد خرج من الإسلام من حيث لا يشعر ، ويتم لك [الأمر]^(٣) كما تريد ، فقال دندان^(٤) : هذا هو الرأي .

ثم قال له عبدالله القداح : إن لي أصحابًا وأتباعًا أبئتهم في البلاد فيُظهرون التقشف والتصوف والتشيع ، ويدعون إلى ما تريده بعد إحكام الأمر . فاستصوب دندان ذلك وسرَّه ، وبذل لعبدالله القداح ألفي ألف دينار . فقبل المال وفرقه في كور الأهواز والبصرة وسواد الكوفة ، وبطالقان ، وخراسان^(٥) ، وسلمية من أرض حمص .

ثم مات دندان فخرج عبدالله القداح إلى البصرة وسواد الكوفة ، وبث الدعاء ، وتقوى بالمال ، ودبر الأمر .

(١) [إضافة تتفق وسياق الكلام .

(٢) يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٣) [إضافة تتفق والسياق .

(٤) « ديدان » في الأصل ، والتصحيح مما سبق .

(٥) « بطالقان خراسان » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ المنفا جـ ١ ص ٤٠ .

وطالقان : مدينة بخراسان بين مرو والروز وبلخ - معجم البلدان .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن^(١) في كتابه أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم^(٢) فسكن بساباط أبي نوح ، وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمه وبُسرّه من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه^(٣) الشيعة ، ثم المعتزلة وسائر الناس ، وكبسوا داره ، فهرب إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي ، فنزل بيأهله على موالٍ لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم : أنا من ولد عقيل ، وداع^(٤) إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر^(٥) . فلما أقام وانتشر خبره طلبه العسكريون فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الأهوازي ، فلما توسط الشام عدلاً إلى سلمية^(٦) ليخفي أمرها فأقام بها عبد الله وخفي أمره .

نرجع إلى قول ابن شداد . قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة من الولد فخلفه منهم ابنه^(٧) أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ،

(١) علوي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وله مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين - انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢ .

(٢) مكرم : من نواحي خوزستان - معجم البلدان .

(٣) « فأول من ثار عليه » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٩ .

(٤) « داعي » في الأصل ، والتصحيح من كنز الدرر ج ٦ ص ١٩ .

(٥) « فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق » - اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٥ - ٢٦ .

(٦) سلمية : بفتح أوله وثانيه ، وسكون الميم ، وباء مثناه ، من تحت خفيفة - بليدة من جهة البرية من أعمال حماة ، وكانت من أعمال حمص - معجم البلدان .

(٧) « أبيه » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦ .

وَبَثَّ الدُّعَاةَ ، واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له أبو الحسين رستم بن الكرخيين بن حوشب بن زاذان النجار ؛ وكان هذا الرجل من الإمامية الذين يقولون بإمامة موسى^(١) بن جعفر ، فنقله إلى القول بإمامة إسماعيل^(٢) بن جعفر . وكانوا يرضدون مَنْ يردُّ من المشاهد وينظرون إليهم ، فمن كان فيه مطمَعٌ وجهالة استدعوه ، ولا يستدعون إلا الجهال ومن له بأسٌ وجلدٌ ، وعشيرة ومال ، وعزٌّ ومنعة ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء ، والأدباء والعقلاء .

وكانوا يطلبون أطراف البلاد ، فقال لهم بعض من ورد عليهم : إن بجيشان^(٣) والمدحرة والجند^(٤) من أرض اليمن رجلاً جليلاً كثير المال والعشيرة ، يتشيع ، وبهذه الناحية شاعرٌ يقال له ابن خيران يسبُّ في شعره أبابكر وعمر ، المهاجرين والأنصار ، على مثل سبيل الحميري الشاعر ، فورد ذلك الرجل المذكور ، وهو أبو الخير محمد بن الفضل من أهل جيشان من اليمن ، ودخل إلى الحيرة ، فأراه يبيكى على الحسين بن علي ، فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له : إنني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق

(١) هو موسى بن جعفر الصادق ، أبو الحسن ، موسى الكاظم ، توفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م — وتنسب إليه الفرقة الموسوية — وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٠٨ رقم ٧٤٦ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) هو إسماعيل بن جعفر الصادق ، وتنسب إليه الفرقة الإسماعيلية الواقعة الذين قالوا إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصّاً عليه باتفاق أولاده ، ومن ثم الإمامة بعده في أولاده — الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧ .

(٣) جيشان : بالفتح ثم السكون ، مخلاف باليمن — معجم البلدان .

(٤) جند : بالفتح ثم السكون ، أحد أقسام اليمن الثلاثة في العصر الإسلامي الأول وهو أعظمها — معجم البلدان .

على صاحب هذا القبر ، فلو أدركته ما كنت تصنع قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل نخدي أرضاً بطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه . فقال له : أتظن أن ما بقى لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ، ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : إى والله . فسكت عنه الداعى . فقال له محمد ابن الفضل : ما قلت لى هذا القول إلا وأنت عارفٌ به . فسكت الداعى ، فقوى ظن ابن الفضل أن هذا الرجل يعرف الإمام والحجة ، فألح عليه وقال له : الله الله فى أمرى ، إجمع بينى وبينه ، فإنى خرجت إلى الحجّ وجئت إلى هذه الزيارة أريدُ الله تعالى ، فسكت الداعى ، وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع إليه ، ويسأله ، ويُقبّل يده . فقال له الداعى : اصبر ، ولا تتعجل ، وأقم ، فهذا الأمر لا يتمُّ بسرعة ، ولا بدَّ له من صبر ومهلة . فقال ابن الفضل لأصحابه ومن كان معه من جيشان : انصرفوا فلي بالكوفة شغل ، فانصرفوا ، وأقام هو واجتمع بالداعى ، فقال له : ما عملت فى حاجتى ؟ فقال انتظرنى حتى أعود إليك ، فانصرف عنه ومضى إلى أحمد بن القدّاح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة وإمام الزمان ، وبقى الداعى يرقبه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد من غير أن يعلم ابن الفضل به ، فلمّا كان بعد أربعين يوماً أتاه إلى المسجد وهو جالس ، فقال له : أنت بعدّها هنا ؟ فقال : نعم ، ولولا تخنئى لأقمت فى هذا المسجد إلى أن أموت . فعلم الداعى أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله ابن ميمون [٢٤] .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن على الحسينى فى كتابه الذى صرح فيه فنى هؤلاء عن التسبب إلى الحسين بن على ، رضى الله عنها ، واستدلّ

على ذلك بأدلة يطول شرحها - أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام بالأمر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الأهوازي (١) من سلمية داعية إلى العراق ، فلما انتهى إلى سواد الكوفة لقي حمّدان بن الأشعث ، وهو قرمط الذى يُنسب إليه القرامطة ، فصحبه ، وأتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس . فلما مات الأهوازي أسند الأمر من بعده إلى حمدان بن الأشعث ، قرمط ، وقد ذكرنا هذه القصة فى أخبار القرامطة .

نرجع إلى قول ابن شداد . قال : وكان أحمد يقول للحسن ابن حوشب الكوفى التجار : يا أبا القاسم هل لك فى غزوة فى الله ؟ فيقول : الأمر إليك يا مولاي ، فلما اجتمع بابن الفضل قال له : قد جاء ما كنت تريد يا أبا القاسم ، هذا رجلٌ من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعة ، قد أمكنك ما تريد ، وثمّ خلقٌ من الشيعة ، فأخرج وعرفهم أنك رسول المهديّ ، وأنه فى هذا الزّمان يظهر فى اليمن . واجمع المال والرّجال ، والزّم الصوم والصّلاة والقشف ، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن ، وقل لكلّ شىء باطنٌ ، وإن ورد عليك شىء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره . وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعاً إلى أرض اليمن .

ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قومٌ من الشيعة يعرفون ببنى موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ فى بيع ما معه من القماش ، ولزم الزّهد والتقشف . فقصده بنو موسى وقالوا له : فيم جئت ؟ قال : للتجارة . قالوا : لست بتاجر ، وإنما أنت رسول المهديّ ،

(١) « إلى هوارى » فى الأصل ، والتصحيح مما يلى ، ومن انماظ المنفا جـ ١ ص ٢٦ .

وقد بلغنا خبرك . وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار إلى عدن لآعة^(١) . وسار ابن الفضل إلى بلده . ولما وصل ابن حَوْشَب إلى عدن لآعة قَوِي عِزَّتْهُمْ وَقَرَّبَ أَمْرَ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِمْ يَخْرُجُ ، وَأَمْرَهُمْ بِالِاسْتِكْنَارِ مِنَ الْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ

ولم يزل أمر ابن حَوْشَب يَقْوِي وَأَخْبَارُهُ تَرِدُ عَلَيَّ مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ وَطَبَقَاتِ الشَّيْعَةِ ، فَيُيَادِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَارَ الْهَجْرَةِ ، فَكَبُرَ عَدُوَّتُهُمْ وَاشْتَدَّ بِأَسْهُمٍ ، وَأَغَارَ عَلَيَّ مِنْ جَاوِرِهِ وَنَهَبَ وَسَبَّ ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ ، وَأَنْفَذَ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحِ أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، وَهَدَايَا وَطُرْفًا ، وَكَذَلِكَ لِابْنِ الْفَضْلِ .

وكانوا نفذوا إلى المغرب رجلين ، أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان^(٢) ، وتقدّموا إليهما بالوصول إلى أقاصي المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما يَنْزِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا بَعِيدًا مِنَ الْآخِرِ ، وَقَوْلًا : لِكُلِّ شَيْءٍ بَاطِنٌ ، وَنَحْنُ فَقَدْ قِيلَ لَنَا إِذْ هَبْنَا فَاذْهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ أَرْضَ بُوْرٍ فَاحْرُثَاهَا وَاكْرُبَاهَا حَتَّى يَأْتِيَ صَاحِبُ الْبَذْرِ ، فَتَنْزِلُ أَحَدُهُمَا بِأَرْضِ كِتَامَةَ^(٣) بِمَدِينَةِ مَرْجِنَةَ^(٤) وَالْآخَرَ سَوْقَ^(٥) حَمَارٍ ، فَمَالَتْ قُلُوبُ أَهْلِ تِلْكَ التَّوَاخِي إِلَيْهَا ، وَصَارَا يَحْمِلَانِ

(١) عدن لآعة : قرية بجوار مدينة لآعة في جبل صير باليمن - معجم البلدان .

(٢) « هما أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ، وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦ .

(٣) « كنانة » في الأصل ، والتصحيح مما يلي .

(٤) مَرْجِنَةُ = مَرْمَجِنَةُ : بالفتح ثم السكون ، قرية بأفريقية (تونس) لقبيلة هواة من البربر - معجم البلدان .

(٥) كذا في الأصل والكمال ، و« سوق حماد » في اتعاظ الحنفا ، « سوجار » في افتتاح الدعوة ص ٢٩ .

التحفة التي تُحمل إليها إلى ابن القدّاح ، ثم ماتا على قُربٍ بينهما بعد أن أقاما سنين كثيرة .

فقال ابن حَوْشِب لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ، وكان قد هاجر إليه ، يا أبا عبد الله أرض كِنَامة من المغرب قد حَرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرُك ، فبادر إليها فإنها موطأة ممهدة لك ، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابنُ حَوْشِب معه عبد الله بن أبي ملاحف ، وأمدّه بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يجتال . وكان أبو^(١) عبد الله قد شاهد أفعال ابن حَوْشِب وعرف تدبيره ، فسار إلى مكة ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأما أحمد بنُ عبد الله بن ميمون فإنه لما قوى أمره ، وكثرت أمواله ، ادّعى أنه من ولد عقيل ابن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترّون أمرهم ، ويُخفون أشخاصهم ، ويُغيرون أسماءهم وأسماء دُعَاتهم ، ويتنقلون في الأماكن . ثم مات أحمد فخلفه محمد . وكان لمحمد ولدان ، أحمد والحسين ، فمات أحمد وصار الحسين إلى سلمية وله بها أموال من ودائع جدّه عبد الله القدّاح ، ووكلاء ، وأتباع ، وغلمان . وبقي بيغداد من أولاد القدّاح أبو الشلغلغ^(٢) ، وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان ، وهو مؤدّب بآداب الملوك .

وكان الذي بسلمية يدّعى أنه الوصيّ وصاحب الأمر دون بني القدّاح ،

(١) « بن عبد الله » في الأصل ، وهو تحريف — انظر ما سبق .

(٢) « الشلغلغ » في انعاظ الحنفا جـ ١ ص ٢٦ .

وقبه أيضًا اختلاف عما ورد هنا فيمن خلف أحمد بن عبد الله بن ميمون .

ويكتب الدعاة ، ويراسلونه من اليمن ، والمغرب ، والكوفة . واتفق أنه جرى بحضرته بسلمية حديث النساء فوصفوا امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها ، وأنها فى غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجنى بها ، فقال إنها فقيرة ولها ولد ، فقال : ما علينا من الفقر ، زوجنى بها فأزغيتها وأبدل لها ماشاكت . فترجوها وأحبها ، وحسن موقعها عنده ، وكان ابنتها يماثلها فى الجمال ، فأحببه وأدبه ، [٢٥] وعلمه ، وأقام له الخدم والأصحاب فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمة عظيمة .

فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول : إن الإمام الذى كان بسلمية من ولد القداح مات ولم يكن له ولد ، فعهد إلى ابن اليهودى الحداد ، وهو عبيد الله الذى نعت بالمهدى ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قوله وفعله ، وأعطاه الأموال ، وتقدم إلى أصحابه ووكلائه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الإمام والوصى ، وزوجه ابنة عمه أبى الشلغلغ .

هذا قول ابن القاسم الأبيص العلوى وغيره من العلماء بهذه الدعوة . وبعض الناس ، وهم قليل ، يقولون إن عبيد الله هذا ، المنعوت بالمهدى ، من ولد القداح .

ومنهم من يقول فيه قولاً آخر ، نذكر إن شاء الله عز وجل .

فهذا ما حكى فى ابتداء أمرهم ، فلنذكر أخبار الشيعة ببلاد المغرب ، والله أعلم .

ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعي (١)
داعى المغرب وما كان من أمره
وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب

قال أبو إسحاق إبراهيم (٢) بن القاسم الكاتب المعروف بابن الرقيق ، في تاريخ إفريقية ، وغير ابن الرقيق ممن ذكر أخبار هذه الدولة : كان أبو عبد الله الشيعي من أهل الكوفة ، وقيل من أهل صنعاء ، واسمه الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا ، فاتصل بالذي يدعى أنه الإمام ، وهو ابن القداح الذي ذكرناه المختلف في نسبه ، فأرسله إلى أبي القاسم الحسن بن حوشب الكوفي النجار ، وهو المعروف بالصناديق ، داعيتهم باليمن وكتب إليه أن ينصره ويرشده ، وقال لأبي عبد الله : امتثل سيرته ، وانظر (٥) إلى

(١) « الشيعي » في الأصل ، والتصحيح مما يلي .

(٢) هو إبراهيم بن القاسم القروي الكاتب القيرواني ، أبو إسحاق ، المعروف بابن الرقيق ، توفي سنة ٢٨٣ هـ / ٩٩٢ م ، ومن مؤلفاته تاريخ القيروان - هدية العارفين ج ١ ص ٧ .
(٣) يعتمد النويري ابتداء من هذا الجزء من الكتاب على كتاب افتتاح الدعوة ، للقاضي النعمان ، فنقل منه صفحات متتالية ، وأحيانا لجأ إلى الاختصار أو حذف بعض الفقرات ، وسوف نشير إلى نقاط الاختلاف الجوهرية بين الكتابين ، كما يتضح من الهوامش التالية .
وكتاب افتتاح الدعوة نشر في بيروت سنة ١٩٧٠ بتحقيق وداد القاضي بعنوان « رسالة افتتاح الدعوة » ، ثم نشر في تونس سنة ١٩٧٥ . بتحقيق فرحات الدشراوي ، بعنوان « كتاب افتتاح الدعوة » .

وستعتمد على هذه النشرة الأخيرة في مقابلة ما جاء بنهاية الأرب .

(٤) « إلى أبي القاسم رستم بن الحسن » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٥٥ .

(٥) « وانتظر » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣٠ .

مخارج أفعاله فاعمل بها ، ثم اذهب إلى المغرب . فخرج حتى انتهى إلى أبي القاسم ، فأنزله وأكرمه ، وأقام عنده من وقت انصراف الحاجِّ من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم في العام المقبل . فخرج أبو عبد الله مع الحاجِّ إلى مكة .

فلما قضى الناس حجَّهم واستقروا بمِثَى جعل الشَّيْعى يمشى بمِثَى وينظر إلى الناس ، فمرَّ بجماعة من كتامة وهم في رحالهم ، وكانوا من الشيعة الذين تشبَّعوا بسبب الحلواني وفيهم حُرَيْثُ الجِمْلي وموسى بن وجاد^(١) فسمعها الشَّيْعى يذكران لأصحابها فضائل علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . فجلس إليهما وذكر من ذلك شيئاً ، وأقبل على القوم وحدثهم طويلاً ، ثم نهض ليقوم فقاموا معه ، ومشوا بمشيه ، وعرفوا مكانه . ثم أتوا من الغد فأوسع لهم في الحديث ، فزادهم ذلك فيه رغبةً ، وعليه إقبالاً . ثم صحبهم في طول الطريق بعد انصرافهم من الحج إلى أن وصلوا إلى مصر ، وهم يُبالغون في خدمته ، ويرحلون برحيله ، ويتزلون بتزوله ، وهو يسألهم عن بلادهم في خلال ذلك ، وعن طاعتهم لملوكهم ، فيقولون ما علينا طاعة لهم ، وهو لا يعرض لهم بقصده ولا رغبته في بلادهم . فلما أتوا مصر أظهر أنه يُريد الإقامة بها ، فتألَّموا لفراقه ، وقالوا ما الذى تقصد بمقامك مصر؟ قال : التعليم . فسألوه أن يصحبهم إلى بلادهم وأنهم يوجبون له على أنفسهم أجرَةً في كلِّ سنة ، وما أوجب . ولم يُجبههم إجابةً كَلِيَّةً ؛ ورغبتهم كلَّ يوم تزيد فيه ، فأجابهم إلى الخروج معهم ، ففرحوا بذلك واستبشروا ، وجعلوا يزيدون في برِّه ، ويقولون له : عندنا كثيرٌ من إخوانك ومن يذهب إلى

(١) « موسى بن مكارم » في افتتاح الدعوة ص ٣٤ .

مذهبك ، ولو رأوك ما رضوك إلا إلى شيوخهم ، فضلاً عن صبيانهم ، ولسنا نخليك للتعليم بل نعتك لما هو أعظم منه .

فلما عزم على المسير معهم جميعاً نه دنانير وأتوه بها ، فامتنع من قبولها ، وقال لم يكن مني ما يوجب ذلك ، فعظم في أنفسهم ، وزادت هيئته في صدورهم . وخرجوا به من مصر ، وساروا حتى إذا كان بسوجار (١) من أرض سماتة ، تلقاهم رجال من الشيعة ، فأخبروهم بخبر الشيعي ، ونظروا إلى تعظيم الكتاميين له ؛ فرغب كل واحد منهم أن يكون نزولُه عنده ، حتى رموا عليه السهام ، فخرج سهم أبي عبد الله الأندلسي فتزل عنده ، ونزل كل واحد على صاحبه . وأصاب أبو عبد الله عندهم من علم الشيعة أصلاً قوياً ، فزاد في الكلام معهم ، فأجلوه .

ثم سار القوم فدخلوا حد كتامة يوم الخميس التصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين ، ومعهم أبو عبد الله الأندلسي وأبو القاسم الوردفجومي ، فأراد كل واحد من الكتاميين نزول الشيعي عنده ، وتنازعا في ذلك حتى خيروا في النزول ، فقال أي موضع عندكم [٢٦] فجع الأختيار ؟ فقالوا : عند بني سكتان فقال : فإياه نقصد ، ثم نأى كل قوم منكم في موضعهم ، ونزورهم في بيوتهم ، ولا نجعل لأحد منكم حظاً من نفسي دون أحد إن شاء الله تعالى ، فأرضاهم كلهم بذلك ، وسار كل قوم إلى جهتهم ، وسار الشيعي مع موسى بن حريث وأبي القاسم الوردفجومي وأبي عبد الله الأندلسي إلى

(١) « بشرب حمار » في الأصل ، والتي ذكرت من قبل على أنها « سوق حمار » . والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٤٠ .

(١) إيكجان موضع موسى من بني سكتان . قال ولما نزل عبد الله بإيكجان ومضى كل معه من الحجيج إلى مرافقهم أخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بخبره ، ووصفوه لهم مع الناس ، فتسامع الناس به ، وأقبلوا إليه من كل ناحية ؛ فكان يجلس لهم ويحدثهم [بظاهر] (٢) فضائل على رضى الله عنه .

قال : فاتصل خبر الشيعي بإبراهيم (٣) بن أحمد صاحب إفريقية ، فكتب إلى موسى بن عيَّاش (٤) يسأل عن خبره فضعَّف موسى أمره فكتب إليه ثانيًا وأرسل ابن المعتصم المنجم ؛ وأمر إبراهيم بن أحمد موسى بن عيَّاش أن يتلطف في اتصاله إلى أبي عبد الله ، وأن يختبر أحواله ، ويأتيه بصحيح خبره ، وأوصاه بوصايا أمره أن يذكرها له .

فلما وصل إلى موسى أرسل إلى بني سكتان يخبرهم أن إبراهيم قد بعث برجل إلى أبي عبد الله ليجتمع به . فرفع ذلك إلى أبي عبد الله ، فأذن له . فلما انتهى إليه قربه وأقبل عليه ، فقال له ابن المعتصم : إن الأمير إبراهيم ابن أحمد وجهني إليك برسالة ، فإن أذنت لي أديتها . فقال له : أد رسالتك قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم . فقال : يقول لك الأمير : ما حملك على التعرض لسخطي ، والوثوب في ملكي ، وإفساد رعيتي ، والخروج عليّ ؛ فإن كنت تتبغى عرضاً من أعراض الدنيا فإنك تجده عندى ، وإن أنت

(١) إيكجان - إنكجان : بالياء أو النون : من بلاد كتامة بالمغرب ، سماها أبو عبد الله الشيعي دار الهجرة - معجم البلدان .

(٢) [] إضافة من افتتاح الدعوة ص ٤٩ تنفق وسياق الكلام .

(٣) هو إبراهيم (الثاني) بن أحمد بن محمد الأغلب ، كان على رأس دولة الأغالبة في الفترة ٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٦ .

(٤) « موسى بن العباس » في افتتاح الدعوة ص ٥٤ .

تلاقيت أمرك ، ورجعت عن غيبيك ، فصير إلى وأنت آمن ؛ فإن أردت المقام ببلدنا أقمت ، وإن أحببت الأنصراف انصرفت . وإن كان قصدك قصد من سوّلت له نفسه الخلاف على الأئمة ، واستفساد جهالة الأمة ، فلقد عرفت عواقب من تُمنيه نفسه أمنيته ، وسوّلت له ما سوّلت لك ، من الهلاك العاجل ، قبل سوء المصير في الآجل . ولا يعرّنك ما رأيت من إقبال هؤلاء الأوباش عليك ، واتباعهم إياك ، فإني لو صرفت وجهي إليك لأسلموك ، وتبرؤوا منك . واعلم أني إنما أردت الإعذار إليك ، لاستظهار الحجة عليك . وهذا أول كلامي ^(١) وآخره ، لا أقبل لك بعد هذا توبة ، ولا أفيلك عثرة ، ولا أجعل جواب ما يمكن منك إلا التّهوض إليك بنفسي ، وجميع أبطال رجالي ، وأنصار دولتي . وجملة أهل ^(٢) مملكتي فعند [ذلك] ^(٣) تندم حين لا ينفك الندم ، ولا تقبل منك التوبة . فانظر في يومك لغدك ، وقد أعذر إليك من ^(٤) أنذر .

فقال له أبو عبد الله الشيعي : قد قلت فاسمع ، وبلغت فابلق : ما أنا ممن يروّع بالإيعاد ، ولا ممن يهوله الإبراق والإرعاد . فأما تخويقك إياي برجال مملكتك ، وأنصار دولتك ، أبناء حطام الدنيا ، الذين يقتادون لكل سائق ، ويحييون كلّ داع وناعت ، فإني في أنصار الذين ، وحياة المؤمنين ، الذين لا تروّعهم كثرة أنصار الباطل ^(٥) ، مع نول الله تعالى ، وهو أصدق

(١) « كلامك » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٧ ، ويتفق مع السياق .

(٢) « أهل على » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٧ .

(٣) [] إضافة من افتتاح الدعوة ص ٥٧ .

(٤) يوجد هذا النص مع اختلاف محدود في الألفاظ في افتتاح الدعوة ص ٥٦ - ٥٧ .

(٥) « أنصار الظالمين » في افتتاح الدعوة ص ٥٧ .

القائلين : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) فَأَمَّا مَا أَطْمَعَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُ وَعَرَضَهُ مِنْ زَيْدِهَا وَحُطَامِهَا ، فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ فَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَلَا مَن يَرْغَبُ فِيهَا عِنْدَهُ فَيَأْتِيهِ . وَإِنَّمَا بَعَثْتُ (٢) رَسُولًا لِأَمْرِ قَدْ حَمَّ وَقَرَّبَ ، فَإِنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَا وَعَدَ بِهِ ، وَدَعَتْهُ (٣) إِلَيْهِ ، فَسَوْفَ يَغْلُمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَرَائِهِ وَلَنْ تَغْفِي عَنْهُ فِتْنَةٌ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذَا جَوَابُ مَا جِثَتْ بِهِ ، فَبَلَّغَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (٤)

قال (٥) : ولما اشتهر أمرُ الشيعة ببلد كمامة ، ونظر رؤساء القبائل وولاة البلدان فلم يَرَوْا في إبراهيم بن أحمد نهضةً في أمر ، وخافوا على زوال الرئاسة من أيديهم ، وتقديم مَنْ يُسارع إلى أمره عليهم ، ممن كانوا يَرَوْنَهُ دُونَهُمْ ، كتب بعضهم إلى بعض في ذلك ، فاجتمعوا وتعاقدوا . وكان ممن سعى في ذلك موسى بن عياش صاحب ميِّلة (٦) ، وعلي بن عسلوجة صاحب سَطِيف (٧) وحى بن تميم صاحب بلزمة (٨) وكلُّ هؤلاء أمراء هذه المدن . وعندهم العِدَّة والعُدَّة والأموال الكثيرة والتجدة ، والقوة ، ومن مُقَدَّمِي

(١) سورة البقرة رقم ٢ جزء من الآية رقم ٢٤٩ .

(٢) « بيث » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٨ .

(٣) « وعدته » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٥٨ .

(٤) الجملة مقتبسة من الآية ١٩ من سورة الأنفال : ﴿ ... وَلَنْ تَغْفِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(٥) المقصود هو القاضي التعمان صاحب كتاب افتتاح الدعوة الذي يأخذ عنه النويري .

(٦) ميِّلة : مدينة صغيرة بأقصى إقليم أفريقية (تونس) بالقرب من قسنطينة — معجم البلدان .

(٧) سَطِيف : مدينة صغيرة في جبال كمامة ، بين تاهرت والقيروان — معجم البلدان .

(٨) بلزمة : مدينة صغيرة قرب بحيرة بادغوس في الطريق من بجاية إلى بطننة — المغرب ص

كتامة وكبارهم وولآة أمورهم : فتح بن يحيى المشالى (١) ، وكان يقال له الأمير ، ومهدى بن كناره (٢) ، رئيس لهيصة ، وقرح بن خيران (٣) رئيس أجاته ، وثميل بن فحل (٤) رئيس لطاية ، واستعملوا آراءهم في أخذ الشيعى فعلموا ، أنهم لا يقدرّون عليه عنوةً من أيدي بنى سكتان لأنهم يمنعونه ، ويجمع عليهم جيملة وغيرها من قبائل كتامة ، فتفرّق ذات البين ، ويكون ذلك داعيةً إلى أن يجعلوا له أنصاراً ، وتصير كتامة فريقين ، ولم يأمنوا سوء العواقب ، فقصدوا بنان (٥) بن صقلان ، وهو من وجوه بنى سكتان ، ولم يكن له يومئذٍ دخلٌ في أمر الشيعى ، وأرسلوا جماعةً منهم إليه ، وبعثوا له أربعة أفراسٍ وأغنمًا وهدية . وقالوا له : إن هذا الرجل قد بدل الدين ، وفرّق الجماعة ، وشئت الكلمة ، وأدخل الاختلاف بين الأقارب [٢٧] وقد قصدناك في أمره . وأمْلَكْنَاكَ في قطع هذا المكروه بأن تقبضَ على الشيعى وتخرجه من بلدنا ، وتنفيه عنّا إن كرهت قتله ، ونجعل لك بعد ذلك التقدمة على جميع كتامة والعرب ، فيكون لك شرف الدنيا وفخرها ، وثواب الآخرة وأجرها ، وتزيل عن أهل بيتك مكروهاً ، وتقطع عنهم شرّاً . وأخذوا معه في ذلك وحذروه عواقب السلطنة .

فقال لهم بنان : هذا رجلٌ صار بين أظهرنا ، وهو ضيفٌ عندنا ، كيف ينبغي أن نفعل فيه مثل هذا الفعل . فتنازعوا في ذلك طويلاً ، وكان آخر خطاب بنان لهم أن قال : الرأى أن نجمع العلماء إليه فيناظرهم ، فإن كان

(١) « المسالى » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٢) « كناية » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٣) « بن خيران » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٤) « وثميم بن فحل » في افتتاح الدعوة ص ٨٠ .

(٥) « بيان بن صقلان » في افتتاح الدعوة .

على حقِّ فما أولانا وإياكم بُنصرته واتباعه ، وإن كان على باطلٍ عَرَفْنَا من
أُتبعه أن يرجعوا عنه .

فانصرفوا إلى أصحابهم وأخبروهم بما كان من بنان ، فخافوا أن تقوم
حُجَّتُهُ ، ويستحكم أمره ، فتزول رئاستُهُم بسببه . فأجمعوا على أن يَمْضُوا
في جماعة ويُظهِروا أنهم أتوا بالعلماء ، فإذا خرج إليهم قتلوه ، وانصرفوا على
حِمِيَةٍ .

فاحتَمَعُوا في عددٍ عظيمٍ من الخيل والرَّجُلِ ؛ فلَمَّا رآهم بنو سكتان ركبوا
خيولهم ؛ والتقى الجمعان . فقالوا لبنان إنما أتيناك لِمَا كان بيننا وبينك .
فقال : إنما كان بيننا أن تأتوا بالعلماء ، وقد أتيتم بالرَّحْفِ والعُدَّةِ . وعَلَا
الكلامُ بينهم ، فالتحم القتال ، وتداعت جِئِمَّةٌ من كلِّ مكانٍ ؛ فانهزم
القوم ، وانصرف عنهم بنو سكتان . وكان الشيعي قد سِيرَ في مبادئ هذا
الأمر ، وخاف عليه أصحابه .

ثم راسل الجماعة نائناً مرَّةً ثانية ، وقالوا : قد كُنَّا أخطأنا فيما أتينا به من
الجمع ، ولم يكن ذلك عن قصد ، ولكن تسامعَ النَّاسُ بنا فنبعونا . وقد
رجوناك لإصلاح جماعتنا ، وقدَّمناك ، واختَرناك لأنفسنا ، لتتحقن دِمَاءَنَا ،
وتجمع ما تبدد من شملنا . فقد عَادَى من أجل هذا الرَّجُلِ الأَخُ أَخَاهُ .
والابنُ أَبَاهُ ، والقريبُ قَرِيبَهُ ؛ وهذه فتنةٌ قد بدتْ . وريَّةٌ قد ظهرت .
وهذا الرجل من أهل المشرق ؛ وهُمُ كما علمت شياطين . وعلماؤنا بربر ،
وقومٌ ليست لهم تلك الأذهان ؛ فإنهم إن^(١) ناظروه يظهر عليهم ولم يجدوا
حجَّةً . يحتجون بها عليه . وقالوا له : أتري نحن وآباؤنا والنَّاسُ كُلُّهُمْ في

(١) [إضافة يقتضيها السياق ، « وإن ناظروه ظهر عليهم » في افتتاح الدعوة .

ضلالة ، وهذا وحده على الحق والهدى . وكرروا عليه ما وعدوه به من التقدمة عليهم ؛ فأصغى إليهم ووعدهم أن يتلطف في إخراجه . فجعل يتكلم في ذلك ويحتج على أهل بيته ، ويخوفهم العواقب ؛ فاتصل كلام بنان بالشيعة فانتقل عنهم .

ذكر انتقال أبي عبدالله الشيعي عن بني سكتان إلى بني عصمة بتازرارت (١)

قال : واتصل هذا الخبر بالحسن بن هارون العصمي (٢) ، وكان قد دخل في هذا الأمر ، وهو معروف بالأدب وكثرة النعمة ، وهو مطاع في قومه . فأتى الشيعي ورجب إليه في الانتقال إلى مكانه ، ووعدته بالذنب عنه ، والمدافعة بنفسه وأهله وماله ؛ وذكر ذلك لأصحابه فأشاروا عليه به . وعظم ذلك على بني سكتان وكرهوه ، وقالوا له : نحن ندافع عنك بأنفسنا حتى نُقتل كلنا دونك . فشكر قولهم . وانتقل إلى الحسن بن هارون إلى تازرارت فتلقاه من بها من أصحابه وغيرهم . وقام العصميون بما احتاج إليه الشيعي وأصحابه ، وقاسموه أموالهم . وأقبل أصحاب الشيعي من كل ناحية ، وكل

(١) « تازررت » في الأصل ، والتصحيح من المغرب في ذكر بلاد أفريقية ص ١٦٦ . وتازرارت : تقع على مسافة يوم من جبل درن الذي يعترض الصحراء متصلاً بجبل نفوسة وجبل أوراس - المغرب ص ١٦٠ - ١٦٦ .

وهي « تازررت » في افتتاح الدعوة ص ٨٧ .

(٢) « العشمي » في افتتاح الدعوة ص ٨٧ ، وما يلي ذلك .

(٣) « وأقام » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) « وقام الغشمانيون » في افتتاح الدعوة ص ٨٨ . وما يلي ذلك .

منهم يأتي بما يملكه ، ويبدئه بين يديه . فاجتمع أمره ، وامتنع جانبُه ، واجتمعت عصمان على نصرته ، وخلق كثيرٌ من قبائل كَتامة ، وندم بنان بن صقلان على ما كان منه في حقه ، وعَظُم شأنُ الحسن بن هارون بفعله . وكان للحسن أخ هو أسنُّ منه ، اسمه محمود : فَوَجِدَ في نفسه من ذلك ، وكان قبلَ ذلك مُقَدِّمًا على أخيه لِسِنِّه ، وكان أيضًا مُطَاعًا في أهل بيته ، فنكَل بذلك ، وفشا (١) عنه هذا والحسن يُدَارِيه ويستَعِظِفُه ، خوفًا من أن يفترق جماعةُ عصمان .

فلَمَّا صار أمر الشيعة . بتازرارت إلى ما صار إليه وانتهى ذلك إلى القوم الذين كانوا تعاقدوا عليه أولاً ، فسقط في أيديهم ، وعظم أمره عليهم ، فرجوا أن يصلوا من محمود بن هارون إلى ما يريدونه من أمر الشيعة . فاجتمعوا إلى مهدي بن أبي كَتامة اللهمي (٢) . فذكروا له ما بلغهم عن محمود ، وقالوا له : هذا جارُك وصديقُك ، فلعلَّك أن تستميله فتُفَرِّقَ به جماعةَ عصمان ، فيمكننا ما تريد .

فركب مهدي إلى محمود ، وذكر له اجتماعُ وجوده كَتامةً وأنهم أرسلوه إليه وقالوا إنه قد أجحف أخوك بنفسه وأهل بيته وجاء إلى عصمان ببليَّة قد تَعَاَفَى منها بنو سكتان ، وتخلَّصُوا من شرِّها [٢٨] . وجعل يخوفه من سوء العواقب ، ووعدده عنهم (٣) بالتَّقَدِّمة على أنفسهم . فاستأله بذلك مع ما

(١) « فشق ذلك عليه ، وتكلم به . وفشا عنه » في افتتاح الدعوة ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) « مهدي بن كَتامة اللهمي » في افتتاح الدعوة . ص ٩٠ .

(٣) « ووعددهم عنه » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق ، وما جاء في افتتاح الدعوة ص ٩١

« ويعدده عنهم » .

داخلة^(١) من الحسد لأخيه والعيرة منه .

فقال : القولُ في ذلك ما قلتَ ، ولكنّه قد تمكّن وقوى وكثرت أتباعه ، وليس هو الآن كما كان في بني سكتان ، وقد أجابته عصمان وكثير من عامّة كتامة ، فهم يقاتلون دونه ؛ فتمت دعوتُ من يطيعني من عصمان إلى أخذِهِ صرنا فريقين ، وأهلكَ بعضنا بعضاً . وما أرى في أمره إلا ما رأى لي بنان^(٢) : أن يأتي بالعلماء إليه فيناظروه ، فإن قامت حجّتهم عليه وجدنا السبيل إليه ، وإن كانت الأخرى دبرنا رأياً آخر إن شاء الله تعالى .

وانصرف مهدي إلى القوم فأخبرهم . فقالوا : من الذي يُناظره من علمائنا وأنت ترى الواحد من جهّالنا إذا دخل في أمره ناظرهم فقطعهم ، فكيف به فقال : قد رأيتُ من محمود شهوةً في قتله ومال إلى ما وعدناه به من التقدّمة ، مع ما داخله من الحسد لأخيه ؛ ولم أجد عنده غير ما فارقه عليه . وما علينا أن نأتي بالعلماء فإذا هم أخرجوه وقمنا^(٣) عليه أسياً فقتلناه ، ويكون بعد ما عساه أن يكون . فأرسلوا في طلب العلماء من كل ناحية ، وقالوا لا تأتيه في احتفال كما فعلنا ببني سكتان .

واتصل الخبر بالحسن بن هارون ، وبالشيعي ، فقال لهم ليجتمع جماعة عصمان إلى محمود فيلاطفوه ويذكروا له ما اتصل بهم ، ويحذروه العار ، والنقص ، وسوء العواقب ، ويقدموه على أنفسهم ، ويعظموه ، ويرفعوا من شأنه . ففعلوا ذلك ؛ ووافاه أخوه الحسن وجماعة عصمان ، وقالوا : نحن

(١) « ما دخله » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٩١ .

(٢) « إلا ما رأه بيان » في افتتاح الدعوة ص ٩١ .

(٣) « وضعنا » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٩٢ .

أهل بيتك وعشيرتك وأنت أميرنا ومقدمنا ، وهذا الرجلُ ضيفك وضيفنا ، وقد رأيتَ ما لحقَ بيني سكتان من التَّقْص في إخراجِه ، وأنهم نَدِمُوا عليه ، وأن بنانا حاولَ رَدَّهُ إليه ليصلح ما أفسده على نفسه فلم يجبه إلى ذلك . فلا نجعلُ علينا عارًا ولا نقصًا . وحلفُوا له وقدموه على أنفسهم فقال إليهم .

فلما علم محمود ان أولئك القوم قُربوا من تازرارت ركب في جماعة وأركب الشيعيُّ أصحابه معه وقال لهم : إن قَدَرْتُمْ أن تلتحموا الحرب^(١) فافعلوا . فلما التَقُوا قالوا لمحمود : هؤلاء العلماء قد جئنا بهم ؛ وعزلوهم ناحية : فقال لهم محمود : انصرفوا ودعُوهم عندنا حتى نجتمعَ بينهم وبين الرجل ، مع عشرة رجالٍ من وجوهكم وخياركم ، في مجلسٍ ، فننظر ما يكون بينهم . فانحلَّ ما عقَدُوهُ . فقالوا : وما عليكم أن تُخرِجُوهُ إلى ها هنا ونشهد ما يكونُ منه ومن العلماء ، فيكونَ ذلك أشهرَ وأقطعَ للأمر : فقال لهم محمود : قد بلغنا عنكم أنَّكم عقَدْتُمْ أمرًا وطمِعْتُمْ أن تترعوا ضيفنا من أيدينا بالتغلبِ .

فردُّوا عليهم . فحُمل عليهم هو وأصحابه ، والتحم القتال ، وقاتل محمود قتالاً شديداً فجرح ، ثم افترقوا ، فمات محمود من جراحه ، فسُرَّ أخوه والشيعيُّ بموته ، وأظهروا الطَّلَب بِدَمِهِ . واجتمعت عصمانُ ألباً واحداً وصَحَّت الرئاسةُ للحسن بن هارون وولاه الشيعيُّ أعتة الخليل ، وقوَدَهُ وعوَدَهُ على جميع أصحابه .

واشتعلت الحرب بين عصمان وهيصمة بسبب قتل محمود . واجتمع أمراء بلزمه وأكثر القبائل للشيعيِّ وأظهر نفسه ، وكان يشهدُ الحرب ويباشرها .

(١) « أن تلتحموا الحرب » في افتتاح الدعوة ص ٩٣ .

وظالت الحرب بينهم ، ثم اصطَلَحَتْ لهيصة وعصمان بعد أن قتل مهدي ، وانضمُّوا كلهم إلى الشَّيعي ، واشتدَّ أمرُه ، وحاربوا مَنْ بينهم من القبائل ، وشبُّوا الغارات على مَنْ بَعُدَ منهم . وبعث الشَّيعيَّ خيلاً مُغيرةً إلى مزاة ورئيس مزاة (١) يومئذ يوسف القنطاسي ، وكان قدم على إبراهيم بن أحمد فوصله وحيَّاه ، وكساه ، وأعطاه جاريةً ؛ فكبسته خيل الشَّيعي ، وأخذوا جميع ما كان له ، وسبُّوا الجارية ، وقتلوا مَنْ قدروا عليه من أصحابه ، واختنى هو فنجا ، ووصلوا إلى الشَّيعيِّ بالغنيمة فاضطنى الجارية لنفسه وهي أمُّ ولده .

فلما رأت القبائل ظُهور الشَّيعي واجتماع لهيصة له ، وقتل مهدي ، مشى بعضهم إلى بعض ، وأرسلوا إلى مزاته ، فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا إليه بعيالهم ويحيطوا به من كلِّ جانب ، فتمسَّله عصمان وهيصة ومَنْ مَعَهُمْ ويستأصلوهم . فأنتهى الأمر إلى الشَّيعي ، فجمع أصحابه كلَّهم بتازرارت ، وجاءت كتامة من أطرافها وأحاطوا به . فخذق على نفسه ، وأشار عليه وُجُوهُ أصحابه أن يعتزل الحرب وهم يقاتلون . فشكرهم على ذلك ، وأبى أن يقبله . ووعدهم التصر ، وحثَّهم على القتال ؛ فأخرج كلُّ واحدٍ ما عنده من مالٍ وسلاحٍ وكراعٍ ، وتشاوروا فيه ، وكمَّلوا عدَّتهم وعدَّتهم ، فبلغوا سبعمائة فارس ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وألَّفى راجل . والتفَّوا بعد مراسلةٍ لم تُجدِ شيئاً واقتتلوا قتالاً شديداً . ودامَ القتال بينهم ثلاثة أيام ، ودام في اليوم الثالث إلى العصر ، وكان الظَّفَرُ لأصحاب الشَّيعي . وانهمز أولئك ، وتبعوهم وقد امتلأت أيدي أصحابه من الغنائم والأموال ؛ وتفرَّق ذلك الجمع . قال : فبيع الجِمالُ كُلُّ عشرةً بدينارٍ [٢٩] والحجارُ بعشر

(١) تسكن هذه القبيلة في الطريق إلى قفصة وقسطيلية - المغرب ص ١٤ .

بصلات ، وغنموا من الخيل ما لا يحصى (١).

وانصرف الشيعة إلى تازرارث وابتنى بها قصرًا يسكنه ، واتخذها دار مقامه ؛ وأقطع أصحابه دُورًا حول قصره . وارتمل إليه أصحابه من كل ناحية ، وابتنوا وسكنوا ، وقوى أمرهم . واستأن إلى كثير من القبائل ؛ وشن الغارات ، وداوم الحرب ، فأقبل الناس إليه من كل جهة .

ولحق فتح بن يحيى يافريقية (٢) فقدم على أبي العباس [بن] (٣) إبراهيم ابن أحمد ؛ وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إبراهيم إلى صقلية ، فوصله وأدناه ، وأكرمه ، وسأله عن الشيعة ، فصعّف أمره ، فقال : أليس قد اجتمعتم عليه في عساكر عظيمة فلم تقدروا عليه ؛ فقال : ليس أمرنا من أمرِك في شيء ، إنما نحن مُقاتلةٌ بغير رأس ، ونقاتل من يعرفنا من أهل بلدنا ، ولو جاءه عسكرٌ من قبلك لكانت هيبتُه في صدور الناس . فأطمعه أبو العباس ، ثم أمسك عنه .

قال : واستولى الشيعة على جميع بلد كتامة ، وظهرت دُعائه في كل ناحية منها ، وغلب عليها ؛ وكانت وقائع كثيرة ببلد كتامة .

وأقام بعد انهزام الجمع نحو ستين وهو يشن الغارات ، ويعنم الأموال ، حتى أجابوه ، وسلّموا الأمر إليه . ولم يبق إلا المدينة الحصينة ومن فيها من

(١) انظر تفصيل ذلك في افتتاح الدعوة ص ١٠٣ - ١٠٩ .

(٢) وذلك بعد هزيمته من الشيعة - انظر تفصيل ذلك في افتتاح الدعوة ص ١١١ - ١١٤ .

(٣) [] إضافة من افتتاح الدعوة ص ١١٤ .

وهو أبو العباس عبد الله (الثاني) بن إبراهيم (الثاني) ، الذي كان على رأس دولة الأغالبة في الفترة من ٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص

أمراتها ومن انضم إليها من القبائل .

ذكر تغلب أبي عبدالله الشيعي على مدينة ميعة

قال ابن الرقيق : كان سبب ذلك أن قيس بن أبي جرير^(١) من وجوه أهل ميعة ، وهم [من]^(٢) ربيعة وكان رئيسهم يومئذ حسن بن أحمد ، فوصل إلى الشيعي سرا وأطلعه على أمر المدينة ، فتقدم الشيعي إليها وقاتل من بها ، وغلب على جميع أرضها ، فدخل جميع من كان بها إلى الحصن ، ثم سألو الأمان ، فأمنهم ما لم يحدثوا حدثا . ففتحوا أبواب المدينة ودخلها أصحاب الشيعي ، وخرج إبراهيم بن موسى بن عياش مع جماعة منهم في الليل ، فهربوا إلى إفريقية ، إلى أبي العباس بن إبراهيم ، فأخبروه بالخبر ، وضعفوا عنده أمر الشيعي ، وسألوه في إخراج عسكر إليه ، وضمنوا أمره . فأمر بالحنس . وجمع وجوه رجاله ، وأمر عليهم ابنه محمدا المعروف بأبي حوال^(٣) فاجتمع له عساكر عظيمة انتقى منها اثني عشر ألف فارس . واتصل الخبر بالشيعي فاستعد للقاء .

(١) هكذا في الأصل ، « وكان بنو أبي خنزير من وجوه أهل ميعة » في افتتاح الدعوة ص ١٣٥ .
 (٢) [إضافة من افتتاح الدعوة ص ١٣٥ للتوضيح .
 (٣) « أبي حوال » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ، في هذا الموضع والمواضع التالية .
 وورد في الكامل « وبلغ الخبر أمير إفريقية ، وهو حينئذ إبراهيم بن أحمد ، فنفذ ولده الأحول » ج ٨ ص ٣٤ ، وفيه تحريف ، فالقائد أبو حوال (أو الأحول) حفيد إبراهيم بن أحمد وليس ابنه ، وانظر أيضا نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ .

ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ وَبَيْنَ أَبِي حِوَالٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ

قال (١) : وخرج أبوحوال بالعسكر الذي اختاره من مدينة تونس ، في سنة تسعٍ وثمانين ومائتين ، وكلَّ مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ من القبائل ، بدأهم بالعطاء وخلع على وجوههم ، وقصد إلى سَطِيف ، فلم يصلْ إليها حتى زاد في عسكره مثله . وتلقاهم بنو عُسْلُوجَةَ أصحابُ سَطِيفِ (٢) ، وبنو تميم أصحابُ بلزمه ، ومن حولهم ممن لم يدخل في طاعة الشيعيِّ ، فقتل من وجوههم قتلاً ذريعاً ، وانتهب أموالهم ، وسبى نساءهم وذرائعهم ، وقصد الشيعي بتازرارت ، واتصل به الخبر ، فبرز إليه بمن معه ، والتقوا ببلد بلزمة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الشيعيُّ وأصحابه ، وأتبعهم أبوحوال إلى الليل . ثم أصبح فلقوه واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الشيعيُّ ثانيةً إلى تازرارت وجاءهم ثلجٌ عظيم ، فحال بينهم .

ولم ير الشيعيُّ أن تازرارت تحصنهم ، فأخذوا ما قدرُوا عليه ، وانضموا إلى إيكجان . فلما ارتفع الثلج تقدم أبوحوال إلى تازرارت فأخربتها وهدم قصر الشيعي وسار إلى ميِّلة ، ثم التقى هو والشيعي واقتتلوا إلى الليل ، فانهزم أبوحوال إلى تونس ، ورجع الكتاميون إلى ميِّلة ، واعتلَّ الحسنُ بن هارون فوات بإيكجان ، وسكنها الشيعيُّ وابتنى بها قصرًا .

(١) مازال النويري يأخذ عن القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة .

(٢) انظر ما يلى عن فتح مدينة سطيف ، وأصحابها .

وجاء الخبر إلى الشيعي بوفاة إبراهيم بن أحمد وأنَّ ابنه أبا العباس ولى الأمر بعده^(١) ، وجلس في المسجد وردَّ على الناس ظلاماتهم ، وأنه يجلس على حصير وبين يديه الدرة ، فاغتم لذلك لأن العوامَّ مالت إليه . ثم أتاه الخبرُ بقتل أبي العباس ، وأنَّ ابنه زيادة الله^(٢) قتله وولى مكانه ، وأنه شرب الخمر وارتكب المحارم ، وعكف على الملاهي ، فسره ذلك ، وقال لهم : قد زال عنكم ما كنتم تخافونه ، وهذا آخر ما تُحاربون ، وسيصير الأمر إليكم .

قال : ثم خرج أبو حوال بالعساكر ثانية قبل وفاة أبيه ، فهزمه الشيعي واستولى على ميله ، وعاد أبو حوال إلى بلاده وقد ملك زيادة الله ، فقتله زيادة الله [٣٠] وقتل إخوته ، والله أعلم .

ذِكْرُ تَغْلِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ عَلَى مَدِينَةِ سَطِيفِ

كانت مدينة سَطِيفِ لعلِّي بن حفص ، المعروف بابن عسلوجة ، وكان قد زحف مع أبي حوال لقتال الشيعي . فلما استقام أمر الشيعي وأخذ ميله ذهب بجموعه إلى سَطِيفِ وأقام عليها أربعين يوماً وهو يقاتله ، ثم انصرف إلى

(١) توفي إبراهيم بن أحمد في ١٦ ذي القعدة ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ٩٠٢ م . وولى بعده ابنه أبو العباس عبد الله ، والذي قتل في ٢٩ شعبان ٢٩٠ هـ / ٢٨ يولية ٩٠٣ م — انظر نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، أبو مضر ، زيادة الله (الثالث) ، ولى دولة الأغالية في الفترة من ٢٩٠ — ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ — ٩٠٩ م — نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ١٤٥ وما بعدها .

إيكجان فأقام بها شهراً ، وجمع (١) من قدر عليه ، وعاد إلى مدينة سَطيف فأحاط بها ، وقاتله على بن عسلوجة ، فهزمه الشيعي فتحصن بالمدينة . وأقام أياماً يُحاصره ، فمات على بن عسلوجة ، هو وأخوه أبو حبيب . في أيام قلائل فاستولى الشيعي عليها (٢) .

ذكر خروج إبراهيم بن حنبلش إلى بلد كتامة

قال (٣) : لما اتصل بالأمير زيادة الله أنخبار الشيعي ، وظهره على بلد كتامة ، وافتتاحه ميلاً ، ووصل إلى زيادة الله من كتامة من خاف على نفسه ، وعرفوه أنه إن لم يُعاجل الشيعي زاد أمره ، أخذ زيادة الله عند ذلك في الاحتشاد وزاد في العطاء . فاجتمعت له عساكر عظيمة ، فقدم عليها إبراهيم بن حنبلش (٤) ، فبلغت عدّة من خرج معه أربعين ألفاً ، من فارس وراجل . وأخرج معه أموالاً جلييلة وسلاحاً كثيراً ، وعدداً عظيمة ، وأمر ببذل الأموال ، وأخرج معه وجوه رجاله ومن وصل إليهم من كتامة .

(١) « وجمع » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) انظر تفصيل هذه الأحداث في افتتاح الدعوة ص ١٦٥ ما بعدها .

(٣) ما زال النويري ينقل عن افتتاح الدعوة ص ١٦٨ وما بعدها .

(٤) هكذا في الأصل ، ولم تتفق المصادر على رسم واحد لاسمه ، فهو « حنبلش » في الكامل ج ٨

ص ٤٠ ، « حبش » في افتتاح الدعوة ص ١٦٨ ، و « حنبلش » في انعاظ المنفا ج ١ ص

٦٢ ... إلخ .

فسار إبراهيم بن حنبل حتى أتى قسطنطينية ^(١)، وبينها وبين إيكجان
 أتى بها الشيعي نحو مرحلتين، وأردفه زيادة الله بسديد بن أبي شداد ^(٢)،
 فاجتمع معه نحو مائة ألف. وأقام بقسطنطينية ستة أشهر لا يتقدم إليه
 الشيعي، فلما رأى ذلك زحف بعساكره كلها، فندب الشيعي خيلاً
 اختارها من كثامة ليختبروا بروس حنبل، فأتوه. فلما رأى الخيل قصدها
 بنفسه. هذا والأنقال على الدواب؛ فانتشبت الحرب، واقتتلوا قتالاً
 شديداً. واتصل الخبر بأبي عبدالله الشيعي، فزحف بمن معه، فوَقَعَت
 الهزيمة على ابن حنبل وأصحابه، وأسلموا الأنقال، وتبعهم أصحاب
 الشيعي يومهم ذلك إلى الليل، ومن الغد، يقتلون ويغنمون. فقتلوا منهم
 كثيراً وغنموا من الأموال والأمتعة والسلاح والكراع ما لا يحصى كثرة.
 ووصل ابن حنبل إلى باغية ^(٣) وكتب كتاباً بخطه إلى زيادة الله يخبره
 بالخبر. ثم قدم إلى إفريقية، فاضطربت وماجت بأهلها، وعظم أمر الشيعي
 ثم غلب على مدينة طُبْنَةَ ^(٤) ثم على مدينة بلزمة، ثم مدينة تيجس ^(٥)، ثم

(١) هكذا بالأصل، والكامل، وافتتاح الدعوة، و« قسطنطينية » في اتعاظ الحنفا، وفي العبر

وديوان المبتدأ ج ٤ ص ٣٥ « قسطنطينية » ومازالت تعرف بالاسم الأخير حتى الآن.

وهي مدينة مبنية على هضبة صخرية مرتفعة يحيط بها الوادي من جميع الجهات -

انظر معجم البلدان.

(٢) هكذا بالأصل، و« شيب بن أبي الشداد » في افتتاح الدعوة ص ١٧٠.

(٣) « بالاية » في الأصل، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١٧٢، وبمايلي هنا في نفس
 الورقة - انظر ما يلي.

(٤) طُبْنَةَ: بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة - من أكبر مدن نهر الزاب، وقد اندثرت
 الآن - معجم البلدان - دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) تيجس: مدينة على الطريق من القيروان إلى قسطنطينية، كان عليها سور صخر رومي -

المغرب ص ٦٣.

مدينة باغاية^(١) ، ثم قفصة^(٢) ، وقصطيلية^(٣) ، ثم مدينة الأربس^(٤) . وكان له في خلال هذه الفتوحات وقائع كثيرة كان آخرها مع إبراهيم بن أبي الأغلب لثمان بقين من جمادى الآخرة ، سنة ست وتسعين ومائتين ، فانهزم إبراهيم إلى جهة القيروان واتبعهم أصحاب الشيعة يقتلون ويغنمون ويأسرون^(٥) .

ذكر هرب زيادة الله إلى المشرق

قال^(٦) : ولما وصل خبر هذه الهزيمة إلى زيادة الله وهو برقادة^(٧) ، وكان قد علم أنه لا يقوم له أمر إذا انهزم إبراهيم ، لأنه آخر ما جمع من الجيوش واستنفذ فيه الوسع والطاقة ، فلما جاءه خبر الهزيمة أظهر أنه جاءه الفتح ، وأرسل إلى السجون فأحضر رجالاً منها فضرب أعناقهم ، وأمر أن

(١) باغاية : مدينة كبيرة بين مجانة وقسنطينة ، وعل مقربة منها جبل أوراس - معجم البلدان ، المغرب ص ٥٠ .

(٢) قفصة : بالفتح ثم السكون ، وصاد مهملة ، بلدة صغيرة ، من عمل الزاب الكبير ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب - معجم البلدان .

(٣) قسطيلية = قسطيلية : بالفتح ثم السكون وكسر الطاء ، مدينة كبيرة من أرض الزاب الكبير - معجم البلدان .

(٤) الأربس : بالضم ثم السكون والباء الموحدة مضمومة ، مدينة كبيرة ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب - معجم البلدان .

(٥) عن تفاصيل فتح هذه المدن - انظر افتتاح الدعوة من ص ١٧٣ إلى ص ٢٤٠ .

(٦) المقصود هو القاضي النعمان ، فما زال النويري ينقل عن افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ .

(٧) رقادة : مدينة بأفريقية بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وظلت دار ملك الأغالبة حتى هرب منها زيادة الله وتركها لأبي عبد الله الشيعي - معجم البلدان .

يُطاف برؤوسهم في القيروان ، وأخذ في تجهيز أثقاله ، وحملها وحمل أمواله ، وأنذر خاصته وأهل بيته بالخروج معه ، وعرفهم بالخبر ، فلشاز عليه ابن الصانع (١) بالمقام ، فأبى ذلك ، وخرج إلى مصر ، كما ذكرناه (٢) وأقبل الناس في صبيحة يوم هرب زيادة الله وانتهبوا رقادة . والله أعلم .

[٣١] ذكر رجوع أبي عبد الله الشيعي إلى إفريقية

قال : ولما وافاه الخبر بهرب زيادة الله أمير إفريقية ، وهو بناحية سببية (٣) رحل لوقته ، وخرج إليه شيوخ القيروان ، وتلقوه ، فأكرمهم ، ودخل أبو عبد الله الشيعي رقادة في يوم السبت غرة شهر رجب ، سنة ست وتسعين ومائتين ، ونزل ببعض قصورها ، وفرق دورها على كتامة ، ولم يكن قد بقى بها أحدٌ من أهلها ، وأمر متآديه فنأدى في القيروان بالأمان ، فرجع

(١) هو عبد الله بن الصانع ، الذي ولي الوزارة والبريد لزيادة الله - نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٥ .

(٢) يشير المؤلف إلى ما سبق أن ذكره عند حديثه عن دولة الأغالية - انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) « سببية » في الأصل ، فهو تحريف ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٢٤٣ . الكامل ج ٨ ص ٤٦ .

سببية : بفتح أوله وكسر ثانيه ، ناحية من أعمال القيروان - معجم البلدان .
أما سببية : فهي في أقصى بلاد المغرب في مواجهة جزيرة الأندلس ، على طرف مضيق جبل طارق - معجم البلدان - وهي بالتالي بعيدة عن مسرح الأحداث الواردة بالمتن .

الناس إلى أوطانهم . وغير المنكرات ، ووَلَّى قضاء القيروان محمد (١) بن عمر المروزي ، وأمره ، ورتب الخطباء وأمرهم أن يصلُّوا على : رسول الله ﷺ ، وعلى ، والحسن والحسين وفاطمة ، وأمر بضرب السكَّة ، وأن يُنقش على الوجه الواحد « بلغت (٢) حجة الله » . وعلى الوجه الآخر « تفرَّق أعداء الله » ، ونقش على السلاح « عُدَّة لسبيل (٣) الله » ، ونقش على خاتمه الذي يطَّبع به الكتب (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) (٤) ورسم في جلال الخيل (٥) « الملِّك لله » .

ذكر خروج أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة (٦)

قال (٧) : ولَمَّا استمرَّ أبو عبد الله الشيعي بَرَقَادَة ، أتاه أخوه أبو العباس محمد ابن أحمد ، فسَرَّ بمقدمه ، وكان أَسَنَّ من أبي عبد الله وَأَحَدَّ ذَهَبًا ،

(١) هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي (المروذي) أصله من خراسان . وتوفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م - افتتاح الدعوة ص ٢٤٧ ، طبقات علماء أفريقية ص ٢٣٩ ، وانظر ما يلي في أخبار وفاة المهدي .

(٢) « بلقب » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٢٥٠ ، الكامل ج ٨ ص ٤٧ .

(٣) « عدة في سبيل الله » في افتتاح الدعوة ، والكامل .

(٤) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(٥) الجبل للذابة : كالنوب للإنسان ، يلبس ليقى من البرد ، والجمع جلال أو إجلال . القاموس . « ورسوم الخيل الملك لله » في افتتاح الدعوة ص ٢٥١ ، و« ورسوم الخيل على

أفخاذها » في الكامل ج ٨ ص ٤٧ ، انماط الحنفا ج ١ ص ٦٤ .

(٦) سجلماسة : بكسر أوله وثانیه وسكون اللام ، وبعد الألف سين مهملة : مدينة عظيمة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية ، على بعد نحو ٢٠٠ ميل جنوب شرق فاس ، أسسها المدرار ابن عبد الله سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م . وقد درست اليوم - معجم البلدان - دائرة المعارف الإسلامية .

(٧) مازال النويري يأخذ عنه - افتتاح الدعوة ص ٢٦٩ .

وكان الشيعي يعظمه ، فإذا دخل قام إليه . وإذا دخل هو على أبي العباس قبل يده ووقف حتى يأمره بالجلوس فيجلس .

ولما وصل أبو العباس أراد أن يتقى من القيروان من خالف مذهبه ، فقال له أبو عبد الله إن دولتنا دولة حجة وبيان ، وليست دولة قهر واستظالة ، فاترك الناس على مذاهبهم ، فتركهم .

وأخذ أبو عبد الله في الخروج إلى سجلماسة ، فرحل إليها في التصف من شهر رمضان من السنة ، في جيوش عظيمة ، واستخلف على إفريقية ابا زاكى تمام ابن معارك وأخاه^(١) أبا العباس .

قال : ولما خرج اهتز الغرب لخروجه وزالت زناته^(٢) والقبائل عن طريقه ، وأوقع بقبائل عرضت له في الطريق حتى إذا قرب من سجلماسة راسل أميرها اليسع بن مدزر^(٣) ، وكان من أمره معه ما ذكره بعد في أخبار المهدي عبيد الله إن شاء الله .

فهذه أسباب ظهور هذه الدولة وقيامها وخبر شيعتها . فلنذكر أخبار المهدي وما كان من أمره . وخروجه من بلاد الشام ، وما اتفق له في مسيره إلى أن تسلم الملك من أبي عبيد الله الشيعي ، بعد أن مهد له القواعد وفتح

(١) هكذا في الأصل ، وفي افتتاح الدعوة ص ٢٧٥ ، أما في اتعاظ الخنفا فلم يرد ذكر لأبي زاكى تمام ، فورد « واستخلف أخاه أبا العباس على أفريقية » ص ٦٥ .

(٢) زناته : قبيلة كبيرة من البربر ، ينتسبون إلى زنا بن يحيى بن ضرى بن زجيك بن مادغس - العبر وديوان المبتدأ ج ٦ ص ٩١ .

(٣) ولي سجلماسة في صفر سنة ٢٧٠ هـ / أغسطس ٨٨٣ م ، وهو آخر أئمة سجلماسة من المراريين ، إذ ظل في الحكم حتى قتل على يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م - انظر ما يلي .

البلاد . ثم نذكر في أخبار عبيد الله ، المنعوت بالمهدى ، تَمَّة أخبار أبي
عبد الله الشيعى إلى أن قُتِل هو وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد .
ف نقول وبالله التوفيق .

ذكر ابتداء الدولة العُبيدية وأخبار المهدي عبيد الله وما كان من أمره منذ خرج من الشام إلى أن ملك البلاد وتسلم الأمر من أبي عبد الله الشيعى

كان ابتداء ظهور هذه الدولة وقيامها ببلاد المغرب فى سنة ست وتسعين
وماثين ، عند ظهور عبيد الله بن الحسن المنعوت بالمهدى ، وخلاصه من
سجن سجلماسة وقتله الحسن بن مذار . ومنهم من يجعل ابتداءها عند
وصول عبيد الله إلى رقادة فى يوم الخميس لعشربقين من شهر ربيع الآخر سنة
سبع وتسعين وماثين ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .
ولنبداً بأخبار المهدي فى رحلته إلى المغرب .

ذكر رحيل عبيد الله من الشام

[٣٢] ووصوله إلى سجلماسة

وكان سبب ذلك أن المعتضد بالله أبا العباس العباسى طلب عبيد الله هذا
طلباً شديداً ، فخاف على نفسه إن هو أقام بالموضع الذى هو فيه من أرض
الشام ، فخرج بنفسه وبولده أبى القاسم محمد ، وهو يومئذ غلام حدث
وعبيد الله شاب ، وخرج معه خاصته ومواليه ، يريدون المغرب ، وذلك فى
خلافة المكتفى بالله العباسى ، وأمير إفريقية يومئذ زيادة الله بن أبى العباس بن
إبراهيم بن أحمد .

فلما انتهى عبيد الله إلى مصر أراد أن يقصد اليمن ، وكان بها أبو القاسم الحسن بن حوشب الكوفي الداعي كما ذكرنا ، وقد استقام له الأمر وملك أكثر البلاد ، ثم بعث بعده على بن الفضل فاستحلّ المحارم ودعا الناس إلى الإباحات ، فلما اتصل ذلك به كره دخول اليمن على هذه الحال ، وبلغه ما فعل الشيعة بالمغرب ، وما فتح على يديه فأقام بمصر مستترا في زىّ التُّجار ، وعامل مصر يومئذ عيسى التُّشري بعد انقراض الدولة الطولونية ؛ فأتته الكتب بصفته ، وأمر بالقبض عليه .

وكان بعض خاصّة التُّشري بشيع ، قيل إنه ابن المدبر ، فبادر إلى عبيد الله وأخبره ، وأشار عليه بالمسير ؛ فخرج من مصر بمن صحبه . ففرق التُّشري الرُّسل وذكر لهم صفته ، ثم خرج بنفسه فأدركه وقد رحل من تروجة ، وهى على مرحلة من الإسكندرية ، فشئى التُّشريّ فى القافلة التى عبىد الله فيها ، وجعل ينظر إلى وجوه القوم ، حتّى رأى عبىد الله على هيئته التى وصفت له ، فقبض عليه وعلى من كان معه ، وأطلق الرفقة وعاد به إلى بستانٍ فنزل به ، وأنزل عبىد الله ومن معه بمقردهم ووكل بهم . ثم خلا به وقال له أصدقنى عن أمرك فأنى أظف فى خلاصك ، فقد جاءت صفتك من قبلى أمير المؤمنين وأمر بطلبك ، وذكر أنك تروم الخلافة . فقال عبىد الله (١) إنما أنا رجلٌ تاجر ، ولست أعلم شيئا مما تقول ، وأنت غنى عن تقلد إثمى . فإزال يلاطفه يومه وليلته حتّى أطلقه وقال : إمض إلى سبيلك وأنا أبعث معك خيلا تشيعك . فشكره وقال : أنا أستغنى بنفسى وبمن معى ، وانصرف . فرجع أصحاب التُّشريّ عليه بالملامة ، وقالوا له : ماذا صنعت

(١) « أبو عبد الله » فى الأصل ، والتصحيح من السياق .

بنفسك ! عمدت إلى بُعْيَةِ أمير المؤمنين وطلبتَه فأطلقتَه . فندِمَ على إطلاقه وهم أن يبعث إليه خيلاً تردّه .

فلَمَّا سار عبيدُ الله أميالاً افتقد أبو القاسم ابنه كلبه صيدٍ كانت له ، فبكى عليها فعرّفه عبيده^(١) أنهم تركوها بالبُستان ؛ فرجع عبيدُ الله في طلبها ، فرآهم التُّوشري ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ فقال بعض أصحابه : الرجل قد رجع . فبعث غلمانَه فسألوا أصحاب عبيد الله عن سبب رجوعه ، فقالوا : افتقد ولدُ سيدنا كلبه ، وهو عزيز على أبيه ، فعادَ معه في طلبها بعد أن قطع أميالاً كثيرة . فقال التُّوشري لأصحابه : قبحكم الله ! أردتم أن تحملوني على رجلٍ حاله مثلُ هذه الحال أعتقله بشبهة . لو كان مرتاباً لَطوى المراحل وما عادَ إلينا من مسافة بعيدة في طلب كلبه صيدٍ .

ورجع التُّوشري من وقته إلى مصر ، وعاد المهديّ ولحق برفقته . فلَمَّا انتهى إلى مدينة طرابلس ، فارق مَنْ كان معه من الثَّجار ، وقَدَّمَ أبا العباس محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، أخا أبي عبد الله الشيعيِّ إلى القيروان ببعض ما كان معه ، وأمره أن يلحق بكتامة . فلما وصل أبو العباس إلى القيروان وجدَ الكُتُبَ قد سبقت إلى زيادة الله في أمر عبيد الله فأحضر الرفقة وسألهم عنه ، فأخبروه أنه تخلف بطرابلس وذكرُوا أن أبا العباس من أصحابه ؛ فأخذ وقرَّر ، فأنكر ، فحُبِس .

واتصل الخبر بعبيد الله بطرابلس فصادف رِفْقَةً خارجةً إلى قَصْطِليَّة ، فخرج معهم ، وأتى كتابُ زيادة الله إلى طرابلس بصفته وطلبه ، فكتب إليه عاملها أنه خرج من عمله ، وسار عبيد الله حتى وصل إلى قَصْطِليَّة ، ثم منها

(١) « أبوه » في الأصل ، والتصحيح من الكامل ج ٨ ص ٢٨ . وهو يتفق مع السياق .

إلى سِجْلَمَاسَة ، وصاحب سِجْلَمَاسَة يومئذِ اليَسَعُ بن مدرار ، فهأداه
 عبيد الله ، فأكرمه اليَسَعُ وعظّمه . فلم يزل كذلك إلى أن أتاه كتاب زيادة الله
 يخبره أنه هو الذي يدعُو إليه الشيعة ، فتغير اليَسَعُ عند ذلك عليه إلا أنه لم
 يكن منه في حقه ما يكره .

ثم كان من تغلب الشيعة ما قدّمناه . وعلم بمكان عبيد الله ، وكان
 يُكاتبه في السرّ . فلما هزم الشيعة جيش إبراهيم بن حنبل كسب إلى عبيد الله
 يخبره بالفتح ، فأرسل إليه مالا مع رجالٍ من قبيله من كتامة ، وكان ذلك
 أول فتح ورد على عبيد الله ، فسُرّ به . ثم استولى الشيعة على ما ذكرناه ،
 وهرب منه زيادة الله ، وملك رقادة والقيروان . وسار إلى سِجْلَمَاسَة فلما انتهى
 خبره إلى اليَسَعُ بن مدرار وقرب من سِجْلَمَاسَة سأله فحلف أنه ما اجتمع
 بالشيعة ولا رآه قط ولا عرفه ، وقال : إنما أُرِجِلُ تاجر فأغلط له في القول
 فلم [يغير] ^(١) كلامه الأول ولم يخرج عنه . فجعله في دارٍ وجعل عليه
 حرساً ، وجعل ابنه أبا القاسم في دارٍ أخرى ، وفرّق بينهما . واختبر كل واحد
 منها [٣٣] فلم يجد بينهما خلافاً ، وامتحن رجالاً كانوا معهما بالعذاب
 ليُفروا فلم يعترفوا بشيء .

واتصل الخبر بالشيعة فعظّم عليه ، وأرسل إلى اليَسَعُ بن مدرار يومئذ
 جانيه ويذكر أنه إنما قصد سِجْلَمَاسَة لحاجةٍ وبعده الجميل والبر والإكرام ،
 وأكد ذلك وبالغ فيه فلما وصلت رسل اليَسَعُ رمى بالكسب وقتل الرُّسل ،
 واتصل ذلك بالشيعة فعاودوه ولأطفه ، كلُّ ذلك خوفاً منه أن يكون منه في
 حقّ عبيد الله ما يكرهه ، فقتل الرُّسل أيضاً فلما رأى الشيعة إصراره عبأ

(١) [إضافة تتفق وسباق الكلام .

عساكروهُ ودنا من المدينة فخرج إليه اليسعُ بمن معه ، فناوشهم القتال ، فقتل من أصحابه جماعة وكان ذلك في آخر الثَّهَارِ ، فحجزَ بينهما اللَّيْلُ .

فلما جَنَّ اللَّيْلُ هرب اليسعُ بنُ مدرار مع أهل بيته وبنات الشيعيِّ وَمَنْ معه في غمٍّ عظيمٍ تلك الليلة ، لا يعلم ما صُنِعَ بعبيد الله وابنه، ولم يُمكنه دخولُ المدينة، وما علم بهرب اليسعِ حتى أصبح ، فخرج إلى الشيعيِّ ووجوه أهل المدينة وأعلموه بهرب اليسعِ ، فدخل إلى المكان الذي فيه عبيد الله فأخرجه وأخرج ولده أبا القاسم ، وقربَ لهما فرسين وحفَّتَ بهما العساكر ، وسار الشيعيُّ والدُّعَاة بين يدي عبيد الله وهو يقول : هذا مولاي ومولاكم ؛ حتى انتهى عبيد الله إلى فسطاطٍ ضربَ له، فدخله ، وهو إذ ذاك شابٌ لم يبنذه الشيبُ ، وابنه حرطَرَ شاربُهُ .

هذا ما حكاهُ إبراهيمُ بنُ الرِّقِيقِ في تاريخه .

وقال غيره إن اليسعَ بنَ مدرار لما أراد الخروجَ من سجلماسة أحضر الشخصَ الذي اعتقله وقتله قبل هروبه ، وأن الشيعيِّ لما دخل وعلمَ بقتل عبيد الله خاف من كتمانة لأنه كان يعدُّهم بخروج المهديِّ ومملكه الأرض على زعمه ، وخشى أن يفتضح فيهلك ويُرْوَل ما حصلَ في يده ، فأخرج لهم رجلاً يهودياً كان يخدم الشخصَ المقتول ، وقال هذا إمامكم وإمامُ الاسماعيلية، وأركبه ومشى في ركابه وأنسلخَ له من الأمر . وهذا فيه بُعدٌ ، وأراه من التُّغَالِي في نفهم عن التَّسَبُّبِ ، والذي حكاهُ ابنُ الرِّقِيقِ أشبهه . فلنرجع إلى ما حكاهُ إبراهيمُ بنُ الرِّقِيقِ .

قال : ولما استقرَّ عبيدُ الله بالفسطاطِ أمرَ بطلبِ اليسعِ بنِ مدرارٍ حيث كان ، فخرجت الخيلُ في طلبه ، فأدركوه ومن معه من أهل بيته ،

فأخذوهم وأتوا بهم إلى عيد الله ، فأمر بضرب السبع بالسياط ، فضرب وطيف به في بلاد سجلماسة ، ثم أمر بقتله فقتل هو وكل من حرب معه من أهل بيته وغيرهم . وأمن الناس بعد ذلك وسكنهم ، واستعمل عليهم عاملاً ، وأتته القبائل من كل ناحية فأكرمهم ، ووعدهم بكل جميل . وأقام بسجلماسة أربعين يوماً ، ثم سار يريد إفريقية . فلما حازى بلاد كتامة مال إليها ، ووصل إلى إيكجان ، وأمر بإحضار الأموال التي كانت مع الشيعي والشيخ ، فأحضرها وشدها أحمالاً وقدم بها . وكان وُضوله إلى رقادة في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين . وفي هذه السنة زال ملكُ بني الأغلب وكان له بإفريقية مائة سنة واثنتا عشرة سنة . وزال بزواله ملكُ بني مِذْرَار وكان له بسجلماسة وما حوّلها مائة سنة وستون سنة . وزال ملكُ بني رُسْتَم من تاهرت (١) وما حوّلها ، وله مائة سنة وثلاثون سنة (٢) .

قال : ولما قارب عيد الله القيروان تلقاه شيوخها ومشوا بين يديه ، فجزاهم خيراً ونزل عيد الله بقصر من القصور برقادة . وأنزل العساكر بدورها ودعى له بالخلافة في يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر من السنة برقادة والقيروان والقصر القديم (٣) وأنفذ رسله ردعائه وأتته وفود البلدان .

(١) « تهرت » في الأصل . والتصحيح من معجم البلدان .

(٢) عن هذه الدول ومدة حكمها انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ،

(٣) القصر القديم = قصر قيروان : مدينة عظيمة قبل القيروان بنحو أربعة أميال . أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م . واتخذها عاصمة لدولته — معجم البلدان .

قال ثم عرض عليه الشيعي جَوَارِيَّ زيادة الله فاصطفى مهنً لنفسه وأعطى ولده ، وفرق أكثرهن على وجوه كرامة ؛ وقسم عليهم أعمال إفريقية ، واستعمل وجوههم على مدنها ، وأمرهم بالتجمل وحسن اللباس ، فلبسوا الثياب الفاخرة وركبوا بالسروج المحلاة . ورثب الدواوين وأنعم على الناس ، فرفع إليه صاحب بيت المال ما أخرجه من الصلات في شهر رمضان ، فبلغ مائة الف دينار واستكثره صاحب بيت المال فقال عيد الله : لو بلغت ما أومله ما رضيت بمثل هذا المال لرجل واحد [من أوليائي] (١) .

ذكر أخبار أبي عبيد الله الشيعي وأخيه أبي العباس وما كان من أمرهما بعد قيام عيد الله المهدي إلى أن قتلها

قال : لما استقامت الأمور لعبيد الله المهدي داخل أبا العباس محمداً أخا الشيعي فساد دينه (٢)

وسبب ذلك أن أخاه أبا عبد الله كان يعظمه ويقوم له عن مجلسه ويقبل يده [٣٤] كما قدمناه ، وكان لأبي عبد الله من الرئاسة وتفوذ الكلمة والغلبة على الأمر كله ما ذكرناه (٣) . فلما صار الأمر لعبيد الله المهدي زالت تلك الرئاسة عن أبي عبد الله وأخيه ، فداخله الحسد ، فجعل يزرى على عبيد الله عند

(١) [إضافة للتوضيح من افتتاح الدعوة ص ٣٠٤ .

(٢) « داخل أبا العباس الحسد » في الكامل ج ٨ ص ٥٠ . واتعاط الحنفا ج ١ ص ٦٧ .

(٣) كما ذكرناه في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

أخيه وأبو عبد الله ينكر ذلك على أخيه ، وأبو العباس لا يرعوى ، ويؤكد أسباب التَّفَاق . ثم قال أبو العباس لأخيه : لقد ملكت أمراً عظيماً وانقطع لك الناس ، فجئت بمن أزالك عنه وأخرجك منه ، وكان الواجبُ عليه ألا يهتضمك هذا الاهتِصام . ولم يزل يُغريه بمثل ذلك إلى أن أثار ذلك فيه ، وحمله على مُشَافهة عبيد الله المهدي ببغضه ، وأشارَ عليه بتفويض الأمور إليه والانقطاع في قصره والاحتِجاب عن الناس ، وقال هذا أهيبُ لك وأشدُّ لامرك . فردَّ عليه في ذلك ردّاً لطيفاً . وكان قد بلغ المهدي ما هو عليه ، فحقَّقه ولم يرُه أنه اطلع على شيء من ذلك . وعمد أبو العباس إلى الدُّعاة ، وكانوا يعظمونه لما يرون من تعظيم أخيه أبي عبيد الله له ، فجعل يرمز لهم ، ثم صرَّح ، وطعن في عبيد الله ، وأدخل فيه الشبهة . وكلُّ ذلك يبلغ عبيد الله فيعرض عنه ويغضى عليه ، هذا والشيء في ذلك مُدارٍ لم يبلغ حد التَّفَاق إلى أن فشا أن حال أبي العباس قد انتهت إلى عبيد الله .

وما زال أبو العباس يتخيل إلى أن قال للدُّعاة إن الإمام هو الذي يأتي بالآيات والمعجزات ويُختم بجأته في البلاط ، فأما هذا فقد شككنا فيه . فعند ذلك أرسل هارونُ بن يونس (١) أحد المشايخ إلى عبيد الله يقول : قد شككنا في أمرك فأتينا بآية إن كنت المهدي كما قلت . فتعاضم ذلك وقال : ويحكم إنكم كنتم قد أيقنتم والشك لا يُزيل اليقين ، فأبستم إلا الإضرار ! ثم أمر من قتله . فلما علم أبو العباس والقوم الذين استرلهم (٢) بقتله جعلوا ذلك سبباً لميأينة عبيد الله وأجمعوا على التقص والإبرام في دار ابني زاكي ابن معارك ، وعزموا على الفتك بعبيد الله . واجتمع كتامة إلا قليلاً منهم ؛

(١) « بن يوسف » في الأصل . والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١١١ و ص ٣٦٠ .

(٢) استرلهم : أى جعلهم يزلون . أى الذين أغواهم .

وكان عزوية (١) بن يوسف يأتي بأخبارهم لعبيد الله ، فجمع عبيد الله إليه من سليم من التَّفَاقِ والعبيد واستعدَّ لهم ، على كثرتهم وقلة المبايعين له . فجمعوا له الجُمُوع وأحاطوا بقصره لِيُوقِعُوا به ، وهو في ذلك جالسٌ مستصبٌ غير مكترث ؛ فقذف الله في قلوبهم الرُّعبَ على كثرتهم وقلة من معه ، حتى كانوا يَعبِرونَ وقد عزموا على الفَتكِ به ، فإذا قابَلُوهُ ملأت الهيبَةُ قلوبهم فإذا انصرفوا ندموا على تركه ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (٢) .

فنظر عبيد الله في بعض الأيام إلى أبي عبيد الله الشيعي وقد لبس توبه مقلوبًا ، ودخل عليه ثلاثة أيام وهو على تلك الحال ، فقال له في اليوم الثالث : يا أبا عبد الله ؛ ما هذا الأمر الذي شغلك وأذهلك عن أمر نفسك ؟ فقال : وما هو يا مولاي ؟ قال : إن ثوبك مقلوبٌ عليك منذ ثلاثة أيام ما اهتديت له ، وما أحسيت نزعته . فنظر إليه وقال : والله يا مولاي ما علمتُ به . فقال : إن هذا لشُغلٌ عظيم ؛ فأين تبيت منذ كذا من الليالي ؟ فسكت . فقال : ألسنت تبيت في دار أبي زاكي قال له : بلى . قال : وما أخرجك من دارك التي أنزلتُك بها ؟ قال : يا مولاي خفت . قال : وما يخاف المرء إلا من عدوه ، والمؤمن لا يخافُ وليه (٣) . فبكت أبو عبد الله وأيقن أن عورته قد بدت لعبيد الله ، ووجبت حُجَّتُه عليه ، وحلَّ له قتله . فانصرف وأعلمَ القومَ بما جرى بينهما ، فأمسكوا عن الدخول إلى عبيد الله وخافوا على أنفسهم منه . ثم جاءوه بعد ذلك وأظهروا البراءة مما قيلَ فيهم ،

(١) « عروبة » في الأصل ، والكامل جـ ٨ ص ٥٢ ، وأخبار الدول المنقطعة ص ٩ ، والتصحيح

هنا والمواضع التالية من افتتاح الدعوة ص ٣١٢ .

(٢) سورة الأنفال آية ٤ .

(٣) « عدوه » في الأصل ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣١٤ .

واعتذروا ؛ فردَّ عليهم ردًّا جميلاً ، وأخرج جماعةً منهم إلى البلدان ، ففرقت جماعتهم . وأخرج فيمن أخرج أبا زاكى بن معارك^(١) إلى طرابلس ، وكان غزوية بن يوسف والياً عليها^(٢) ، فلما وصل إليه كتب إليه عبيد الله ، فقتله وبعث برأسه إليه . وقتل جماعةً منهم كذلك في البلدان بصنوفٍ من القتل .

وخرج أبو عبد الله في بعض الأيام هو وأخوه أبو العباس يُريدان قصر عبيد الله على العادة ؛ فحمل غزوية بن يوسف^(٣) على أبي عبيد الله ، وحمل خير بن ماشيت^(٤) على أبي العباس . فقال أبو عبد الله لابن غزوية : يا بُنَيَّ لا تفعل . فقال : الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك . وقتلها فيما بين القصرين ؛ وذلك في يوم الاثنين ، النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين ؛ وأمر عبيد الله بدفنها .

قال : وهذا اليوم هو اليوم الذي قُتل فيه أبو زاكى بطرابلس .
قال : ولما قتل أبو عبد الله وأبو العباس ثار جماعةٌ من بني الأغلب وأصروا على التَّفَاق ، وكانوا بالقصر القديم ، فأخرجوا منه الكتاميين وقتلوا جماعةً منهم ، فأحاط به مَنْ حوله من كتامة ، فقاتلهم بنو الأغلب ، وقتل من

(١) « بن معادل » في الأصل ، والتصحيح مما سبق .

(٢) « وكان عمه أبو يوسف عاملاً عليها » في افتتاح الدعوة ، ص ٣١٥ ، وأخبار الدول المنقطعة ص ١٠ ، وهو الأرجح — انظر ما يلي .

(٣) فحمل ابن غزويه بن أبي يوسف « في الأصل ، والتصحيح مما سبق ، وافتتاح الدعوة ص ٣١٦ .

(٤) « خير بن ماشيت » في افتتاح الدعوة ص ٣١٦ ، « خير بن القسم » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٠ .

الطائفين قتل كثير . فبلغ ذلك عيد الله فردّ كرامة وأنكر عليهم ، ففترّق بنو الأغلب وانصرفوا إلى دورهم ، فتركهم عيد الله ثم قبض عليهم فقتلوا على باب رقادة ؛ ثم تسبّع مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فقتلهم . ولَمَّا استقامت الأمور لعُيَيْدِ اللَّهِ [٣٥] عَهْدَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَخَرَجَتْ كِتَبُهُ : مِنْ وَلىّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْدِ اللَّهِ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ مَنْ خَالَفَ عَلَى عِيدِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ

قال : وبقيت^(١) بقية من المنافقين عليه ، فساروا^(٢) إلى بلد كرامة ، فأقاموا غلاماً حدثاً من جبل أوراس من جهة أورسه^(٣) . وزعموا أنه المهديّ ، ثم نخلوه الثبوة ، وزعموا أنّ الوحي يأتيه ، وقالوا : أبو عبد الله حتى لم يمت ؛ وأباحوا الزناء ، وأحلّوا المحارم . وزحفوا إلى ميلة فأخذوها . فبلغ ذلك عيد الله^(٤) فأخرج إليهم وليّ العهد في عسكري فحاصرها مدّة ، ثم قاتلوه فهزّمهم حتى انتهى بهم إلى البحر ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأخذ الغلام الذي نصبوه فأتى به إلى أبيه ، فأمر بقتله ، فقتل .

وخالف عليه أهل طرابلس ، فأخرج إليهم عسكرياً مع أبي يوسف ، فحاصرها ، ثم أنصرف عنها ولم يفتحها ، فخرج إليها بعد ذلك أبو القاسم ، وقد قدموا على أنفسهم ابن إسحاق القرشي ، فكان خروجه يوم الأحد

(١) « وتغيب » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٤ .

(٢) « فساروا » في افتتاح الدعوة ص ٣٢٤ .

(٣) « أو سنة » والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ١٠٧ ، ص ٣٢٤ .

(٤) « أبو عبيد الله » في الأصل ، وهو تحريف .

لِلْيَتِيمِينَ خَلْتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ . فَحَاصِرَهَا وَضَيْقُ عَلَى مَنْ بِهَا حَتَّى أَكَلُوا الْجَيْفَ ، فَفَتَحُوا فِي آخِرِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ النَّسَةِ ، فَعَفَا عَنْهُمْ ، لَكِنَّهُ غَزَمَهُمْ جَمِيعَ مَا أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَتْ جَمَلَتُهُ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَ وَجُوهَ رِجَالِهِمْ مَعَهُ إِلَى رَقَادَةَ رَهَائِنَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ، وَانصَرَفَ .

ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ الْمَهْدِيَّةِ

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ (١) خَرَجَ عَيْدُ اللَّهِ إِلَى تُونِسَ وَقِرطَاجِنَةَ وَغَيْرَهَا ، يَرْتَادُ لِنَفْسِهِ مَوْضِعًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَنَبَّأُ بِهِ مَدِينَةً ، فَاخْتَارَ مَوْضِعَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَأَمَرَ بِنَائِهَا وَتَحْصِينَهَا بِالسُّورِ وَأَبْوَابِ الْحَدِيدِ الْمَحْكَمِ ، فَجَعَلَ فِي كُلِّ مِصْرَاعٍ مِنَ الْحَدِيدِ مِائَةَ قَنْطَارٍ . وَكَانَ ابْتِدَاءُ الشُّرُوعِ فِي بِنَائِهَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِحُمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (٢) مِنَ السَّنَةِ . وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ : وَلَمَّا عَزِمَ عَلَى الْإِنْتِقَالِ إِلَيْهَا ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى جَنْدِهِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَنْتَقِلُ إِلَيْهَا وَنَدْعُكُمْ بِمَكَانِكُمْ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ سَتَنْتَقِلُونَ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْطَارًا غَزِيرَةً ، فَهَدَمَتْ مَسَاكِنَهُمْ ، فَسَأَلُوهُ الثَّقَلَةَ إِلَيْهَا فَأَذِنَ لَهُمْ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ خَرَجَ وَلِيَ الْعَهْدَ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي أَخْبَارِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١١ . وَلَكِنْ وَرَدَ أَنْ اخْتِيَارَ مَوْضِعَ الْمَهْدِيَّةِ وَالْبِدَةَ فِي بِنَائِهَا كَانَ سَنَةَ ٣٠٣ هـ فِي كُلِّ مِنْ : الْكَامِلِ ج ٨ ص ٩٤ ، اِتِّعَاطُ الْحَنَفَا ج ١ ص ٧٠ .

(٢) « فِي يَوْمِ الْحُمْسِ لِحُمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ » فِي أَخْبَارِ الدُّوَلِ الْمُنْقَطِعَةِ ص ١١ .

وكان خروجه من رقادة لست بيقين من مجاى الآخرة منها^(١) ؛ وكان من أمره وأمر حباسة بن يوسف ووصولها إلى الإسكندرية ما قدّمناه في الحوادث فيما كان بين الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية .

ولما وصل حباسة إلى عبيدالله أمر بقتله على ما كان من انهماه .

ثم خرج أبو القاسم بابنه إلى الديار المصرية . وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذى القعدة ، سنة ست وثلاثمائة ، ووصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة ، فخرج عنها عامل المقتدر ، وملكها أبو القاسم . ثم ملك الفيوم والأشمونين ، وغير ذلك . وأقام نحو ستين . ثم وقع الفناء في عسكره ، وماتت خيلهم ؛ وجاء مؤنس من بغداد واجتمعت عليه العساكر كما ذكرنا ، فعجز عن قتالهم ، فرجع إلى أفريقية . وكان وصوله إلى المهديّة لعشر ليالٍ مضين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثمائة .

ذكر خروج أبي القاسم إلى بلاد المغرب [٣٦] ونائه مدينة المسيلة

قال : وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج أبو القاسم ، ولي العهد ، إلى بلاد المغرب في عسكرٍ عظيم وكان خروجه من المهديّة في يوم الخميس لسبع مضين من صفر منها ، ففتح مزاته ، وهوارة ، ومطاطة ، ولماية ،

(١) ورد هذا الحدث في أحداث سنة ٣٠١ هـ في كل من الكامل ج ٨ ص ٨٤ ، اتعاظ الخنفاج ١ ص ٦٨ . وانظر ما سبق عن ذكر هذه الحوادث بعد انتهاء الدولة الطولونية .

وكل من خالطهم من الصُفْرِيَّة (١) والإبَاضِيَّة (٢) وبلغ إلى ما وراء تاهرت (٣) . ولَمَّا انصرف من سفرته اختط مدينة المَسِيلَة (٤) برحبه ، وأمر عليّ بن حمدون الأويسى ببنائها ، واستعمله على المحمدية فبناها وحصّنها ، وكانت خَطَّةً لبني كملان فأخرجهم منها ، وأمرهم أن يرتفعوا إلى فَحْص (٥) القيروان ، وانتقل الناس إليها وعظم أمرها .

ذكر وفاة عُيَيْدِ اللَّهِ المَهْدِيّ وشيء من أخباره

كانت وفاته ليلة الثلاثاء ، النصف من شهر ربيع الأول (٦) ، سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ؛ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنة . وكانت إمارته منذُ وصل

(١) الصفرية : أصحاب زياد بن الأصفر - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباح - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) « تهرت » في الأصل .

(٤) المسيلة : بالفتح ثم الكسر ، والياء ساكنة ولام ، مدينة بالمغرب تسمى أيضاً « المحمدية » - معجم البلدان .

ورود في أخبار الدول المنقطعة « بنى عبد الرحمن التميمي بالمغرب بمحمد المدينة المعروفة

بالمحمدية » ص ١١ .

(٥) فَحْص - فحوص : كل موضع يُسكن - القاموس .

(٦) « فنعى صبيحة يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من جمادى الآخر » في افتتاح الدعوة ص

٣٢٩ ، وفي طبعة أخرى « ربيع الآخر » - والافتتاح هو المصدر الوحيد الذي ضبط الوفاة

في شهر جمادى الآخر لا في ربيع الأول - وقد يرجع السبب في الاختلاف على تاريخ الوفاة

إخفاء خبر موته لمدة سنة حتى يدبر ابنه أمره - انظر الكامل ج ٨ ص ٢٨٤ .

إلى رَقَادَة إلى يوم وفاته أربعاً وعشرين سنة وعشرة أشهر^(١) وعشرين يوماً .
قال : ولما مات كَتَمَ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ موته سنة حتى دَبَّرَ أمره .

أولاده : أبو القاسم عبد الرحمن ، وليُّ عهده وتسمَّى بالمغرب محمداً .
أبو عليٍّ أحمد ، مات بمصر للتَّصَفِّف من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين
وثلاثمائة ودفن بالقصر .

أبو طالب موسى ، مات بمصر في ذى القعدة سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة
ودفن بالقصر .

أبو الحسين عيسى ، تُوفِّي بِرَقَادَة في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .
أبو عبد الله الحسين ، تُوفِّي بالمغرب في أيام القائم .

أبو سليمان داود ، تُوفِّي بالمغرب في أيام القائم .
وكان له سبعُ بنات ، ومن السَّراري أمهات الأولاد ستّة .

قضاة : أبو جعفر محمد بن عمر^(٢) المروروزي ، مات بعد أن عُزِل في
سنة ثلاثٍ وثلاثمائة ، ثم إسحاق بن المنهال ؛ ثم محمد بن محفوظ
المصمودي ، مات في المحرم سنة سبعٍ وثلاثمائة ؛ ثم محمد بن عمران
النفطي ، مات في سنة عشرٍ وثلاثمائة ، ثم إسحاق بن المنهال ثانياً .

(١) « وشهرا واحدا » في افتتاح الدعوة ص ٣٣٠ ، و « شهراً » في الكامل ج ٨ ص ٢٨٤ .
وما أورده النويري يتفق مع ما سبق ذكره من أن المهدي دخل إلى رقادَة « لعشر بقين من
شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين » — انظر ما سبق ، وانظر أيضاً اتعاظ الحنفا ج
١ ص ٧٣ .

(٢) « عمار » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما سبق .

حاجبه : جعفر بن علي .

حامل مظلته : [مسعود الصقلبي ، ثم غرس الصقلبي]^(١)

ذِكْرُ بَيْعَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

هو أبو القاسم محمد ، وقيل أبو العباس ، ويدعى نزاراً ، وكان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فتسمى محمد بن عبيد الله المهدي ، وهو الثاني من ملوك الدولة العبيديّة ؛ بايع له أبوه بولاية العهد كما تقدم ، ثم جدّدت له البيعة بعد وفاة أبيه بسنة ، فإنه كنّم وفاته سنة كاملة ، حتى مهّد قواعد دولته ، ثم أظهرها . واستقلّ بالأمر وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فقام مقام أبيه ، واقتنى آثاره ، وأظهر عليه من الحزن ما لم يُسمع بمثله وواصل الحزن لفقده ، ولم يرق^(٢) سريراً ، ولا ركب دابة منذ أفضى إليه الأمر إلى أن مات إلا مرتين ، مرّة صلى على جنازة ، ومرّة صلى بالناس العيد . واقتنحت في أيامه مدائن كثيرة من مُدُن الروم ؛ وثار عليه عدّة ثوار فتمكّن منهم ؛ فكان ممن ثار عليه ابن طالوت القرشيّ ، فسار إلى ناحية طرابلس وزعم للبربر أنه المهديّ فقاموا معه واتبعوه ، فزحف بهم على مدينة طرابلس في عددٍ عظيم ، ثم تبيّن للبربر أمره فقتلوه ، وأتوا برأسه إلى أبي القاسم .

قال : وأول ما بدأ به أنه أمر باتخاذ أنواع السلاح في سائر البلاد ،

(١) [إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ١٣ لاستكمال النص ،

المظلة هي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية — صبح

الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ ، ج ٤ ص ٨٠٧ .

(٢) «لم يرقد سريراً» في افتتاح الدعوة ص ٣٣١ .

وأخرج ميسور^(١) الصقلبي في عددٍ عظيمٍ إلى المغرب ، فأنتهى إلى مدينة فاس ، وهزم ابن أبي العافية ، وأخذ ابنه الثوري أسيراً ، وأخرج بعد ذلك يعقوب بن إسحاق على أسطولٍ عظيمٍ إلى بلد الروم ، فافتتح بلد جنوة . وكان ممن خرج عليه أبو يزيد مُحَلَّد بن كَيْدَاد^(٢) ، في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وهو رَجُلٌ يابِضٌ ، يُظهر الرُّهد ، وأنه إنما قام عليهم غضباً لله . وكان لَا يَرْكَبُ غير حِمَارٍ ، ولا يلبسُ إِلَّا الصُّوفَ . وكان بيئتهما وقائعٌ كثيرةٌ ، فملك أبو يزيد جميع مُدُن القَيْرَوَانِ ، ولم يبقَ للقائم غير المهديَّة ، فحاصرها أبو يزيد إلى أن هلك القائم . وكان بيته وبين ابنه المنصور ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة القائم بأمر الله [٣٧] وشيء من أخباره :

كانت وفاته بالمهديَّة في يوم الأحد الثالث عشر من شَوَّال سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائة . ومولده بسلمية التي بالقرب من مدينة حماة من الشَّام في المحرم سنة ثمانين ومائتين^(٣) . وكان عمره أربعاً وخمسين سنة وتسعة أشهر ، ومدة ملكه ثنتي عشرة سنة وستة شهور وأياماً .

أولاده : كان له من الأولاد الذكور سبعة ، وهم : أبو الطاهر إسماعيل قام بالأمر بعده ؛ وأبو عبد الله جعفر ، توفى في أيام المعز ؛ وحزمة ،

(١) « منشوراً الصقلبي » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من افتتاح الدعوة ص ٣٣٢ . اعطاء الحنفا ج ١ ص ٧٦ .

(٢) من قبيلة زناته من مدينة توزر — اعطاء الحنفا ج ١ ص ٧٥ ، وفيه « أبو يزيد مخلد » .

(٣) « ولد بسلمية سنة سبع وسبعين ومائتين . وقيل ولد في المحرم سنة ثمان وسبعين » — كنز الدرر ج ٦ ص ١١٠

وعدنان . وأبو كتامة قَصَّوْا بالمغرب ؛ ويوسف ، مات ببرقة سنة اثنتين وستين وستائة ؛ وأبو القرآن عبد الجبار ، تُوِّفِيَ بمصر في سنة سبعٍ وستين وثلاثمائة ، وأربعُ بنات وسبعُ سَرَارٍ .

قضاته : إسحاق بن أبي المنهال إلى أن تُوِّفِيَ ؛ ثم أحمد بن بحر إلى أن قتله أبو يزيد ^(١) لَمَّا فتح إفريقية في صفر سنة ثلاثين ؛ ثم أحمد بن الوليد ، وَلَّته الرِّعْيَةَ فأقره .

حاجبُه : جعفر بن علي حاجب أبيه .

ذكر بيعة المنصور بنصر الله

هو أبو الظاهر إسماعيل بن انقائم بأمر الله بن عبيد الله المهديّ ، وهو الثالث من ملوكهم . بايع له أبوه القائم بأمر الله في حياته ، وولاهُ حَرْبَ أبي (٢) زيد ؛ وهلك أبوه القائم بأمر الله ، فأخفى إسماعيل موته ، وناصب أبا زيد حتى رجع إلى المهديّة ، وتوجّه أبو يزيد إلى سوسة فحاصرها ، فأدركه المنصور إسماعيل فطرده عنها ؛ وَوَأَى عليه الهزائم إلى أن أسره في يوم الأحد لخمسٍ بَقِيْنَ من الحَرَمِ سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة ؛ فمات بعد أسره بأربعة أيام من جراحةٍ كانت به ، فأمر المنصور بسَلْخِهِ ، وَحَسَى جِلْدَهُ قُطْنًا وَصَلَبَهُ ، وبنى مدينته المسماة بالمنصورية في موضع الوقعة ، واستوطنها في سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة .

(١) « أبو يزيد » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٧ .

(٢) « ابن » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما سبق .

وكان المنصور شجاعاً بليغاً يرتجلُ الخطب . حكى المروزيّ قال :
خرجت مع المنصور يوم هُزم أبو زيد ، فسأيرته وبيده رحمان^(١) فسقط أحدهما
مراراً وأنا أمسحُه وأناولُه إياه وتفاءلت له بذلك . فأنشدت :

فألقت عصاها واستقرُّ بها النوى كما قرُّ عيناً بالإياب المسافر
فقال : ألا قلت ما هو خيرٌ من هذا وأصدق ﴿ وَأَوْحَيْتَا إِلَى مُوسَى أَنْ
الْقَى عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَيَبْطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿
فَعَلُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿^(٢) .

ذكر وفاة المنصور بنصر الله وشيء من أخباره

كانت وفاته في يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .
وكان سبب وفاته أنه خرج في شهر رمضان من السنة إلى جلولاء^(٣) ومعه
جاريته قضيب ، وكان يجبها ، فجاء مطرٌ عظيمٌ وريحٌ شديدةٌ مجلولة واشتدَّ
البردُ بها ؛ فخرج منها على فرسٍ وقضيبٌ في غمازيه وهو يريد المنصورية ،
ودامَ عليه المطرُ والبردُ .

قال أبو الرقيق : أخبرني من كان معه ، قال : كُنَّا ننظرُ إلى العبيد السودان
على الطريق فعوداً فتأملهم فوجدتهم موتى ، وقد جفوا من البرد . ووصل
المنصور إلى قصره آخر النهار ، فدخل الحمام ، فاعتلَّ لوقته . وصلى العبد

(١) « رحمان » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ١٩ ، اتعاط الحنفا جـ ١ ص

(٢) سورة الأعراف الآيات ١١٧ - ١١٩ .

(٣) جلولاء : مدينة بأفريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميلاً - معجم البلدان .

بالتاس في مبادئ علقته ، ثم اشتدَّت به ، فمات في التاريخ [المذكور] (١) ، وأوصى ابنه أن يمنع من التَّوَحُّح عليه .

وكان مولده بالقيروان ، في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكان عمره أربعين سنة .

وقال ابن الرقيق : إنه وُلد برقادة في سنة إحدى وثلاثمائة ، وكان عمره أربعين سنة تقريباً . ومدَّة ملكه سبعمائة وأيام (٢) .

أولاده المذكور خمسة ، وهم : أبو تميم معد ، وهاشم ، وحيدرة ، مات بمصر سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وأبو عبد الله الحسين ، وأبو جعفر طاهر . وكان له خمس بنات ، وثلاث أمهات أولاد .

قضاته : أحمد بن محمد بن الوليد ، ثم محمد بن أبي المصور ، ثم عبد الله بن هاشم ، ثم علي بن أبي شعيب ، علي المنصوري . ثم أبو محمد زرارة بن أحمد ، ثم أبو حنيفة الثمان (٣) بن محمد التيمي .

حاجبه : جعفر بن علي ، حاجب أبيه وجدّه .

[٣٨] ذكر بيعة المعز لدين الله

هو أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي ، وهو الرابع من ملوك الدولة العبديّة . وأول من ملك مصر والشام منهم .

(١) [] إضافة تتفق مع السياق .

(٢) « وستة أيام » في أخبار الدول المنتظمة ص ١٩ .

(٣) هو صاحب كتاب افتتاح الدعوة .

صار الأمرُ إليه ببلاد المغرب بعد وفاة أبيه المنصور ، في آخر شوال سنة
إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فدبّر الأمور وأحكّمها إلى يوم الأحد السابع من
ذى الحجة من السنة ، فجلس على سرير الملك ، ودل عليه الخاصّة وكثير
من العامّة فسلموا عليه بالخلافة ، وتلقّب بالمعزّ لدين الله . ولم يُظهر على أبيه
حزناً ؛ وكان عمره يوم وليّ أربعاً وعشرين سنة . وأرسل إلى جميع من
بالمهدية من عُمومه وعُمومة أبيه ، فأتوه وسلموا عليه بالإمارة ، فأخذ عليهم
البيعة ، ومشوا بين يديه رجّالاً ، وأرضاهم بالمصلاة . واستقام له الأمر .
وصلّى بالناس عيد الأضحى ، ثم صرفهم إلى المهديّة .

ودخل في طاعته من العصابة من عصى على غيره ممن كان يجبل أوراس
من بنى كملان ومليلة ، وهما من قبائل هَوارة .

ثم بعث القائدَ جوهرًا في يوم الخميس لسبعِ خلون من صفر ، سنة سبعٍ
وأربعين وثلاثمائة ، في جيشٍ عظيمٍ إلى المغرب ، فسار حتّى بلغ البحر
المحيط ، فأمر أن يُصاد من سمكه ، وجعله في قُلّةٍ وجعل فيها الماء ،
وحملها إلى المعزّ صُحبةً البريد ؛ وجعل في باطن كتابه من ضريع البحر .
وعاد وفتح فاس يوم الخميس لعشرِ بقين من شهر رمضان سنة ثمانٍ وأربعين
وثلاثمائة ؛ واستخلف عليها وعلى سجلماسة وتاهرت وعاد جوهرًا من المغرب
إلى رقادة يوم الجمعة لاثنتي عشرة [ليلة]^(١) بقيت من شعبان .

وفي سنة خمسين^(٢) وثلاثمائة ، في التصف من المحرم ، غلبت الروم على

(١) « ليلة » إضافة يقتضيها السياق .

وانظر تفصيلات فتوحات جوهر بالمغرب في : أخبار الدول المنطقة ص ٢١ - ٢٣ . الكامل

ج ٨ صفحات ٤٩٨ - ٤٩٩ . ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٢) « خمس » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث .

جزيرة إقريطش^(١) ، ففتحو المدينة وقتلوا من أهلها مائتي ألف رجل وسبوا من النساء والصبيان مثل ذلك ، وحرقوا المصاحف والمساجد ؛ وكانوا قد أتوا في سبعمائة مركب .

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث المعز لدين الله عماله من بركة إلى سجلماسة ، إلى جزيرة صقلية ، وأمرهم أن يكتبوا جميع الأطفال الذين في أعمالهم من الخاصة والعامة ليختنوا مع أولاده ، فبلغوا عدده لا تحصى . فلما كان في أول يوم من شهر ربيع الأول من هذه السنة ابتداءً بطهور أولاده وأهل بيته وأولاد خاصته من الكتاب ورجال الدولة وغيرهم ، وأعطاهم الصلوات والكساوى . قال : وأزدحم الناس في يوم الاثنين لإحدى عشرة [ليلة]^(٢) خلت من شهر ربيع الأول فمات من الرجال مائة وخمسون نفساً .

وفي سنة خمس وثلاثمائة أمر المعز لدين الله بحفر الآبار في طريق مضر وأن يبنى له في كل موضع يُقيم به قصور ، فأخذوا في عمل ذلك ، حتى تم ، وفي يوم الجمعة للييلة بقيت من جمادى الآخرة ، سنة سبع وخمسين ، وردت الثُجُب من مضر بوفاة كافور الإخشيدي ، وكانت وفاته لعشر بقين من جمادى الأولى . كما تقدم .

(١) أقريطش : بفتح الهمزة وتكسر ، جزيرة في بحر المغرب ، يقابلها من أفريقيا ليبيا - معجم البلدان ، وهي حالياً جزيرة كريت بالبحر المتوسط .
ونجح البيزنطيون في استرداد جزيرة كريت والاستيلاء على عاصمتها سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م - بعد حصار دام ثمانية أشهر ، وذلك في عهد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني وتحت قيادة تقفور فوقاس - المسلمون والبيزنطيون ص ١٢٤ .

(٢) [إضافة تتفق والسياق .

ذكر خبر إرسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر إلى الديار المصرية

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة قَدِمَ القائدُ جوهر من المغرب بعَسْكَرٍ عَظِيمٍ من كَتَامَةِ والجند والبربر ؛ فأمرهُ المعزُّ بالاستعداد والخروج إلى مصر. فأقام بقصر الماء بالقرب من المنصورية ليجتمع إليه الحشود ؛ وفتح المعز بيت المال ووضَعَ العطاء. وحَشَدَ من إفريقية من الكتامين والزويليين والجند والبربر ، وأعطى من مائة دينارٍ إلى عشرين ديناراً حتى عمَّهم بالعطاء ، وتصرفوا في القيروان وصره في ابتياع ما يحتاجون إليه ، ثم أمر المعزُّ بالرحيل ، فرحل في يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول منها . وفارقه خمسمائة فارس من البربر ، فجرَّد خلفَهُم عِدَّةً من الوجوه فلم يَرْجِعُوا ؛ فقال المعز : الله أكرمُ أن ينصرنا بالبربر ، ثم سار جوهر بجميع مَنْ معه من العساكر ، ومعه ألف حمل من المال ، ومن السلاح والعُدَد والكراع ما لا يوصف ، وأغذَّ السير حتى أقبل على الديار المصرية .

[٣٩] ذكر خبر وصول جوهر القائد بالعساكر إلى

الديار المصرية

وما كان بينه وبين الإخشيدية والكافورية من المراسلة في طلب

الآمان وتقريره الصلح

ونكثهم وقتاله إياهم إلى أن ملك الديار المصرية واختط القاهرة .

قال ابن جلب (١) راغب في تاريخ مصر : وفي جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة وردت الأخبار إلى مصر بقدم القائد جوهر ، فاضطرب المصريون لذلك اضطراباً شديداً ، ووقع اتفاقُ أرباب الدولة بحضرة الوزير جعفر بن الفضل على مُراسلته في الصلح وطلب الأمان ، وإقرارِ ضياعهم وأعمالهم في أيديهم . فراسلوه في ذلك واشترط تحرير سويران (٢) ألا يجتمع مع القائدِ جوهر ، وأن يكون له الأشمونين إقطاعاً ، وتقلد مكة والمدينة ، ويتوجه فيقيم بالحجاز ، وسألوا الشريف أبا جعفر مُسلم الحسني في المسير برسالتهم إلى جوهر ، فأجابهم ، وشرط أن يكون معه جماعة من الأعيان ، فجهزوا معه أبا إسماعيل إبراهيم بن أحمد الزيني ، وأبا الطيب العباس بن أحمد العباسي والقاضي أبا طاهر ، وغيرهم . وكتب الوزير كتاباً بما يُريد . وسار أبو جعفر بمن معه في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب من السنة ، وقيل لليلة بقيت منه ، فلقي القائد جوهرًا قد نزل بتوجهه فاجتمعوا به فبالغ القائد في إكرام الشريف ، وأدى الشريف إليه الرسالة وأعطاه كتب الجماعة ، وعرفه ما التمسوه ، فأجابهم إلى ذلك ، وكتب كتاباً بالأمان نسخته .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتابٌ من جوهر الكاتب ، عبد أمير

(١) هو محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب . المعروف بابن ميسر ، والمتوفى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م — المنهل الصافي .

وكتابه : أخبار مصر ، نشر حديثاً بالقاهرة بتحقيق أمين فزاد سيد ، وصدر عن المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٨٦ بعنوان : المنتقى من أخبار مصر .

وسوف نشير إلى ما يوجد في هذه الطبعة في هذا الجزء من نهاية الأرب .

(٢) « تحرير الشوزباني » في وفيات الأعيان — في ترجمة جوهر — ج ١ ص ٣٧٨ . « ابن الشوزباني » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٠ .

المؤمنين المعزّلين الله صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر من الساكنين بها
ويغيرها (١) .

إنه قد ورد من سألتموه الترسّل إلى والاجتماع معي ، وهم (٢) : أبو جعفر
الشريف أطال الله بقاءه ، وأبو طاهر إسماعيل الرئيس (٣) ، أيده الله ،
وأبو الطيب الهاشمي ، أيده الله . والقاضي أبو طاهر (٤) أعزه الله ، وأبو جعفر
أحمد بن نصر أعزه الله .

فذكروا عنكم أنكم التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم
وأموالكم ، وبلائكم ونعمكم (٥) وجميع أحوالكم ؛ فعرفتهم ما تقدّم به أمر
مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، من نصّره لكم (٦) .

لتحمدوا الله (٧) تعالى على ما أولاكم وتحمّدوه على ما جباكم (٨) ،
ولتذّبوا (٩) فيما يلزمكم ، وتُسارِعُوا للطاعة (١٠) العاصمة لكم ، العائدة
بالسعادة عليكم ، المقضية بالسلامة لكم (١١) ، وهو أنه صلوات الله عليه ،

(١) « أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ، ومن غيرهم » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) « وهو » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا ، ويتفق مع السياق .

(٣) « الرسي » في اتعاظ الحنفا .

(٤) « أبو طاهر » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٥) « ونعمكم » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٦) « وحسن نظره لكم » في اتعاظ الحنفا .

(٧) « فلتحمدوا الله » في اتعاظ الحنفا .

(٨) « وتشكروه على ما حاكم » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « وقد أهبوا » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « إلى طاعته » في اتعاظ الحنفا .

(١١) « العائدة بالسلامة لكم ، وبالسعادة عليكم » في اتعاظ الحنفا .

لم يكن إخراج هذه العساكر ^(١) المنصورة ، والجيوش المظفرة ، إلا لما فيه
 إعزازكم وجمائتكم ، والجهاد عنكم ؛ إذ قد تحفظتكم ^(٢) الأيدي ،
 واستطال عليكم المشرك ^(٣) ، وأطمعته نفسه بالاعتدار على بلادكم ^(٤)
 [في هذه السنة ، والتغلب عليه ، وأسر من فيه] ^(٥) والاحتواء ^(٦) على
 نعمكم وأموالكم ، حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكد
 عزمه واشتد كلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ،
 بإخراج العساكر المنصورة وبإفادته الجيوش المظفرة لتقاتله ^(٧) دونكم ،
 ومجاهدة ^(٨) عنكم وعن كافة المسلمين ببلد المشرق ، الذين عمهم الخزي ،
 وعلتهم ^(٩) الذلة ، واكتفتهم المصائب ، وتابعت لديهم ^(١٠) الررايا ،
 واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم ، وعظم ضجيجهم ، وعلأ
 صياحهم ^(١١) ، ولم يغنهم ^(١٢) إلا من أرمضه ^(١٣) حالهم ، وأبكى عنه ما
 نألهم ، وأسهره ما حل بهم ، وهو مولانا وسيدنا [فرجاً بفضل الله ،

(١) « للعساكر » في اتعاظ الحنفا ص ١٠٤ .

(٢) « تحفظتكم » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا .

(٣) « المستدل » في اتعاظ الحنفا .

(٤) « بلدكم » في اتعاظ الحنفا .

(٥) [إضافة من اتعاظ الحنفا .

(٦) « والاحتيا » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا .

(٧) « لتقاتله » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٨) « ومجاهدته » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « وشملتهم » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « لديهم » ساقط من اتعاظ الحنفا .

(١١) « صراخهم » في اتعاظ الحنفا .

(١٢) « فلم يغنهم » في اتعاظ الحنفا .

(١٣) « إلا من أرمضه أمرهم ، ومضه حالهم » في اتعاظ الحنفا .

(١٤) « وأسهرها » في اتعاظ الحنفا .

وإحسانه لديه ، وما عوّده وأرجاه عليه ، استتقّادَ من أصبح منهم في ذلّ مقيم ، وعذاب اليم]^(١) أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، وأن يؤمن من استولى عليه المهل^(٢) ويفرخ روع من لم يزل في خوفٍ ووجل . وأثر إقامة الحجّ الذي تعطّل ، وأهمّل العبادُ فروضه وحقوقه ، للخوف^(٣) المستولى عليهم ، و [إذ]^(٤) لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، [و]^(٥) إذ قد وقع^(٦) بهم مرّة بعد أخرى ، فسقطت دماؤهم .
وأطال جوهر في كتابه^(٧) ، وحضهم على الطاعة ، وأشهد عليه الشهود فيه ، وخلع على الجماعة ، وحملهم .

قال : ولما توجه الشريف ومن معه إلى القائد جوهر ، اضطرب بعده البلدُ اضطراباً شديداً ، وأخذت الإحشدية والكافورية في إخراج مضاريهم ، وقام رجل من أهل بغداد ، يعرف بابن شعبان ، يوم الجمعة في المسجد قبل الصلاة فقال : أيها الناس قد أظلكم من أخرب فارس وسبى أهلها ، وذكر ما حلّ بأهل بلاد المغرب منه ، وقال : القوا الرجل القليل المعرفة ، يعني الوزير جعفر ابن حنترابة ، فإنه قد شرع في إتلاف بلدكم وسقك دمائكم بمراسلة هذا الرجل ، يعني القائد جوهرًا ، فسمع الناس كلامه ،

(١) [إضافة من اتعاط الحنفا .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي اتعاط الحنفا ، ورجح محقق اتعاط الحنفا أن تكون « الوهل » بمعنى

الفرع .

(٣) « لحوف » في اتعاط الحنفا .

(٤) [إضافة من اتعاط الحنفا .

(٥) [إضافة من اتعاط الحنفا .

(٦) « أوقع » في اتعاط الحنفا .

(٧) انظر بقية الكتاب في اتعاط الحنفا ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٧ .

ورجعوا عما سألوهُ من الأمان . وبلغ الشريفَ وَمَنْ معه انتقاضُ الإخشيديةِ والكافوريةِ ، وعزمُهُم على القتال ، فكتموه عن القائد جوهر حوقاً أن يعقلهم ، وبأدروا [٤٠] بالعود وساروا . فبلغَ القائدُ ذلك بعد رحيلهم ، فردَّهُم ، وقال : قد بلغني أن القومَ قد نقضوا ورجعوا ، فردُّوا على خطي فرفقوا به وداروه ، وقالوا : إذا يُظْفِرُك الله وينصرك . فقال للقاضي : ما تقولُ فيمن أراد [أن] (١) يشقَ مدينةَ مصرَ فيجعلها طريقاً لجهادِ المشركين والحجِّ إلى بيت الله الحرام ؟ فنعوه ، من الجوازِ له أن يقابلهم . فقال : نعم ، اكتب خطك بذلك (٢) .

ثم سار الشريف وَمَنْ معه إلى مصر فوصلوها لسبعِ خَلَوْنٍ من شعبان ، فركب الوزيرُ والناسُ إليهم ، واجتمع الإخشيديةُ والكافوريةُ وغيرهم ، فقرأ عليهم السَّجَل الذي كتبه القائد ، وأوصل إلى كلِّ واحدٍ جوابَ كتابه بما أراد من الأمان والولاية والإقطاع . فلما قرءوا الكتب خاطبوا الشريفَ بخطابٍ طويلٍ ؛ فقال نحرير ما بيننا وبينه إلا السيفُ فقدَّموا عليهم نحرير سويران ، وعبأوا عساكرهم ، وعدَّوا إلى الجيزةِ والجزيرةِ ، وحفظوا الجسور .

ووصل جَوْهَر ، وابتدأ القتالَ بيْنهم في حادى عشر شعبان . ثم مضى القائدُ جوهر بعدَ ذلك إلى مَنِيَةِ الصيادين (٣) ، وأخذَ المحاضرةَ بمَنِيَةِ شلقان واستأمنَ إليه جماعةٌ من أهل مصر وغلمانهم في مراكب ، ووقعَ القتال ،

(١) [إضافة تتفق وسياق الكلام .

(٢) « فقال : ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضى إلى الجهاد لقتال الروم فتمنع . أليس له قتالهم ؟ ، فقال له القاضي : نعم ، فقال : وحلال قتالهم ؟ ، قال : نعم » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) منية الصيادين : من القرى القديمة ، وهي حالياً جزء من وراق الحضر ، التابعة لمركز إمبابة بمحافظة الجيزة — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٦٥ .

وزحف جعفر بن فلاح ، بالرجال ، وقاتل عساكر مصر ، ووقع القتل في الإخشيدية والكافورية فانهزموا ليلاً ودخلوا مصر وأخذوا ما في دويرهم ، وساروا إلى الشام .

قال : ولما انهزم ركب الناس إلى دار الشريف أبي (١) جعفر مسلم وسأله كتاباً إلى القائد جوهر بإعادة الأمان عليهم ؛ فكتب كتاباً إليه يهته بالفتح ، وسأله إعادة الأمان للمصريين ؛ فكتب القائد أماناً وبعثه إلى الشريف ، فقرأه على الناس ، وهو :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وصل كتاب الشريف ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وتمكينه (٢) ، يهتئ بما هياه الله (٣) من الفتح المبارك (٤) ، وهو ، أيده الله ، المهناً بذلك لأنها دولته ودولة أهله ، وهو المخصوص بذلك (٥) وأما ما سأل من الأمان وإعادة الأمان الأول ، فقد أعيد إليه ما طلب ، وجعلت إليه عن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، أن يؤمن الناس كيف شاء بما شاء (٦) . وقد كتبت إلى الوزير ، أيده الله ، بالاحتياط على بيوت (٧) الهاربين إلى أن يدخلوا في الطاعة ، وما دخلت فيه

(١) « ابن » في الأصل ، والتصحيح مما سبق .

(٢) « وعوله » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٠ .

(٣) « وهو المهناً بما هنا به » في اتعاظ الحنفا .

(٤) « الميمون » في اتعاظ الحنفا .

(٥) « ساقط من اتعاظ الحنفا .

(٦) « فوقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدته على حاله ، وجعلت إلى الشريف - أعزه الله - أن يؤمن كيف رأى وكيف أحب - ويزيد على ما كتبه كيف يشاء ، فهو أمانى ، وعن إذنى وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٠ .

(٧) « دور » في اتعاظ الحنفا .

الجماعة^(١) ، ويعمل الشريف أيده الله ، على لقاء في يوم الأحد لأربع عشرة ليلة تخلو من شعبان^(٢) بجماعة الأشراف والعلماء والثناء ، وأهل البلدان إن شاء الله تعالى .

فقرأ الشريف الكتاب على الناس وسكنهم وهدأهم ، ففتحوا البلد ، وأخذ الناس في التجهُّز إلى لقاء القائد جوهر ، وقتل نحرير وميسر وبلال ويمين الطويل . وجيء برءوسهم إلى القائد .

قال : وخرج الناس إلى الحيزة والتَّقَوَّا القائد ، فنادى منادٍ ينزل النَّاسُ كُلَّهُم إلا الشريف والوزير ، ففعلوا ذلك ، وسلَّموا عليه واحداً واحداً ، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرفه بالناس ، والشريف أبو جعفر مسلم عن يمينه ، وأبو الفضل الوزير عن يساره .

فلما فرغ السلام انصرف الناس ، وابتدأ العسكر في الدُّخُول منذ زوال الشمس . فعبروا الجسر بالدُّرُوع والجواشن^(٣) ، ودخل القائد جوهر إلى المدينة بعد العصر من يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان ، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . والبنود والظُّبُول بين يديه ، ونزل الموضع الذي اختط فيه القاهرة واختط القصر .

(١) « إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ، ويدخلوا فيها دخلت فيه الجماعة » في اعطاء الحنفا .

(٢) « في يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان » في اعطاء الحنفا ج ١ ص ١١٠ .

والمرجع ما أورده النويري . فقد اتفقت المصادر على أن دخول جوهر إلى المدينة

« بعد العصر من يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان » انظر ما يلي .

(٣) الجواشن — الجواشن : مثل الزرد يلبس على الظهر ، ولكنه يتكون من حلقات تتداخل فيما

صفائح رقيقة . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٤) البنود : جمع بند — فارسي معرب ، وهو العلم الكبير ، ويذكر ابن خلكان أن هذا البند كان

أبيض اللون — صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٩ . وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٩ .

وأصبح المصريون حضروا إليه للهناء ، فوجدوه قد حفر أساس القصر في تلك الليلة . قال : ولم يكن في المكان عمارة البتة إلا بستان كافور . ولم يزل هذا البستان على حالته إلى سنة خمس وأربعين وستائة فعمر مكانه مساكن وهو الخط الذي يُعرف الآن بالكافوري^(١) .

قال صاحب كتاب خطط^(٢) مصر : لما دخل جوهر القائد واختط القاهرة قرّر كل جانب منها على أمير من أمراء عسكره وأرصدته لبناء تلك^(٣) الحارة حسبا أمره المعز لدين الله فسميت كل حارة باسم مقدمها أو الطائفة التي نزلت بها . وابتدأ بالعمارة في شهر رمضان من السنة^(٤) .

قال المؤرخ : ودخل القائد جوهر مصر ، وبين يديه ألف ومائتا صندوق مالا^(٥) ، وأقام عسكره يدخل سبعة أيام . وبعث إلى مولاه المعز لدين الله يبشّره بالفتح .

قال : ولما دخل القائد مصر كان الغلاء بها ، فنادى مناديه : مَنْ عِنْدَهُ قح فليُخرجهُ . وفرّق الصدقات على الناس ، وأقرّ أبا الفضل على الوزارة ،

(١) بستان الكافوري : أنشأه الأمير محمد بن طنج الإخشيد ، فلما جاء جوهر إلى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة ، وعرف ببستان كافور ، ثم اختط مساكن بعد ذلك - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) هو أحمد علي بن عبد القادر ، تقي الدين المقرئ ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م - وصاحب كتاب : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

(٣) « ذلك » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٤) انظر ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

(٥) « ويقال إن المال كان في ألف وخمسمائة صندوق » - اتعاظ المنفا ج ١ ص ١١١ .

وجهز جعفر^(١) بن فلاح إلى الشام .

ذكر إقامة الخطبة ، وضرب السكة بمصر ، [٤١]

للمعز لدين الله وما قيل في الدعاء له

على المنبر ، وما نقش على السكة

وفي يوم الجمعة لعشرِ بَقِينٍ من شعبان من السنة ركب القائدُ جوهر إلى المسجد الجامع العتيق^(٢) لصلاة الجمعة ، ولإقامة الدعوة . في عسكرٍ كثير . وخطب هبةُ الله بن أحمد خليفةَ عبد السميع بن عمير العباسي ، لغيبة عبد السميع . فخطب وعليه البياض ، ودعا للمعز لدين الله . وقال في دُعائه في الخطبة الثانية :

اللهم صلِّ على عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ ، ثمرة الثبوة ، وسليل العترة الهاديّة المهدية ، عبد الله الإمام معدّ أبي تميم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، كما صلّيت على آباؤه الطاهرين وأسلافه المُنتخبين^(٣) ، الأئمة الراشدين . اللهم ارفع درجته ، وأعلِّ كلمته ، وأوضِحْ حُجَّته ، واجمَعِ الأُمَّةَ على طاعته . والقلوبَ على مُؤَالَاتِهِ [وصحبته]^(٤) ، واجعل الرِّشادَ في مُوافقتِهِ ، وورثته مشارقَ الأرضِ ومغاربها ، وأَحْمِدُهُ مبادئَ الأمورِ وعواقبها ، فإنك تقولُ وقولُك

(١) هو جعفر بن فلاح الكتامي ، أبو علي ، أحد قواد المعز ، قتل على يد القرامطة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م - وفیات الأعيان ج ١ ص ٣٦١ رقم ١٢٨ ، الإشارة ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) « المنتخبين » ساقط من اتعاط الحنفا ج ١ ص ١١٤ .

(٤) [] إضافة من اتعاط الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

الحق ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
 الصَّالِحُونَ﴾ (١) فلقد امتعض (٢) لدينك ، ولما انتهك من حرمتك (٣) ،
 ودرَس من الجهاد في سبيلك ، وانقطع من الحجِّ إلى بيتك ، وزيارَةِ قبرِ
 رسولك صلى الله عليه [وسلم] (٤) وأعدَّ للجهاد (٥) عُدَّتَه ، وأخذ لكل
 خطيبٍ أُهْبِتَه فسِيرَ الجيوشَ لِتَصْرِكِ (٦) ، وأنفقَ الأموالَ في طَاعَتِكَ ، وبَدَلَ
 المجهودِ في رضاك ، فارتَدَعَ الجاهلُ ، وقَصُرَ المُتَطَاوِلُ ، وظَهَرَ الحقُّ وزَهَقَ
 الباطلُ . فانصُرَ اللَّهُمَّ جُيُوشَه التي سَيَّرَهَا ، وسراياَه التي ائْتَدَبَهَا لِقِتَالِ المُشْرِكِينَ
 [وجهادِ الملحدِينَ ، والذَّبِ عن المسلمين ، وعمارةِ الثغورِ والحرمِ] (٧) وإزَالَةَ
 الظُّلْمِ وَالنُّهْمِ (٨) ، وَيَسْطِطِ العَدْلُ في الأُمَمِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَايَاتِهِ عَالِيَةً
 مَنْشُورَةً ، وعَسَاكِرَهُ مُؤَيَّدَةً مَنْشُورَةً ، وَأَصْلِحْ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ ، واجْعَلْ لَنَا مِنْهُ
 وَاقِيَةً عَلَيْهِ .

وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ عَلَى الدَّنَانِيرِ ، وَكَانَ عَلَى الْوَجْهِ الْوَاحِدِ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلَى خَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، وَوَزِيرُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ ، مُحَمَّدٌ
 رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(١) سورة الأنبياء رقم ٢١ آية ١٠٥ .

(٢) « فقد امتعض » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

(٣) « حريمك » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا .

(٤) [إضافة من اتعاظ الحنفا .

(٥) « فأعد للجهاد » في اتعاظ الحنفا .

(٦) « لتصرتك » في اتعاظ الحنفا .

(٧) [إضافة من اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١١٥ .

(٨) « والتهم والتهم » في اتعاظ الحنفا .

(٩) « مشهورة » في اتعاظ الحنفا .

(١٠) « وعساكره غالبية منصوره » في اتعاظ الحنفا

المُشْرِكَونَ^(١) . وعلى الوجه الآخر دعاء الإمام معدّ ، لتوحيد^(٢) الإله الضمّد ، المعزّ لدين الله ، أمير المؤمنين . ضرب بمصر في سنة ثمان وخمسين [وثلاثمائة]^(٣) .

قال : وأشركَ القائدُ جوهر في الدّواوين المصريّين والمعّاربة ، فجعل في كلِّ مكانٍ مصريّاً ومغربيّاً .

وفي ذى الحجّة من السنة تكامل بمصر من الإخشيدية وقوادهم خمسةُ آلاف فارس استأمنوا للقائد جوهر ، وفيهم أربعة عشر رئيساً فأمنهم ، ثم قبض عليهم واعتقلهم ، ثم سيّرهم إلى المعزّ بإفريقية .

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، في يوم الجمعة لثمانٍ خلون من شهر ربيع الآخر^(٤) ، صلّى القائدُ جوهر في جامع ابن طولون وأذن « حتى على خير العمل » . وهو أول ما أُذّن به بمصر ، ثم أُذّن بذلك بالجامع العتيق بمصر في الجمعة الثانية .

(١) يوجد اختلاف في ترتيب العبارات السابقة في اتعاظ المنفا جـ ١ ص ١١٦

(٢) «بتوحيد» في اتعاظ المنفا .

(٣) [] إضافة من اتعاظ المنفا .

(٤) « من جمادى الأولى » في اتعاظ المنفا جـ ١ ص ١٢٠ ، الكامل جـ ٨ ص ٥٩٠ ، كنز الدرر جـ ٦ ص ١٢٥ ، أخبار الدول ص ٢٣ - ٢٤ .
وعن ذكر الأذان بمصر انظر المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٦٩ .

ذكر خروج تبر الإخشيدي والقبض عليه

وفي شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ثار تبر الإخشيدي^(١) بناحية أسفل الأرض ، ودعا للخليفة المطيع لله ، وكتب اسمه على البنود ، فرأسله جوهراً ، فلم يقبل ؛ وكان معه أبو القاسم العلوي الأقطيني . فأنفذ القائد جوهراً العساكر لقتاله براً وبحراً ، وكان قد كبس صهرجت^(٢) ونهبها ، فأمر القائد بنهب دوره بمصر . وقبض على صهره فأغار تبر ، ونهب ضياعاً . فوافته العساكر بصهرجت ، فانهزم إلى تنيس ، وركب البحر الملح يريد الشام ، ثم إلى الروم ، فأنفذ القائد جوهراً أسطولا خلفه . فلما بلغ صور^(٣) دخل بها الحمام ، فقبض عليه وجماعة من أتباعه وغلمانها ، وذلك في شهر رمضان منها ، وحمل إلى مصر ، فقدمها لأربع عشرة ليلة خلت من شوال ، فأدخل على فيل وبين يديه رجل وخلفه رجل ، وغلامه عجيب على جمل خلفه ، ومعه قرد ، وخلفه غلامه سرور على جمل ، وجماعته على جمل منكبسي الرؤوس ، ثم اعتقلوا واستصفي القائد أمواله وودائعها ، وطولب بالأموال ، فلما اشتد عليه الطلب جرح نفسه فمات بعد أيام فسلخ جلده وحشى تيناً وُصَلب جلده ، وضرب شلوه (٤) .

(١) عن تبر الإخشيدي انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٣ .

(٢) صهرجت : من القرى القديمة التابعة لمحافظة الدقهلية ، بالقرب من ميت غمر ، فهناك صهرجت الصغرى تابعة لمركز أجا ، وصهرجت الكبرى تابعة لمركز ميت غمر — القاموس الجغرافي ق ٢ ص ١٧٣ ، ص ٢٥٧ .

(٣) صور : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره راء ، مدينة مشهورة ، على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، تقع حالياً جنوب لبنان — معجم البلدان .

(٤) شلو = أشلاء : عضو — أعضاء ، شلو الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرك — القاموس .

ذكر فتوح الشام

[٤٢] قد ذكرنا أن القائد جوهرًا جهّز جعفر بن فلاح إلى الشام بالعساكر في سنة ثمانٍ وخمسينٍ وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبد الله بن طُغج بالرّملة ، وهو يومئذ صاحب الشام ، فهزّمه جعفر بن فلاح وأسرّه ، وبعث به إلى مصر ، ثمّ سار إلى دمشق فملكها في سنة تسعٍ وخمسين بعد حربٍ شديدةٍ . فكتب إلى القائد جوهر بالفتح ، واستأذنه في المسير إلى غزو أنطاكية^(١) ، فأذن له القائد فسار نحوها في نحو عشرين ألف فارس . فأقام مدةً وكثرت جموعه وعساكره وانبسطت يده ، ودانت له البلاد ، فحاصر أنطاكية مدة إلى أن اتّصل به مسير مدد الروم إليها ، فعاد عنها إلى دمشق (٤)

(١) استولى البيزنطيون على أنطاكية في ذى الحجة ٣٥٨ هـ / أكتوبر ٩٦٩ م ، وذكر ابن الأثير أن استيلاء البيزنطيين على أنطاكية كان في المحرم ٣٥٩ هـ - الكامل ج ٨ ص ٦٠٣ .
 (٢) ورد في اتعاظ الخنفا « فلما كان في ربيع الأول سنة ستين أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر إلى أنطاكية وكان لها في أيدي الروم نحو من ثلاث سنين وبعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية ... وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره »
 وهكذا يؤكد المقرئ أن جعفر بن فلاح لم يسر بنفسه إلى أنطاكية - اتعاظ الخنفا ج ١ ص ١٢٦ ، انظر أيضًا كنز الدرر ج ١ ص ١٣٣ .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة وصل الحسن الأعصم^(٢) القرمطي إلى دمشق . وقيل إنه إنما قدم بأمر الخليفة المطيع فخرج إليه جعفر بن فلاح وقاتله ، وكان عليلاً فقتل وانهمز أصحابه ونُصب رأسه على دمشق .

وملك القرمطي^(١) دمشق والشام ، وسار إلى الرملة فانحاز عنه سعادة بن حيان^(٣) إلى يافا وتحصن بها ، فسار إليه وحاربه ، ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقاً^(٤) ، وبني عليه باباً كبيراً ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الإخشيدى ، وبني عليه بابين آخرين ، وبني القنطرة على الخليج ، وجعلها ممراً لمن يريد المقس^(٥) .

(١) « في هذه السنة في ذى القعدة » الكامل ج ٨ ص ٦١٤ .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن بهرام القرمطي ، المعروف بالأعصم - الكامل ج ٨ ص ٦١٥ . وورد ذكره في الأصل في عدة مواضع بصور مختلفة . مثل : الأعصم ، الأغصم - انظر أيضاً اتعاظ المنفا ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) كان سعادة بن حيان والياً على الرملة من قبل جوهر الصقلي منذ شوال ٣٦٠ هـ - اتعاظ المنفا ج ١ ص ١٢٨ ، كنز الدرر ج ٦ ص ١٣٥ .

(٤) سماه المقرئ « خندق السرى بن الحكم » المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٥) المقس : قرية قديمة على شاطئ النيل ، كانت تسمى أم ذنين ، وعندما أنشئت القاهرة كان المقس خارج السور ، وعندما أدار صلاح الدين السور على مصر والقاهرة جعل نهاية السور التي تلي القاهرة عند المقس - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢١ وما بعدها .

وكاد القرمطى يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب عليم^(١) ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مالٍ فحملوه إليه ، وأخذ عاملها عبد الله بن يوسف ، وفيل إنه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضة والسلاح ، سوى ما تحمل المضارب والخيام والأثقال^(٢) .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضاً بنى جوهر سوراً على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلدًا سماها المنصورية ، ولما استقرَّ المعز سماًها القاهرة .

وفي سنة إحدى وستين وستائة ، في المحرم ، كبس ياروق الفرما وأخرج منها ابن العمر القرمطى ، وأرسل إلى مصر رؤوساً وأعلاماً وغير ذلك . وفي هذا الشهر عصى أهل تنيس وغيروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة ، وحاربوا ياروق . وفي صفر وصل ياروق منهزماً من القرامطة وهم في إثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس واستعدَّ القائد [جوهر]^(٣) ليلقائهم ، وأغلق الأبواب التي بناها .

وفي مُستهلِّ ربيع الأول جاءت مقدمة القرامطة ووقفوا على الخندق ،

(١) يذكر المقرئ أن القتال خارج الخندق استمر ثلاثة أيام من مستهل ربيع الأول ٣٦١ هـ ، وفي اليوم الثالث « اقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه خلق كثير ، وانهمز الأعمس ونهب سواده » اتعاظ الخنفا ج ١ ص ١٣٠ .

أما ابن أبيك فيقول : « ودام القتال والمحاصرة ثلاثة أشهر ، ثم أن القرمطى رحل بغير سبب ، ولا علم له خبر » كثر الدرر ج ٦ ص ١٤٣ . وانظر ما يلي :

(٢) ورد نفس المعنى في أخبار الدول المنقطة ص ٢٥ .

(٣) [] إضافة للتوضيح .

فقاتلهم القائد ، واشتدَّ القتال ، وقُتِل من الفريقين قتلى كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال . وسار الأعصم القرمطى بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق والباب مُعَلَّق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فانهزم عن القرمطى ، ودام القتال إلى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانتصب للقتال ، وخرجت العبيد والمغاربة إلى القرامطة . واشتدَّ القتال واضطرب الناس في المدينة وكثرت القتلى من الفريقين . وانهزم الأعصم القرمطى ، وأراد المغاربة أتباعه فمنعهم ^(١) القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة أو كمين . ونهبت صناديق القرمطى ودفنوه ، وفارق القرمطى من كان معه من الإخشيدية والعرب . قيل : وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة ^(٢) .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بمددٍ معه من جهة المعز ، وهرب القرمطى الذي كان بتنيس وعادت الدعوة المعزية بها . وفي شهر ربيع الآخر قبض القائد على أربعائة وأربعين رجلاً من الإخشيدية والكافورية وقيدهم وحبسهم .

وفي شعبان منها وردَّ على القائد جوهر رسولٌ من ملك الروم ^(٣) برسالته

وهديته .

(١) « فمنعه » في الاصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) هذا تفصيل لما سبق أن أوردته النويرى ملخصاً ، فقد استولى القرامطة على دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح في ذى القعدة ٣٦٠ هـ ، ثم تقدموا في اتجاه القاهرة فكانت هذه الواقعة في ربيع الأول ٣٦٢ هـ — انظر ما سبق .

(٣) المقصود الامبراطور البيزنطى ، وهو في ذلك الوقت الامبراطور حنا الشمشقيق (يوحنا ترميسكس) والذي ولي العرش البيزنطى في الفترة من ٩٦٩ - ٩٧٦ م — انظر مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربى ، الامبراطور يوحنا ترميسكس وسياسته الشرقية ص

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة .

وفي سؤال منها ابتداء القائد جوهر يحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن ابن جحدم^(١) ، خليفة عبد الله بن الزبير ، حفره قبلي^(٢) مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الإمام الشافعي رحمه الله ، فعدل به عنه ، ثم شقه مشرقاً إلى الجبل على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الحج من ناحية القلزم .

وفي ذى القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار إلى تيس ، فسار إليه أسطول القرامطة فواقعه وأسره منه سبع مراكب ، وسيرها إلى مصر ومعها خمسمائة رجل منهم^(٣) .

ذكر خروج المعز لدين الله من بلاد الغرب إلى الديار المصرية [٤٣] ومارتبه ببلاد المغرب قبل مسيره

وفي يوم الاثنين لثمانين بقين من سؤال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، رحل

(١) « بن محدر » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الولاية والقضاة ص ٤١ .

وهو عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ، ولي مصر من قبل عبد الله بن الزبير فدخلها في شعبان

٦٤ هـ / ٦٨٣ م ، وذلك مدة تسعة أشهر — الولاية والقضاة ص ٤١ وما بعدها

(٢) كان الغرض من هذا الخندق أن يخندق به على الفسطاط في مواجهة الغزو الأموي — الولاية والقضاة ص ٤٢ .

(٣) « فواقهم وأسره منهم سبع مراكب وسيرهم إلى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم » في الأصل ، وتصحيح الضمان يتفق والسياق .

المعز لدين الله من المنصورية إلى سيردانية^(١) ومعه يوسف بن زيري^(٢) بن مناد فسلم إليه إفريقية وأعمالها وسائر أعمال المغرب ، وذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة منها ، وأمر الناس بالسمع والطاعة له ، وفوض إليه أمور البلاد كلها إلا بلاد جزيرة صقلية وطرابلس . وأقام المعز بسردانية أربعة أشهر ، ورحل منها لخمس خلون من صفر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وسار حتى أتى قابس ، ثم وصل إلى طرابلس فأقام بها أياماً ، ورحل منها في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر منها ، وسار فوصل إلى الإسكندرية في يوم الجمعة لست خلون من^(٣) شعبان، ونزل تحت المنار ، وأنزل الناس حولها ، وأتاه أهلها فسلموا عليه ، ووافى يوم الأحد أبو طاهر^(٤) قاضي مصر ، ومعه العُدول وقدم أبو عبد الرحمن بن أبي الأعز في بني عمه وغيرهم من العرب ، فركب لهم المعز فسلموا عليه وانصرفوا .

ثم رحل من الإسكندرية يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان . فلما

(١) سردانية : منتزه فيه ثمار عظيمة بالقرب من مدينة جلولاء التي تبعد نحو ٢٤ كم من القيروان - المغرب ص ٣٢ .

(٢) هو يوسف بلكين بن زيري ، رئيس بربر صنهاجة ، والى الفاطميين على القيروان منذ سنة ٣٦١ هـ - ٩٧٢ م ، والذي أعلن استقلاله عن الفاطميين ، وأسس دولة بني زيري - توفي

سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٧ - ٤٨

وقد ترجم له ابن خلكان باسم « بلكين بن زيري » - وفيات الأعيان ج ١ ص

٢٨٦ رقم ١١٩ .

(٣) « لست بقين من شعبان » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٣٤ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص

٢٢٧ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن نجير ، أبو الطاهر الذهلي ، ولي قضاء مصر منذ

عهد كافور سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م - وحتى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وتوفي في السنة

التالية - ذيل كتاب الولاة والقضاة ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٨١ وما بعدها .

كان يومُ السَّبْتِ لليلتين خلَّتَا من شهر رمضان نزل المنية بساحل مصر ، وهي بُولاق ، فأقام بها إلى يوم الاثنين ؛ وخرج إليه الشريف أبو جعفر مُسلم الحسنى قبل وُصُوله في جَمَاعَةِ الأَشْرَافِ وُجُوهَ البلد ، فرأى المعزَّ وهو سائرٌ والمظلةُ على رأسه ، فنادى منادٍ : يتقدَّمُ الشَّريفُ أوَّلَ الناسِ ، فتقدَّمَ وسلَّم على المعز . ثم تقدَّم النَّاسُ كُلُّهم وسلَّموا عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغوا ، وهو واقف على دابَّته ؛ ثم سارَ والشريف يجادته .

قال : وأخذ الناس في التَّعدية بعيالهم وأنقأهم في هذه الأيام إلى ساحل مصر ، وتفرق النَّاسُ في الدَّورِ بمصرَ والقاهرة ، وأكثرهم في المضارب فيما^(١) بين القاهرة ومصر .

ثم عبرَ المعزُّ لدين الله إلى القاهرة يوم الثلاثاء لخمسِ خلونٍ^(٢) من شهر رمضان ، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، ولم يدخل إلى مصر ودخل إلى قصره . فلما انتهى إلى الإيوان الكبير خرَّ ساجدًا لله تعالى ، وجلس على سرير الجَوْهر الذي صنعه له القائدُ جوهر ، وقبِلَ الهناء ، ومدحه الشعراء . قال : وكان تلقَّى القائدُ جوهر له عند جَوَازِهِ من الجسرِ الثَّانِي ، فكانت مُدَّةَ تدبيرِ جوهر الديار المصرية إلى أن قدم المعز ، أربع سنين وعشرين يومًا .

(١) « فيمان » في الأصل .

(٢) « لسبع خلون » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٣٤ .
ويتفق ابن خلكان مع النويري في أن دخول المعز إلى القاهرة كان لخمسِ خلونٍ من شهر رمضان - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٣) « سرير الذهب » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٣٦ .
والمقصود العرش .

وحكى بعض المؤرخين أنه لما وصل المعزٌ وخرج الأشراف للقائه ، قال له أبو [محمد]^(١) عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسيني ، من بينهم يامولانا ، إلى مَنْ تتسب ؟ فقال المعزٌ : سنقعدُ لكم ونجمعُكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما استقرَّ في قصره جمعَ النَّاسَ في مجلسٍ عامٍّ وقال : هل بقي من جماعتِكُم أحدٌ ؟ فقالوا : لم يبق مِنَّا مُعْتَبَرٌ فَجَرَدَ عِنْدَ ذَلِكَ سيفه إلى نصفه وقال هَذَا نَسَبِي وَفَرَّقَ الْمَالَ وَقَالَ : هَذَا حَسَبِي . فقالوا : سمعنا وأطعنا . وكان الخليقُ بما قيل :

جَلَوْا صَارِمًا وَتَلَّوْا بَاطِلًا وَقَالُوا : صَدَقْنَا ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ !

وقال ابن جلب راغب في تاريخه : إنَّ المعزَ لَمَّا قَدِمَ صَعِدَ المنبرَ وخطبَ حُطْبَةً بليغةً ، وذكرَ نَسَبَهُ إلى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فكتب إليه بعض المصريين ورقةً ولصقها بالمنبر فيها :

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا يُتْلَى عَلَى الْبِنْتِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعَى^(٢) صَادِقًا فَاذْكَرْ أَبَا بَعْدِ الْأَبِ الرَّابِعِ

(١) [إضافة للتصحيح .

فهو عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسيني ، أبو محمد ، وقد توفي سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م . وقد ناقش ابن خلكان تناقض تاريخ وفاته ومقابلته للمعز ، ويقول : (إن صاحب هذه الرواية هو صاحب كتاب الدول المنقطعة ، ثم علل هذا التناقض بقوله : « ولعل صاحب الواقعة مع المعز ولده » واه أعلم أي ذلك كان) .

وفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٦ وما بعدها رقم ٣٤٢ ، الدول المنقطعة ص ٢٧ - ٢٨ .
ويذكر ابن أبيك « أن الشريف الذي جرى للمعز معه هذا السؤال هو أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني ، والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني الزينبي » . ثم يقول : « ولعل يكون صاحب هذه الواقعة بعض ولده » - كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٧ .

(٢) « فيها قلته » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ .

أَوْفَدَعَ^(١) الْأَنْسَابَ مُسْتَوْرَةً وَأَدْخَلَ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
أَوْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعَى صَادِقًا فَانْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ^(٢)

قال : وكان يتظاهرُ بذكر المآجرِ يات قبل وقوعها لاطلاعه على علم
التَّجَامَةِ وَلَكُنْتُ كَاتِبَ عِنْدَهُ يَسْتَدِلُّ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَصْرِيِّينَ وَرَقَّةٌ
وَطَرَحَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، فِيهَا :

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَفْرِ وَالْحَمَاقَةِ
إِنْ كُنْتَ أُوتِيَتْ^(٣) عِلْمٌ غَيْبٍ فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ الْبَطَاقَةِ^(٤)

وقال بعض المؤرخين : لما قدم المعزُّ إلى مصر أحضر معه توابيت آبائه .
وكان معه خمسة عشر ألف رجل تحمل صناديق الأموال والسلاح وغير
ذلك ، وكان معه مائة جمل تحملُ شَيْبَةَ الطَّوَّاحِينَ مِنَ الذَّهَبِ ، وَثَلَاثَةَ آلَافِ
جَمَلٍ عَلَى كُلِّ جَمَلٍ صُنْدُوقَانِ وَأَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةٌ بِخَتَى مَحْمَلَةٍ ، وَثَلَاثِمِائَةَ جَمَلٍ تَحْمِلُ
الْمُحْرَكَهَاتِ وَجَمَلَانِ يَحْمِلَانِ^(٥) الْإِكْسِيرَ الَّذِي يُصْنَعُ بِهِ الْكِيمِيَاءُ [٤٤]

(١) « أولادع » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧٣ .

(٢) المقصود الخليفة العباسي الطائع لله . أبو بكر عبد الكريم الذي ولي الخلافة العباسية في
الفترة من ٣٦٣ - ٣٨١ هـ / ٩٧٤ - ٩٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .
ويذكر ابن خلكان هذه الحادثة وهذه الأبيات في ترجمة العزيز بالله ، وكذلك ابن تقي
بردى - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) « إن كنت أعطيت » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٧ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧٤ .

(٤) يذكر ابن خلكان هذه الحادثة وهذه الأبيات في ترجمة العزيز بالله ، وكذلك ابن تقي
بردى - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

(٥) « تحمل » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

وثلاثة آلاف شينى وغراب^(١) فى البحر تحمل الموجود . ومن الرجال المقاتلة من قبيلة كتامة مائة ألف ، ومن البربر أربعون ألفاً ، ومن الروم ستون ألفاً ، وغير هؤلاء من قبائل العرب والمغاربة ، وهو مع ذلك شديد الخوف من القرمطى .

قال ابن زولاق^(٢) فى تاريخ مصر : ولما انقضى شهر رمضان ركب المعز لصلاة العيد وصلى بالناس ، وكان القاضى ابن النعمان يبلغ^(٣) عنه فى التكبير . وقرأ فى الأولى بعد الفاتحة « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ » ، وفى الثانية بعد الفاتحة بسورة الضحى ، ثم صعد المنبر وخطب بعد أن سلم على الناس يمينا وشيالا ، وذلك بالمصلى الذى بناه القائد جوهر^(٤)

قال : وأقام المعز بعد مقدمه أياما وعزل القائد جوهرًا من جميع ما كان إليه من النظر على الدواوين وجباية الأموال ، وتدبير الأمور ، وغير ذلك . والله أعلم^(٥) .

(١) شينى ، أو شافى ، أو شينية ، أو شونة : والجمع : شوانى : سفينة حربية كبيرة ، ومن أسمائها أيضا غراب : وجمعها أغربة . معجم السفن الإسلامية ص ٨٣ ، ص ١٠٤ .

(٢) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين المصرى ، ابن زولاق ، المؤرخ . صنف كتابا فى خطط مصر ، وكتابا فى أخبار قضاة مصر ، وتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٩١ رقم ١٦٧ .

(٦) هو على بن النعمان بن محمد بن حيون ، أشركه الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى قضاء مصر مع أبى طاهر الذهبى ، وتوفى القاضى على بن النعمان سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م . وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤١٧ وما بعدها .

(٤) المقصود الجامع الأزهر ، والذى كان يسمى أيضا جامع القاهرة . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٥) وذلك فى المحرم سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م . المتفق من أخبار مصر ص ١٦٣ .

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي له

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة أهمه أمر الأعصم القرمطي فرأى أن يكتب إليه كتاباً يُعلمه فيه أن المذهب واحد . وأن القرامطة [منهم] ^(١) استمدوا وهم سادتهم في هذا الأمر . وبهم وصلوا إلى هذه الرتبة ، فكتب إليه المعز كتاباً مشحوناً بالمواعظ وضمنه من أنواع الكفر ما لا يصدُر إلا عن مارقٍ من الدين .

كان عنوان الكتاب :

« من عبد الله وولَّيه ، وخبرته وصفيّه . معدّ أبي تميم بن إسماعيل ، المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل [على] ^(٢) أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد .

وأول الكتاب :

« رُسُومُ النطقاء ، ومذاهبُ الأئمة والأولياء ^(٣) ، ومسالكُ الرُّسل والأنبياء ^(٤) ، السالف منهم والآنف ^(٥) ، صلى الله علينا وعلى آباؤنا وأولى الأيدي والأبصار؛ في متقدّم الدهور والأكوار . وسالف الزمان والأعصار .

(١) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٨ .

(٢) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٤٩ . اتعاط الحنفا ج ١ ص ١٨٩ .

(٣) « والأنبياء » في كنز الدرر ، وفي اتعاط الحنفا .

(٤) « والأوصياء » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ ، اتعاط الحنفا . و « الأصفياء » في كنز الدرر .

(٥) « السالف والآنف منا » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ ، في كنز الدرر ، وفي اتعاط الحنفا .

(٦) « صلوات الله » في نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ ، وفي كنز الدرر ، وفي اتعاط الحنفا .

عند قيامهم بأحكام الله وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاؤ إلى الإنذار^(١) ، قبل نفاذ الإنذار^(٢) في أهل الشقاق والإصرار^(٣) ، ولتكون الحجّة على مَنْ خالف وعصى والعقوبة على من باينَ وغوى ، حَسْبَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٥) ، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٦) .

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جُملةً من مواعظ هذا الكتاب على ما نقف عليه هناك^(٧) . ومن جملة ما لم نذكره هناك .

أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةِ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ﴾^(٨) أَعْلَمُ ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٩) .

وحشاه بأنواعٍ من الكفر وخصّصه^(١١) على اقتفاء آثار آبائه وعمومته وموالاتهم ، فقال : إن آباءك كانوا أتباع آباي . ثم قال فيه بعد الإطالة : وكتابتنا هذا من فسطاطٍ مصر ، وقد جئناها على قدرٍ مقدور ، ووقتٍ

(١) « بالإنذار » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٢) « قبل إنفاذ الأقدار » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٣) « والآصار » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٤) « قال الله عز وجل » في كنز الدرر ، وفي اتعاظ الحنفا .

(٥) سورة الإسراء رقم ١٧ آية رقم ١٥ .

(٦) سورة فاطر رقم ٣٥ آية رقم ٢٤ .

(٧) انظر نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٨) « وإنا لـ ... » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٢ .

(٩) سورة الحمزة رقم ١٠٤ آية ٦ ، ٧ .

(١٠) سورة غافر رقم ٤٠ جزء من الآية ١٩ .

(١١) « وحظه » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق ، ومع ما جاء في أخبار الدول المنقطعة

مذكور ، لا نرفعُ قدمًا ولا نضعُ قدمًا إلا بعلمِ مصنوعٍ ، وعلمِ مجموعٍ ،
وأجلِ معلومٍ . ثم قال فيه : « وأما أنت أيها الغادر [الخائن] (١) التاكثُ
المُبَّيِّنُ (٢) عن هدى (٣) آبائه وأجداده ، المنسلخ من دين أسلافه
وأنداده ، المؤقَّد لِنارِ الفتنة ، الخارجُ عن الجماعة والسنة ، لم أُغْفَلْ أمرُك ،
ولا خَفِيَ علىَّ خبرُك ، وإنك مني بمنظرٍ وبمسمعٍ ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي
مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٤) ، ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
بَعِيًّا ﴾ (٥) فَعَرَّفْنَا عَلَى أَيِّ رَأْيٍ ضَلَلْتَ (٦) وَأَيِّ طَرِيقٍ سَلَكَتِ .

وقال في فصل منه : « إنا لسنا مُهْمِلِيكَ ولا مُمَهِّلِيكَ إِلَّا رِيثَمَا يَرِدُ بِهِ
كِتَابُكَ وَالْوَقُوفُ عَلَى مَجْرَى جَوَابِكَ ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ مَا يَبْقَى لِيَوْمِكَ وَمَعَادِكَ ،
قَبْلَ انْغِلَاقِ بَابِ التَّوْبَةِ ، وَطُولِ وَقْتِ التَّوْبَةِ . حِينَئِذٍ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (٧) . ثُمَّ خْتَمَهُ بِأَنَّ
قَالَ : « فَمَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا كَمِنَاحِ نَعَمٍ ، أَوْ مَرَاكِحِ غَمٍّ » . فَأَمَّا ﴿ نُرِيكَ
بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِيكَ ﴾ (٨) ، ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾ (٩) .
هَكَذَا رَأَيْتِ . وَالتَّلَاوَةُ فِي سُورَةِ يُونُسَ (١٠) ﴿ أَوْ نَتُوفِيكَ فَإِلَيْنَا

(١) [إضافة من كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٢ .

(٢) « البائن » في كنز الدرر ج ٦ .

(٣) « عن هوى » في الأصل ، والتصحيح من كنز الدرر ج ٦ .

(٤) سورة طه رقم ٢٠ آية ٤٦ .

(٥) سورة مريم رقم ١٩ جزء من الآية رقم ٢٨ .

(٦) « على أي رأى أنت » في كنز الدرر ج ٦ ص ١٥٣ .

(٧) سورة الأنعام رقم ٦ جزء من الآية رقم ١٥٨ .

(٨) سورة يونس رقم ١٠ جزء من الآية رقم ٤٦ .

(٩) سورة الزخرف رقم ٤٣ جزء من الآية رقم ٤٢ .

(١٠) « القصص » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من القرآن الكريم .

مَرَجِعُهُمْ ﴿١﴾ فَعِنْدَهَا تَحْسِرُ ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ ، ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ
 الْمُسِينُ ﴿٢﴾ . وَأَنْذَرْتَهُمْ ﴿نَارًا تَلْظَى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي
 كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿٣﴾ . ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ
 بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤﴾ . فليبتدبر من كان ذا نذير .
 وليتفكر من كان ذا تفكير ؛ وليحذر يوم القيامة ، يوم الحسرة والتدامة ﴿أَنْ
 تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُمْ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ ﴿٥﴾ . ﴿يَا حَسْرَتَا
 عَلَى مَا فَرَطْتَا﴾ ﴿٦﴾ . ﴿وَيَا لَيْتَنَا﴾ ﴿نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
 نَعْمَلُ﴾ ﴿١٤﴾ . ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿٨﴾ . وسلم من عواقب
 الردى . وهو حَسْبُنَا ونعم الوكيل

قال : فلما وقف الحسن (٩) بن أحمد القرمطى [على] (١٠) هذا الكتاب
 المطول (١١) كتب جوابه بعد البسمة : « وصل كتابك الذي كثر تفصيله

(١) سورة يونس رقم ١٠ جزء من الآية رقم ٤٦ . وهو يكمل ما جاء في هامش (٥) .

(٢) سورة الحج رقم ٢٢ جزء من الآية رقم ١١ .

(٣) سورة الليل رقم ٩٢ جزء من الآيات ١٤ - ١٦ .

(٤) سورة الأحقاف رقم ٤٦ جزء من الآية ٣٥ .

(٥) سورة الزمر رقم ٣٩ جزء من الآية رقم ٥٦ .

(٦) سورة الأنعام رقم ٦ جزء من الآية رقم ٣١ .

(٧) سورة الأعراف رقم ٧ جزء من الآية رقم ٥٣ .

(٨) سورة طه رقم ٢٠ جزء من الآية رقم ٤٧ .

(٩) « الحسين » في الأصل ، وهو محريف ، والتصحيح مما سبق .

(١٠) [] إضافة يقتضيهما السياق .

(١١) انظر فقرات مطرلة من هذا الخطاب في كل من : اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٨٩ - ٢٠١ . كثر

الدرج ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٦ .

وقلَّ تحصيله ؛ ونحن سائرون على إثره . والسَّلام» (١)

وقيل إنه كتب : «الجوابُ ما تراه دون ما تسمعه» (٢) .

وقيل [٤٥] إنه كتب إليه :

ظنَّت رجالَ الغرب أنَّ سهولتي بمحالتها ، وأخو المَحال ذليل
إنَّ لم أروُ النيلِ مِنْ ديمهم ، فلا نلت المُرَاد ، ولا سقاني النيل

وفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . فى شعبان ، بلغت تقدمة القرامطة إلى أرياف مصر وأطراف المحلة (٣) . فنهبوا ، واستخرجوا الخراج ؛ واشتهر الأعصم القرمطى ببلييس فتأهب المعزُّ للاقائه ، وعرض العساكر ، وفرق فيهم الأموال والسلاح .

وسير جيشاً قدّم عليه ولده الأمير عبد الله (٤) ، فالتقى مع الأعصم ، فانهزم القرمطى وأسر جماعةً من رجاله ، وجهّز جيشاً آخر قدّم عليه ريان الصقلبي فى أربعة آلاف فارس . فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها .

(١) انظر أيضاً نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٣١١ . اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٠٢ ، كتر الدرر ج ٦ ص ١٥٦ ، الكامل ج ٨ ص ٦٣٨ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ .

(٣) المحلة : فى محافظة الغربية ، وقد ورد فى اتعاظ الحنفا « وانبسطة سرية القرمطى فى نواحي أسفل الأرض » أى الوجه البحرى — ج ١ ص ٢٠٢ ، وانظر أيضاً المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٥ .

(٤) توفى الأمير عبد الله فى شهر جمادى الأولى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م — فى يوم ٢٣ من الشهر فى المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٦ ، وفى اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢١٧ ، وفى التاسع من جمادى الأولى فى أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ .

وفي هذا الوقت ورد الخَيْرُ من الصَّعِيدِ الأَعْلَى أن عُبَيْدَ اللهِ (١) أَخَا الشَّرِيفِ مُسْلِمٍ أَوْغَلَ فِي الصَّعِيدِ وَاسْتَخْرَجَ الأَمْوَالَ ، وَقَتَلَ أَلْفًا مِنَ المَغَارِبَةِ .
 وفي هذه السَّنَةِ ، فِي المَحْرَمِ مِنْهَا ، انْبَسَطَتِ المَغَارِبَةُ فِي نَوَاحِي القَرَّافَةِ ، وَنَزَلُوا فِي الدُّيُورِ ، وَأَخْرَجُوا النَّاسَ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ ، وَشَرَعُوا فِي السَّكَنِ فِي المَدِينَةِ ، وَكَانَ المَعزُّ أَمْرَهُمْ أَنْ يَسْكُنُوا أَطْرَافَ المَدِينَةِ ، فَاسْتَغَاثَ النَّاسُ إِلَى المَعزِّ فَأَمَرَ أَنْ يَسْكُنُوا نَوَاحِيَ عَيْنِ شَمْسٍ ، وَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَشَاهَدَ المَكَانَ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالْبِنَاءِ فِيهِ ، وَهُوَ المَوْضِعُ المَعْرُوفُ الآنَ بِالمَخْتَدِقِ (٢) ، وَجَعَلَ لَهُمُ الوَايَا وَقَاضِيًا ، ثُمَّ سَكَنَ أَكْثَرَهُمْ بِالمَدِينَةِ مَخَالِطِينَ لِلنَّاسِ .

ذِكْرُ فَتُوحِ طَرَابِلُسِ الشَّامِ

كَانَ فَتُوحَهَا فِي سَلْخِ شَهْرِ ربيعِ الآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةَ ، عَلَى يَدِ رِيَّانِ الخَادِمِ غُلَامِ المَعزِّ ، وَهَرَبَ ابْنُ الرِّزَّاتِ بَعْدَ أَنْ كَانَ نَصَبَ عَلَيْهَا الصَّلْبَانَ وَجَعَلَهَا لِلرُّومِ .
 وَفِي جُمَادَى الأُولَى مِنْهَا سَارَ نَصِيرُ الخَادِمِ غُلَامِ المَعزِّ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ ، وَدَخَلَ إِلَى بِيروَتِ ، وَتَوَاقَعَ مَعَ الرُّومِ عَلَى طَرَابِلُسَ وَهَزَمَهُمْ ، وَكَانَتِ الوَقْعَةُ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ .

(١) « عبد الله بن عبيد الله » في اتعاظ الحفاظ ج ١ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) « وخنديق العبيد » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ١٤٥ .

والخنديق : خارج باب الفتوح ، كانت تعرف بمنية الأصبغ ، واشتهرت باسم الخنديق لمروء الخنديق الذي حفره جوهر بها ، ومكانها حالياً المنطقة الواقعة حول دير الملاك البحري من منطقة حدائق القبة ضمن القاهرة .

المواعظ والاعتبار - ج ٢ ص ١٣٦ ، القاموس الجغرافي ق ١ ص ٥٦ .

وفي هذا الشهر وصل الخبر إلى المعز بوصول أفتكين التركي من بغداد إلى دمشق بقصد مصر. فشرع المعز في تجهيز العساكر.

وفي شهر رمضان منها كثرت الأراجيف بمسير الروم إلى الشام لأن أفتكين التركي كاتب ابن السنهسكى (١) فسار بالروم إلى بيروت ، فلقبهم نصير غلام المعز فهزموه وأسروه . وتوجهوا إلى صيدا فخرج إليهم أفتكين التركي وقبّل الأرض لابن السنهسكى وهادته على دمشق ؛ وسار ابن السنهسكى إلى طرابلس ، فخرج إليه ريان الخادم بعساكر المعز فقاتله وهزمه ، وقتل مقتلة عظيمة من عامة عسكره . وانصرف ابن السنهسكى معلولاً ، فسّر المعز بذلك . وهناه الناس بهذا الفتح ، ومدحه الشعراء (٢) .

ذكر وفاة المعز لدين الله وشيء من أخباره

كانت وفاته بالقاهرة لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ؛ وقيل في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من الشهر (٣) . وكانت مدة حياته خمسا وأربعين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، ومدة مقامه بمصر سنتين وسبعة أشهر وأياماً .

(١) هكذا بالأصل ، والمقصود الاميراطور البيزنطى ابن الشمشقيق — انظر ما سبق ، وورد اسم « ابن السمسق » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٣) هناك اختلاف في تحديد يوم وفاة المعز لدين الله ، انظر مثلاً : اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٢٩ حيث يعمل سبب الاختلاف بإخفاء خبر وفاة المعز « ولم يظهر ذلك ولا نطق به أحد مدة ثمانية أشهر » — وانظر أخبار الدول المنقطعة ص ٢٦ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٨ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٤ وما بعدها .

وكان نقش خاتمه : بِنَصْر العزیز العَلیم بِنْتَصْر الإمام أبو تميم . وقيل : كان لتوحيد الإله الصمد دعاء الإمام (١) معَدَّ . وقيل : لتوحيد الإله العظيم دعاء الإمام (٢) أبو تميم .

أولاده : أبو المنصور نزار تميم الظاهر (٣) ، وبه كنى ، توفي بمصر في ذى القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ؛ الأمير عقيل ، توفي في شعبان من السنة ؛ وسبع بنات .

قضاته : قضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعى ، مات بمصر في سلخ جُمادى الآخرة سنة خمس وستين وثلاثمائة ، ولم يَلِ القضاء بها ؛ واستقضى بالمغرب أهاطَلب أحمد بن القائم (٤) بن محمد بن المنهال ؛ ولما وصل إلى مصر وجد القائد جوهرًا قد استخلف على القضاء أباطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي البغدادي ، وهو القاضي على أيام كافرر . فأقره ، وكان أبو سعيد عبد الله (٥) بن محمد بن أبي ثوبان حكم بمصر بين المغاربة الجند والتجار إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين ؛ فتولى القضاء أبو الحسن علي بن النعمان على قاعدته إلى أن مات [٤٦] أبوطاهر ، فقضى أبو الحسن على الجميع .

كتابه : كان جوهر قد فوض تدبير الأموال في أيامه إلى علي ابن العرمم

(١) ، (٢) « الإله » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٣٠ .

(٣) « الشاعر » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٨ .

(٤) « بين القسم » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٨ ، « بن أبي القاسم » في انعاظ الخنفا ج ١ ص ٢٤٧ . ورد إلى مصر بأهله وأولاده في شوال ٣٦٨ هـ / مايو ٩٧٩ م — انعاظ الخنفا ج ١ ص ٢٤٧ .

(٥) قدم صحبة المعز من بلاد المغرب ، فولاه نظر المظالم بمصر ، ... ذيل الولاة والقضاة ص

وأبي محمد الرودباري ، ورجاء بن صولات^(١) ، وعبدالله بن عطاء الله ،
وأبي الحسن الكرجي^(٢) ؛ وردّ تدبير هؤلاء الكتاب إلى الوزير أبي الفضل
جعفر بن الفضل بن الفرات . واستقرّ الأمر بعد وُصُول المعزّ على عسلوج ،
ويعقوب بن يوسف .

وَمِمَّنْ وُزِرَ لِلْمَعزِّ يَعقوب بن كلّس ، وهو أول وزراء دَوْلَتِهِمْ بِمِصر ، وهو
من جملة كتاب الدّولة الإخشيدية . وسنذكر خبره إن شاء الله مُستوفّى في
أخبار العزيز .

حاجبه : جعفر بن عليّ إلى أن تُوفّي ، فوَلِيَ عَارِ بن جعفر ، والله أعلم
بالصواب .

ذِكْرُ بَيْعَةِ الْعَزِيزِ بِاللّهِ

وهو أبو المنصور^(٣) نزار^(٤) بن المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهديّ ،
وهو الخامس من ملوك الدولة العبّيدية ، والثاني من ملوك مصر والشام منهم .
كان قد ولى العَهْدَ مِنْ أَبِيهِ فِي حَيَاتِهِ ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ فِي يَوْمِ وَفَاةِ أَبِيهِ ،
لِسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنْ شَهْرِ ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة .

(١) « ابن صولاب » في أخبار الدول المنقطعة ص ١٢٩ .

(٢) « الكرجي » في أخبار الدول المنقطعة ص ٢٩ .

(٣) « وهو ابن المنصور » في الأصل ، وهو تحريف .

(٤) انظر ترجمته وأخباره في : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٧٥٩ ، أخبار الدول المنقطعة

ص ٣١ وما بعدها ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ١٧٤

وما بعدها ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٦ وما بعدها ، المراعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٤ وما

بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٢ وما بعدها ، الكامل ج ٨ ص ٦٦٥ وما بعدها .

حكى الرئيس ابن القلايسى فى تاريخ الشام فى سبب بيعة العزيز الأول
أن أباه المعز لدين الله كان مُعْرَمًا بعلم الشُّجُوم والنَّظَر فيما تقتضيه أحكام
مولده ، فحكّم له بقطع ، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه ، فأشار عليه أن
يعمل له سردابًا تحت الأرض ويتوارى فيه مدّة إلى حين زوال ذلك القطع .
فصنع ذلك وأحضر وجوه دولته ، وقال لهم : إن بينى وبين الله عهدًا
وعَدِّيهِ قد قرب أوانه ، وقد جعلت عليكم ولدى نزارًا ، ولقّبته بالعزيز
بالله ، واستخلفته عليكم وعلى تدبير أحوالكم مدّة غيبتي ؛ فالزموا الطّاعة
والمناصحة له . فقالوا : نحنُ عبيدُك وخدمك . فأخذ البيعة له ووَصّاه بما
أراد ، وجعل القائد جوهرًا مديبرًا لأُمُوره ، ونزل السرداب الذى اتخذهُ ،
وأقام به سنة . فكانت المغاربة إذا رأوا سحابًا ترجلوا على الأرض وأومّوا
بالسلام عليه . ثمّ خرج بعد ذلك ، وجلس الناس ، فدخلوا على طبقاتهم
وسلّموا عليه ؛ ولم يلبث بعد ذلك إلا مدّةً يسيرة ، واعتلّ فمات (١) .

ذكر الحرب بين أفتكين التركى وعساكر العزيز بالله

ولنذكر ابتداء أمر أفتكين (٢) لتأتى أخباره بسياقه .

هو أبو المنصور أفتكين المعزى ، أحد ممالك معز الدولة بن بويه (٣)
وكان سبب وصوله إلى الشام أنه لما وقعت الفتنة بين الترك والديلم ببغداد

(١) انظر الكامل ج ٨ ص ٦٦٤ .

(٢) « هفتكين » فى كنز الدرر ج ٦ ص ١٧٥ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ ، « الفتكين فى ذيل
تاريخ دمشق ، والكامل ج ٨ ص ٦٥٦ و « أفتكين » فى انماظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٨ .

(٣) هو معز الدولة أبو الحسين أحمد ، حكم العراق فى الفترة من ٣٢٠ - ٣٥٦ هـ / ٩٣٢ - ٩٦٧
م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٩٠ .

وخلع المطيع^(١) كما ذكرناه ، وتوالت تلك الفتن ، انفصل أفتكين عن بغداد في سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة في ثلاثمائة غلام ، وسار حتى قَدِمَ حمص فأقام أيامًا يسيرة ، وسار منها إلى دِمَشق ، فوجد أحداث البلد قد تحكّموا فيها والفتن بين أهلها وبين عسكر المغاربة . فخرج إليه شيوخ دمشق وأظهروا السُّرور به ، وسألوه أن يتولّى عليهم ، ويكفّ أيدي المفسدين ، وتوثّقوا منه وتوثّق منهم بالأيمان ، ودخل البلد وأصلح أمره ، وأحسن السّيرة ، وكفّ المفسدين ، فاستقام له الأمر وثبت قدمه^(٢) . فاضطر إلى مكاتبة المعزّ لدين الله بمصر فكاتبه وخادعه ، وغالطه ، وأظهر الانقياد إليه والطاعة لأمره . فأجابه المعزّ يستدعيه إلى حضّرتة ليشاهده ، ويصطفيّه لنفسه ، ويُعيده إلى ولايته ؛ فلم يتق إلى ذلك وامتنع من الإجابة . ووافق ذلك علّة المعزّ ووفاته .

وكتب أفتكين في أثناء هذه القضية إلى مولاه ببغداد يقول إن الشام قد صفا في يدي ، فإن سيرت إلى عسكرًا ومالًا وسلاحًا فتحتُ ديار مِصر ، فبعث إليه الجواب : غرك عرك فصار قُصار ذلك ذلك فأخش فاحش فعُلك ، فعُلك تهادُ بهذا . فلما أيس أفتكين من إنفاذ العساكر إليه من بغداد اضطرّ عند ذلك إلى مكاتبة القرامطة ، فقصدوه ووافوه في سنة خمسٍ وستين وثلاثمائة ؛ وكان الذي أتاه منهم إسحاق ، وكسرى ، وجعفر ؛ فترلوا بظاهر دمشق ، ووافاه معهم كثيرٌ من العجم . فأكرمهم أفتكين وحمل إليهم الميرة ، فأقاموا أيامًا وتوجّهوا إلى الرملة ، فخرجت إليهم عساكر السّاحل ، واقتتلوا ، فهزمهم أفتكين ، وقتل منهم مقتلةً عظيمة .

(١) خلع المطيع لله في منتصف ذي القعدة ٣٦٣ هـ / أغسطس ٩٧٤ م - الكامل ج ٨ ص ٦٣٧ ، وانظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٠١ وما بعدها .

(٢) انظر الكامل ج ٨ ص ٦٥٦ وما بعدها .

وكان على الساحل ظالم بن موهوب العقيلي ، فانهمز إلى صور . وأحصى القتلى فجاءوا أربعة آلاف فارس . فكتب العزيز بن المعز أفتكين واستماله ووعده إن وطىء بساطه أن يرفع منزلته . فأبى إلا مخالفته ، وأغلظ له في الجواب . فاستشار العزيز وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعله فأشار عليه بإخراج [٤٧] جوهر القائد إليه بالعساكر ؛ فشرع العزيز في ذلك وجهز جوهرًا ، فلما سمع أفتكين ذلك عاد إلى دمشق واستشار أهلها ، وقصد التوجه لبلاد الروم ؛ وكان أهل دمشق يكرهون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ، فطمأنوه ، وثبتوه لبقاء عساكر مصر . وخرج جوهر في العساكر العظيمة بعد أن استصحب أمانًا من العزيز لأفتكين^(١)

فلما وصل جوهر إلى الرملة كاتب أفتكين ولأطفه ، وعرفه ما معه له من الأمان ؛ فلاطفه أيضًا أفتكين في الحواب واعتذر إليه بأهل دمشق ، فعلم جوهر أنه لا بد من الحرب . فسار إليه ونزل بالشماسية^(٢) فبرز إليه أفتكين ؛ ونشبت الحرب بين الفريقين مدة شهرين ، وقتل من الطائفتين عدد كثير . وظهر من شجاعة أفتكين ما عظم به قدره في النفوس ، فأشار عليه أهل دمشق بمكاتبة أبي محمد الحسن بن محمد القرمطي واستدعائه لدفع عساكر مصر ، فكتبه فاتاه القرمطي ، فعلم جوهر أنه إن أقام استظهر أفتكين عليه ، فرجع إلى طبرية وتبعه أفتكين والقرمطي فقاتلاه ؛ فانهمز إلى عسقلان فتبعه أفتكين وحصره بها حتى أشرف جوهر على الهلاك ، فصالحه ، ووقع الصلح

(١) انظر اتماظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٨ . الكامل ج ٨ ص ٦٥٨ . وكنز الدرر ج ٦ ص ١٧٥ . أخبار الدول المنقطعة ص ٣٦ . ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ .
(٢) الشماسية : محلة بدمشق — معجم البلدان .

بينها على أن يخرج جوهر وأصحابه حفاة عراة لاشيء يستر عوراتهم (١).

وكان العزيز قد خرج من الدبار المصرية لإغاثة جوهر ، فلقبه في الطريق على تلك الحال ، فاخبره جوهر أن كتامة خذلوه فقبض عليهم ، ثم أظهر الغضب على جوهر وعزله عن الوزارة .

ذكر حرب أفتكين وأسره

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، في المحرم منها ، وصل العزيز بالله إلى الرملة وأفتكين وعسكره بالطواحين ، ووقع المصاف بينهما ، ونشبت الحرب في يوم الخميس سابع الشهر . فانهزم أصحاب أفتكين وقتل عامتهم وشوهد العزيز في هذا اليوم وقد انفرد عن عسكره وصلى على الأرض وهو يقول : اللهم ارحمني وارحم من ورأى من هذه القبلة ، وانصرتي ، فما أستمدُّ النصر إلا منك ، وهو يعقر وجهه على التراب ويبكى ، ثم ركب وقد انتصر عسكره ، وجيء إليه بأفتكين أسيراً ، اسره مفرج بن دغفل ابن الجراح الطائي (٢) أمير طيبى ، فبعاه به وفي عنقه جبل ، فأحسن إليه العزيز لِمَا رأى من شجاعته ، ومنّ عليه ، ورجع به إلى مصر ؛ فأقام بها إلى أن مات في سنة سبعين وثلاثمائة ، والحجائب والأكابر يركبون إلى داره .

ولما رجع العزيز هنأه الناس بهذا الفتح ، وملحه الشعرا . فمنهم الحسين

(١) عن الصلح بين أفتكين وجوهر ، انظر ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ ، الكامل ج ٨ ص ٦٥٩ ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٤١ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٣١ .

(٢) « وسار العزيز وعلى مقدمته حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي » في اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٤٢ .

ابن عبد الرحيم الزلالي بقصيدته التي أولها :

لَا حَ لِلْحَقِّ شَهَابٌ فَرَقَدُ فسرأى قاصده أين قصد
 بالعزیز بن المعز اعتصدت دولة الحق ، وبالله اعتصد
 يا أمير المؤمنين المرتضى وعماد الدين ، والركن الأسد
 بنزار بن معد ، وهما خير أبناء نزار بن معد^(١)
 ومنها :

أصلح الشام بما دبّره وتلافاه ، وقد كان فسّد
 أطفأ الفسنة فيه ، بعدما أئرق التركي فيها ورعد
 وكان عودُ العزیز إلى مصر ووضوؤه إليها في يوم الاثنين لست بقين من
 شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة .

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة ، في ثامن عشر شهر ربيع الأول ، تزوج
 العزیز بابنة^(٢) عمه ، وأمهرها مائتي ألف دينار عينا .

ذكر فتوح اللاذقية

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، في حادي عشر شهر ربيع الأول ، ورد
 كتاب نزال^(٣) يذكر فيه أنه واقع الروم بساحل الشام ، وكسرهم ، وأخذ

(١) المقصود في أول البيت هو العزیز باقه ، وفي آخره الجدان الثامن عشر والتاسع عشر للرسول
 عليه الصلاة والسلام .

(٢) « وعقد العزیز على امرأة » في انعاظ الحنفاج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) نزال والى طرابلس من قبل الخليفة الفاطمي . تكملة تاريخ ابن البطريق ص ١٦١ .

اللاذقية . ثم ورد نزال من الشام في العاشر من جُادى الآخرة ، ومعه نحو خمسمائة نفر من الرّوم أسرى في السّلاسل .

وفي هذه السّنة وصل من تّيس رجل وامرأة بمولودة لها رأسان ووجهان وأربع أيدي كاملة الخلق في جسد واحد ، وسنها دون الشهرين .

وفيها كان التّوروز يسبعِ خَلُون من شهر ربيع الأول وأكل الناس [٤٨] الرّطب قبل التّوروز على عادتهم ، وأصرمت النّخل^(١) ، ولم يبقَ عليها شيء ألبته ، ثم حمل النّخل ثانيًا ، فأكل الناس البلح والبُسرة مرة ثانية ؛ ولم يتفق مثل ذلك في زمنٍ من الأزمنة .

ذكر فتح قنّسرين وحمص

وفي سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاثمائة ، في شهر ربيع الأول منها ، دخلت عساكر العزيز إلى قنّسرين وحمص ، وأقاموا الدعوة له بها .

وفيها في ثامن شوال صرف العزيز وزيره يعقوب بن كلّس واعتقله ، وحمل من ماله خمسمائة ألف دينار ؛ ثم أفرج عنه بعد ذلك ، وأعادته إلى الوزارة ، في سنة أربع وسبعين ، ووهب له العزيز مالاً كثيراً وألفاً وخمسمائة غلام تكون في خدمته ، وإليهم تنسب حارة الوزيرية^(٢) بالقاهرة .

(١) أصرم النّخل : حان له أن يصرم أى يقطع . القاموس .

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥ .

وفي هذه السنة اشند الغلاء بمصر وبلغت حملة الدقيق الجشكار^(١) أحد عشر ديناراً والعلامة اثني عشر ديناراً ؛ والحملة ثلاثمائة رطل بالمصرى .
وهي في العشرين من ذى القعدة ورد الخبر أن ابن حمدان^(٢) خطب للعزيز بحلب والجزيرة كلها .

وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة خطب للعزيز بمصر التبعان .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة استجد العزير في جامع مصر^(٣) العيز القوارة ، ودامت إلى أيام العاضد ، فحربت في الحريق في سنة أربع وستين وخمسمائة . ثم جددها الملك العادل أبو بكر بن أيوب . وفيها لأعن القاضي محمد بن الثمان بين رجل من لدن عقيل وامراته .

وفي سنة ثمانين وثلاثمائة اختط العزير الجامع بالقاهرة ، وهو الجامع المعروف بالحاكم^(٤) بباب الفتوح .

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة خرج منير والى دمشق على العزير بالله^(٥) ، وقتل ابن أبي العواد^(٦) الكاتب ولحقه بشارة الإخشيدى ، فسار

(١) الجشكار أردا أنواع الدقيق ، والعلامة أجود أنواعه ، وما زال هذان الاصطلاحان يستعملان بهذا المعنى في الريف المصرى .

(٢) هو سعد الدولة أبو المعالى شريف بن سيف الدولة أبو الحسن على ، الذى ولى حكم حلب في الفترة من ٣٥٦ - ٣٨١ هـ / ٩٦٧ - ٩٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٣) المقصود جامع عمرو بن العاص والإشارة فيها إلى الحريق الذى أشعله شاوور في الفسطاط - للمواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥١

(٤) جامع الحاكم بأمر الله ، نسب إلى الحاكم لأنه هو الذى أكمل بناءه - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٥) « وبلغ العزير أن منير يكاتب صاحب بغداد » في اتعاظ المنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

(٦) كان على الحراج بدمشق - اتعاظ المنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

نزال والى الرملة إلى دمشق ، فحاربه منير ، فهزمه نزال . وكانت الوقعة بمرج عذراء^(١) في تاسع شهر رمضان وهرب منير يريد حلب ، فأخذه العرب وأحضروه إلى دمشق لنزال ، فوجدوا منجوتكين^(٢) قد وصل إليها فأخذ منيراً وحرسه على جمل وإلى جانبه قرد وعليه طرطور .

وأقام منجوتكين بدمشق بقية سنة إحدى وثمانين . وأمدّه العزيز في سنة اثنتين [وثمانين]^(٣) نحو مائة فارس وخرانة وسلاح صحبة صالح بن علي وجيلين التركي ، فاشتمل عسكر منجوتكين على ثلاثة عشر ألف فارس فطمع في ملك حلب بحكم وفاة صاحبها سعيد الدولة^(٤) بن حمدان فحشد وخرج إليها في ثلاثين ألف فارس ونازلها ، وفتحها في شهر ربيع الآخر . وبقيت القلعة بيد أبي الفضل بن سعيد الدولة بن حمدان ولؤلؤ ، فكاتبها بسيل^(٥) ملك الروم ، فكتب لصاحب أنطاكية ، وهو من قبيلة ، بأن يجمع العساكر ويتوجه إلى حلب لتصرة صاحبها . ودفع المغاربة عنها ، فسار إليها في خمسين ألف راجل .

وقال المسبّحي : كان عسكر الروم سبعين ألفاً وعسكر منجوتكين خمسة وثلاثين ألفاً .

(١) مرج عذراء : نسبة إلى قرية عذراء بغوطة دمشق — معجم البلدان .

(٢) منجوتكين : كان ممن اصطنهم العزيز باقه من الأتراك ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) [] إضافة للتوضيح .

(٤) « سيف » في الأصل ، وهو تحريف .

وهو سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد ، الذي حكم حلب في الفترة من ٢٨١ - ٣٩٢ هـ /

٩٩١ - ١٠٠٢ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٥) هو الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذي ولي عرش الامبراطورية البيزنطية في الفترة من

٩٧٦ - ١٠٢٥ م — أوروبا في العصور الوسطى .

فتزل الروم على جسر الحديد بين أنطاكية وحلب ، فأشار أصحاب منجوتكين عليه بقصد الروم ، فتوجه نحوهم (١) وانضم إليه جماعة من بني كلاب ، فالتقوا فانكسرت عساكر الروم ، وغنم منجوتكين ومن معه الغنائم الجزيلة . وجمع من رؤوس الروم مقدار عشرة آلاف رأس ، فسبها إلى مصر .

وتبع منجوتكين الروم إلى أنطاكية ، وأحرق ضياعاً ، ونهب رساتيقها (٢) ، ورجع إلى حلب . فعمل لؤلؤ مقدم حلب على رجوع منجوتكين عن بلده ، فكتب أبا الحسن بن المغربي وزير منجوتكين وخواصه أن يحسنوا له الرجوع إلى دمشق والعود إلى حلب في العام المقبل ، ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة . فذكروا ذلك لمنجوتكين فصادف هذا الرأي منه موقعاً لسوقه إلى دمشق ، فرجع عن حلب .

ولما بلغ العزيز رجوعه عنها انزعج لذلك وعلم أنه بتدبير وزيره ابن المغربي ، فعزله عن وزارة منجوتكين ، وولى صالح بن علي الروذباري .

وفي سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة ظهر من الجراد والكمأة (٤) على جبل المقطم بمصر ما لم يعهد مثله ، فخرج الناس إليه وجعلوا يدخلون القاهرة

(١) « نحوهم إليهم » في الأصل .

(٢) رستاق ، رسداق — رساتيق ، ومنها رزداق ، ورزداقات : القرى وما يحيط بها من الأراضي .
فارسى معرب — القاموس .

(٣) « أن يحسنوا له » في الأصل . والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) الكمأة — أكمؤ : نبات يسمى شحم الأرض ، مثل القلقاس — لا ساق له ولا عرق ، عديم

الطعم . يؤكل نيئاً ومطبوخاً — القاموس

ومصر في كلِّ يوم . فبيع الجراد أربعة أرتال بدرهم ، والكهأة سبعة أرتال بدرهم .

وفيها في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة احترقت صناعة الإنشاء^(١) بمصر بما فيها من المراكب الخربية وآلات السلاح وغير ذلك ، فأتهم الأمراء بذلك ، فقتل منهم مائة وسبعة نفر . ثم أحضر عيسى ابن نسطورس مَنْ بَقِيَ من الرُّوم فاعترفوا بذلك . فأمر العزى بالله أن تُنْهَبَ كنيسة الرُّوم ، فنهبت وأخذ منها ما ينيف عن تسعين ألف درهم .

[٤٩] ذكر وفاة العزيز بالله وشيء من أخباره وأخبار وزيره يعقوب بن كلّس ومن ولى بعده

كانت وفاة العزيز بالله بعد الظهر من يوم الثلاثاء لِلَّيْلِتين بقيتا من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة بمدينة بلييس في مسلخ الحمام بعلقى القوننج والحصاة^(٢) .

وكان مولده بالمهدية في يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

(١) المقصود دار صناعة السفن . وقد ورد الخبر في أحداث شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٦ هـ في

اتعاظ المنفا ج ١ ص ٢٩٠

(٢) « الحص » في الأصل

وكانت مدّة حياته اثنتين وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ،
ومدّة ولايته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً (١) .

وكان أسمر ، طويلاً ، بديناً ، أشهلاً ، أعين ، أصهَبَ الشعر ، عريض
المنكبين . وكان لا يُؤثر سفك الدماء .

قال المؤرخ : وَجُدَّ في أيام العزيز من الأبنية قصر الذهب (٢) ، وجامع
القرافة (٣) والقوّارة وبستان السردوس (٤) . وقصور عين شمس ، والمصلّى
الجديد بالقاهرة . وهو أوّل من بنى دار الفطرة (٥) ، وقرر الرّواتب ، وسنَّ
إعطاء الضّحايا للأولياء . وكان قريباً من الناس ، بصيراً بالخيّل والجوارح
والصّيّد .

ولده : أبوعلّى المنصور ، وهو الحاكم بأمر الله .

(١) « عشرة » في الأصل ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٧٥ . اتعاط الحنفا ج ١
ص ٢٩٢ .

وفي كنز الدرر « عشرة أيام » ج ٦ ص ٢٢٨ .

(٢) قصر الذهب : قاعة الذهب ، وكان يقال لها قصر الذهب ، أحد قاعات القصر الكبير الذي
هو قصر المعز لدين الله - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٨٥ .

(٣) جامع القرافة : كان موضعه يعرف عند فتح مصر بخطة المغافر ، أنشأته السيدة تغريد والدة
العزيز بالله ، على نحو بناء الجامع الأزهر ، وذلك في شهر رمضان سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م -
المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣١٨ .

(٤) السردوس : قرية قديمة ، تعرف اليوم باسم باسوس ، إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة
القليوبية - القاموس الجغرافي ق ١ ص ٦٩ .

(٥) دار الفطرة : أنشأها العزيز بالله خارج القصر ، وهي عبارة عن حاصل أو مخزن لجمع أنواع
الحلوى التي تفرق ، في النصف الثاني من شهر رمضان ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٥ .

ذكر أخبار الوزير يعقوب بن كلس

وكنيته أبو الفرج ، وهو أول من خوطب بالوزارة في دولتهم . وكان يهودياً من أهل بغداد ، فهاجر منها إلى الشام ونزل الرملة ، فجلس وكيلاً للتجار بها ، فاجتمع عنده مالٌ فاكْتَنَزَهُ ، وسافر إلى مصر . واتصل بخدمة كافور ، فتاجر في متاعٍ كان يُحِيلُهُ بِثَمَنِهِ عَلَى الضياع ، فكان إذا احتيل على عملٍ بمالٍ لا يُخْرَجُ منه حتى يعلم مستخرجه ونفقته وارتفاعه ، فعلم أحوال ديار مصر ، فأخبر كافور به ، فقال : لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً . فبلغه ذلك ، فأسلم على يدى كافور ، في يوم الجمعة في الجامع العتيق ، في سنة خمسين وثلاثمائة .

ثم تعلقت به مُطالِبَات دِيوانِيَّة في الدولة الإخشيدية فهرب بسببها من مصر ، فلقى العسكر المغربي قاصداً مصر فعاد في صحبته ، فلما ملك القائد جوهر مصر تصرّف ابن كلس في الأمور الدِّيوانِيَّة مدّة أيام المعز ، ثم انتقل إلى خدمة ولده العزيز ، فاخصّص به وتمكّن منه ، واقتنى الأموال ، فاستوزره في يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان سنة ثمانٍ وستين^(١) وثلاثمائة ، وأقطعه بمصر والشام في كلِّ سنة ثمانية آلاف دينار . وبسط يده في الأموال ، وكتب اسمه على الطُّرُز^(٢) ، وابتدأ بنفسه في المكاتبات والعُنُونَات . من يعقوب بن يوسف وزير أمير المؤمنين :

(١) « سنة خمس وستين » في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨ ، وذيل تاريخ دمشق ص ٣٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٢٢٧ .

(٢) طراز - طرز : محمّلة فارسية تعنى الرداء المحلى ، وكانت الحلية أشرطة من الكتابة ، ثم صارت الكلمة تطلق على الدار التي تصنع بها هذه الأشرطة - عن دار الطراز في العصر الفاطمي انظر خزانة الكسوات ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٩ .

وتمكن من الدولة حتى أسقط المغاربة ، واستخدم المشاركة ، في سنة سبعين وثلاثمائة ، من الترك والإخشيدية . وأذل جوهرًا الرومي غلام المعز وجعله على الرمة . وكان [جوهر] ^(١) يقول : قبح الله طول هذا العمر الذي أخرج لمثل هذا .

ثم نكبه العزيز النكبة التي ذكرناها في سنة ثلاث وسبعين ، ثم أطلقه وأعادته إلى الوزارة ، وقال له : عُرِلتَ بالإغراء ، ورُدِدْتَ بصمم الآراء . ووهب له ألفًا وخمسمائة غلام كما ذكرنا ^(٢) .

ولم يزل ابن كلس على ذلك إلى أن توفي لِسِتِّ خَلَوْنَ من دى الحججة ، سنة ثمانين وثلاثمائة .

ولمَّا مرض مَرَضته التي مات فيها ركب العزيز إليه ، وعَادَهُ ، وقال له : وَدَدْتُ أَنَّكَ تَبَاعُ فَاَتْبَاعَكَ بِمَلِكِي وولدي .

ولمَّا مات أمر العزيز أن يُدْفَنَ في داره في قبة كان بناها لنفسه ؛ وحضر جنازته وصلَّى عليه ، وألحده في قبره .

ويبلغ قيمة الكفن الذي أنقذه العزيز له ، وهو خمسون ثوبًا مثقلة سبعة آلاف دينار . وأنصرف من دفنه ، وأظهر الحزن وأغلق الدواوين ثمانية عشر يومًا ، وعطل الأعمال أيامًا ، واشتملت تركته على مال عظيم .

ولم يستوزر [العزيز] ^(٣) بعده أحدًا بل ضمن أموال الدولة بجماعة من المستخدمين وجعل الغائب عليهم عيسى بن نسطورس التصراني ، فمال إلى

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) انظر ما سبق .

(٣) [إضافة للتوضيح .

التَّصَارِي وَقَلَدَهُمُ الْأَعْمَالُ . وَاسْتَنَابَ بِالشَّامِ مِنْشَا بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْيَهُودِيَّ فَقَدَّمَ الْيَهُودَ وَمَالَ إِلَيْهِمْ ، وَأَطْرَحَ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَقَّفَتْ لِلعَزِيزِ امْرَأَةٌ بِيَدِهَا قِصَّةٌ مَكْتُوبَةٌ فِيهَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالَّذِي أَعَزَّ التَّصَارِي بَابِنِ نَسْطُورِسَ وَأَعَزَّ الْيَهُودَ بِمَنْشَا بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَذَلَّ الْمُسْلِمِينَ بِكَ إِلَّا مَا نَظَرْتُ فِي أَمْرِي وَكَشَفْتُ ظُلَامَتِي (١) ! فَقبض العزير على عيسى ، وكتب بالقبض على منشأ بالشام ، ثم شفعت ست الملك ابنة العزير في عيسى فردّه إلى ما كان عليه ، وحمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار ، وشرط عليه استخدام المسلمين في دولته وأعماله .

قضاة : أبو طالب محمد بن أحمد البغدادي إلى أن استعفى ، ثم على بن النعمان إلى أن توفى في شهر رجب سنة أربع وسبعين ، فردّ القضاء إلى أخيه أبي عبد الله محمد بن النعمان .

حُجَّابُهُ : الْأَمِيرُ مَنْجُوتَكِينُ [٥٠] ، الْقَائِدُ بَارُوخُ .

وَلَمَّا مَاتَ الْعَزِيزُ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ .

ذِكْرُ بَيْعَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ نَزَارُ ، بْنُ الْمَعزَلْدِينِ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدٍّ ، بْنُ الْمَنْصُورِ بِنَصْرِ اللَّهِ أَبِي طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلَ ، بْنُ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدَ ، بْنُ الْمَهْدِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ . وَهُوَ السَّادِسُ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ ، وَالثَّلَاثُ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنْهُمْ .

بَايَعَ لَهُ أَبُوهُ الْعَزِيزُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِيَلْبِيسَ ، وَكَانَ وَلَّى قَبْلَهُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا فَهَلَكَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْعَزِيزُ ، ثُمَّ جُدِّدَتِ الْبَيْعَةُ لِلْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ صَبِيحَةَ وَفَاةِ أَبِيهِ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٤١ ، الكامل ج ٩ ص ٧٧ ، ص ١١٦ .

يوم الأربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، ولبس أثواب الخلافة ، وتعمَّم بعمامة عليها الجواهر ، وعمره إذ ذلك إحدى عشرة سنة وستة أشهر^(١) . وتولَّى كِفَالته برجوان^(٢) الخادم ، وقام بأمر الجيوش وتدبير الدَّولة أبو محمد الحسن بن عمَّار ابن أبي الحسين ، وتلقب بأمين الدَّولة ، وهو أول من لقب في دولتهم بمصر ، وكان ذلك بوصية من العزيز . قال : وكان الكتاميون قد أضعفهم الوزير ابن كلَّس ، فأظهرهم ابن عمَّار وردَّهم إلى ما كانوا عليه .

ذكر القبض على الوزير عيسى بن نسطورس النصراني وقتله

كان القبض عليه في تاسع شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة : وذلك أن ابن عمار اتهمه بالإغراء عليه ومباطنة منجوتكين ، فبَسَط عليه العذاب . واستخرج منه سبعمائة ألف دينار ، ثم أخرجه لثلاث بقين من المحرم سنة سبع وثمانين على حمار ، إلى المقس ، وضرب عنقه هناك . رحم الله ابن عمار الأمر بقتله ، فلقد حُكِيَ عنه مِنْ جَوْرِهِ على المسلمين وإطْرَاحِهِ لهم ما لا مَرِيد عليه . حكى الأثير بن بيان المصرى أن بعض رؤساء المصريين كتب ورقة يعاتب فيها عيسى على قُبْح فعله مع المسلمين وبالغ، فيها فأجابه عيسى عنها يقول :

(١) ولد بالقاهرة في ٢٣ ربيع أول ٣٧٥ هـ - اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣ . المنتقى من أخبار مصر ص ١٧٦ . وورد أنه ولد في ربيع الآخر في أخبار الدول المنقطعة ص ٦٠ .
(٢) هو الأستاذ أبو الفتوح برجوان ، من خدام العزيز بالله ، قتل سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٠ رقم ١١٢

« إن شريعتنا متقدّمة ، والدّولةُ كانت لنا ثمّ صارت إليكم ، فجزّتم علينا بالجزية والدّلة ، فتي كان منكم إلينا إحسانٌ حتى تطلبونا بمثله! إن مانعناكم قاتلتُمونا ، وإن سألناكم أهتمونا ، فإذا وجدنا لكم فرصة فإذا تتوقّعون أن نصنع بكم . » ثمّ تمثل في آخرها بيتين :

بنتُ كرمٍ غصبُها أمها ثم داسُها ، هواناً ، بالقدم
ثم عادوا حكّموها فيهم وأناهيك بخضمٍ قد حكم!

ذكر مخالفة منجوتكين بدمشق وحره وأسره وسبب ذلك

كان سبب ذلك أن ابن عمار أظهر الكتامين وبالغ في الإحسان إليهم ، وحوّلهم في الأموال ووسط أيديهم ، وفرّق فيهم ما خلفه العزيز . قال بعض المؤرخين : إن العزيز كان عنده عشرون ألف عليقة ما بين فرسٍ وبغل ، وجمل وحمار ، ومن الأموال ما لا يدخل تحت الإحصاء ؛ ففرّق ابن عمار ذلك فيمن أراد اصطناعه . فلما كان في سنة سبع وثمانين ومائتين انبسطت يد كُتامة وجاروا على النَّاس بديار مصر ، وامتدّوا لِأَخْذِ أموالهم ، ثم اجتمع مشايخهم وحسّنوا للحسن بن عمار فقتل الحاكم . فعلم برجوان بذلك ، فبالغ في حفظ الحاكم وضم إليه شكر العُصدي من غلمان عضد الدّولة بن بويه . وكاتبنا منجوتكين أمير دمشق يُعرّفانه ما عزم عليه ابن عمار ، وأنه بسط يد كُتامة في الأموال ومكّنهم من الجور وأنهم حصّروا الحاكم بقصره ، وأشارا عليه أن يقصد مصر ليكون عوضاً عن الحسن بن عمار .

فلما قرأ منجوتكين الكتاب جمع القواد والأجناد وغيرهم بجامع دمشق ، وعرفهم ما جرى من كتامة ، وبكى ، وخرق ثيابه ؛ فأطاعه الناس وحلفوا له على طاعة الحاكم وقتال ابن عمار . فأنفق فيهم الأموال ووثق منهم ؛ وبرز من دمشق في ستة آلاف فارس .

فلما اتصل ذلك بابن عمار عظم عليه وجمع وجوه كتامة وعرفهم الحال ، فقالوا : [٥١] نعرف الناس أن منجوتكين قد عصى على الحاكم وخالف عليه ، وخرج عنه ، ليبالغوا في قتاله ؛ ففعل ذلك وأظهره ، وفرق الأموال في وجوه الدولة . ثم أحضر برجوان وشكر العضدي وقال لهما : أنا شيخ كبير وقد كثرت الكلام على والقول في ، وليس لي غرض إلا في حفظ الإمام الحاكم . وسألها أن يحلفا له على المساعدة فما وسعها إلا أن حلفا (١) له . وندب من وقته أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح وقدمه على العسكر ، وأمره بالمسير إلى الشام ، فخرج في ستة عشر ألف فارس وراجل . فسار سليمان في ثاني صفر ، ورحل منجوتكين إلى الرملة فملكها ومعه مفرج بن دغفل بن جراح ؛ وسار سليمان حتى نزل بظاهر عسقلان .

وتقابل الجيشان بعد ثلاثة أيام ؛ وكان المصاف في يوم الجمعة لأربع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، فاستأمنت العرب من أصحاب دغفل وغيرهم إلى سليمان ، فاستظهر ، وقتل من أصحاب منجوتكين أربعة قواد . وانهمز منجوتكين وأحصيت القتلى من أصحابه فجاءت أئني فارس ، وامتألت أيدي أصحاب سليمان . وبذل سليمان لمن

(١) « حلفوا » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

يُحضر منجوتكين عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب ، فأسره على بن الجراح وحمله إلى سليمان ، فسَيَّره إلى مصر . فاصطنع الحسنُ بنُ عمَّار منجوتكين ، وسار سليمان ونزل طبرية .

فلما بلغ أهل دمشق ما اتفق لمنجوتكين نهبوا داره . وبعث سليمان أخاه إلى دمشق في خمسة آلاف فارس ، فلما وصلها أغلقوا دونه الأبواب ، فكتب إلى أخيه بذلك ، فسار إلى دمشق وتلطَّف بأهلها ، وطيب قلوبهم ، ففتحوا له الأبواب . ودخل البلد واستقر أمره ، وثبت قدمه ، واستتبَّ له الأمر ، فنظر في أمر السَّاحل واستبدل بولاية الجابرين ، وعزل [الأمير] (١) جيش بن الصَّمصامة من طرابلس الشام واستعمل عليها أخاه ، فحضر جيش إلى مصر ولم يجتمع به .

ذكر الفتنة بين المشاركة والمغاربة وهرب ابن عمار وما كان من أمره

كان سبب ذلك أن سليمان بن جعفر لما عَزَلَ جيشَ بن الصَّمصامة عن طرابلس حضر [جيش] (٢) إلى مصر واجتمع بشكر الخادم وبرجوان سرًّا وعرفهما بغير أهل الشَّام في المغاربة ، وكان جيش أيضًا من كتامة وبينه وبين سليمان عداوة متمكنة ، فحسن لهما الفتك بالحسن بن عمَّار ، فوقع هذا الكلام من برجوان بالموقع العظيم مع ما تقدَّم بينهما من الوحشة . وعلم برجوان أن القاهرة ومصر قد خَلَّتَا من المغاربة ولم يبق فيهما إلا العدد القليل ،

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) [إضافة للتوضيح .

وأمكنته الفرصة فانتزها ، ورأسل الأتراك والمشاركة في القَبْض على الحسن ابن عمار .

وأحسن ابن عمار بذلك فقصده المبادرة بالإيقاع ببرجوان وشكر ، ورُتّب جماعة في دهليز داره ، وقرر معهم الفتك بها إذا دخلاً إليه . وكان لبرجوان عيون كثيرة فاطَّلَعوا على ما دبره ابن عمار عليه . واتفق أن الحسن استدعاه [ومعه شكر] (١) فركبا إلى داره ، وكانت في آخر القاهرة مما يلي الجبل ، ومعها جماعة من الغلمان . فلما وصلا إلى باب الدار ظهرت لها عين القضيّة فعادَ إلى القصر بسرعة ، وجردَ الغلمانُ سيوفهم ، فدَخَلَا قصر الحاكم . فثارت الفتنة ، واجتمع الأتراك والدليلم والمشاركة وغيرهم على باب القصر ، وبرجوان يبكي ، وهم يبكون لبكائه ، وهو يجرّضهم على القيام بواجب خدمة الحاكم .

وركب الحسن بن عمار في كتامة إلى الجبل ، وتبعه وجوه الدولة ، فصار في عددٍ كثير . وفتح برجوان خزائن السلاح وفرّقها على الغلمان وغيرهم ، وأحدقوا بالقصر ، فبرز منجوتكين وفارحتكين وبنال الطويل في خمسمائة فارسٍ من الأتراك . ووقعت الحربُ بينهم وبين الحسن بن عمار إلى وقت الظهر من يوم الخميس سلخ شعبان سنة سبعٍ وثمانين وثلاثمائة ، فانهمز ابن عمار ، ورجعت العامة إلى داره فنهبوا ونهبوا خزائنه ؛ واستتر عند بعض العوامَ وتفرّقت عنه جموعه (٢) .

وفتح برجوان باب القصر ، وأجلس الحاكم ، وأوصل إليه الناس ،

[إضافة للتوضيح .

(٢) عن الآراء المختلفة في أسباب هذه الفتنة وأحداثها . انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٤٨ - ٤٩ .

وجدد له البيعة على الجند ، فلم يختلف عليه أحد ؛ وكتب الأمانات لوجوه
 كتامة وقواد الديلم وراسلهم بما يطيب قلوبهم فأنوه . واستقام أمر برجوان
 وكتب إلى أهل دمشق يطيب قلوبهم ويأمرهم بالقيام على سليمان والإيقاع
 به ؛ فنار أحداث^(١) دمشق وقصدوا دار أميرها سليمان ، فوجدوه وقد انتهى
 بالشرب وانهمك على لذاته ، فهرب على ظهر فرسه ونهبت خزائنه [٥٢]
 وأمواله . وجعل برجوان الحسين بن القائد جوهر قائد القواد ، وبعث جيش
 ابن محمد بن الصمصامة إلى دمشق ، وتلطف في إخراج الحسن بن عمار من
 استتاره ، فخرج ، فأعاد برجوان عليه ما كان بيده من الإقطاعات وحلّقه ألا
 يخرج من داره .

وفي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة عصى أهل صور على الحاكم بسبب فتنة
 برجوان وابن عمار وقتلوا جماعة من جند المصريين ، وثار بعض الملاحين من
 أهلها . ويعرف بالعلاقة ، فملك البلد .

وثار مفرج بن دغفل الجراحي بالرملة ونهبها .

فندب برجوان إلى الشام أبا الحسن عبد الصمد ابن أبي يعلى ، وضم إليه
 عسكرياً . فسار من القاهرة لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . سنة ثمانٍ
 وثمانين^(٢) . فلما وصل إلى الرملة حضر إليه من جند الساحل خمسة آلاف

(١) أحداث : جمع حدث ، ومعناها الشبان الصغار ، وكان الأحداث يكونون نوعاً من رجال
 الشرطة أو الحرس ، وقاموا بدورهم في مدن سوريا . خاصة في حلب ودمشق ، والفارق بين
 الأحداث والشرطة في طريقة تجنيدهم المحلية غير الرسمية ، فهم رجال مسلحون من أهل
 البلد — انظر هامش ٣ في اتعاظ الحنفا جـ ١ ص ٢٢٩ ، ومادة حدث في دائرة المعارف
 الإسلامية .

(٢) « وثلاثين » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث ، وانظر اتعاظ الحنفا
 جـ ٢ ص ١٨ - ١٩ .

فارس ، ووجد سليمان بن جعفر [بن] (١) فلاح بها فقبض عليه وسيّره إلى مصر . وسيّر إلى صور أبا عبد الله الحسن بن ناصر الدولة وياقوتا الخادم ومنّ معه من عبيد الشراء ، فوَقعت الحرب بينهم وبين أهل صور ؛ ثم طلبوا الأمان فأمنوا . وأسر العلاءة الثائر ، وكان قد استنصر بالروم ، فسُلخ وهو حيّ ، وحُشى جلده تَبَيّاً وصلب . وكان قد ضرب على الدينار بصور « عزّ بعد فاقة ، وشطارة بلباقة ، للأمير العلاءة » .

وفيها في شعبان ورد الخبر بفتح أنطاكية على يد [الأمير] (٢) جيش بن محمد ابن الصمصامة .

ذكر قتل برجوان الخصى

كان مقتله في ثالث عشر (٣) شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة . وسبب ذلك أنه كان لِفِرْطٍ إشفاقه على الحاكم منعه من الركوب خوفاً عليه ، ومنعه من العطاء لغير مستحقّ ، فنقل على الحاكم ، ولم يبقَ للحاكم في الأمر غير الاسم ، واستبدَّ برجوان بالأمر . وكان عند الحاكم خادماً اسمه ريدان الصقلبي قد اختصَّ به وأنس إليه ، فشرع في إغراء الحاكم على برجوان . وكان من جملة ما قال له : إن هذا يقصد أن يفعل بك كما فعل كافور الإخشيدي مع أولاد سيده ، فباطن الحاكم الحسين بن جوهر قائلاً

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) « في سادس عشر » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٢٥ . « سادس عشرى » في المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣ .

القواد على قتل برجوان ، ووعده أن يفوض إليه تدبير الأمر بعده . ثم ركب الحاكم وبرجوان في بعض الأيام إلى بستان اللؤلؤة^(١) على عادته ، فقال عليه ريدان بسكين فضره بها في ظهره وأخرجها من صدره . فقال برجوان للحاكم : غُدِرت . فزَعق على الخدَّام فاحتزُّوا رأسه ، فانزعج النَّاس لذلك ولبسوا السلاح ، فسبق الحاكم ودخل القصر . وحضر شكر الخادم والجند وأحاطوا بالقصر ظناً منهم أن الحسن بن عمار تمَّم على الحاكم حيلة . فلما رأى الحاكم ذلك تراءى للنَّاس فترجلوا وقبَّلوا الأرض ، وسكنت الفتنة . ثم فتح الحاكم القصر واستدعى أكابر النَّاس وقال لهم : أنكرت على برجوان حاله وقتلته ، واستدعى الحسين بن جوهر وأمره بصرف النَّاس إلى منازلهم ، فصرفهم .

وركب مسعود الحاكمي إلى دار برجوان فأحاط على ما فيها ، وكان من جملة ما وجد له ألف سرّوال^(٢) ديبق بألف تكّة حرير ، وناهيك بوجوده يكون هذا من جملته .

وإلى برجوان هذا تنسب حارة برجوان^(٣) التي بالقاهرة .

واستقرَّ الحسين بن جوهر في تدبير الدّولة في ثالث جُمادى الأولى من السنة .

وقتل في أثناء هذه الفتنة الحسن بن عمّار الكتامي . وتوفّي جيش ابن محمد بن الصّمصامة أمير الشام بدمشق في ثالث عشر ربيع الأول منها ،

(١) « كان الحاكم في بستان يعرف بدويرة التين والعناب » بالقصر — المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٤ ، انعاظ المنفا جـ ٢ ص ٢٥ .

(٢) « سراويل » في الأصل .

(٣) انظر المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٣ .

وندى الحاكم لولايتها القائد تميم بن اسماعيل المعزى الملقب بفحل .

ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله وأمر به
من الأمور الدالة على اضطراب عقله
بعد أن استقل بالأمر بمفرده

كان أول ذلك أنه نهى في سادس شهر رجب سنة تسعين وثلاثمائة أن يخاطب الناس بعضهم بعضاً بسيدنا أو مولانا ، وألا يخاطب بذلك غيره (١) .
وفي سنة إحدى وتسعين ، في شهر المحرم ، أمر أن تُزَيَّن مصر ويفتح الناس دكاكينهم ليلاً ، ولأزم الركوب بالليل ، وكثر ازدحام الناس ، وصار البيع بالليل أكثر من النهار ، وأكثر الناس الوفود . وغلب النساء على أزواجهم على الخروج ، فأمر في رابع عشر الشهر ألا تخرج امرأة من العشاء لهذا السبب ، فلم يخرجن بعد أمره (٢) .

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين حصل للحاكم مرض المانخوليا ، فأخذ في قتل أرباب الدولة وذوى المناصب وغيرهم ، وصدر عنه من الأفعال [٥٣] ما نذكره إن شاء الله تعالى بتواريخه على حكم السنين .

ذكر بناء الجامع المعروف بجامع راشد

كان ابتداء عمارته في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وكان سبب إنشائه أن أبا المنصور الزيات الكاتب زرع هذا الموضع

(١) قرئ بذلك سجل في القصر - اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٥ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٨ .

وبنى للتَّصَارِي فِيهِ كَنِيسَةً فَرَفَعَ أَمْرُهُ لِلْحَاكِمِ ، فَأَمَرَ بِهَدْمِ الْكَنِيسَةِ وَأَنْ يُجْعَلَ
مَوْضِعُهَا مَسْجِدًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّوَسُّعِ فِيهِ ، فَخَرِبَتْ مَقَابِرُ الْيَهُودِ وَالتَّصَارِي ؛
وَجُمِعَ فِيهِ الْجُمُعَةُ لِلْيَلْتِنِ بَقِيَّتَا مِنَ الشَّهْرِ ، وَبُنِيَ فِيهِ مَنِيرٌ مِنَ الطَّيْنِ ، وَصَلَّى
فِيهِ ابْنُ عَصْفُورَةَ الْقَارِي . ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْحَرَابَ وُضِعَ عَلَى غَيْرِ صِحَّةٍ
فَهُدِمَ مَا كَانَ ارْتَفَعَ مِنَ الْبِنَاءِ ، ثُمَّ بَنِيَ عَلَيْهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ (١) .

ذِكْرُ بِنَاءِ الْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَاكِمِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ بَابِ النُّصْرِ وَ[بَابِ] (٢) الْفَتْوحِ بِالْقَاهِرَةِ

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْعَزِيزَ بِاللَّهِ كَانَ قَدْ اخْتَطَّهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَاتَ
الْعَزِيزَ بِاللَّهِ وَلَمْ تَكْمَلْ عِمَارَتُهُ (٣) .

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، لِلْيَلْتِنِ بَقِيَّتَا مِنَ جُمَادَى
الْأُولَى ، أَمَرَ الْحَاكِمُ بِاللَّهِ بِإِتْمَامِهِ . وَقِيلَ إِنَّ الْوَزِيرَ يَعْقُوبَ بْنَ كَلَّسَ ، وَزِيرَ
الْعَزِيزِ ، هُوَ الَّذِي كَانَ بَدَأَ بِعِمَارَتِهِ وَقَدَّرَ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَخْرَجَ لَهُ
خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَمَاتَ وَلَمْ يَكْمَلْ ، فَابْتَدِئَتْ بِعِمَارَتِهِ فِي هَذَا التَّارِيخِ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ الْحَاكِمُ مَقْدَادَ ابْنِ حَسَنِ كَاتِبَ جَوْهَرَ ، ضَرَبَ عُنُقَهُ
وَأَحْرَقَ بِالنَّارِ ، وَفِيهَا لِلْيَلْتِنِ خَلَّتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ قَتَلَ رِيْدَانَ الصَّقْبَلِي

(١) المقصود بالآن عصر المؤلف ، فليس لهذا الجامع وجود في العصر الحالي — وعن جامع راشده
انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح تتفق وسياق الكلام .

(٣) « صلى العزيز باقه في جامعهم صلاة الجمعة وخطب » وذلك في ٤ رمضان ٣٨١ هـ قبل أن
يكتمل بناؤه — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٧ .

الخدام ، وكان خصيصا به مكينا عنده ، وإليه ينسب الريدانية التي هي بظاهر القاهرة خارج باب التصر . وفيها قتل منجمه العكبري صاحب الرصد الحاكمي وكان شديد الاختصاص به . ونادى مُناديه بإباحة دم المتجمين وأنهم كفار ، فهربوا ولم يبق بالديار المصرية منجم .

وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة اشتدت السّوداء على الحاكم ، فصار يركب في الهاجرة حمارة بلقاء والسياف بين يديه ، فيقتل من يخطر بخاطره قتله . فقتل خلقا كثيرا وغرق وأحرق ، حتى قتل الركابية^(١) وأصحاب السّتر والوزراء والقضاة ؛ واستمرّ به هذا الحال .

وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، في رابع عِشْرِي المحرم قرئ سجل من الحاكم بمنع الملوخيا^(٢) والمتوكلية^(٣) والترمس المعفن والدّليس^(٤) وعمل الفقاع^(٥) ، وعن ذبح البقر^(٦) ، وألا يدخل أحد الحمام إلا بمشزر ، ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ، وألا يباع من السمك ما ليس له قشر .

(١) الركابية : هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة عند ركوبه في المواكب ، ولم يزدى خاص بهم ، وكانوا يسمون أيضا صبيان الركاب الخاص ، وهم الذين عرفوا في عصر الماليك باسم السلاحدارية والطردارية — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠ .
وهم غير الركبادارية الذين يحملون الفاشية بين يدي السلطان في العصور التالية — صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٠٧ .

(٢) « وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية إليها » أخبار الدول المنقطعة ص ٤٤ .

(٣) « لنسبتها للمتوكل » الخليفة العباسي ، نفس المصدر ص ٤٤ .

(٤) نوع من السمك الصغير لا قشر له — انظر ما يلي .

(٥) شراب كالرمان يصنع من الشعير — القاموس .

(٦) « إلا ما يصلح للحرث » في اتماظ الحنفا ج ٢ ص ٥٣ .

وفي رابع صفر منها كتب على المساجد بسب الصحابة رضى الله عنهم ، وعلى حيطان الشوارع والقياسر^(١) ، ثم نهى عن ذلك فى سنة سبع وتسعين . وأمر اليهود والنصارى الا الحبايرة بلبس السواد^(٢) ، وأن يحمل النصارى الصلبان على أعناقهم ، وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنه عشرة^(٣) أرطال ، وعلى أعناق اليهود قوامى الخشب والجلجل ، وألا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة ، وأن يكون ركبهم من الخشب وألا يستخدموا أحداً من المسلمين ولا يركبوا حماراً لمكار مسلم .

وفي سابع عشرى صفر منها نودى بالقاهرة ألا يخرج أحد بعد عشاء المغرب إلى الطريق ولا يظهر بها .

وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر منها أمر بقتل الكلاب فقتلت عن

آخرها^(٤) .

وفي تاسع عشر جمادى الآخرة فتحت دار بالقاهرة وسميت دار الحكمة^(٥) ، وجلس فيها الفقهاء وحملت إليها الكتب من خزائن القصور ، ونسخ الناس من الكتب ما اختاروه ؛ وجلس فيها القراء والفقهاء والنحاة واللغويون ، والأطباء والمنجمون ، بعد أن فرشت وزخرفت ، وعُلقت الستور على جميع أبوابها وممراتها ، وجعل لها قواماً ونحداً . وحصل فى هذه الدار من الكتب والخطوط المنسوبة ما لم يُر مثله ، وأجريت بها الأرزاق .

(١) القياسير « فى الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) « وشعارهم بالسواد شعار الفاصيين العباسيين » - انعاظ المنفا جـ ٢ ص ٥٣ .

(٣) حدد فيها بعد بخمسة أرطال - انظر ما يلى فى أحداث سنة ٤٠٣ هـ .

(٤) « فقتلوا عن آخرهم » فى الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٥) دار الحكمة ، وتعرف أيضاً بدار العلم - المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٥٨ .

وفي هذا الشهر مُنِعَ الناس من العبور إلى القاهرة ركباً مع المكارية ،
وَمُنِعَ من الجلوس على باب الزُهومة^(١) إلى أقصى [٥٤] الباب
[المعروف]^(٢) بباب الزمرد .

وفي سنة ستٍ وتسعين وثلاثمائة ركب الحاكم في موكبه ومعه أرباب
دولته فمرَّ على الموضع الذي يُباع فيه الحطبُ وقد تراكمت الأحطابُ فيه
بعضها على بعض ، فوقف وأمر أن تُوجَّع النَّارُ في بعضها ، ثم أمر بقاضي
القضاة بمصر ، وهو الحسين بن علي بن النعمان ، فأُنزل عن دابته ورُمي به في
تلك النَّار حتى هلك^(٣) ، ولم يتقدَّم له مقدِّمة توجب ذلك^(٤) . ثم مرَّ كأن
لم يصنع شيئاً .

ذكر أبي ركوّة وظهوره وما كان من أمره إلى أن قتل

كان ظهوره في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وأدعى أنه الوليد بن
هشام^(٥) بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي ، وتلقب بالنائر بأمر الله

(١) باب الزهومة : من أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي ، في آخر ركن القصر ، وكانت
حوائج الطعام تدخل من هذا الباب ، ولذلك عرف باسم باب الزهومة ، أي باب الزفر -
المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٢) إضافة تنفق وسياق الكلام - انظر أيضاً اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) باب الزمرد : من أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي ، وكان يتوصل منه إلى قصر الزمرد
فعرف به - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٤) « ضويت رقبته ثم أحرق بالنار » في اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٥٩ .

عن سبب قتل القاضي انظر اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٥٩ .

(٥) « من ولد هشام بن عبد الملك » في الكامل ج ٩ ص ١٩٧ .

والمنتقم من أعداء الله . ونحن الآن نذكر أخباره وابتداء أمره ، وكيف تنقلت به الحال إلى أن كان منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

كان مولده بالأندلس ونشأ بها ثم خرج منها بحال سيئة يحوبُ البلاد إلى أن وصل إلى القيروان ، ففتح بها مكتباً يعلم الصبيان فيه القرآن ، ثم توجه منها إلى الإسكندرية ومنها إلى مصر فأقام بها وبأريافها يعلم الصبيان ، ثم توجه إلى الفيوم وعلم بها الصبيان أيضاً ، وعاد إلى مصر ، وخرج إلى سبك الضحاك^(١) فنزل به على رجل يعرف بأبي اليمن ، ثم نزل بقرنفيل^(٢) وسار منها إلى البحيرة فنزل على بني قره . وكان الحاكم قبل ذلك في سنة خمس وتسعين قد بعث إليهم جيشاً مقدمه أبو الفتيان التركي وقتل الحاكم بعضهم وحرقهم بالنار ، فوجدتهم قد أجمعوا على أن يلتقوه بجمعهم ويحاربوه ، ولم يعلموا من يُقدمونه عليهم ، فعرفهم أبو ركوة^(٣) أنه من بيت الخلافة ، فانقادوا إليه وبايعوه بالخلافة ، ونُبت^(٤) بأُمير المؤمنين ، وانضاف إليهم من لوانة ومزاتة وزناتة جمع كثير ، وجاءوا إلى مكان بالقرب من برقة .

فلما بلغ الحاكم أمره جهز العساكر لقصده ؛ فأول من خرج بها ينال الطويل التركي في منتصف شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فالتقوا

(١) سبك الضحاك : من القرى القديمة من أعمال المنوفية ، ويسمى العامة سبك التلات . لأن سوقها الأسبوعي يعقد يوم الثلاثاء - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) قرنفيل = قرانفيل : من القرى القديمة - تابعة لمركز قلوب من أعمال القليوبية - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٧ .

(٣) « وإنما كنى أبا ركوة لركوة كان يحملها في أسفاره ، سنة الصوفية » - الكامل ج ٩ ص ١٩٧ .

(٤) « وبعت » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع ما جاء في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٦٠ . وورد « وخطبوا أبا ركوة بالإمامة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٤٥ .

واقْتتلوا ، فقتلَ يَنالٍ وعامَّةٌ مَن معه من العساكر ، وغنموا مامعهم .
وسار أبو ركوكة إلى برقة وأخذها بعد حصارٍ ، فاستفحل أمره .

وشرع الحاكم في تجريد العساكر إليه ، فجهَّزها في شهر ربيع الأول سنة
ستٍّ وتسعين وعليها ابن الأرمينية ، فسار إلى المكان المعروف بالحمام^(١) ، فلقبه
بنو قرّة في جماعتهم فهزموه وقتلوه وانتهبوا ما كان معه .

فندب الحاكم عسكرياً وقدم عليه أبا الحسن ابن فلاح وجلين وإبراهيم بن
الأفرنجية ؛ ثم ندب القائد أبا الفتوح فضل بن صالح لقتاله ، فخرج إلى
أرض الجيزة في رابع شوال وأنفق في العساكر ، وكوتب على بن الجراح
بالوصول إلى الحضرة ، فورّد من الشام في سابع عشر شوال . وورد الخبر
بنهب الفيوم ، فبعث الحاكم سرية لحفظه ، وسار الفضل بن صالح عن
مكانه إلى ذات الكوم^(٢) في رابع ذي القعدة ، وكسر أبو ركوكة عسكر ابن
فلاح ونهب سواده والخزائن التي معه ، وقتل من أصحابه جماعة ؛ فاضطرب
الناس واشتد خوفهم ، وباتوا في الدكاكين والشوارع . وتوجّه القائد فضل
للقاء أبي ركوكة ، فالتقيا بموضعٍ يُعرف برأس البركة ، على نصف مرحلة من
مدينة الفيوم ، لثلاث خلون من ذي الحجة . واقتتل العسكران قتالاً شديداً
وانجملت الحرب عن قتل عامّة عسكر أبي ركوكة . وانهمز أبو ركوكة إلى بلاد
النوبة وتبعه الفضل إلى الأعمال القوصية .

(١) الحمام : من القرى القديمة ، غربي الاسكندرية بنحو ٧٤ كم على السكة الموصلة بين
الإسكندرية ومرسى مطروح - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) ذات الكوم : من القرى القديمة بمركز إمبابة ، من أعمال الجيزة - القاموس الجغرافي ق ٢
ج ٣ ص ٦١ .

وذكر بعض المؤرخين أن الحاكم لما أعيأه أمره دس إليه جماعة من أولياء دولته وأمرهم بطاعته ، وأن يذكروا انحرافهم عن الحاكم بسبب قتله لهم ؛ ففعلوا ذلك ، فاعتر به (١) ، ووصل معهم إلى أوسيم على ثلاثة فراسخ من القاهرة ، فالتقى هو والفضل كما ذكرنا ، وأتبعه ، فبلغه أنه وصل إلى بلاد النوبة فكتب إلى ممتلكها يقول إن عدو أمير المؤمنين الحاكم في بلادك ، وكتب إلى صاحب الجبل وهو نائب صاحب دنقلة ومقره ببلد الدو (٢) فيما بين دنقلة وأسوان . وندب الفضل من العسكر من توجه لقبضه ، وكان المساعد على مسكه الشيخ أبوالمكارم هبة الله ، شيخ بني ربيعة وقيل إنه وجد في دير يعرف بدير أبي شنودة في أطراف النوبة ، فمسك . وكان الطعن به في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

وعاد القائد فضل إلى القاهرة فوصل إلى بركة الحبش في يوم الجمعة ، التصف من جمادى الآخرة منها ، وتلقاه أكابر الدولة الحاكمة ؛ وركب في سابع عشر الشهر وأبوركوة على جمل وعلى رأسه طرطور ، وطيف به على هذه الصفة وخلفه قرد يصفعه (٣) ، ثم صُلب [٥٥] وضربت عنقه وجُهِزَت

(١) انظر اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٦٢ .

(٢) الدو، وتسمى أيضا الدر، بلدة قديمة من بلاد النوبة، وإليها ينسب مركز الدر بمحافظة أسوان - القاموس الجغرافي ق ١ ص ٥٨ .

(٣) « وكان بمصر رجل شيخ يعرف بالإزاري ، ومن عادته إذا خرج خارجي أن يصبغ طرطوراً كبيراً بألوان الصبغ ، ويعلق عليه من أصناف الخرق الملونة ، ويتتاع قرداً ويعلمه أن يصفع الطرطور بكرة يتخذها له ، فإذا ظفر بالخارجي وأريد إشهارة أركب جلاً وأحضر الإزاري ، ورسوم له أن يلبس الطرطور ، ويقيم القرد من خلفه يصفعه بالدرة ، ويركب معه على الجمل ، وينادي عليه ميمناً وشمالاً حتى يشاهده الناس إلى الموضع الذي يقتل فيه ، فإذا فرغ من ذلك أطلق له مائة دينار وخمس قطع ثياب على رسم ثابت في الديوان » - أخبار الدول المنقطعة ص ٤٧ . وانظر أيضاً النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٦ .

رأسه إلى البلاد .

ونقل بعض المؤرخين أنه اعتُبرت الأكياس التي خرجت مع القائد فضل لما خرج للقاء أبي زكوة ، وكان زنتها فوارغ خمسة وعشرين قنطاراً . وقيل إن جملة ما أنفق ألف ألف دينار والله أعلم .

وفي سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة أمر الحاكم بقتل أصحاب الأبخار حيثما وجدوا ؛ وذلك أن كان قد قتل خلقاً كثيراً لسعايتهم ، ثم أُطلع على خيانتهم وأنهم صيروا ذلك معيشةً ، فقتلهم عن آخرهم .

وفيها أمر يهدم كنيسة قمامة بالبيت المقدس ، فكتب ابن خيران صاحب ديوان الإنشاء في ذلك الخرج أمر الإمامة يهدم كنيسة قمامة (١) ، فليُصير طولها عرضاً ، وسقفها أرضاً .

وفي سنة ثمانٍ وتسعين أيضاً ، في سابع عشر (٢) شعبان ، عزل القائد حسين بن جوهر عن جميع ما كان يتولاه ، وكُتب سجل بتوليته صالح بن علي بن صالح الروزباري فانصرف الحسين إلى داره وأمر بلزومها ، ثم خُلع عليه وركب في رابع عشر جادى لآخر سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة (٣) .

وفي سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة ، في يوم الجمعة التاسع من شهر رمضان ، حضر الناس إلى القصر وقُرئ سجل لصالح بن عليّ لقب فيه بثقة الثقات للسيّف والقلم ، وخلع عليه ، وقيد بين يديه بغلات وخيل .

(١) كنيسة قمامة = كنيسة القيامة : وأصل تسميتها بالقمامة يرجع إلى أن القبر المقدس بني على الموضع الذي كانت توضع به القمامة خارج سور بيت المقدس ، وهو الموضع الذي يقال أن المسيح صلب فيه - معجم البلدان .

(٢) « في يوم الجمعة سابع شعبان » في اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٣٩٨ هـ - في اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٧٤ .

وفيهما مرض الحاكم فداواه بن معشر ، فأعطاه عشرة آلاف دينار .
وفيهما سخط الحاكم على وزيره ابن المغربي وقتله ، وقتل أخاه وابنه ،
وهرب ابنه الآخر إلى الشام .

وفيهما في تاسع عشر ذى الحجة أمر الحاكم بهدم كنائس القنطرة التي في
طريق المقس وكنائس حارة الرّوم ، فهدم جميع ذلك .

وفي سنة أربعمائة ، في يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان ، جمع
الأولياء . وأصحاب الدواوين في صحن الإيوان بالقصر ، وخلع على أبي
نصر بن عبدون ، وقرئ سجله ، ولقب بالكافي ، وولى مكان صالح بن
على بن صالح الروزبارى . وكانت مدة ولاية صالح سنتين وأربعة عشر
يوماً .

ذكر خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعهم لأبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى وما كان من أمرهم

كان سبب ذلك أن نصر بن عبدون كان بينه وبين بنى المغربي عداوة
متمكنة ، فسعى بهم عند الحاكم وأغراه ، إلى أن أمر بضرب أعناقهم ،
وذلك في ثالث ذى القعدة سنة أربعمائة ؛ فقتل أخوى الوزير وولده وثلاثة
من أهل بيته ، واستتر الوزير أبو القاسم بن المغربي وهرب إلى الشام ، في تاسع
ذى القعدة منها ، والتجأ إلى حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح ،
واستجار به فأجاره ؛ وأنشده عند دخوله عليه :

أَمَا وَقَدْ خَيَّمْتُ وَسَطَ الْغَابِ فَلْيَقْسُونِ عَلَى الزَّمَانِ عِتَابِي
يَتَرَنَّمُ الْفُؤَادُ دُونَ مُحَيَّبِي وَتَرَعَزُ الْخِرْصَانُ دُونَ قِيَابِي
وَإِذَا بَنَيْتُ عَلَى السَّيِّئَةِ خَيْمَةً شُدَّتْ إِلَى كَسْرِ الْقَنَا أَطْنَابِي

وهي قصيدة مطولة مدح بها آل الجراح . فلما سمعها حسّان هشّ لها
وجدد من القول ما طاب به قلب الوزير وسكن جأشه .

ثم حسن ابن المغربي لبني الجراح أن يخرجوا عن طاعة الحاكم ، فوافقوه
على ذلك ، وقتلوا نارتيكين أحد الأمراء الحاكمة المقيم بالرملة ؛ ثم حسن لهم
أن يقيموا أبا الفتوح الحسن بن جعفر الحسني خليفة ، وهو أمير الحرمين
يومئذ^(١) ، وأن يحضروه من مكة ؛ فأجابوه إلى ذلك ، وأسلوا إلى مكة
وأحضروه إليهم . فلما قرب أبو الفتوح من ديار بني الجراح خرجوا إليه
وتلقّوه ، وقبلوا الأرض بين يديه ، وبايعوه بالخلافة ولقبوه الراشد بالله .
فحينئذ صعد أبو القاسم بن المغربي المنبر وخطب خطبة يحرّض الناس فيها على
الخروج على الحاكم ، فأشار إلى مصر وقرأ : ﴿ طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
الْمُبِينِ * نَتَلَوُا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ
عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٤٩ . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٧ .

الأَرْضِ وَتُرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا [مِنْهُمْ] (١) مَا كَانُوا
يَخْذَرُونَ ﴿٢﴾ .

فلما سمع الحاكم ذلك أزعجه ، فندب الجيوش لقتالهم ، مع ياروخ
تكنن العزيزي ، فاعترضه حسان بين رفع والدَّارُوم (٣) ، والتَّقْوَا واقتلُوا ،
فانهزمت أصحاب ياروخ تكنن ، وأسر هو ونقل إلى الرملة ، وسمع غناء
جواريه وحظاياها بمحضوره وهو مقيدٌ معه في المجلس ، وارتكب معه الفواحش
العظيمة ، ثم قتله صبراً بين يديه .

وبقي الشام ليني الجراح . فشرع الحاكم [٥٦] يأخذهم بالملاطفة ،
ورأسلهم ، وبذل لهم الرغائب والأموال ، والأقشة والجواري ، وقرر لكلُّ
واحدٍ منهم خمسين ألف دينار عيئاً ، واستألمهم عن أبي الفتح . فاتصل ذلك
بأبي الفتح ، فقال لهم : إن أخي قد خرج بمكة ، وأخاف أن يستأصل
ملكى بها . فأعادوه إلى مكة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وأربعمائة . وكان
الحاكم قد أرسل إلى الوزير أبي القاسم بن المغربي وكتب له أماناً واستأله ،
وبني على أهله ثرباً في القرافة وهي (٤) ست ترب ، وتعرف بالسبع قباب إلى
هذا الوقت .

ولما ورد أمان الحاكم على أبي القاسم وهو مقيمٌ عند بني الجراح أجابه
برسالةٍ وضمّن أولها بيتين :

(١) [إضافة لاستكمال الآية .

(٢) سورة القصص رقم ٢٨ الآيات ١ - ٦ .

(٣) الداروم = الدارون : قلعة بين غزة والعريش ، على ساحل البحر - معجم البلدان .

(٤) « وهم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

وأنت ، وحَسْبِي أنت ، تعلم أن لي لسانًا أمام المجد يثني ويهدم^(١)
وليس كريمًا^(٢) من تُبَاسُ يمينه فيرضى ، ولكن من يُعَصُّ فَيَحْتُمُّ

وسأل آل الجراح أن يجهزوه إلى العراق فجهزوا معه من أخرجه من بلاد
المغاربة ؛ وعاد بنو الجراح إلى طاعة الحاكم . وأقام ابن المغربي بالعراق إلى
أن توفي بميافارقين^(٣) في سنة ثمان عشرة وأربعمائة ؛ وحمل إلى الكوفة فلدفن
بها . ولما فارق آل الجراح قدم بغداد وتقلد الوزارة لمشرف الدولة بن بويه كما
ذكرنا ذلك في أخبار الدولة البويهية^(٤) .

ذكر تفويض السفارة والوساطة لأحمد بن محمد القشورى وقتله

وفي سنة إحدى وأربعمائة في يرم الخميس رابع المحرم استدعى الحاكم
الناس على طبقاتهم إلى القصر فركبوا^(٥) معه إلى خارج باب الفتوح ، ثم عاد
إلى قصره وأمر من مكان بالموكب بالتزول إلى القصر ، فترلوا وحضروا في
الإيوان . فخرج من عند الحاكم خادمٌ فأخذ بيد أحمد بن محمد المعروف
بالقشورى^(٦) الكاتب وأخرجه من بين القوم ، ثم عاد القشورى وقد خُلع

(١) « نثنى ونهدم » في الأصل .

(٢) « وليس كريم » في الأصل .

(٣) ميافارقين : مدينة بديار بكر في إقليم الجزيرة شمال العراق — معجم البلدان .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٢٤٦ وما بعدها .

(٥) « فركب » في الأصل .

(٦) انظر اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٨٤ وما بعدها .

عليه ويده سجلّ ، فأخذَه أبو على العباسي الخطيب وقرأه على الناس ، فإذا هو يتضمّن تقليده السّفارة والوساطة بين الناس وبين الحاكم ، وتفويض الأمور إليه . وصرفَ ابن عبدون . وأقام [القشوري] (١) إلى الثالث عشر من الشهر ، فقبض عليه وقتَ الظّهر وهو في مجلس ولايته ، وضربت رقبته ، ولُفّ في حصرورمي . فكانت ولايته عشرة أيام . وكان سبب ذلك إكرامه للقائد حسين بن جوهر وتعظيمه له وكثرة سؤاله الحاكم في معناه .

وفوضت هذه الوظيفة في يوم الأحد رابع عشر الشهر لأبي الخير زُرعة (٢) ابن عيسى بن نستورس النصراني الكاتب ، على عادة من تقدّمه ، ولم يخلع عليه إذ ذاك ، ثم خلع عليه في سابع عشر شهر ربيع الآخر منها .

وفي السادس والعشرين منه قرئَ بجامع مصر سجلّ يتضمّن التّهي عن معارضة الحاكم فيما يفعلُه ، وترك الخوض فيما لا يعني ، وإعادة حتى على خير العمل في الأذان ، وإسقاط الصلاة خير من التّوم ، والتّهي عن صلاة التراويح والضّحي .

وفي ثاني عشر شهر جمادى الآخرة دخل قائد القواد الحسين بن جوهر ، والقاضي عبدالعزيز بن النعمان إلى القصر ، وكان قد خلع عليهما في ثاني صفر ، فلمّا أراد الانصراف بعث إليهما زُرعة بن نستورس يقول إن الخليفة يريدكما لأمر يختاره . فجلسا حتى أنصرف الناس ، فقتلا وقُتل معها أبو على أخو الفضل بن صالح ، ووقعت الحوطة على دارهم .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) « ولقب الشافي » . وتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م - الإشارة ص ٢٨ .

وفي سنة إحدى وأربعمئة قامت دعوة الحاكم بالمدائن ، وهي على نصف مرحلة من بغداد ، وخطب له بمدينة الأنبار وقصر ابن هبيرة^(١) من العراق بدخول مالك بن عقيل بن قراوش بن المقلد^(٢) في طاعته وإظهار تشييعه ، وذلك في أيام الخليفة القادر العباسي^(٣) . ثم بلغ قراوش بن المقلد اختلال أمر الحاكم وقتله أرباب دولته وأن المانغوليا غلبت عليه ، فأعاد الخطبة العباسية

وفيهما قام بدعوة الحاكم بمدينة الجامعين وهي الحلة^(٤) وماجاورها من العراق الأمير على^(٥) بن مزيد الأسدي ، وكان قد هزم خفاجه واستولى على بلادهم وخطب فيها للحاكم .

وفي سنة اثنتين وأربعمئة تاب الحاكم ونهى عن شرب الخمر وعن كل ما يعمل منه ، كالزبيب والعسل ؛ ونهى المغاني ، وحرم الملوخيا . ومنع أن تُقبّل الأرض بين يديه ، وأن تُقبّل يده ، وأن يخاطب بمولانا ؛ واقتصر على قولهم السلام على أمير المؤمنين .

(١) قصر ابن هبيرة = الهاشمية : بالكوفة - معجم البلدان .

(٢) من الأسرة العقيلية التي حكمت الموصل وغيرها ، وبنو عقيل قبيلة عربية كبيرة ، فهي إحدى القبائل الخمس التي يتكون منها بنو كعب ، وكان حاكم الموصل في ذلك الوقت معتمد الدولة أبو المنيع قراوش بن المقلد ، والذى ولى أمر الموصل في الفترة ٣٩١ - ٤٤٢ هـ / ١٠٠١ - ١٠٥٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٣) هو أبو العباس أحمد القادر باقر ، ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة ٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ .

(٤) الحلة : تقع في مواجهة مدينة « الجامعان » أو الجامعين ، على نهر الفرات بالعراق . وكانت تعرف بحلة بنى مزيد أو الحلة السيفية - معجم البلدان .

(٥) هو على بن مزيد الأسدي ، سند الدولة ، الذى ولى حكم الحلة في الفترة من ٤٠٣ - ٤٠٨ هـ / ١٠١٢ - ١٠١٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وفي سنة ثلاث وأربعمائة قطعت كروم العنب بأسرها ورُميت إلى الأرض
 ودُرست بالبقر ، وجمع ما كان من الخمر بالمخازن وأهريق في البحر . وفيها
 كسرت جرار العسل ؛ وأمر اليهود والنصارى بلبس العمام السود إلا الجبابة ،
 ومُنِعوا أن يستخدموا [٥٧] المسلمين ؛ وأن يركبوا مع المكارية ؛ وإذا دخل
 النصراني الحمام يكون الصليب في عنقه ، واليهودي الجلجل ؛ ثم أفرد بعد
 ذلك حمامات للنصارى وحمامات لليهود ؛ وأسلم جماعة من النصارى في شهر
 ربيع الأول .

وفيها في شهر ربيع الآخر شدّد الحاكم على النصارى واليهود في حمل
 الصُّلبان ، وأن يكون الصليب في طول ذراع وزنته خمسة أرتال^(١) ، فلما أضرَّ
 ذلك بهم دخلوا في دين الإسلام .

وفيها في شهر رمضان أمر الحاكم ببناء مُصلّى العيد^(٢) بسفح المُقطَّم
 وأحسن بناءه ، وكان قبل ذلك ضيقًا صغيرًا ، فهدمه الحاكم وبناه على
 ما هو عليه الآن .

ذكر هدم كنائس الديار المصرية

وفي العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بهدم
 جميع الكنائس بالديار المصرية فسأل جماعة من النصارى أن يتولَّوا هدم
 كنائسهم بأيديهم وأن يبنوها مساجد ؛ فوهب الحاكم جميع الكنائس بجميع

(١) سبق أن حدد بعشرة أرتال — انظر ما سبق في أحداث سنة ٣٩٤ هـ .

(٢) مصلّى العيد : شرقي القصر الكبير ، من خارج باب النصر — المواظ والاعتبار جـ ص

ما فيها من أواني الذهب والفضة وغيرها من الخواصل والمآكل ومآلها من ربيع وأملاك لجماعة من الصقالبة والفراشين والسعدية ، ولم يرد من سألته شيئاً منها ، وكُتِبَ كلُّ متصرفٍ في عملٍ من الأعمال يهدم ما في عمله من الكنائس . فهُدِّمَت من جميع أعمال الديار المصرية .

وفي ثالث شهر رجب منها قرئ سجل بتخيس ضياع ومواضع عن الفقراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع .

وفي رابع عشر جمادى الآخرة منها أمر الحاكم بعمل رصد^(١) بالقرافة ، فترق القاضى مالك بن سعد وأشرف على الرصد وابتدأ بعمله ولم يتم .

ذكر البيعة بولاية العهد لأبي القاسم عبد الرحيم

وفي ثالث شهر ربيع الأول ، سنة أربع وأربعمائة^(٢) عهد الحاكم بولاية العهد بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدي . فبُويِعَ بولاية العهد ، وكتب اسمه على السكة ، ودُعِيَ له على المنابر .

وفيهما منع الحاكم نساء من الخروج مطلقاً ليلاً أو نهاراً ، ومن دخول الحمامات ، وظلوع الأسطحة ، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف هن ، وشدد في ذلك . فشكى إليه التجار من ذلك ، فأمرهم أن يحملوا ما يبيعونه

(١) الرصد : مكان مرتفع لرصد الكواكب . أمه الأفضل بن بدر الجمال - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢) « وسبعماية » في الأصل . وهو تحريف .

في الأسواق ويطوفوا به في الدروب ويبيعوا النساء ، وأن يكون للمرأة شيء مثل المعرقة بساعدٍ طويل تتناول به ما يتباعه من الرجل . ثم أمر بإطلاق العجائز والإماء في يوم الخميس تاسع شهر رمضان منها ، فخرج بعض النساء إلى القصر داعياتٍ للحاكم . فعلم بهن فأعاد المنع والتشديد في يومه ، ولم يسمح إلا للنساء المتظلمات للشرع ، والخارجات للحج ، والإماء للبيع ، والأرامل ، وغواسل الأموات ، والأرامل اللواتي يعين الغزل .

ذكر إحراق مصر وقتال أهلها .

كان سبب ذلك أن الحاكم ركب في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة ، فوجد صورة امرأة متردبة عست من قراطيس ، وفي يدها جريدة عليها ورقة فيها سبُّ للحاكم وأسلافه وذكره ببيع الفعال . فلما وقف عليها أمر بنهب مصر وحرق بعض دورها . وفرق السلاح على السودان والعييد ، فتبادروا إليها وفعلوا ما أمرهم به . فقام أهلها وقاتلو قتلاً شديداً ثلاثة أيام ، ثم أرسلوا إلى الحاكم يستقبلون فلم يقبلهم ، فعاودوا القتال ، وأحرق من مصر جانب جيد . فلما رأى الحاكم أن الأمر يؤول إلى التلايف كف عنهم بعد أن تلف من العقار ما لا تُحصى قيمته ، وسير عياداً الصقلي إليها في جماعة من الجند لنسكين الفتنة ، فشهد أمراً عظيماً ، فعاد إلى الحاكم وذكر له قبح التازلة وعظم الفادحة وقال : لو أن بسيل ملك الروم دخل مصر لما استحسنت أن يفعل فيها هذا الفعل . فغضب الحاكم من كلامه وأمر بقتله ، فقتل .

وفي سنة عشر وأربعمائة أمر الحاكم وولّى العهد ، عبد الرحيم بن إلياس . بالخروج إلى دمشق والياً عليها ، ثم عزله في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وفي شهر رجب [٥٨] منها اشتدَّ غضب الحاكم على أهل مصر فأحرق الساحل ، ووقع التَّهب في الأسواق والقياسر^(١) .
وسنذكر إن شاء الله السَّبب الذي أوجب خروج الحاكم على أهل مصر إلى أن فعل بهم ما فعل .

ذكر غيبة الحاكم بأمر الله وعدمه
والسَّبب الذي نقل في إعدامه، وشيء من أخباره وسيرته
غير ما تقدم

قال المؤرخ : لما كان في آخر ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ركب الحاكم حماره وخرج على جاربي عادته ، فأصبح عند قبر الفقاعي^(٢) بقرافة مصر وردَّ من كان معه ، ففقد من ذلك الوقت . ولم يزل الناس يخرجون ويلتمسون رجوعه إلى يوم الخميس سلخ الشهر ، ثم خرج مظفر حامل المظلة في يوم الأحد الثالث من ذي القعدة ومعه جماعة الأمراء والكتامين إلى حلوان . وأمعنوا في الكشف . فبينما هم كذلك إذ بَصُرُوا بالحمار الذي كان الحاكم قد خرج عليه وهو على قرنة الجبل ، وقد ضربت يده بالسيف فأثر فيها ، فتنبَّح الأثر فإذا أثر الحاكم وأثر آخر خلفه وآخر أمامه ، فقصَّوه حتى انتهوا إلى بركة القصب شرقي حلوان ، فأنزلوا

(١) « القياسير » في الأصل .

(٢) « القضاء » في الأصل ، والتصحيح من كز الدرر ج ٦ ص ٢٩٩ . النجوم الزاهرة : ج ٤

ص ١٨٥ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٧ .

وعن تربة الفقاعي انظر الكواكب السيارة .

رجالاً من الرّجاله فوجد ثياب الحاكم في البركة ، وهي سبع جباب ^(١) مزرّرة لم تُحلّ أزرارها ، وفيها آثارُ السكاكين ، فعادوا إلى القصر ولم يشكّوا في قتله .
وأما السبب الذي نُقِل في إعدامه فقالوا : كان السبب في ذلك أنّ سِتّ الملك أختَ الحاكم وقع بينها وبينه ، فتنكر لها وهمّ بقتلها . وكرهت أموراً صدرت منه منها أنه رأى بعض قهّارميتها داخلةً إلى القصر ، فقال لها : قد سمعت أنّكم تجمعون الجموع وتدخل إليكم الرجال ؛ والله لأقتلنكم أجمعين . ^(٢) وتكرر هذا القول منه ، فأعملت ستّ الملك الحيلة في إعدامه ، وخرجت ليلاً إلى دار الأمير سيف الدين حسين ابن دوّاس ^(٣) ، فدخلت عليه واحتلت به وعرفته بنفسها أنها ابنة العزيز بالله أخت الحاكم ؛ فعظّمها ، وبالغ في إكرامها . فقالت له : إنك قد علمت ما فعل أخي وما صدرَ منه من سفك الدماء وقتل الأولياء ووجوه الدّولة بغير سبب ، وقد عزمَ على قتلِك وقتلِي . فقال لها : فكيف الحيلة في أمره ، فأشارت : أن تُجهزَ إليه رجالاً يقتلونه إذا خرج إلى حلوان فإنه ينفرد بنفسه هناك ، ووعدته أن يكون هو المدبّر لدّولة ولده والوزير لها . فاتّفقا على ذلك وتحالفا عليه ، ورَجَعَت هي إلى قصرها .

فلما ركب الحاكم وانفرد عند وُصوله إلى المقطم على عادته ، كان ابن وّاس قد أحضر عشرةً من العبيد ، وأعطى كلّ واحدٍ منهم خمسمائة دينار ، وحلّفهم ، وعرفّهم كيف يقتلونه . فسبقوه إلى الجبل في تلك اللّيلة ؛ فلما

(١) « أربع جباب » في كنز الدرر ج ٦ ص ٣٠٠ .

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٧ - ٥٨ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٥ .

(٣) كان رئيس الكتامين ، وكان قد حلف ألا يدخل القصر خيفة من الحاكم - أخبار الدول المنقطعة ص ٥٧ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٥ .

انفرد خرجوا عليه وقتلوه بالمكان الذي ذكرناه ، وخرج الموكب لتلقيه على العادة ، فطال انتظارهم له فلم يرجع ، فعادوا ؛ ثم خرجوا ثانياً وقصوا الأثر ، فوجدوا حمازه وثيابه ، كما ذكرناه ، فعادوا إلى القصر وطلبوه من أخته ست الملك وقالوا : إن مولانا ما جرت عادته بهذا . فقالت لهم : إن رفته قد وصلت إلينا أنه يأتي بكرة الغد . ففترقوا . فبعثت الأموال إلى وجوه الدولة والقواد على يد ابن دوّاس ، وبقى الأمر مستمراً والحال متماسكاً إلى عاشر ذي الحجة من السنة ، فجرى بين العساكر وبين ست الملك كلام كثير أوجب أنها أخرجت إليهم ولده أبا الحسن عليّاً في يوم الأضحى فبايعه الناس ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره . هذا ما حكى في سبب إعدامه .

وأما سيرته وأفعاله وأخباره ، فقد قدّمنا منها على حكم السنين ما قدّمنا ، فلنذكر خلاف ذلك .

قال المؤرخ : كان الحاكم سيئ الاعتقاد ، كثير التنقل من حال إلى حال . كان في ابتداء أمره يلبس الثياب الفاخرة والمذهبة ، والعائم المنظومة بالجواهر النفيس ، ويركب في السروج المحلّاة ، ثم ترك ذلك على تدرّج أن ينتقل منه إلى لباس المُعلم غير المذهب ، ثم لباس الساذج ؛ ثم زاد به الأمر حتى لبس الصوف والشواشي وركب الحمير ، وأظهر الزُّهد ، وكثّر استطلاعاه على أخبار الناس ، فلم يحفّ عليه خبر رجلٍ ولا امرأةٍ من حواشيه ورعيته وكان يأخذ بيسير الذنوب ، ولا يملك نفسه عند غضبه ؛ أفنى خلقاً كثيراً ، وأقام هيبة عظيمة . وكان مع طغيانه المستمرّ وقتكه ، وسفكه للدماء ، وظلمه ، يركب وحده تارةً وفي الموكب أخرى ، وفي المدينة طوراً وفي البرية آونة ، والناس كافة على غاية الهيبة له والخوف منه ، وهو بينهم كالأسد

الضاري^(١)

ثم عنَّ له أن يدعى الإلهية ، ويصرَّح بالحُلُول والتَّناسُخ : ويحمل النَّاس عليه . وألزم النَّاس أن يسجدُوا له مدة إذا ذُكر ؛ فلم يُذكر في محفل أو غيره إلا سجد من سمع بذكره ، وقبِل الأرض إجلالاً له [٥٩] . ثم لم يُرضه ذلك^(٢)

فلَمَّا كان في شهر رجب سنة تسع وأربعمائة ظهر رجلٌ يقال له حسن ابن حيدرة الفرغاني الأخرم يرى حُلُول الإله في الحاكم ويدعو إلى ذلك ، ويتكلم في إيصال النَّبُوَّة^(٣) ، ويتأول جميع ما وردت به الشريعة^(٤) . فاستدعاه الحاكم [وقد كثر تبعه]^(٥) وخَلَع عليه خلعا سنِّيَّة ، وحمله على فرسٍ بسرجه ولجامه ، وركبهُ في موكبه [وذلك]^(٦) في ثاني شهر رمضان منها .

فبينما هو يسير في الموكب في بعض الأيام تقدَّم إليه رجلٌ من الكرخ [وهو على جسر طريق المقس]^(٧) فألقاه عن فرسه ، ووالى الضَّرب عليه حتى قتله [وارتج الموكب]^(٨) ، وأمسك الكرخي فأمر الحاكم بقتله ، فقتل لوقته ونهب الناس دار الأخرم في القاهرة . وكان بين الخَلَع عليه وقتله ثمانية أيام^(٩) . ثم ظهر رجل من دعائه في سنة عشر وأربعمائة يقال له حمزة اللباد ، أعجمي من الرُّوزن ، ولازم الجُلوس في المسجد الذي عند سقاية ريدان خارج باب

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١ .

(٣) « النبوات » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٤) « ما ورد في الشريعة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ .

(٩) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥١ - ٥٢ .

النصر، وأظهر الدعاء إلى عبادة الحاكم وأن الإله حلّ فيه . واجتمع إليه جماعة من غلاة الإسماعيلية ، وتلقّب بهادى المُستجيبين. وكان الحاكم إذا ركب إلى تلك الجهة خرج إليه من المسجد وانفرد به وحادثه ، وتمادى على ذلك وارتفع شأنه ؛ واتخذ لنفسه خواصّ لقبهم بألقاب ، منهم رجل لقبه بسفير القدرة وجعله رسولاً له ، وكان يُرسله لأخذ البيعة على الرؤساء على اعتقاده في الحاكم ، فلم يمكنهم مخالفته خوفاً على نفوسهم من بطشه (١) .

ثم نبغ شابٌ من مولدى الأتراك اسمه أنوشكين النجارى (٢) ، ويعرف بالدرزى ، فسلك طريق الزوزنى وكثرت أتباعه . وكان الحاكم أيضاً يقفُ معه ويخلو به ؛ وسمّى نفسه سنّد الهادى وحيّاة المستجيبين . واستمر الأمر على ذلك إلى الثانى عشر من صفر ، سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، فاجتمع جماعة من أصحاب حمزة الزوزنى على خيول ويغال ، ودخلوا الجامع العتيق ركباً وهم يعلنون بمذاهبهم ، وجاء ثلاثة منهم إلى الموضع الذى يجلس فيه قاضى القضاة ، والمتحاكمون جلّوس ، ينتظرونه ، فتكلّموا بكلامٍ أنكره الناس وضجّوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله عزّ وجلّ ، واجتمع أهل مِصرَ بالجامع من كلّ جهةٍ ، ومضى بعضُ الناسٍ للقاء القاضى فلقوه وعرفوه ماجرى ، فجاء إلى المجلس ، فتقدّم إليه أحد الثلاثة فناوله رقعةً من الزوزنى (٥) فى أولها : « بسم الحاكم الله الرحمن الرحيم » يأمره فيها بالاعتراف

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٢ .

(٢) « البخارى » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٣) « الهادين » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٤) « أربع عشرة » فى أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ . وهو تحريف .

(٥) « الروزة » فى الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

بإلهية الحاكم . فلم يُجبه القاضي بشيء سوى أن قال حتى أدخل إلى حضرة مولانا فطاوَلَه الكلام ، فقتله العوامَ وقتلوا رفيقه والجماعة الذين بالجامع أُبرِحَ قتل . ووثبَ العوامُ على قومٍ كانوا يَعْرِفونهم بهذا المُعتقد فقتلوا مَنْ وجدوه منهم وحرَّقوهم (١) .

فلما اتَّصل ذلك بالحاكم أمر بعزل أصحاب الشُّرط وولَّى غيرهم ، وأمرهم بطلب من اعتدى على أصحاب الرُّوزنى ، فقبضوا على جماعةٍ منهم يناهزون الأربعين ، فقتلوا في أوقاتٍ متعدِّدة . واجتمع الأتراك وقصدوا دار الرُّوزنى فغلَّقها عليه وعلى مَنْ عنده ، وقتلهم من أعلاها ، فهدموها ونهبوا ما فيها ، وقتلوا نحوًا من الأربعين رجلاً ممَّن كان معه فيها . وفرَّ الرُّوزنى فلم يُقدِر عليه ، ودخل إلى القصر ، فأخفاه الحاكم فيه . فاجتمع الأتراك ولبسوا سلاحهم وطلبوه من الحاكم ، فوعدهم بتسليمه لهم ، فانصرفوا . ثمَّ ركبوا في اليوم الثاني وطلبوه منه ، فخرج جوابه لهم أنه قتل ؛ فرجعوا إلى ريدان في طلب الرُّوزنى فلم يجدوه . وأظهر الحاكم الغضبَ على كافة الجنود طول شهر ربيع الأول ، ثم رضى عنهم في الرابع من شهر ربيع الآخر .

وتحقَّق [الحاكم] (٢) أنَّ أوَّل من جرَّأ عليه العسكر وحملهم على قتل دُعائه أهلُ مصر ، فأمنه لهم حتى دخل جُادى الآخر ، ثم ابتدأ في التدبير عليهم .

فأول ما عمل أن سلَّط عليهم الرِّجالة ومُقدِّمى السودان وغيرهم ، وقرَّر

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٣ .

(٢) [إضافة من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٤ للتوضيح .

معهم أن يتزلوا إلى مصر على هيئة المناسر^(١)، فيكبسون الحمامات ومنازل أهل مصر؛ فكانوا يفعلون ذلك نهاراً. وتكرر ذلك منهم، فاجتمع الناس ووقفوا للحاكم وسألوه أن يكف عنهم أيديهم، فما أجابهم بجواب فتزايد بهم الضرر إلى أن بقيت الرجالة تكبس مساكنهم يأخذون ما فيها، ويعرّونهم في الطرقات، ويفتحون دكاكين البزازين وغيرهم، وينهبون ما فيها ويحرقون أبوابها بعد ذلك، والناس يستغيثون فلا يُغاثون. ثم نزل بعد ذلك جمع كثير بعد أن غلقت الدرّوب، وكانت بقيت تغلق قبل الغروب، وتخللوا البلدان، وفتحوا ما وراء الجامع من التحاسين والأبزازيين^(٢) والسكريين ودار الشمع، وغير ذلك مما يقرب من هذه الأسواق، وأخذوا ما أرادوا منها، وأفسدوا بقية ما فيها؛ فكانوا يخلطون العقاقير والأصناف بعضها ببعض، والمياه المختلفة بالزيت؛ ويُفسدون ما لا يمكنهم حمله. وطرحوا النار في أبواب القياس^(٣) المجاورة للجامع بعد ذلك، فأخذ الناس في الانتقال إلى القاهرة، وضجوا بالابتهال إلى الله تعالى في كشف ما بهم من^(٤) البلاء.

قال: وكان الحاكم قبل ذلك قد ضيق على التصاري واليهود كما [٦٠] قدمناه، وأمرهم بالتظاهر بالإسلام؛ فأسلم بعضهم وهرب بعضهم إلى بلاد الروم؛ وهدم جميع الكنائس. فلما كان في شهر جادى الآخرة، سنة إحدى عشرة وأربعائة، أذن لهم بالرجوع إلى دينهم، فارتدوا، وأذن لهم

(١) المنسر - المناسر: الجماعة من الخيل، أو قطعة من الجيش بين المائة والمائتين، لا تمر بشيء إلا اقتلعت - القاموس.

(٢) «البزازين» في أخبار الدول المنقطعة ص ٥٦.

(٣) «القياسير» في الأصل.

(٤) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٥٥ - ٥٦.

بناء الكنائس فأعادوها . فاشتدَّ غضبُ العسكر وحنقُهم ، فاجتمع الأتراك والكتاميون وتحالفوا على قتل الرِّجالة الذين فعلوا بالمصريين ما فعلوا ، فوقع القتال بينهم ، فقتل الرِّجالة أبرح قتل ، ورأى أهلُ مصر فيهم وفي حرمهم ومنازلهم ما أسلامهم (١) عما جرى عليهم .

وتمادى الحال على ذلك والحرب قائمةً بينها ، والحاكم على حاله في ركوبه وهيبته ، فإذا بلغه ركوبهم للحرب تركهم تارة وجاء أخرى ، فإذا رأوه تفرقوا لهيبته . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن فقد الحاكم في التاريخ الذى ذكرناه .

ذكر مولد الحاكم ومدة عمره ومملكه وأولاده

وكتابه ووسائطه وقضاته ونقش خاتمه

كان مولده بالقاهرة في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر (٢) ، سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . فكانت مدة عمره ستاً وثلاثين سنة وستة أشهر ويومين ؛ ومدة ولايته خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً إلا ثلاثة أيام إلى يوم ركوبه الذى عدم فيه .

أولاده : أبو الحسن على ، وهو الظاهر أبو الأشبال الحارث ؛ مات في حياته لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربعمائة .

كتابه ووسائطه : أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمّار (٣) ، ثم الأستاذ

(١) « باسلامهم » في الأصل ، والتصحيح من أخبار الدول المنقطعة ص ٥٦ .

(٢) انظر ما سبق عن الاختلاف في يوم ميلاده .

(٣) انظر الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٦ - ٢٧ .

برجوان^(١) الخصى إلى أن قُتل ؛ ثم استقل الحاكم بالأمر وولّى من ذكرناهم وغيرهم . وكتب له أبو العلاء فهد بن إبراهيم النّصرانيّ .

قضائه : أبو عبد الله محمد^(٢) بن التّعمان إلى أن توفّي في سنة تسعٍ وثمانين وثلاثمائة ؛ وأقام الناس بغير قاضٍ تسعة عشر يوماً ؛ ثم ولىّ أبا عبد الله الحسن^(٣) ابن عليّ بن التّعمان إلى أن صرفه في شهر رمضان سنة أربع وتسعين ؛ وولّى أبا القاسم عبد العزيز^(٤) بن محمد بن التّعمان ثم صرفه في شهر رجب سنة ثمانٍ وتسعين ؛ وولّى مالك^(٥) بن سعيد إلى أن قتله في سنة خمسٍ وأربعمائة ، لأربعٍ بقين من شهر ربيع الآخر . وأقام الناس بغير قاضٍ إلى أن ولىّ أبا العباس أحمد^(٦) بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلت من جمادى الآخرة منها إلى آخر وقت .

نقش حاتم : بنصر العليّ الوليّ ينتصر الإمام أبو عليّ^(٧) .

ذكر بيعة الظاهر لإعزاز دين الله

هو أبو هاشم ، وقيل أبو الحسن ، عليّ بن الحاكم ؛ وهو السابع من ملوك الدولة العبديّة . بويغ له بعد أن نحقق الناس عدم الحاكم بأمر الله في

(١) انظر الإشارة ص ٢٧ .

(٢) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٢ وما بعدها .

(٣) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٦ وما بعدها .

(٤) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٥٩٩ وما بعدها .

(٥) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٦٠٣ وما بعدها .

(٦) انظر ذيل كتاب الولاية والقضاء ص ٦١٠ وما بعدها .

(٧) « بنصر الإله العليّ ينتصر الإمام أبو عليّ » في ذيل تاريخ دمشق ص ٨٠ .

يوم الأضحى من سنة إحدى عشرة وأربعمائة . وأقام الناسُ منذُ فقدَ الحاكم في سابع عشر شوال منها إلى هذا التاريخ بغير خليفة ، وستَ الملك ، ابنة العزيز وأختُ الحاكم ، تدبّر أحوال الدولة ، وتسكّن الجيوش ، وتفرّق الأموال على يد الأمير سيف الدين الحسين بن دؤاس . ثم جرى بينها وبين العساكر كلامٌ كثيرٌ أوجب أنها أخرجت إليهم أباهاشم هذا وقت الظُّهر من يوم الأضحى ، فبايعه الناسُ وازدحموا عليه ، فركب تحت الأرض في السرداب إلى قصر الذهب ، وخرج من بابه إلى باب العيد ، فأجلسته وقالت : هذا خليفَتكم . فلما رآه ابن دؤاس قبل الأرض ، وسلّم عليه بالخلافة ، فبايعه الأمراء والأجناد ، ولُقّب الظاهر لإعزاز دين الله^(١)

وكتبت الكتب لسائر الأعمال بأخذ البيعة ؛ وجمعت ستَ الملك الأجناد وأحسنت إليهم ، ورتبت الأمور أحسن ترتيب ، وعدلت عن وليّ العهد إلياس^(٢) بن داوود بن المهديّ وجيء به فبايع والسيف على رأسه ، وحُبس ، وكان آخر العهد به . وكان يشار بالخلافة إلى عبد الرحيم بن إلياس ابن أحمد بن المهديّ ، فأدخل عليه الشهود وهو يتشحّط^(٣) في دمه فأشهدهم أنه فعل ذلك بنفسه ، ثم قضى نحبه . وقام ابن دؤاس بتدبير الدولة هو والعزيز عمار بن محمد ؛ وكانا لا يُصدران إلا عن رأى ستَ الملك عمّة الظاهر .

(١) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) « العباس » في الأصل والتصحيح من النجوم الزاهرة . فقد ورد « وأما ولي العهد ... فاسمه إلياس ، وقيل عبد الرحيم ، وقيل عبد الرحمن بن أحمد ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالمهدي » — ج ٤ ص ١٩٣ .

(٣) شحط — يتشحط : تضرع بالدم — القاموس .

ذكر مقتل الحسين بن دؤاس

قال : لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَسَكَنَتِ الْأَحْوَالُ خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ خَصِيًّا وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَجْرَدٌ ، وَاسْتَدْعَى وَجُوهَ الدَّوْلَةِ ، وَالْوَزِيرُ فِي دَسْتِهِ وَالْحُسَيْنُ بْنُ دَوَّاسٍ قَائِدَ الْقَوَادِ إِلَى جَانِبِهِ . فَقَالَ الْخَصِيُّ أَمْرُ مَوْلَانَا أَنْ يُقْتَلَ بِهَذَا السَّيْفِ [١] فَاقْتُلْ مَوْلَانَا الْحَاكِمَ ، فَنَادَوْا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فَصَبَّهُ عَلَى ابْنِ دَوَّاسٍ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ إِثْنَانٌ (١) .

وقيل إنه إنما قُتل في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . والله أعلم .
وباشرت السيدة ست الملك للأمور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس .
وفي ثالث عشر ذي الحجة من السنة ، في اليوم الرابع من بيعة الظاهر ، قرئ سجل لأصحاب الأخبار أنهم لا يرفعون ما لافائدة فيه مما كان يُنهي إلى الحاكم .

وفي يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة منها ركب القاضي عبد العزيز بن النعمان ومعه جماعة وتوجهوا نحو الجبل لأقتاد الحاكم وعادوا .

وفي يوم الخميس لعشرين منه أُقيمت المآتم في القصر وسُمع الصُراخ واتصل ، وارتجَّ البلد في تلك الليلة بالصُراخ إلى أن مضى وقت كثير من الليل ، وأصبح الناس على وجلٍ ، وأغلقت أبواب القاهرة .

وفي المحرم سنة ثنتي عشرة وأربعمائة سومع بمكس الفقاع . وكان مبلغه في الشهر سبعمائة دينار .

(١) انظر تفصيل ذلك في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها .

وفي حادى عشر ذى القعدة ، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، تُوفيت ست الملك ابنة العزيز ؛ وكان مولدها في ذى القعدة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببلاد المغرب ، وكانت من الذُّهابة .

وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة ظهر ببلاد الفيوم بركة يُنصب إليها الماء ، فاستخرج منها سمك بلطى ، ومقدارها أربعة آلاف فدان .

وفي شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر بإقامة الدعوة الظاهرية بالموصل والبصرة والكوفة وأعمال الشرق .

وفيهما وردت الأخبار أن سنان بن صمصام الدولة وصالح^(١) بن مرداس جمعا العساكر وحشدا^(٢) العُربان لحصار دمشق ، وأنهم حاصروها وقطعوا أشجارها ، وقتلوا فلاحي الضياع . وتقرر الحال أن يقاتل العوام يوماً وعسكر السلطان يوماً ؛ واتصلت الحرب بينهم وقتل جمع عظيم . وحاصر صالح بن مرداس حلب ؛ واضطربت أحوال الشام بأسره ، وتغلبت الحرب عليه . وطلب سنان من أهل دمشق ثلاثين ألف دينار ويرتحل عنهم ، فأجابه أهل البلد لذلك ، فنعهم الشريف ابن الحسن وأشار بنفقتها في عياري البلد ، فأنفقوها^(٣) وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من العرب جمع كثير . وطلب العرب الصلح فأجيبوا إليه ، ثم عدوا إليها في الوقت برأى ابن الجراح ...

ووصل الخبر من جهة بنى قرة ، عرب البحيرة ، أنهم أقاموا عليهم إنساناً

(١) انظر ترجمته في زبدة الحلب ج ١ ص ٢٧٧ وما بعدها ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٨٧ رقم

٣٠٠ .

(٢) « جمعوا العساكر وحشدوا » في الأصل ، والتصحيح يتفق وساق الكلام .

(٣) « فنفقوها » في الأصل في هذا الموضع ومواضع تالية ، وسيجرى تصحيحها .

ببرقة ولقبوه بأمر المؤمنين .

وفي الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة اجتمع من العبيد ألف عبد عند سفح المقطم وقصدوا نهب مصر ، فأركب الظاهر لإعزاز دين الله من حفظها ، وأمر أهل مصر بقتل من ظفروا به منهم ، ونهبوا في اليوم الثانى أطراف مصر ، فقاتلهم الناس فانهزموا .

وفي ستة سبع عشرة وأربعمائة جرد الظاهر أمير الجيوش أنوشتكين الذزبرى (١) من مصر بعساكر كثيرة ليدفع العرب (٢) عن الشام ، وخرج الظاهر لتوذيعة . وسار في سبعة آلاف فارس غير العرب ، وعيّد عيد الأضحى في الرملة ، وجمع العساكر . فلما بلغ حسّان بن مفرّج (٣) خروجه بعث إلى صالح بن مرداس (٤) فاتاه من حلب في بنى كلاب . ووقعت الحرب بينهم بالأقحوانة (٥) من عمل طبرية يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة . فطعن صالح بن مرداس ، فسقط عن فرسه ، فقتل ، وحمل رأسه إلى أمير الجيوش . فعندها انهزم حسّان . وقتل من أصحابهم مقتلة عظيمة ، وهرب أصحاب صالح إلى بعلبك وحمص وصيدا وحصن عكار (٦) . واستولى نصر بن صالح وأخوه نبال على حلب وأعمالها

(١) « الززبرى » في الأصل ، والتصحيح من المصادر المتداولة . وانظر ترجمة مفصلة له في ذيل تاريخ دمشق ص ٧١ وما بعدها .

(٢) المقصود جيوش صالح بن مرداس .

(٣) حاكم الرملة في ذلك الوقت .

(٤) « بن برداس » في الأصل ، في هذا الموضع ومواضع تالية ، وهو تحريف سيجرى تصحيحه .

(٥) الأقحوانة : على شاطئ بحيرة طبرية — معجم البلدان .

(٦) حصن عكار : على جبل عكار شمالى طرابلس — بلدان الخلافة .

وبالس (١) ، ومَنبج (٢) . وسار الدزيرى حتى أتى دمشق ، ثم إلى حلب ، فظفر بشبل الدولة (٣) نصر بن صالح فقتله . ثم عاد إلى دمشق فأقام بها وعَلَّت مترلته .

ذكر وفاة الظاهر لإعزاز دين الله على ابن الحاكم بأمر الله وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الأحد النصف من شعبان المكرّم من شهور سنة سبعٍ وعشرين وأربعمائة ببستان الدكة بالمقس (٤) ، فركب الوزير صفى الدين أبو القاسم على الجرجرائى (٥) إلى البستان ، وحمل الظاهر منه إلى القصر . وكان مولدُ الظاهر في يوم الأربعاء لعشرِ خلونٍ من شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وكانت مدّة عمره إحدى وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام ، ومدّة ملكه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وستة

- (١) « ونابلس » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٧٦ .
وبالس : بين حلب والرقّة ، كانت تقع على شاطئ النهر ثم انحسر النهر عنها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت على مسافة أربعة أميال من النهر في زمن ياقوت — معجم البلدان .
- (٢) منبج : من إقليم العواصم . بينها وبين حلب حوالى ٣٠ ميلاً ، وبينها وبين الفرات حوالى ٩ أميال — معجم البلدان .
- (٣) « سند الدولة » في الأصل ، والمقصود نصر بن صالح ولقبه شبل الدولة — اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٧٦ .
- وأخبار الدول المنقطعة ص ٦٤ ، وفيها « وذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة » .
- (٤) بستان الدكة بالمقس = منظره الدكة ، وهى من مناظر الخلفاء الفاطميين ، ولها بستان عظيم بجوار المقس ، فيها بينه وبين أراضي اللوق — المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٧٩ .
- (٥) انظر الإشارة ص ٣٥ — ٣٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٧٣ وما بعدها ، أخبار مصر للمسيحى ص ٣٢ هـ ٢ ، وانظر ما يلى .

أيام . وكان أجمل الناس صورةً . وتولَّى غسله قاضي القضاة عبد الحاكم ،
ومعه ظاهر بن عبد الخالق بن أحمد ابن المهدي شيخ القرافة ؛ وصلى عليه
قاضي القضاة وأخذ سلبه . قال واستمرت التوائح تُحْرَن عليه مدّة شهر .
وكان كريماً مستغلاً [٦٢] بلذاته معولاً على وزيره .

ولده أبو تميم معدّ المستنصر بالله ، وهو الذي ولي الأمر من بعده على
ما ذكره .

وزراؤه ووسائطه : أبو الحسين عمّار^(١) بن محمد ، أحد وسائط أبيه
الحاكم بأمر الله ، إلى أن زال أمره في ذي القعدة سنة ثنى عشرة وأربعمائة ،
ثم قتل ؛ وتولَّى الوساطة أبو الفتح موسى^(٢) بن الحسن ، وذلك في المحرم
سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، إلى أن قبض عليه في العشرين من شوال وقيل
صبيحته ؛ وتولى الوساطة أبو الفتح مسعود^(٣) بن ظاهر الوزان إلى أن عزل ؛
وتولَّى الوزارة عميد الدولة أبو محمد^(٤) الحسن ابن صالح الروذباري ، أحد
وسائط الحاكم بأمر الله ؛ ثم عزل في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة بالوزير أبي
القاسم على^(٥) بن أحمد الجرجاني إلى آخر المدّة ، ولقب بالوزير الأجلّ
الأوحد صفى الدين ؛ وكان أقطع البلدين ؛ وتمكّن من الظاهر تمكناً عظيماً .
حكى من تمكّنه أنه كان بينه وبين خليل الدولة بن العدّاس عداوة ، فاتفق

(١) الإشارة ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الإشارة ص ٣٤ .

(٣) الإشارة ص ٣٤ .

« ابن محمد » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الإشارة ص ٣٤ .

(٥) الإشارة ص ٣٥ - ٣٦ .

أن خليل الدولة سأل الظاهر لإعزاز دين الله أن يشرفه بزيارته ببركة الحَبَس فأجابه الظاهر إلى ذلك وحضر عنده ، فاغتم ابنُ العدَّاس الفرصة وجعل يذكر للظاهر مثالب الوزير . فسدَّ الظاهر مسامعه وقال لابن العدَّاس : إني وإن رَعَيْتُ حقَّ تشرِيفي إياك بزيارتي فما أترك حقَّ من أرْتَضِيهِ لوزارتي ، ولا بدَّ أدكر له طرفاً من ذلك ، فاذكُرْ خيراً لأحْكِيهِ له . فرجع عن ذكر مثالبه وأثنى عليه ، فذكر الظاهر للوزير عنه خيراً ، فكان ذلك سبب الصُّلح بينهما . وسند ذكر إن شاء الله تعالى أخبارَ الوزير الجرجاني مستوفاةً عند ذكر وفاته في سنة ستٍّ وثلاثين في أخبار المستنصر .

ذكر بيعة المستنصر بالله

هو أبو تميم معد^(١) ؛ بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم عليّ . بن الحاكم بأمر الله أبي عليّ المنصور ، بن العزيز بالله أبي المنصور نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور بنصر الله أبي طاهر إسماعيل . بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهديّ عبيد الله .

وهو الثامن من ملوك الدولة العبيديّة وهو الخامس من ملوك مصر والشام

منهم .

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٦٧ وما بعدها ، ذيل تاريخ دمشق ص ٨٣ وما بعدها ، اتعاض الحنفا ج ٢ ص ١٨٤ وما بعدها ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٩ رقم ٧٢٨ المنتقى من أخبار مصر ص ٣ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ٣٤٢ وما بعدها .

بُوع له صبيحة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان^(١) سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وذلك أن الوزير الجرجاني أحضر وجوه القبائل من الكتامين ، وغيرهم من الأتراك ، فلما اجتمعوا قال لهم : مولانا ضعيف والآجال بيد الله سبحانه ، فإن قضى الله بانتقاله ماتقولون في ولده الأمير معدة ؟ قالوا : الذي يقوله الوزير نحن به راضون ، وله سامعون . فلما رتب هذا الأمر استدعى الوزير ، فنهض قائماً ودخل إلى قاعة من قاعات القصر ، ثم أحضر الجماعة ، فوجدوا الأمير معدة على سرير الملك وعليه التاج ، فقال : هذا مولاكم ، سلموا عليه بالخلافة . فسلموا عليه وانصرفوا ، ولقب المستنصر بالله ، وكان عمره إذ ذاك سبع سنين .

فلما كان في صبيحة يوم مبايعته ، وهو يوم الخميس ، وقف الكتاميون وعبيد الشراء^(٢) وغيرهم بباب القصر ، وأغلظوا في الكلام وطلبوا أرزاقهم واستحقاقاتهم من الوزير ، فقال : أنا كنت وزير الظاهر لإعزاز دين الله وقد توفى ، وأنا أحمل إليكم جميع ما في داري . وأصبح حمل جميع ما في داره إلى القصر ، فغضب له الأتراك ، وأعادوا ما أحضره إلى مكانه . وتقرر اجتماعه يوم السبت ، فاجتمع الأتراك والذيلم وعليهم السلاح ، وجاء الكتاميون ، فلما اجتمعوا بباب القصر خرج إليهم [أحد]^(٣) الخدم وقال : ليدخل من كل طائفة عشرة أنفس ، فدخل جماعة ، فقال لهم الوزير :

(١) « بوع بالخلافة يوم الأحد للنصف من شعبان » في أتماظ المنفا جـ ٢ ص ١٨٤ . وفي النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١ . ونلاحظ أن يوم الأحد هو يوم وفاة أبيه ، ومن المستبعد أن تتم البيعة له بالخلافة في نفس اليوم - انظر ما يلي .

(٢) « الشرى » في الأصل .

(٣) [] إضافة تنفق والسياق .

مولانا يُقرئكم السلام ويقول لكم : إذا كان مُستهلّ شهر رمضان أمر بالثففة فيكم . فانصرفوا ، وجلس قاضي القضاة عبد الحاكم يحلف الناس للمستنصر بالله . فلما استهلّ شهر رمضان أنفق في الأشراف والكتاميين والعرب والغيلم وغيرهم لكل واحدٍ منهم ثلث رزقه ، فلم يرضوا بذلك .

ودامت الثففة إلى العشر الأوسط من شوال فتحالف الكتاميون والأثراك أن يكونوا عُصبةً واحدة في طلب واجباتهم . واجتمعوا بباب القصر ، فخرج إليهم الأمير أن احضروا بكرة الغد ، فحضروا ، وركب المستنصر إلى أن بلغ باب البحر^(١) ، فرمّوه بالحجارة وصاحوا عليه ، ورماه أحد العبيد بحربة فلم يُصبه ، فرمى نفسه عن دابته ودخل من باب البحر إلى القصر . وانصرف الناس ، وعادوا بكرة نهار الغد ، فدخل من كل طائفة مائة نفر ، ووقع كلامٌ كثير ، وتقرّر في آخر الأمر أن يحضروا [٦٣] البغاة منهم ، وخرجوا على مثل ذلك ؛ ثم عادوا بعد ذلك وتصلّوا من ذنوبهم . وسكّن الوزير جميع الطوائف ، واختلف بنو قرة مع كتامة بالحيزة ، فأخرج الوزير عسكرياً فأصلح بينهم ، واستقرت الأمور .

وركب المستنصر في مُستهلّ المحرم سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة من باب العيد^(٢) إلى باب الذهب^(٣) ؛ ومشى الناس كافةً بين يديه ، والوزير راكبٌ

(١) باب البحر : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، يخرج منه الخليفة إذا أراد الذهاب إلى شاطئ النيل ، وهو من إنشاء الحاكم بأمر الله ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٣ .

(٢) باب العيد : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، كان يخرج منه الخليفة في يوم العيد إلى المصل بظاهر باب النصر - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٥ .

(٣) باب الذهب : أحد أبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، كانت تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يومى الاثنين والخميس ، وهو يؤدى إلى قاعة الذهب - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٣٢ .

خلفه . وتفرّق الناس ، ودخل الوزير إلى مكانه ، فدخل عليه جماعة من الأتراك الصغار وطلبوا أرزاقهم وأغلظوا له في القول ، وقصدوا قتله ؛ فدخل بعضُ الأمراء الكبار فخلّصه منهم .

ذكر عود حلب إلى ملك ملك الديار المصرية

وفي سنة تسعٍ وعشرين وأربعمائة ملكت حلب على يد أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري أمير الشام ، وذلك بعد أن التقى هو ونصر بن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، يوم الجمعة لسبعٍ بقين من جُمادى الآخرة فانهزم عسكر ابن صالح . ثم كانت وقعةٌ ثانية ، فانهزم شمال بن صالح وأخوه نصر ، فبادر شمال بدخول البلد ، وأخذَ من قلعة حلب أموالاً وتُحفاً ، واستخلف بها عمه مقلد بن كامل بن مرداس ، وسار يستنجد بأخواله بني خفاجة ^(١) ، فثار العوام ونهبوا حلب . ووافى طغان ، أحد الأمراء الذين مع أمير الجيوش ، فدخل حلب بموافقةٍ من أهلها . ثم وصل أنوشتكين الدزبري إليها في يوم الثلاثاء لثمانٍ خلون من شهر رمضان ، وأقام بها إلى آخر السنة ، ورجع إلى دمشق في تاسع عشر ^(٢) الحجة منها .

ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبي القاسم الجرجاني وأمير الجيوش أنوشتكين الدزبري

قال المؤرخ : كان ابتداء الوحشة بينهما في سنة ثلاثين وأربعمائة . وسبب ذلك أن شيب بن وثاب التميمي صاحب الجزيرة توفي ، فقصد أمير

(١) « بأخواله من صاحبه » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٨٧ .

(٢) « تاسع عشر » في اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ١٨٧ .

الجيش [أنوشكين] أن يزوج ابنته لولد أبي نصر أحمد بن مروان ليكون له عوناً على بني نُمير أصحاب الجزيرة ؛ وكتب أمير الجيوش إلى مصر يستدعي ابنته ، فلم يُطلقها الوزير ولا رأى إتمام الزواج لانضمام ابن مروان إلى الدولة العباسية وتظاهره بموالاتها . وكتب لولاية الشام ألا يمثلوا أمر أمير الجيوش . فوقعت الوحشة بينهما ، وأطلق أمير الجيوش لسانه في الوزير ، وسبّه .

ودامت الوحشة إلى سنة ثلاثٍ وثلاثين وأربعائة ، فصرفه الوزير عن دمشق ، واستعمل عليها ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان . فلما علم بذلك أهل دمشق تنكروا على أميرهم ، وحاصروه بقصره ظاهر دمشق ، في سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاثٍ وثلاثين ، فهرب إلى حلب ، وقاسى مشقة عظيمة في طريقه ، ونُهبت أمواله . فلما دخل حلب أقام بها ثلاثة أيام ومرض ، فتوفى يوم الأحد النصف من جمادى الأولى ، ووصل سجلُّه إلى ثمال بن صالح بن مرداس بولاية حلب ، وذلك قبل وفاة أنوشكين أمير الجيوش .

ذكر ظهور سكين المشبه بالحاكم وقتله

وفي شهر رجب سنة أربعٍ وثلاثين وأربعائة ظهر بالقاهرة رجل يسمى سكين^(١) يشبه الحاكم وكان بمصر أقوامٌ يعتقدون أن الحاكم حيٌّ وأنه غاب لرأى رآه . وهذه الطائفة باقية إلى وقتنا هذا ، ومحلفون فيما بينهم فيقولون : وحقٌ غيبة الحاكم ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لكلِّ أحد . قال : فلما كان في هذه السنة ظهر هذا الرجل ، فاجتمع عليه القائلون بغيبة الحاكم

(١) هكذا بالأصل : وفي الكامل ج ٩ ص ٥١٣ . و« اسمه سليمان » في انعاظ الحنفا ج ٢ ص

وزفوه إلى القصر، وأدخلوه إيَّاهُ ، وقد دُهِش النَّاسُ ، فأدَّى الأمر إلى أن حَارَبَهُم أولياء الدَّوْلَةِ ، وركب الوزير ، فأخِذوا جميعًا وُصِّلوا أحياء ، ورُشِقوا بالسَّهَامِ حتى هلكوا .

ذكر وفاة الوزير صفى الدين أبى القاسم أحمد بن على الجرجراي وشيء من أخباره

كانت وفاته لثلاثِ بَقِيْنَ من شهر رمضان سنة ستٍ وثلاثين وأربعمائة ، [٦٤] وأوصى أن يُدْفَنَ في داره في المكان الَّذِي كان يجلس فيه ؛ فأُخْرِجَ وصُلِّيَ عليه المستنصر في الايوان ، وأُعيد إلى داره فدُفِنَ بها ، ثم نُقِلَ إلى ثُرَّتِه بالقرافة .

وكانت وزارته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يومًا .
وهذه النسبة إلى جرجرايا ، قرية من قرى العراق .

قدم إلى مصر هو وأخوه أبو عبد الله محمد ، فتنقلت به الحال إلى أن خدم في الصَّعِيدِ ، فكثرت فيه المرافعات في أيام الحاكم ، فاعتقله في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعمائة ، ثم أمر بقطع يده ، فأخرج اليسار عوضًا عن اليمين فقطعت ؛ فقيل ذلك للحاكم فقال : إنما أنا أمرت بقطع يمينه ، وأمر بقطع اليمين ، فقطعت على باب القصر المعروف بباب البحر ، وهو الباب الَّذِي مقابل دار الحديث الكاملية^(١) في وقتنا هذا . وكان قطعُهما في ثامن عشر شهر ربيع الآخر منها .

(١) دار الحديث الكاملية = المدرسة الكاملية : بالقاهرة ، بخط بين القصرين ، أنشأها السلطان الملك الكامل الأيوبي ، سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٥ .

قال : ولما قطع الحاكم يديه مَضَى مِنْ وقته وجلس في ديوانه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين أقبني وما صرفني . فبلغ الحاكم ذلك ، فأمر باستمراره . ثم صرفه وولاه ديوان النفقات ^(١) في سنة ست وأربعمائة ، ثم رتب أن يكون واسطة في نظر الدواوين مع أبي عبيد الله محمد بن العدّاس ، في سنة ثنتي عشرة وأربعمائة . ثم وزر للظاهر لإعزاز دين الله في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، فاستكتب أبا الفرج البالي وأبا عليّ الرئيس . وكان القاضي أبو عبد الله القضاة صاحب كتاب الشهاب يكتب عنه العلامة ^(٢) وهي : « الحمد لله شكراً لنعمة » . وكانت أيامه تُسمى الأعراس لطيبها . وضبط الأمور أحسن ضبط واستعمل الأمانة التامة ، وتمكن في الدولة الظاهرية ، على ما قدّمناه .

قال : وهجاه جماعة من الشعراء . فن ذلك قولُ أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز الجلي المعروف بالفكيك ويعرف بجاسوس الفلك :

يا جرجرائي اتشد وارفق ، ودع عنك التّحامق
أزعمت أنك في الثّقافة ، فهبك فيما قلت صادق
أعلى الأمانة والثّقوى قطعت يدك من المرافق !

قال : ولما مات أوصى أن تُفوض الوزارة بعده لأبي نصر صدقة ^(٣) بن

(١) انظر ديوان الرواتب : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٨٩ - ٤٩١ ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠١ .

(٢) المقصود العبارة التي يختارها القاضي لتدون في بداية الوثائق التي تصدر عنه ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٣١٤ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) « أبو منصور » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤ ، الإشارة ص ٣٧ . وعن ترجمته انظر : الإشارة ص ٣٧ - ٣٨ .

أبي الفضل يوسف ابن علي الفلاحى ، فخلع عليه خلع الوزارة . وكان يهودياً ، ولُقِّبَ بالوزير الأجلّ تاج الرئاسة فخر الملك مُصطفى أمير المؤمنين ، ثم أسلم بعد الوزارة .

ذكر مقتل أبي سعيد التُّستَرى وعزل الوزير وقتله ووزارة ابن الجرجانى

وفى سنة تسعٍ وثلاثين وأربعمائة قتل أبوسعيد (١) التُّستَرى اليهودى . وكان يتولّى ديوان والدة المستنصر . وذلك أنها كانت جاريتة ، فأخذها منه الظاهر واستولدها فولدت المستنصر بالله . فلما أفضت الخلافة إلى ولدها فَوَّضت إليه أمرَ ديوانها ، فعظُم أمره وانبسطت كلمته بعد وفاة الجرجانى الوزير حتّى لم يبق للوزير الفلاحى معه إلا اسم الوزارة ، فدبّر الفلاحى فى قتله فقتل .

وقيل بل كان السَّبب فى قتله أنّ عزيز الدولة ربحان الخادم كان قد خرج فى هذه السنة إلى بنى قُرّة ، عرب البحيرة ، لِمَا أفسدُوا فى البلاد ، فظفّر بهم وقتل منهم . وعاد إلى القاهرة وقد عَظُم قدرُه وزاد إدلاله ، فقتل أمره على أبى سعيد .

واستمال المغاربة زواد فى أرزاقهم ونقص من أرزاق الأتراك ومن ينضاف إليهم . فجرى بين الطائفتين حربٌ بباب زويلة .

(١) « أبو سعد » فى المنتقى من أخبار مصر ص ٤ .

وهو إبراهيم بن سهل بن هارون التستري ، أبوسعد ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٥٥ . ص ٤٢٤ .

ومرض إثر ذلك عزيز الدولة ومات فأنهم أبوسعيد أنه سمّه . فلما كان في يوم الأحد لثلاثٍ خلّون من جمادى الأولى ركب أبوسعيد من داره في موكبٍ عظيمٍ وتوجّه إلى القصر على عادته ، فاعترضه ثلاثة من الغلمان الأتراك واختلطوا في الموكب وقتلوه . فاجتمعت الطوائف إلى المُستنصر بالله وقالوا : نحن قتلناه . وقُطِع لحمه ، فاشترى أهله ما وصلوا إليه من أعضائه ، وأحرق ما بقي ، وضَمَّ أهله ما اشتروه منه في تابوتٍ وغطّوه بستر ، وأوقدوا أمام التابوت الشموع ووضعوه في بيت مفرد . ورزّوا البيت بالسُتور ، فوصل لخب النَّار إلى بعض السُتور فاحترق . وقويت النَّار فأحرقت التابوت بما فيه . قال : وكان الثُّستري قد زادَ أذاه في حقّ المسلمين حتى كانوا يحلفون : وحقَّ النّعمة على بني إسرائيل .

ولما قُتِل ولى مكانه في نظر ديوان والدة المُستنصر بالله أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليأزورى .

وحققت والدة المُستنصر بالله [٦٥] على الوزير الفلاحى وتحققت أنه تسبّب في قتله ، فقبضت عليه وصرفته عن الوزارة في هذه السنّة ، واعتقلته بخزانة البنود^(١) ، ثم قتل بعد ذلك « أبو منصور صدقة »^(٢) ودُفن بخزانة البنود ، وذلك في سنة أربعين وأربعمائة .

(١) خزانة البنود : ملاصقة للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العيد ، وكان يعمل فيها السلاح وآلات الحرب والبنود أى الأعلام ، ثم استخدمت كسجن ، كما يتضح من النص بالمتن — المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٣ وما بعدها .

(٢) « بيبرس » في الأصل وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٨ ، اتعاط الحنفا ج ٢ ص ١٩٦ .

ووالدُ هذا الوزير هو أبو الفضل يوسف بن علي الذي هجّاه الواساني^(١) بقصيدته المشهورة التي أولها :

يا أهل جيرون هل لسامرکم إذا استقلت کواكب الحمل

وقد أوردنا أكثر هذه القصيدة في الباب الثاني من القسم الثالث من الفن^(٢) الثاني .

ولمّا قبض عليه ولىّ الوزارة أبو البركات الحسين^(٣) بن محمد بن أحمد الجرجاني ، ابن أخي الوزير صفى الدين .

وفي سنة أربعين وأربعمائة صرف ناصر الدولة الحسن^(٤) بن حمدان عن ولاية دمشق ، وأخضّر تحت الحوطة وولىّ مكانه القائد طارق ، ثم أطلق ابن حمدان في سنة إحدى وأربعين .

وفي سنة إحدى وأربعين صرف أبو البركات الحسين بن الجرجاني عن الوزارة ونفى إلى صور واعتقل بها ، ثم أطلق ، فسار إلى دمشق . ونظر في الدواوين بعده عميد الدولة أبو الفضل^(٥) صاعد بن مسعود . ثم فوّضت

(١) هو الحسين بن الحسن بن واسانة بن محمد ، أبو القاسم ، المتوفى سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م . وانظر بقية القصيدة في نحو ١٤٠ بيت في يتيمة الدهر جـ ١ ص ٣٦٠ وما بعدها .

(٢) هذا الباب في الهجاء . ولكن لم ترد القصيدة فيه في المطبوع من نهاية الأرب انظر جـ ٣ ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٣) الإشارة ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) « الحسين » في الأصل .

وهو الحسن بن الحسين بن حمدان التغلبي ، ناصر الدولة ، قتل سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م - انظر ما يلي عن قتله .

(٥) الإشارة ص ٣٩ .

الوزارة لأبي محمد الحسين^(١) بن علي بن عبدالرحمن اليازوري .

وفي سنة ثلاثٍ وأربعين أظهر المعز^(٢) بن باديس الصنهاجي ، صاحب إفريقية ، الخلاف على المستنصر بالله ؛ وقد ذكرنا سبب ذلك في أخبار ملوك إفريقية^(٣) . وكتب المعز إلى بغداد ، فأجيب عن رسالته على لسان رسولٍ من بغداد ، يُعرف بأبي غالب الشيرازي ، وسير إليه صحبته عهداً بالولاية ولواءً أسود وخلعة فاجتاز أبوغالب ببلاد الروم فقبض عليه صاحب القسطنطينية^(٤) وبعثه إلى المستنصر بالله ؛ فقدم الرسول إلى مصر وهو مُجرَسٌ^(٥) على جمل ، وحفر بين القصرين حُفيرة ، وحرق فيها العهد والخلع واللواء .

وفيهما في ذي القعدة عصى بنو قرة ، عرب البحيرة ، على المستنصر بالله . وكان سبب ذلك أن الوزير اليازوري قدّم عليهم رجلاً يُقال له المقرب ، فتقروا منه واستغفروا منه ، فلم يُجب الوزير سُؤالهم ؛ ثم دخلوا على الوزير وطالبوه بواجباتهم ، وأغلظوا له في القول ، فتوعدّهم باستتصال شأفتهم . فقارقوه وأظهروا العصيان ، واجتمعوا بالجيزة في جمعٍ كثير ؛ فندب الوزير

(١) الإشارة ص ٤٠ وما بعدها .

هو المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الصنهاجي ، رابع أمراء بني زيري في إفريقية ، ولها سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م إلى أن توفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م - وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٣ رقم ٧٣٠ ، تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٨ . وانظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢١٢ هامش ٣ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٤) المقصود هو الإمبراطور البيزنطي قنسطنطين التاسع الذي ولي عرش الإمبراطورية البيزنطية في الفترة ١٠٤٢ - ١٠٥٥ م / ٤٣٤ - ٤٤٧ هـ .

(٥) التجريس : التشهير ، القاموس .

عسكرياً لقتالهم فكسروه ، فندب عسكرياً ثانياً فهزمهم وقتل منهم قتلَى كثيرة .
وحَمَلَ إلى الخِزَانةِ المُستَصرِيَةِ من أموالهم جَمَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَهَرَبُوا إلى بَرَقَةٍ .

وفى سنة ثمانٍ وأربعين بعث المستنصرُ بالله ووزيرُه اليَازُورِي خِزَانَتِ
الأموالِ إلى أبي الحارث^(١) أُرسلانَ البِساسِيرِي لِيُقيمَ الدَّعْوَةَ المُستَصرِيَّةَ ببغدادِ
واستنفذ ما كان بالقصر من الأموال . وكان مِنْ أمرِ البساسيري وقيامه ،
والخُطْبَةُ للمستنصرِ هَذَا ببغدادِ ، ما قَدَّمناه في أخبارِ الدَّولةِ العباسية^(٢)
ولمَّا حُطِبَ للمستنصرِ ببغدادِ في سنة خمسين وأربعمائة ، وَرَدَ الخَبْرُ إلى مصر
بذلك فزُيِّنَتِ القَاهِرَةُ .

وكان عند المستنصرِ مُعَنَّيةٌ تَغْنِي بِالطَّبْلِ^(٣) ، فدخلت عليه وغنَّته في ذلك
اليوم :

يا بنى العباسِ رُدُّوا^(٤) مَلِكَ الأَمْرِ مَعْدُ
ملِكُكم مَلِكُ مَعَارُ^(٥) والعواري تُسْتَرْدُ

(١) « أبي الحرث » في الأصل .

وهو أبو الحرث أُرسلان بن عبد الله البساسيري التركي — انظر اتعاظ الخنفا ج ٢ ص
٢٢٢ ، ذيل تاريخ دمشق ص ٨٥ ، الكامل ج ٩ ص ٦٠٥ ، ص ٦٤٠ وما بعدها ، النجوم
الزاهرة ج ٥ ص ٦٤ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٤ ، ص ٢٠ . وفيات الأعيان ج ١
ص ١٩٢ رقم ٨١ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٣) « فوقفت نَسَب طِبالةِ المُستنصرِ » في المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٥ ، المنتقى من أخبار
مصر ص ١٩ .

(٤) « صدوا » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ .

(٥) « ملككم كان معار » في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ .

فقال لها : تمنى . فقالت : أتمنى الأرض المجاورة للمقسم . فقال : هي لك . فعرفت الأرض بأرض الطبالة^(١) إلى وقتنا هذا .

ذكر القبض على الوزير أبي محمد الحسن^(٢) بن علي ابن عبدالرحمن البازوري وقتله وشيء من أخباره

وفي المحرم سنة خمسين وأربعمائة سعى بالوزير المذكور عند المستنصر بالله أنه كاتب السلطان طغربك السلجوقي وحسن له قصد الديار المصرية ، فقبض عليه وجهزه إلى تيبس ، ثم أمر بقتله ، فقتل في الثاني والعشرين من صفر^(٣) منها . وكان من أكابر وزراء ملوك هذه الدولة .

قال المؤرخ : كان والد البازوري قاضي يازور ، وهي قرية من أعمال الرملة ، فلما توفي خلفه ولده الحسين المذكور ، ثم عزل عنها ، فقدم مصر وسعى في إعادته لحكم يازور ، فرأى من قاضي مصر اطراحاً لجانبه ، فصحبه رفق المستنصرى - وكان خصيصاً بوالدة المستنصر ، فكلم القاضي في أن يسمع قوله بمصر ففعل . فلما قتل أبوسعيد التستري أشار رفق على [٦٦] والدة المستنصر أن يكون البازوري وزيرها ، فرتبته في وزارتها ، فخافه الوزير أبو البركات الجرجالي أن يلي الوزارة ، فسعى له في الحكم

(١) أرض الطبالة : كانت على جانب الخليج الغربي بجوار خط المقس ، ويذكر المقرئى أنها

كانت من أحسن متزهات مصر - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) « الحسين في الأصل » والتصحيح من الإشارة ص ٤٠ .

(٣) انظر اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٢٣٦ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٦ .

ليشغله عن الوزارة ، فامتنع اليازوري من ذلك ، فأشارت عليه والدة المستنصر بقبول الولاية فقبل . ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى صُرف ابن الجرجاني عن الوزارة وقوّضت الوزارة إلى اليازوري^(١) مُضَافَةً لما بيده من قضاء القضاة وديوان والهة المستنصر بالله .

قال القاضي أبوالحسين أحمد الأسواني في تاريخه : حدثني القاضي إبراهيم ابن مسلم القوي قال : شهدت خطير الملك ، ولد^(٢) اليازوري الوزير ، وكان قد ناب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك ، وسار إلى الشام بعساكر عظيمة فأصلح أمره . ورأيتُه بعد ذلك بمسجد فوة^(٣) وهو يخيظ للناس بالأجرة وهو في حال شديدة من الفقر والحاجة ، فرأيتُه ذات يوم وهو يطالب رجلاً بأجرة خياطة خاطها له ، والرجل يدافعهُ ويُماطله ، وهو يلحُّ في الطلب . فلما ألح عليه قال له الرجل : يا سيدنا ، اجعلْ هذا القدر اليسير من جُملة ما ذهب منك في السُقرة الشامية . فقال : دَعْ ذكر ما مضى . فسألته عن ذلك فلم يحدثني بشيء ، وسألتُ غيره فقال : الذي ذهب منه في سُقرتِه في نفقات سَمَاطِه سِتَّةَ عشر ألف دينار .

قال المؤرخ : وكان اليازوري سيئ التدبير ، أوجب سوء تدبيره خروج إفريقية وحلب عن المستنصر بالله .

(١) يذكر ابن ميسر « واجتمع ناصر الدولة بن حمدان باليازوري ، وأشار عليه بالوزارة مضافاً لأشغاله ، وتحدث له مع المستنصر فأجاب وولاه » - المنتقى من أخبار مصر ص ١٦ .

(٢) « غيظ الملك والد اليازوري » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق مع ما يأتي ، وما ورد في المنتقى من تاريخ مصر ص ١٧ .

(٣) فوه : من القرى القديمة ، وهي حالياً قاعدة مركز فوة بمحافظة الغربية - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها .

قال : ولما قبض على اليازورى ولى الوزارة بعده صاحبه أبو الفرج عبد الله^(١) بن محمد البابلي ، وكان خصيصاً به ، فلما ولي الوزارة بعده سعى في قتله كل السعي ، ويقال إنه جهز إليه من قتله بغير أمر المستنصر ، فلما اطلع على ذلك عظم عليه . وعزل البابلي في شهر ربيع الأول منها . واستوزر أبو الفرج محمد^(٢) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي ، ثم صرفه في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأعيد البابلي .

وفي سنة خمسين وأربعمائة استعمل ناصر الدولة بن حمدان على ولاية دمشق .

وفي سنة ثلاث وخمسين ، في المحرم ، صرف البابلي عن الوزارة ووليا عبد الله^(٣) بن يحيى بن المدبر ، ثم صرف في بقية السنة وولى أبو محمد عبد الكريم^(٤) بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في شهر رمضان من السنة ؛ فقال أبو الحسن علي بن يسر الرحمن بن بشر الصقلي يخاطب ابن المدبر :

لا تجزعنَّ عن الأمور إذا التوت
ما كنتَ إلا السيف ، جرداً ماضياً .
وإبشر بلطف مسبب الأسباب
لله سيرتك التي ما سيرتها
وأقر مذخوراً ليوم ضراب
شيدت للوزراء يا ابن مدبر
إلا بأقوم سنة وكتاب
وجمعت بين طهارة الأعراق ، وأل
شرفاً لهم ينقى على الأعقاب
وأخلاق ، والأفعال ، والأثواب

(١) الإشارة ص ٤٦ .

(٢) الإشارة ص ٤٧ .

(٣) الإشارة ص ٤٨ .

(٤) الإشارة ص ٤٨ - ٤٩ .

جعل الإله لكل قوم سادةً وبئس المدبر سادة الكتاب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة في المحرم توفى الوزير أبو محمد عبد الكريم ، فرُدَّت الوزارة إلى أخيه أبي علي أحمد^(١) بن عبد الحاكم ، وكان يلي قضاء القضاة ؛ وصُرف عن الحُكم في صفر ، ثم صُرف عن الوزارة ، وقيل إنه صُرف عنها بعد سبعة عشر يوماً من ولايته . وأعيد البابلي مرة ثالثة في شهر ربيع الأول من السنة ، واستعفى بعد خمسة أشهر ، فاستوزر المستنصر سديد الدولة أبا عبد الله الحسين^(٢) بن علي الماسكي ، وكان يلي نظر الدواوين بدمشق ، ثم صُرف في شوال وأعيد البابلي .

ذكر الفتنة الواقعة التي أوجبت خراب الديار المصرية

كان ابتداء هذه الفتنة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وسببها أن المستنصر بالله كان في كل سنة يركب على التَّجْب ومعه النساء والخمر^(٣) إلى المكان المعروف بجب عميرة^(٤) ، وهو موضع نزهة . ويذكر أنه تخرج يريد

الإشارة ص ٤٩ .

(٢) الإشارة ص ٤٩ .

(٣) « والحشم » في اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦٥ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٢٤ .

(٤) « يوسف » في الأصل ، وهو تحريف ، والنصح من اتعاظ الحنفا ، والمنتقى من أخبار مصر .

جب عميرة : موضعه حالياً المنطقة المعروفة باسم البركة شمال شرق القاهرة ، وكان هذا الموضع ينزل به حجاج البر عند مسيرهم من القاهرة إلى مكة - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٦٣ .

الحجّ ، على سبيل الاستهزاء والتهمك ، ومعه الخمر في الروايا بدلاً عن الماء . يسقيه للناس كما يسقى الماء في طريق مكة [٦٧] ، شرفها الله تعالى . فلمّا كان في هذه السنّة خرج على عادته في جُمادى الآخرة ؛ فاتفق أن بعض الأتراك جرّد سيفاً على سُكْرِ مِنْهُ على بعض عبيد الشراء ، فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه ، فجاء الأتراك إلى المُستنصر وقالوا : إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وإن كان عن غير رضاك فلا نصبرُ عليه . فأنكر المُستنصر ذلك ؛ فاجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد بعد قتالٍ شديد على كوم شريك ^(١) . وكانت والدّة المُستنصر تُعين العبيد بالأموال والسلاح ، فاطّلع بعض الأتراك على ذلك ، فجمع طائفة كثيرة من الأتراك ودخل على المُستنصر بهم ، وأغلظوا له في الكلام ؛ فحلف أنّه لم يكن عنده علمٌ من ذلك . ودخل على والدته وأنكرَ عليها ؛ وصار السيفُ بين الطائفتين . ثمّ سعى أبو الفرج بن المغربي ، الذي كان يلي الوزارة ، وجماعة معه ، في الصلح بين الطائفتين ، فاصطلحوا ؛ ولم تصف طائفةٌ منهم للأخرى . ثمّ اجتمع العبيد وخرجوا إلى شبرا دمنهور ^(٢) في جمع كثير .

وكان سبب كسرتهم أن والدّة المُستنصر لما قُتل سيدها ووزيرها أبو سعيد التُّستري اليهودي غضبت لقتله ، وشرعت في شراء العبيد السودان واستكثرَت منهم ، وجعلتهم طائفة لها ؛ فاشتدّ أمرهم إلى أن صارَ العبدُ منهم يحكمُ

(١) كوم شريك : من القرى القديمة ، إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، وتنسب إلى الصحابي شريك بن سمي ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٨٣ ، القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٢) شبرا دمنهور : من القرى القديمة ، وهي الآن شبرا الخيمة ، بمحافظة القليوبية ، وتعتبر حالياً ضمن القاهرة الكبرى — القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ١٢ وما بعدها .

حكَمَ الوِلاةَ . فلَمَّا ولىَ أبو البركات بن الجرجاني أمرته أن يُعْرِىَ العبيدَ بالأتراك ، فخاف العاقبة فلم يفعل ؛ فصرفته وولت وزيرها اليأزورى وأمرته بذلك ، فلم يقبلُ منها ، ودبر الأمرَ وساسه إلى أن قُتِلَ . ووَزَرَ البابليُّ فأمرته بذلك ، ففعل ، ووقَّع بين الطائفتين .

قال : فلَمَّا خرج العبيد إلى شبرًا دمنهور قويت شوكة الأتراك وطلبوا الزبادات في أرزاقهم إلى أن خلت الخزائن من الأموال وضعفت الدولة ، والعبيد على حالٍ من الضرورة وهم يتزايدون عِدَّةً ، فتكامل منهم ما بين فارس وراجل خمسون ألفًا .

فبعثت والدة المُستنصر لقواد العبيد ، في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وأغرتهم بالأتراك ؛ فاجتمعوا ووصلوا إلى الجيزة ، فخرج الأتراك لقتالهم ، والمقدم عليهم ناصر الدولة الحسن^(١) بن حمدان ، فلقبهم فكسره العبيد ونهبوا عسكره ، واشتغلوا بالنهب ، فعطف عليهم ابنُ حمدان وهزمهم إلى الصَّعيد ، وعاد إلى القاهرة وقد قويت شوكتُه .

ثم تجمَّع العبيدُ في الصَّعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل ، فقلق الأتراك لذلك قلقًا شديدًا ، وحضر المقدمون إلى المستنصر ليشتكوا ذلك إليه ، فأمرت والدته مَنْ عندها من العبيد والخدم بالهجوم عليهم^(٢) وقتل الأتراك ، ففعلوا ذلك . وسمع ناصر الدولة ابنُ حمدان بالخبر ، فركب إلى ظاهر القاهرة واجتمع إليه مَنْ بقى من الأتراك ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد المقيمين بمصر والقاهرة ، ودامت بين الفريقين أيامًا . فانتصر ناصر

(١) « الحسين » في الأصل ، والتصحيح مما سبق : ومن اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) « عليه » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

الدولة والأتراك على العبيد ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ؛ ولم يبقَ منهم بالقاهرة ويضر إلا القليل .

وبقي العبيد المقيمون بالصعيد على حالهم . وكان بالإسكندرية منهم جماعة . سار ناصر الدولة إليهم ، فسألوا الأمان ، فأمنهم ؛ وربب بالإسكندرية من يثق به . وانقضت سنة تسع وخمسين في حربهم .

وقويت شوكة الأتراك في سنة ستين وأربعمائة ، وطمعوا في المستنصر بالله ، وقلَّ ناموسه عندهم . وكان مقرّهم في كلِّ شهر ثمانية وعشرين ألف دينار ، فصار في كلِّ شهر أربعمائة ألف دينار . وطالبوا المستنصر بالأموال ، فاعتذر أنه لم يبقَ عنده شيء منها ؛ فطالبوه بلخائره فأخرجها إليهم ، وقومت بأنجس الأثمان .

وخرج ناصر الدولة بن حمدان في جماعة من الأتراك إلى الصعيد لقتال من فيه من العبيد ، وكان قد كثُر فسادهم ، فالتقوا واقتتلوا ، فكانت الهزيمة على ناصر الدولة والأتراك ، فعادوا إلى الجيزة . فاجتمع على ناصر الدولة من سلّم من عسكره ، وشغبوا على المستنصر بالله ، واتهموه أنه يمدد العبيد بالتفقات سراً ، فحلف لهم على ذلك .

ثم خرج الأتراك إلى العبيد وقاتلوهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ولم ينج منهم إلا القليل . وزالت دولة العبيد ، وعظّم أمرُ ناصر الدولة بن حمدان .

ذكر الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأتراك

وفي سنة إحدى وستين وأربعمائة ابتدأت الوحشة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين الأتراك . وسبب ذلك أن ناصر الدولة قوى واشتدَّت شوكته ، وانفرد بالأمر دون قواد الأتراك ، فعظّم ذلك عليهم وفسدت نياتهم

[٦٨] ، وشكوا ذلك إلى الوزير الخطير^(١) ، وقالوا : كلّمنا خرج من الخزانة مالٌ أخذ ناصرُ الدّولة أكثره وفرّقه في حاشيته ، ولا يصلُ إلينا منه إلا القليل . فقال : ما^(٢) وصل إلى هذا الأمر وغيره إلا بكم ، ولو فارقتموه لم يتمّ له أمر . فاتفق أمرهم على محاربتِه وإخراجه من ديار مصر ، فاجتمعوا وذكرُوا ذلك للمستنصر ، وسألوه أن يُخرِجه عنهم ؛ فأرسل إليه يأمره بالخروج ويتهدّده إن لم يفعل . ففارق ناصرُ الدّولة القاهرةَ وغدا إلى الجيزة ، ونهبت دُورُه ودور حواشيه وأصحابه .

فلَمَّا جاء الليلُ دخل ناصرُ الدّولة . واجتمع بالقائد تاج الملوك شادى ، وقبّل رجله . وسأله أن يُعيّنه على الدِّكر^(٣) والوزير الخطير . قال : وكيف الحيلةُ في ذلك ؟ قال : تركبُ أنت وأصحابك وتسيرُ بين القصرين ، فإذا أمكنتك الفرصة فاقتلها . فأجابه إلى ذلك .

وركب شادى من بُكرة الغد للتسيير فعلم الدِّكرُ بمراده : فهرب إلى القصر واستجار بالمستنصر فسَلِم . وأقبل الوزيرُ في موكبه فقتله شادى ، وسير إلى ناصر الدّولة يأمره بالحضور ؛ فعَدَّى من الجيزة إلى القاهرة . فأشار الدِّكرُ على المستنصر بالركوب ، وقال : متى لم تركب هلكت^(٤) وهلكنا معك . فلبس

(١) « خطير الملك » في المنتقى من أخبار مصر ص ٣٤ .

وهو محمد بن الحسن بن علي اليازورى ، استقر في القضاء والوزارة في ١٣ صفر ٤٦١ هـ ، وصرف عنها في شوال من نفس السنة — المنتقى من أخبار مصر ٣٥ .

(٢) « إنما » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٣) شيخ الأتراك والمقدم عليهم ، ولقبه أسد الدولة ، وكان زوج ابنة ناصر الدولة بن حمدان ، ولم يمنعه ذلك من التآمر عليه — اتعاظ المنفاص ٢٧٩ هامش^(١) .

(٤) « وإلا هلكت » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

سلاحه وركب ، وتبعه خلقٌ من عامّة الناس والجنّد ، واصطفوا للقتال . فحملت الأتراك على ناصر الدولة فانهزم ، وقُتِل من أصحابه جماعةٌ كثيرة ، ومضى لا يُلوى على شيء وتبعه بعضُ أصحابه فالتحق ببني سِنيس بالبحيرة فأقام عندهم وصاهرهم ، وتقوى بهم .

ولما تحقّق ناصر الدولة ميلَ المستنصر عنه قصد إبطال دعوته ، وكتب إلى السلطان ألب^(١) أرسلان السلجوقي^(٢) ملك خراسان والعراق يسأله أن يسير إليه عسكرياً يفتح له مصر ويُقيم الدعوة العباسية بها . فتجهز ألب^(١) أرسلان من خراسان بعساكره ، وكتب إلى صاحب حلب^(٣) يأمره بقطع دعوة المستنصر وإقامة الدعوة العباسية ، ففعل ذلك ، وانقطعت دعوة المستنصر^(١) من حلب ؛ ثمّ ملكها ألب^(١) أرسلان ؛ كما ذكرنا في أخبار الدولة السلجوقية^(٤) ؛ ثمّ ملكت عساكره دمشق^(٥) .

(١) بدلاً من كلمة « ألب » في المواضع الثلاثة في هذه الفقرة ، وكلمة « المستنصر » بياض في الأصل ، والتكلمة من المنتقى من أخبار مصر ص ٣٥ .

(٢) « السلجوقي » في الأصل .

وهو ألب أرسلان محمد بن داود بن جفرى بك بن ميكائيل بن سلجوق ، الكامل جـ ١٠ ص ٧٤ وما بعدها ، وانظر نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٣) هو محمود بن شمال بن صالح بن مرداس ، رشيد الدولة ، الذى ولى حكم حلب مرتين في الفترة من ٤٥٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٦١ م ، والفترة من ٤٥٤ - ٤٦٨ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٧٥ م - اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٣٠٢ . تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٤٦ .

(٤) « السلجوقية » في الأصل ، وانظر نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٣١٢ .

(٥) كان ذلك سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م على يد القائد التركى ، أحد أمراء السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان - المنتقى من أخبار مصر ص ٤٢ .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة والأتراك

قال : ولما اتصل بالمستنصر ما فعله ناصر الدولة من مكاتبة ألب^(١) أرسلان جرّد عسكرًا لِقِتالِهِ مِنَ الأتراك ، فساروا ثلاث فِرَق . فأرادَ أحدُ المُقدِّمين أن يلقاهُ ليكونَ الظَّفَرُ لَهُ دُونَ رَفِيقِهِ ، فتقدّم والتقى بناصر الدولة ، فهزّمه ناصر الدولة وقتل جماعةً من أصحابه وأسره . ثمّ التقى العسكرُ الثّاني ولم يعلموا بما جرى على الأُول ، فهزّمهم أقيح هزيمة ؛ وهرب العسكرُ الثّالث . وقوى ناصر الدولة بهذا الظَّفَر ، وقطع الميرة عن القاهرة ومصر ، ونهب أكثر الوجه البحرى ، وقطع خطبة المستنصر من الإسكندرية ودمياط والوجه البحرى ، وخطب للقائم بأمر الله^(٢) العباسى . وعُدّمت الأوقات بالقاهرة ومصر ، واشتدّ الغلاء ، وكثُر الوباء ، وامتدّت أيدي الجند إلى نهب العوام .

ذكر الصلح بين ناصر الدولة والأتراك

وفى الحَرَم سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة وقع الصلح بين ناصر الدولة بن حمدان والأتراك . وسببُ ذلك أنَّ المُستنصر بالله والأتراك اشتدّت بهم الضّائقة لقطع الميرة ، فاضطّروا إلى مُصالحته ، فصالحوه على أن يكونَ مقيمًا بمكانه ويُحمّل إليه مال قرره المُستنصر ، ويكون تاجُ الملوك شادى نائبًا عنه . فرضى بذلك وسير الغلال إلى مصر . ثمّ وقع الخلافُ بينهم بعدَ شهور ، فجاء

(١) بدلًا من كلمة « ألب » . يباض في الأصل .

(٢) هو الخليفة العباسى أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله ، الذى ولى الخلافة العباسية فى بغداد فى الفترة من ٤٢٢ - ٤٧٦ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٢ -

ناصر الدولة من البحيرة ، وعساكر كثيرة ، وحاصر مصر في ذى القعدة من السنة ، ودخل أصحابه فنهبوا شطراً منها ، وأحرقوا دور الساحل ؛ ثم عادوا إلى البحيرة . والله أعلم^(١) .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة جمع ناصر الدولة جموعه من العُربان وجاء إلى الجيزة ، واستدعى إليه تاج الملوك شادى وبعض المقدمين ، فخرجوا للقائه ، فقبض عليهم ونهب مصر [٦٩] وأحرقها .

وكان سبب ذلك أن شادى كان قد قطع عن ناصر الدولة ما كان قد تقرّر حملّه إليه من المال ، ولم يُوصّل إليه إلا اليسير منه . فلما قبض عليهم سير المستنصر إليه عسكرياً كثيراً ، فهزموه ، فهرب إلى البحيرة وجمع جموعه من العُربان وغيرهم ، وقطع خطبة المستنصر وأبطل ذكره . ثم قدم ناصر الدولة في شعبان من السنة ودخل إلى مصر وحكم بها ، وأرسل إلى المستنصر يطلب منه المال ؛ فراه الرسول وهو جالس على حصير وحوله ثلاث خدم ، ولم ير شيئاً آخر من آثار المملكة . فلما ذكر الرسول رسالته للمستنصر قال : ما يكفي ناصر الدولة أن يجلس في مثل هذا البيت على هذه الحال ! فبكى الرسول ، وعاد إلى ناصر الدولة وذكر له الحال ؛ فأطلق ناصر الدولة للمستنصر بالله في كل شهر مائة دينار ، وحكم في القاهرة ، وبالغ في إهانة المستنصر ، وقبض

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٥ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٣٧ .

على والدته وعاقبها ، وأخذ منها الأموال . وتفرَّق عن المستنصر جميع أقاربه وأولاده ، ومضوا إلى بلاد المغرب والعراق (١) .

وعمل ناصر الدولة على إقامة الدولة العباسية . فهضم إلكيز أحد الأمراء ، وبلدكوز ، واجتمعا بمن بقي من الأتراك ، وأنفقوا كلهم على قتل ناصر الدولة ، وكان قد أمن وترك الاحتراس لقوته وسطوته ، وظن أن الدنيا صفت له . فتواعد الأتراك وركبوا إلى داره ، في شهر رجب سنة خمس وستين وأربعمائة ، وهو إذ ذاك بمصر بمنزل العز (٢) ، فدخلوا عليه من غير استئذان إلى أن بلغوا صحن الدار ، فخرج إليهم في رداء ، فقتلوه وأخذوا رأسه . وكان الذي تولى قتله إلكيز ، وقتل أخوه فخر العرب وأخوها تاج المعالي وجماعة من أهل بيته . وانقطع ذكر آل حمدان ، ولم يبق بمصر لهم ذكر (٣) .

وناصر الدولة هذا هو الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن أبي الهيجاء حمدان بن حمدون .
نرجع إلى حوادث الدولة المستنصرية .

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة نذب أمير الجيوش بدر الجمالي لولاية دمشق على حربها (٤) ، وفوض إليه في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولاية

(١) انظر اتعاظ المنفا ج ٢ ص ٣٠٦-٣٠٧ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٣٨ .

(٢) منازل العز : دار أنشأتها السيدة تفرید أم العزيز باقه ، تشرف على النيل ، اتخذها الخلفاء الفاطميون متنزهاً ، وسكنها ناصر الدولة بن حمدان إلى أن قتل - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٤ وما بعدها ، وج ٢ ص ٣٦٤ .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢١-٢٣ .

(٤) انظر ذيل تاريخ دمشق ص ٩١ وما بعدها ، الكامل ج ١٠ ص ٣٠ . المنتقى من أخبار مصر ص ٢٨ .

الشام بأسرها (١)

ذكر الغلاء الكائن بالذيار المصرية

كان ابتداءؤه في سنة سبع وخمسين وأربعمائة واشتدَّ من سنة إحدى وستين ، وقلت الأقوات في الأعمال حتى أكل الناس الميتة ؛ وتزايد في سنة اثنتين وستين : وكثر الوباء بالقاهرة ومصر حتى إن الواحد كان يموت في البيت فيموت في بقية اليوم أو الليلة كل من بقي فيه . وخرج من القاهرة ومصر جماعة كثيرة إلى الشام والعراق ؛ وأكل بعض الناس بعضاً . ودام ذلك إلى سنة أربع وستين . وشبهت هذه السنين بسنى يوسف عليه السلام . قال ابن الهذاني في تاريخه (٢) : وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة ورد إلى بغداد من مصر الرجال والنساء هرباً من الجوع والفتنة ، وأخبروا أن بعضهم أكل بعضاً . وورد التجار معهم ثياب صاحب مصر وآلاته وذخائره ؛ وكان معهم أشياء كثيرة نُهبَت عند القبض على الطائع ، في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ؛ وما نُهب في وقعة البساسيري (٣) .

قال : وخرج من خزانة المستنصر بالله أشياء عظيمة ، من جملتها ثلاثون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج خسرواني (٤) ،

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ٣٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الملك الهذاني ، صاحب تكملة تاريخ الطبرى .

(٣) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٣ . المنتقى من أخبار مصر ص ٣٦ . أخبار الدول المنقطعة

ص ٧٥ .

(٤) نسبة إلى خسرو شاه من أكاسرة الفرس ، وهو نوع من الحرير رقيق .

وأحد عشر ألف^(١) درع ، وعشرون ألف سيف محلاة ، وغير ذلك .

قال المؤرخ : ومن جملة ما بلغ من أمر الغلاء أن امرأة كان لها حلى باعت ما يساوي ألف دينار بثلاثمائة دينار واشترت به حنطة ، فنُهبت منها في الطريق ، فنُهبت مع مَنْ نُهبت ، فحصل لها ما جاء رغيماً واحداً^(٢) .

وحكى أن بعض أهل اليسار وقف بباب القصر وصاح واستصرخ إلى أن أحضر بين يدي المستنصر ، فقال له : يا مولانا ، هذه سبعون قمحة وقفت على سبعين ديناراً ، كل قمحة بدينار ، في أيامك ؛ وهو أنى اشترت أردب قمح بسبعين دينار ، فنُهبت مني فنُهبت مع مَنْ مهبت ، فوقع في يدي هذه ؛ فكل قمحة بدينار . فقال المستنصر الآن فرج الله عن الناس فإن أيامي حكم لها أن القمحة تُباع بدينار^(٣) .

قالوا : ولم يكن هذا الغلاء عن نقص التيل ، وإنما كان لاختلاف الكلمة وحروب الأجناد ، وتغلب المتغلبين على الأعمال . وكان التيل يزيد ويهبط في كل سنة ، ولم يجِدْ من يزرع الأراضي ؛ وانقطعت الطرقات براً وبحراً إلا بالخيخارة الكثيرة ، وأبيع الرغيف الخبز بأربعة عشر ديناراً أو درهماً . قال الحوافي : وأبيع الأردب القمح بمائتي دينار .

[٧٠] ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر

واستيلائه على الدولة

كان تقدمه في سنة ست وستين وأربعمائة . وسبب ذلك أن المستنصر

(١) « منها واحد وعشرون ألف درع » في المتنقى من أخبار مصر .

(٢) انظر انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٣) انظر انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٩ .

تواترت^(١) عليه الرزايًا وحصره ابن حمدان كما ذكرنا فلما قتل ابن حمدان استطال إلدكر والأترك والوزير ابن أبي كدينة^(٢) ، فضاقت المستنصر ذرعًا ، وكتب أمير الجيوش بدر الجمالي^(٣) وحسن له أن يكون المتولى لأمر دولته ، فأعاد الجواب واشترط أن يستخدم معه عسكريًا ، وآلا يبقى على أحد من عسكر مصر . فأجابه إلى ذلك . فاستخدم العساكر وركب في البحر الملح ، وكان إذ ذاك بعكًا . وسار في مائة مركب في أول كانون ، وهو وقت لم تجر العادة بركوب البحر في مثله ، فوصل دمياط ، وركب منها . وسار إلى أن نزل بظاهر قليب . وأرسل إلى المستنصر بالله أن يقبض على إلدكر^(٤) ، فقبض عليه ، ودخل أمير الجيوش إلى القاهرة في شهر ربيع الآخر منها ، وقيل في جمادى الأولى . فالث أن بعث كل أمير من أمرائه إلى قائد من قواد الدولة ليلاً وأمره أن يأتيه برأسه ؛ فأصبح وقد أحضر إليه من رعوس قواد الدولة شيء كثير . وقبض على الأترك وقويت شوكته ، وقمع كل مفسد ، حتى لم يبق أحد منهم بمصر والقاهرة . وخلع المستنصر^(٥) بالله على بدر الجمالي بالطيلسان ، وصار أمر المستخدمين في حكمه ، والدعاة والقضاة نوابه .

قال : ولما قدم مصر حضر إليه المتصدرون بالجامع ، فقرأ ابن

(١) « لما تواترت » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسياق الكلام .

(٢) هو الحسن بن مجلى بن أسد بن أبي كدينة - المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠ .

(٣) انظر ترجمته في : الإشارة ص ٥٥ - ٥٦ ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٨ ، الوافي ج ١٠ ص ٩٥ رقم ٤٥٤٥ .

« بلدكوز » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤٠ ، و « بلدكوش » في اعطاء الحنفا ج ٢ ص

٣١٢ ، الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٩٥ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٣٩ .

(٥) « على المستنصر بالله » ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق والسياق . وانظر المنتقى من أخبار

العجمي : « وَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ » (١) وسكت عن تمام الآية . فقال له بدر : والله لقد جاءت في مكانها ، وسكوئك عن تمام الآية أحسن (٢) ، وأحسنَ إليه . وقيل : بل قال له : لِمَ لا قرأت « إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ » (٣) .

وقتل أمير الجيوش من أمائل المصريين ووزرائهم وحكامهم جماعةً ، وشرع في إصلاح الأعمال وقتل المفسدين .

وفي سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة خُطب للمستنصر بمكة والمدينة ، وكانت الخطبة بها قد انقطعت منذ خمس (٤) سنين .

وفيهما حاصر أنسيز (٥) دمشق وملكها ، على ما ذكرناه في الباب العاشر من القسم الخامس من هذا الفن في أخبار الدولة السلجوقية . وانقطعت خطبة المستنصر من الشام .

ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كثر الدولة

وفي سنة تسعٍ وستين وأربعمائة اجتمع جماعةٌ كثيرة من عرب جهينة

(١) سورة آل عمران رقم ٢ جزء من الآية رقم ١٢٣ .

(٢) بقية الآية « فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ » ، وورد في كثر الدرر « لو أتم الآية أمرت بضرب عنقه » ج ٦ ص ٣٩٩ .

(٣) سورة الزخرف رقم ٤٣ ، جزء من الآية ٥٩ .

(٤) ورد هذا الخبر في أحداث سنة ٤٦٧ هـ في اتماظ الخنفا ج ٢ ص ٣١٤ ، وانظر أيضًا الكامل ج ١٠ ص ٩٨ .

(٥) أنسيز أو أنسز أو أطسز ، ويكتب أحيانًا أنسيس ، أحد أمراء السلطان السلجوقي ملك شاه ، انظر الكامل ج ١٠ ص ٩٩ وما بعدها ، والمنتقى من أخبار مصر ص ٢٤٢ ، وانظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(١) والجعافرة والثعالبة وغيرهم بمدينة طوخ العليا من صعيد مصر ، واتفقوا على قتال أمير الجيوش ، فخرج إليهم . فلما قاربهم هجم عليهم في نصف الليل ، فهزمهم وأبادهم بالقتل ، وغرق خلق كثير منهم ، وغنم أموالهم وحملت إلى المستنصر .

وكان كثر الدولة (٢) محمد قد تغلب على ثغر أسوان ونواحيها وعظم شأنه وكثرت أتباعه ؛ فقاتله أمير الجيوش وقتله ، وبني في المكان مسجداً سماه مسجد النصر . وكانت هذه الواقعة آخر إصلاح حال مصر وعربانها . وقيل كان قتل كثر الدولة في سنة خمس وسبعين والله أعلم .

(٣) وفي غيبة أمير الجيوش [هجم] أتسيز على الديار المصرية ، وكان ابن يلدكوز قد التحق به وأهدى له ثحفاً جليلة المقدار ، منها ستون حبة لأولو مدحرج (٤) تريد كل حبة على مثقال ، وحجريا قوت زنته سبعة عشر مثقالاً ، وغير ذلك ، وأطمعه في ملك الديار المصرية ، وملك ما وصل إليه . فجمع أمير الجيوش عساكره وخرج إليه . وقاتله وهزمه ، وقتل خلقاً كثيراً من أصحابه بعد أن أقام بأرياف مصر جماديين وبعض شهر رجب (٥)

(١) طوخ : يوجد بصعيد مصر ٢١ موضع كل منها يحمل اسم طوخ مضافاً إلى اسم آخر . وورد في معجم البلدان طوخ : قرية بصعيد مصر غربي النيل ، وورد في القاموس الجغرافي طوخ : قرية في صعيد مصر الأعلى على غربي النيل ، ومن المرجح أن تكون هذه القرية هي المقصودة ، وهي التي تعرف باسم طوخ دمنو من أعمال قوص - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢) عن بني كثر انظر تاريخ دولة الكنوز الإسلامية - القاهرة ١٩٧٦ .

(٣) [] إضافة للتوضيح تتفق والسياق ، وانظر أيضاً المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٧ ، الكامل ج ١٠ ص ١٠٣ .

(٤) « مرجح » في المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ .

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ ، واتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٧ وما بعدها .

وفيهما خرج على أمير الجيوش عرب قيس وسليم وفزارة ، فخرج إليهم وقاتلهم ، وهزمهم ، وطردهم إلى بركة (١) .

وفي سنة سبعين وأربعمائة قوّض لأمير الجيوش بدر الجمالي قضاء القضاة ، ونعت بكافل قضاة المسلمين ، وهادى دُعاة المؤمنين .

وفي سنة سبعٍ وسبعين وأربعمائة خالف الأوحّد بن أمير الجيوش على والده ، واجتمع معه جماعة من العربان وغيرهم ، واستولى على الإسكندرية . فسار إليه والده وحاصره بها ، وفتحها ، وقبض على ولده ، وبني أمير الجيوش الجامع المعروف بجامع العطارين بالإسكندرية (٢) من أموال أخذها من أهل البلد ؛ وكانت عمارته في شهر ربيع الأول سنة تسعٍ وسبعين . وقامت الخطبة بهذا الجامع إلى آخر أيام العاضد (٣) .

وفي سنة اثنتين وثمانين [٧١] وأربعمائة نذب أمير الجيوش بدر الجمالي عسكرياً إلى الساحل ففتح صور وصيدا ، وصاراً بيد نوابه . ثم سار بعد ذلك وفتح جبيل وعكا . وكان ذلك في يد تاج الدولة تُتَشُّ صاحب دمشق (٤) .

ذكر بناء باب زويلة بالقاهرة

وفي سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة أمر أمير الجيوش بدر الجمالي ببناء باب

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٧٦ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٤٤ .

(٢) كان هذا الجامع خراباً وجدده بدر الجمالي - انظر تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٦٧ ، ج ٢ لوحة ٣٦ ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٦ هاشم ١٨٩ .

(٣) « ولم تزل الخطبة فيه حتى ملك صلاح الدين يوسف فنقل الخطبة منه إلى جامع بناء » المنتقى من أخبار مصر ص ٤٧ ، وانظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢١ .

(٤) انظر في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٥٠ ، الكامل ج ١٠ ص ١٧٦ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٢٦ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٨ .

زويلة الكبير، الذى هو الآن باقى، وعلى أرضه^(١)، وأراد أن يجعل له عطفة على عادة أبواب الحصون حتى لا تهجم عليه العساكر فى أوقات الحصار، ويتعدّر دخولها جملة؛ فأشار عليه بعض المهندسين أن يعمل فى بابه زلاقة من حجارة الصّوان، فعمله على هذا الحكم. ولم يزل كذلك إلى أن دخل منه السلطان الملك الكامل^(٢) بن الملك العادل، فزلق فرسه، فرسم أن يُخفف من حجارته، فخفف منها، ولم يبق إلا القليل على ما هو عليه الآن^(٣).

وفى سنة ست وثمانين وأربعمائة ملك تاج الدولة تُشش ثغر صور بمواطاة من نائب بدر بها.

ذكر وفاة أمير الجيوش بدر الجمالى وولاية ولده الأفضل

كانت وفاته فى شهر ربيع الأول^(٤)، وقيل فى جمادى الأول، سنة سبع وثمانين^(٥) وأربعمائة. وكان حكمه بديار مصر حكم الملوك ولم يبق للمستنصر بالله أمر، بل سلم الأمور إليه فضبطها أحسن ضبط. وكان شديد الهيئة،

(١) «وعلى أبراج» فى المنتقى من أخبار مصر ص ٥١، اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣٢٧.

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب، الملك الكامل، ولى حكم الدولة الأيوبية فى الفترة من ٦٦٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢٦٨ - ١٢٣٨ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٤٢.

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٥١، اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣٢٧.

(٤) «ربيع الآخر» فى المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٨١، و«فى ذى العقدة» فى الكامل ج ١٠ ص ٢٣٥.

(٥) «سنة ست وثمانين» فى كنز الدرر ج ٦ ص ٤٣٩، و«سنة ثمان وثمانين» فى كل من:

العبر ج ٣ ص ٣٢٠، شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٣.

سريع البطش ؛ قتلَ خلقًا كثيرًا من أكابر المصريين وقوادهم وكتّابهم ؛ وعلى يديه صلحت الديار المصرية بعد أن خربت . وكان له نحو الثمانين سنة . وكان أرمنى الجنس مملوكًا لجمالى الدولة بن عمار وإليه يُنسب وتولّى إمرة الشام والسّاحل .

ولما كان بلى دمشق جرت فتنَةٌ من عسكره وأحداث البلد خرب بسببها قصرُ الإمارة والجامع الأموى .

ذكر وفاة المستنصر بالله وشيء من أخباره

قال المؤرخ : ولما ولى مصر أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين إلى أن تمت أحوالهم واتسعت أموالهم . وكانت إمارته بمصر إحدى وعشرين سنة . ولما توفى ولى بعده الوزارة ولده الأفضل ، ونعت بنعوت أبيه ، وقبض على جماعة من الأمراء كانوا قد ثاروا عليه .

كانت وفاته في ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبعٍ وثمانين وأربعمائة ، ومولده في يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة ، فكانت مدة حياته سبعًا وستين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، ومدة ولايته ستين سنة وأربعة أشهر .

ولقى في ولايته أهوالاً عظيمة وشدائد كثيرة وفاقة متمكنة حتى جلس على نَحٍّ^(١) وكانت أيامه ما بين غلاءٍ ووباءٍ وفتن ، على ما نذكره . وكان قد عتّا وتجبر واشتهر ، وذلك أنه اشتهر عنه أنه نصب خركاه في القصور التي بعين

(١) نح : نوع من الحصير - أو بساط طويل - القاموس .

شمس وبنى فسقية عظيمة وحمل إليها الخمر في الروايا وأخرج جميع من في قصره من الملاحى والقيان إلى الخركاة وهم يغنون بأصوات مرتفعة ويستقون من فسقية الخمر، ويطوفون بالخركاة، يضاهاون بذلك البيت المعظم وزمزم، ويقول: هذا أطيب من زيارة حجارة، وسماع صوت كربه، وشرب ماء آسن. فأخذه الله تعالى وعجل العقوبة، وأراه الدل مع قيام سلطانه، وسلط عليه أنصار دولته حتى نهبوا أمواله واستولوا على قصره، ولم يبق له إلا بساط فجذبوه من تحته. وصار إذا ركب لا يجد ما يركبه حامل مظلته إلا أن يستعار له بغلة ابن هبة، صاحب ديوان الإنشاء، وكل خواصه مشاة ليس لهم دواب يركبونها، وكانوا إذا مشوا يتساقطون في الطرفات من الجوع. وكانت ابنة بابشاذ تبعث إليه برغيفين في كل يوم^(١). وهذه عاقبة الطغيان والاستهتار.

وكان له أولاد منهم: أبو القاسم أحمد، وأبو المنصور نزار، وأبو القاسم محمد، وأبو الحسين جعفر^(٢)، وغيرهم.

ووزر له جماعة^(٣) وهم: أبو القاسم الجرجرائى الأقطع، وزير والده، إلى أن توفي، فاستوزر من ذكرناهم [٧٢] إلى آخر سنة أربع وخمسين. وتكرر بعضهم في الوزارة مراراً واستوزر أبا غالب عبد الظاهر بن فضل العجمي غير مرة، دفعة في جادى الأولى سنة خمس وخمسين وصرف بعد

(١) «لا يجد من القوت إلا ما تصدق به عليه الشريفة ابنة صاحب السبيل في كل يوم» اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٧٧.

(٣) «ووزر له أربعة وعشرون وزيراً» في المنتقى من أخبار مصر ص ٥٥، وفي اتعاظ الحنفا ج

ثلاثة أشهر ، ودفعه في شهر ربيع الآخر سنة ست وخسين وُصِرْف بعد ثلاثة وأربعين يوماً ، ثم وليها ثالثة في أيام الفتنة ولُقّب تاج الملوك شادى ، وقتل في سنة خمس وستين . وولّى له الحسن بن ثقة الدولة بن أبى كدينة القضاء والوزارة ، كلّ منصبٍ منها خمس دفعات ، ويقال إنه من ولد عبد الرحمن ابن ملجم قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه . ولَمّا وصل أمير الجيوش بدر الجمالى أرسله إلى دمياط وأمر بضرب عنقه ، فدخل عليه السيّاف بسيفٍ كليل^(١) فضربه عدّة ضربات حتى أبان رأسه ، وكان عدّة ماضربه عدّة ولاياته الحُكْم والوزارة . وولى أبوالمكارم أسعد ثم قتله أمير الجيوش ، ووَزَرَ بعده أبوعلّى الحسن بن أبى سعد إبراهيم بن سهل التستري عشرة أيام ثم استعفى ، وكان يهوديا فأسلم ، وولّى أبوالقاسم هبة الله محمد الرعبانى دفعتين كلّ دفعة عشرة أيام . ووَزَرَ الأثير أبوالحسن بن الأنبارى أياماً وُصِرْف ، ووَزَرَ أبوعلّى الحسين بن سديد الدولة الماسكى مرة ثانية أياماً ثم صرف ، ووَزَرَ أبو شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملك ، وفخر الملك هو الذى وزر ليهاء الدولة ابن بويه ، فُصِرْف وسار إلى الشّام فقتله أمير الجيوش في مسيره . واستوزر أبا الحسن طاهر ابن الوزير انطرابلسى ، من طرابلس الشّام ، ثم صرّفه ، وكان أحد الكُتّاب بديوان الإنشاء ، واستوزر أبا عبد الله محمد بن أبى حامد السيسى يوماً واحداً ثم قُتل ، فاستوزر أبا سعد منصور بن أبى اليمى سورس بن مكرواه بن زنبور . وكان نصرانياً ثم أسلم ، والنصارى يُنكرون إسلامه . واستوزر أبا العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد وُصِرْف وبقى أياماً وقتله أمير الجيوش . ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووَزَرَ

(١) كليل : ضعيف ، وسيف كليل : أى لا يقطع - القاموس .

للسيف والقلم والحكم إلى أن مات ، ثم ولدّه الأفضل بعده^(١) .
 قضاته : كان منهم جماعة من الوزراء قد ذكرناهم ، ومن لم يَلِ الوزارة
 عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في أول خلافته ، ثم القاسم بن عبد العزيز بن
 النعمان . وفي ولاية أمير الجيوش أبو يعلى العرقى إلى أن مات ، فولى أبو الفضل
 القضاعى . ثم جلال الدولة أبو القاسم على بن أحمد بن عمار ، ثم صرفه
 وولّى أبا الفضل بن عتيق ، ثم أبا الحسن على بن يوسف الكحال النابلسى ؛
 ثم فخر الأحكام محمد بن عبد الحاكم^(٢) .

وكان نقش خاتم المستنصر بالله « بنصر السميع العليم ينتصر الإمام
 أبو تميم »^(٣)

ذكر بيعة المستعلى بالله

هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبو تميم معدّ ، وهو التاسع من
 ملوك الدولة العبديّة ، والسادس من ملوك مصر منهم . بُويع له في بكرة
 نهار الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين
 وأربعمائة .

وذلك أن المستنصر بالله لما توفى بادر الأفضل أمير الجيوش بدخول القصر
 وأجلسه على تخت المملكة ، وسيرّ إلى إخوته نزار وعبد الله وإسماعيل ،

(١) انظر اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٧٨ - ٨١ ، المنتقى من

أخبار مصر ص ٥٥ - ٥٦ ، الإشارة ص ٣٦ - ٥٩ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٣٣٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨١ ، المنتقى من أخبار مصر

ص ٥٧ .

(٣) « ينتصر المستنصر أبو تميم » في اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٣٣٤ .

وأَعْلَمَهُمْ بِوفاةِ أبيهم ، وأمرهم بِسُرعةِ الحضور . فلَمَّا حضروا شاهدُوا أخاهم الصَّغيرَ وقد جلسَ على سريرِ الخِلافةِ ، فامتعضوا من ذلك ، فقال لهم الأفضَلُ : تقدَّموا وقبَلوا الأرضَ لله تعالى ولمولانا المستعلى بالله وبإيعوه ، فهو الذى نصَّ عليه الإمامُ المستنصر بالله قبل وفاته بالخِلافةِ من بعده . فقال نزار : لو قُطعتْ ما بايعتُ مَنْ هو أصغرُ مِنِّي سِنًا ، وخطُّ والدى عندي بولايةِ العهدِ ، وأنا أُحضره . وخرجَ مُسرِعًا لِيُحضرَ الخطَّ ففضى إلى الإسكندريةِ ، فسيرَ الأفضَلُ خَلْفَه من يُحضره ، فلم يعلم أحدٌ أين توجَّهَ ولا كيف سلكَ ، فانزعج الأفضَلُ (١) لذلك .

وقيل إنَّه لما تُوفى المستنصر بالله جلسَ بعده ولده أبو منصور نزار ، وهو وليُّ العهدِ وأراد أخذَ البيعةَ لنفسه فامتنع الأفضَلُ أميرَ الجيوشِ من ذلك لكرهته فيه (٢) واجتمع بجِماعَةِ الأمراءِ والخواصِّ وقال لهم : إن هذا كبيرُ السِّنِّ ولا نأمنُهُ على نفوسنا ، والمصلحةُ أن نبايعَ لأخيه الصغيرِ أبى القاسمِ أحمدَ . فوافقوه على ذلك إلا محمود بن مصال اللكى (٣) ، فإن نزارًا كان قد وعده بالوزارة والتقدُّمِ على الجيوشِ مكانَ الأفضَلِ . فلَمَّا علم ابنُ مصال الحالَ أطلعَ نزارًا عليه .

وبادر الأفضَلُ وبايعَ أحمدَ الخِلافةَ ، ونعته بالمستعلى بالله وأجلسه على

(١) انظر اعطاء الحنفا جـ ٣ ص ١١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) عن سبب هذه الكراهية - انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٦٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤٢ ، اعطاء الحنفا جـ ٣ ص ١٢ .

(٣) « المالكى » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٦٠ ، اعطاء الحنفا جـ ٣ ص ١٢ .

« من قرية يقال لها لك بركة » - اعطاء الحنفا جـ ٣ ص ١٢ ، وانظر ما يلى عن قرية لك .

سرير الملك ، [٧٣] وجلس الأفضل على دكة الوزارة . وحضر قاضي القضاة نصر الإمام على بن الكحال ومعه الشهود ، وأخذ البيعة على مقدمي الدولة ورؤسائها وأعيانها ، ثم مضى إلى إسماعيل وعبد الله ، وهما بالقصر في المسجد وعليهما التوكيل ، فقال لهما : إن البيعة قد تمت لمولانا المستعلي بالله ، وهو يُقرئكما السلام ويقول لكما : تبايعاني أم لا ؟ فقالا : السمع والطاعة ؛ إن الله اختاره علينا . وبإياعه ، وكتب بذلك سجلّ قرأه على الأمراء الشريف سناء الملك محمد بن محمد الحسيني الكاتب بديوان الإنشاء . وبادر نزار وأخوه عبد الله ومحمود بن مصال إلى الإسكندرية ، وعليها ناصر الدولة ^(١) أفتكين التركي ، أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي ، فعرفوه الحال ووعده بالوزارة ، فبايعه ، وبإياعه أهل الثغر ، ولقب بالمصطفى لدين الله .

ذكر ما اتفق لنزار ومن معه

قال : وفي المحرم سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى الإسكندرية لقتال نزار وأفتكين وابن مصال . فلما قرب منها خرجوا إليه ، والتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الهزيمة على الأفضل ومن معه ، فرجع إلى مصر ونهب نزار ومن معه من العرب أكثر بلاد الوجه البحري .

ثم خرج الأفضل ثانياً وحاصر الإسكندرية ، واشتد الحصار إلى ذى القعدة . فلما اشتد الحال رأى ابن مصال مناماً ، فلما أصبح أحضر رجلاً أعجمياً وقال له : رأيتُ كأنني راكبُ فرساً وكانَّ الأفضل يمشي في ركابي .

(١) « نصر الدولة » في انعاظ المنفا ج ٣ ص ١٣ .

فقال له العجمي: الماشي على الأرض أملك لها . فلما سمع منه ذلك جمع أمواله وهرب إلى لكّ قرية من قرى بركة . فعند ذلك ضعفت قوة نزار وأفتكين ، فاضطرّ إلى مسألة الأفضل [وبعثنا]^(١) يطلبان الأمان ، فأمنهما وفتحت البلد .

ودخل الأفضل الإسكندرية وقبض على نزار وأفتكين ، وسيرهما إلى مصر ، وكان آخر العهد بنزار . قيل إنه جعله بين حائطين إلى أن مات . وكان مولده في عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . وأمّا أفتكين فإنه أظهر قتله بعد ذلك للناس . وأمّا محمود بن مصال فكاتبه الأفضل ورغبه في العود، فعاد إلى مصر ، فأكرمه الأفضل .

وفي سنة تسعين وأربعمائة خطب الملك رضوان^(٢) صاحب حلب للمستعلي بالله أربع جمّع^(٣) ، ثم قطع خطبته ، على ما ذكرناه في أخبار الدولة السلجقية والله أعلم .

ذكر استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس

وفي شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى الشام ونزل على البيت المقدس ، وهو في يد الأمير سقمّان

(١) [وبعثنا] إضافة يقتضيها السياق من اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ١٤ .

(٢) هو رضوان بن تنش صاحب حلب وأنطاكية - انظر اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ١٩ ، الكامل

جـ ١٠ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٦٤ .

(٣) « أربعة أشهر » في اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ١٩ .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٧٢ - ٧٣ .

وإيلغازى ، ابنى أرتق^(١) ، وجاعة من أقاربها وخلق كثير من الأتراك . فراسلها يلتمس منها تسليم البيت المقدس من غير حرب ولا سفك ، فلم يجيباه لذلك . فنصب المجانيق وهدم منه قطعة ، وقاتل ، فاضطرًا لتسليمه فسلماه له ، فخلع عليهما وأطلقهما . وعاد الأفضل إلى مصر^(٢) .

ونقل محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب فى تاريخ مصر أن الأفضل لمَّا رجع من بيت المقدس مرَّ بعسقلان ، وكان فى مكانٍ دارسٍ بها رأس الحسين بن على ، رضى الله عنها ، فأخرجه وعطره وطيبه ، وحمل فى سبط إلى أجلِّ دارٍ بها ، وعمرَ المشهد ، ولما تكامل حمل الأفضل الرأس على صدره وسعى ماشيًا إلى أن رده إلى مقره ، ثم نُقل إلى مصر على ما ذكره إن شاء الله . وقيل إن المشهد [بعسقلان]^(٣) ابتداءً بعمارته بدر الجمالى وكمَّله الأفضل^(٤) .

ذكر استيلاء الفرنج على ما ذكره من البلاد الإسلامية بالساحل والشام والبيت المقدس

لم يكن جميع ما استولوا عليه مما ذكره داخلًا فى ملك الدولة العبيديَّة ، بل كان منه ما هو فى أيدي نواب المستعلى وما هو بيد الملوك الذين تغلبوا على الأطراف ، ولم يكن أيضًا فى أيام المُستعلى خاصَّة . وإنما وردناه بجُمْلته فى

(١) وليا القدس بعد وفاة والدهما سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٥٠ .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) [إضافة للتوضيح من المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٢٧ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ .

(٤) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٦٦ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢ .

هذا الوضع لتكون الأخبار متتابعةً ولا تنقطعُ بالسنين والدول . وقد نبهنا عليه فيما تقدم من أخبار الدولة العباسية^(١) .

والذي نذكره الآن في هذا الموضع هو ما استولوا عليه [٧٤] من سواحل الشام سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وما بعدها .

وكان ابتداء ظهورهم وامتدادهم وتطرقهم إلى البلاد الإسلامية في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وذلك أن بلاد الأندلس^(٢) لما تقسّم ملوكها بعد بني أمية وصارت كلُّ جهةٍ بيد ملك . وأنفَت نفسُ كل واحدٍ أن يفقاد إلى الآخر ، ويدخل تحت طاعته ، فكانوا كملوك الطوائف في زمن الفُرس ، وعجز كلُّ واحدٍ عن مقاومة مَنْ يليه أو يقصده من الفرنج ، أدى ذلك إلى اختلال الأحوال ، وتغلب الأعداء على البلاد الإسلامية . فأول ما استولوا عليه مدينة طليطلة من الأندلس ، على ما ذكرناه^(٣) في سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة ، ثم ملكوا جزيرة صقلية في سنة أربعٍ وثمانين وأربعمائة ، وتطرقوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئاً ثم استرجع منهم . على ما قدّمناه^(٤)

ذكر ملكهم مدينة أنطاكية

كان استيلاءُ الفرنج خذّمهم الله تعالى ، على مدينة أنطاكية في جُمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . وكانت بيد ملوك الروم من سنة ثمانٍ

(١) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٢) يلاحظ أن النويري ، مثله في ذلك مثل ابن الأثير — يبدأ كلامه عن الحروب الصليبية بغزو الفرنج للأندلس ، فيربط بذلك بين الحركة الصليبية في بلاد الأندلس ، والحركة الصليبية في المشرق الإسلامي — الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ .

(٣) انظر نهاية الأرب ج ٢٣ ص ٤٤٢ .

(٤) انظر نهاية الأرب ج ٢٤ صفحات متفرقة ، ج ٢٧ ص ٩٠ وما بعدها .

وخمسين وثلاثمائة إلى أن افتتحها الملك سليمان بن شهاب الدين ولد قُتلمش السلجوقي ، صاحب أقصرا وقونية وغير ذلك من بلاد الروم في سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، على ما ذكرناه في أخبار الدولة السلجوقية (٢) ، وبقيت في يده إلى أن قتل . وتداولتها أيدي المتغلبين من ملوك الإسلام وأمراهم إلى أن استقرت بيد ياغى سيان وهو يخطب فيها للملك رضوان ابن تثنش صاحب حلب ، ولأخيه الملك دقاق صاحب دمشق .

فلما كان في سنة تسعين وأربعمائة جمع بغدوين (٣) ملك الفرنج جمعاً كثيراً من الفرنج ، وكان تسيب رُجَار (٤) الفرنجي صاحب صقلية ، فأرسل إليه بغدوين يقول : قد جمعت جمعاً كثيراً وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاوراً لك .

فجمع رُجَار أصحابه واستشارهم فقالوا كلهم : هذا جيد لنا وهم ، ونصبح البلاد كلها للنصرانية . فلما سمع رُجَار كلامهم وما اجتمعوا عليه ، رفع رجله وحبَّ حبقة قوية ، وقال : وحق ديني هذه خير من كلامكم . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال إذا وصلوا إليَّ احتجَّتْ إليَّ كلفة كثيرة ، ومراكب تحملهم إلى إفريقية ، وعساكر من جهتي معهم ، فإن فتحوا البلاد وكانت

(١) هو سليمان بن قتلмыш بن أرسلان بن بيغو بن سلجوق ، مؤسس دولة سلاجقة الروم أو سلاجقة الأناضول ، وحكم في الفترة من ٤٧٠ - ٤٧٩ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٨٦ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣٠٥ وما بعدها .

(٣) « بردويل » في الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ .

والمقصود بلدوين من أمراء الحملة الصليبية الأولى ، والذي عرف فيما بعد باسم الملك بلدوين الأول Baldwin I ، وهو أول ملك يتوج على مملكة بيت المقدس الصليبية .

(٤) هو روجر الأول Roger I

لهم وصارت مؤونتهم من صِقْلِيَّة و ينقطع عنى ما يصل إلى من المال من ثمن الغلات فى كل سنة ، وإن لم يفتحوها رجعوا إلى بلادى وتأذبتُ بهم ، ويقول تميم^(١) ، صاحب إفريقية غدرتْ بى ونقضتْ عهدى ، وتنقطعُ الوصلة والأسفارُ بيننا وبين بلاد إفريقية ، وإفريقية باقيةً متى وجدنا قوة أخذناها بها .

ثم أحضر رسوله وقال له إذا عزمتم على جهاد المسلمين فاقصدوا بذلك فتح بيت المقدس وخلصوه من أيديهم ، ويكون لكم الفخر ، وأما إفريقية فبيني وبين أهلها أمان وعهود ، فاخرجوا إلى الشام^(٢) .

وقيل إنَّ المستنصر ، أو المستعلى ، لما رأى قوة الدولة السلجقية وتمكُّنها ، وأنهم استولوا على ملك بلاد الشام [إلى]^(٣) غزّة ، ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، راسل الفرنج يدعُوهم إلى الخروج إلى الشام ، ليملكوه ، ويكونوا بينه وبين المسلمين . والله تعالى أعلم^(٤) .

قال فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا إلى قسطنطينية ليعبروا الحجاز إلى بلاد الإسلام ويسيروا فى البرّ فيكون أسهل عليهم . فمنعهم ملك الروم^(٥) من ذلك ، ولم يمكِّنهم أن يمرُّوا ببلادده ، وقال : لا أمكِّنكم من العبور إلا أن تحلفوا أنكم تسلمون إلى أنطاكية . وكان قصده أن يحجَّهم على

(١) هو تميم بن المعز بن باديس ، من بنى زيزى فى إفريقية ، والذى ولى الحكم فى الفترة ٤٥٣ - ٥٠١ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٤٨ .

(٢) انظر الكامل ج ١٠ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) [] إضافة تنفق وسياق الكلام من الكامل ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٥) هو الامبراطور الكسيوس كومنين الذى ولى عرش الامبراطورية البيزنطية فى الفترة من

الخروج إلى بلاد الإسلام ظناً منه أن الترك لا يثقون منهم أحداً لما أرى من صرامتهم وملكهم^(١) البلاد .

فأجابوه إلى ذلك وعبروا الخليج في سنة تسعين وأربعمائة . ووصلوا إلى بلاد قليج أرسلان^(٢) بن سليمان بن قُتلمش ، فلقبهم في جموعه ومنعهم ، فقاتلوه وهزموه ، وذلك في شهر رجب منها . ومروا في بلاده إلى بلاد ابن ليون الأرمني ، فسلكوها وخرجوا منها إلى أنطاكية ، فحاصروها^(٣) .

قال المؤرخ^(٤) : فلماً سمع صاحبها ياغي سيان بتوجههم إليها خاف من النصارى الذين بها ، فأخرج من بها من المسلمين بمفردهم في أول يوم . وأمرهم أن يحفروا الخندق ، ثم أخرج النصارى من الغد لذلك . فعملوا فيه إلى العصر ، فلماً أرادوا دخول البلد منهم ، وقال لهم : أنطاكية لكم فهبوا لي حتى أنظر ما يكون بيننا وبين الفرنج . فقالوا : من يحفظ أولادنا ونساءنا ؟ فقال : أنا أخلفكم فيهم^(٥) فأمسكوا ثم صاروا في عسكر الفرنج .

وحصرت أنطاكية تسعة أشهر، وظهر من حزم ياغي سيان واحتياطه وجودة رأيه ما لم يشاهد مثله ، وهلك [٧٥] أكثر الفرنج موتاً وقتلاً ، وحفظ ياغي سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم ، وكف الأيدي عنهم .

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٣ .

(٢) ولي الحكم في سلطنة سلاجقة الروم في الفترة من ٤٨٥ - ٥٠٠ هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٢٦ .

(٣) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

(٤) ينقل النويري عن ابن الأثير ابتداء من ذكر استيلاء الفرنج .

(٥) « أخلفكم فيه » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق من الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٤ .

فلما طال مقام الفرنج عليها رَأَسُوا أحدَ المُستَحْفَظِينَ للأبراج ، وهو ذراد ، ويعرف بروزية ^(١) ، وبذلوا له مالاً وإقطاعاً ، وكان يتولى حِفْظَ بُرْجِ يلى الوادى ، وهو مبنى على شباك فى الوادى .

فلما تَقَرَّرَ الأمرُ بينهم وبينه ، جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه ، وصعد جماعة كثيرة منهم بالحبال ، فلما زادت عدتهم على خمسمائة ، ضربوا البوق وذلك عند السَّحَرِ وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة ، فاستيقظ ياغى سيان وسأل عن الحال فقيل له : هذا البوق من القلعة ، ولا شك أنها قد أُخِذت . ولم يكن من القلعة وإنما من ذلك البرج . فدَاخَلَهُ الرُّعْبُ ؛ ففتح باب البلد وهرب فى ثلاثين غلاماً ، وجاء نائبه ليحفظ البلد ، فقيل له : إنه قد هرب ، فخرج من الباب الآخر هارباً . وكان ذلك إعياناً للفرنج ، ولو ثبت ساعة هلكوا .

ثم إن الفرنج دخلوا البلد من بابه ، ونهبوا وقتلوا مَنْ فيه من المسلمين . وأما ياغى سيان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إلى عقله وكان كاللؤلئهان . فرأى نفسه وقد قطع عِدَّةَ فراسخ ؛ فقال لمن معه : أين أنا ؟ فقالوا : على أربعة فراسخ من أنطاكية . فندم كيف خلص سالمًا ولم يقاتل حتى يُزيلهم عن البلد أو يُقتل .

وجعل يتلهف على ترك أهله وأولاده والمسلمين ، ويسترجع ؛ فسقط عن فرسه لشدة ما ناله ، وغشى عليه . فأراد أصحابه أن يُرْكِبُوهُ فلم يكن فيه

(١) « نيروز » فى زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٢٢ ، ويعرف فى المراجع الحديثة باسم « فيروز الأرمنى » - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٢٤٥ ، تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٣٢٨ .

مُسكّة ، وكان قد قارب الموت ، فتركوه وساروا عنه. فاجتاز به إنسان أرمني كان يقطع الحطب وهو بأخر رمق فقتله . وحمل رأسه إلى الفرنج بأنطاكية^(١)

ذكر مسير المسلمين لحرب الفرنج وما كان من أمرهم

قال^(٢) : ولما اتصل خبر أنطاكية بالأمير قوام الدين كربوقا صاحب الموصل^(٣) جمّع العساكر وسار لحربهم واجتمع معه الملك دقاق صاحب دمشق وصاحب حمص وصاحب سنجار^(٤) . فلما بلغ الفرنج اجتماعهم عظمت عليهم المصيبة وداخلهم الخوف ؛ لما هم فيه من الوهن وقلة الأتوات . وسار المسلمون حتى نازلوا أنطاكية ، فأساء كربوقا السيرة فيمنّ معه من المسلمين ، فأغضب الأمراء وتكبر عليهم ، ظنّاً منه أنّهم يقيمون معه على هذه الحال . فأغضبهم ذلك وأضمرّوا في أنفسهم العدّ به إذا كان قتالٌ ، وعزموا على إسلامه عند الصّدمة^(٥) .

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٥ .

(٢) مازال التويرى ينقل عن ابن الأثير .

(٣) أتابك الموصل من قبل سلطان السلاجقة بركياروق ، الذي ولى سلطة السلاجقة بخراسان في الفترة من ٤٨٧ - ٤٩٨ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣١٩ .

(٤) « فاجتمع معه دقاق بن تتش وطفتكين أتابك ، وجناح الدولة صاحب حمص . وأرسلان تاش صاحب سنجار ، وسليمان بن أرتق وغيرهم » - الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٦ .

(٥) « المصدوقة » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٦ ، أى التخلي عنه عند احتدام القتال .

قال : وأقام الفرنج بأنطاكية بعد أن ملكوها ثلاثة^(١) عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه ؛ فتقوّت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر . فلما انتهت حالهم إلى ذلك أرسلوا إلى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يُعْطهم ، وقال : لا تخرجون منه إلا بالسيف .

وكان معهم من الملوك بغدوين وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها ويمنند صاحب أنطاكية^(٢) وهو مقدّم العسكر . وكان معهم راهبٌ مطاعٌ فيهم^(٣) فقال لهم : إن المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بأنطاكية ، وهو بناء عظيم ، فإن وجدتموها فإنكم تظفرون ، وإن لم تجدوها فالهلاك متحقق .

وكان هو قد دفنها قبل ذلك وعفى أثرها . وأمرهم بالصوم ثلاثة أيام والتوبة ؛ ففعلوا ذلك . فلما كان فى اليوم الرابع أدخلهم جميعهم وجميع عامتهم والصُّنَّاع ، وحفروا عليها فى ذلك المكان فوجدوها كما ذكر ، فقال لهم : أبشروا بالظفر . فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب من خمسة وستة ونحو ذلك ؛ فقال المسلمون لكربوقا : ينبغي أن نقف على الباب فقتل كل من يخرج فإن أمرهم الآن سهل . فقال : أهلوهم حتى يتكاملوا ؛ ولم

(١) « إثنى عشر » — الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٦ .

(٢) هذه الأسماء — بالترتيب هي :

Baldwin-Raymond of St Gilles- Godefroy-Baldwin de Burgh-Bohemand .

(٣) هو بطرس بارثلميو Peter Bartholomew — انظر تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص

٣٤٣ وما بعدها ، ص ٣٨٥ وما بعدها .

(٤) القسيان : الاسم العربى لكنيسة القديس بطرس بأنطاكية ، وتنسب إلى الرجل الذى

يقولون أن بطرس أحيا ولده بعد موته .

يُمْكِنُ مِنْ مُعَاجَلَتِهِمْ ؛ فقتل قومٌ من المسلمين جماعة من الخارجين ، فجاء إليهم بنفسه ومنعهم .

فلما تكاملَ خروج الفرنج ولم يَبْقَ منهم أحدٌ بأنطاكية ضربوا مصافاً عظيماً ، فانزهر العسكر الإسلامي لِمَا عاملهم به كربوقا من الاستهانة بهم والإعراض عنهم ، فتمت الهزيمة عليهم ، ولم يَضْرِبْ أحدٌ منهم بسيف ولا طَعَنَ بِرُمح ، ولا رَمَى بِسهم . وآخر مَنْ انزهر سُقمان بن أرتق وجناح الدولة ، لأنهما كانا في الكمين ؛ وانزهر كربوقا معهم . فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدةً ، فخافوا أن يتبعوهم ؛ وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حِسْبَةَ ورغبة في الشهادة فقتل الفرنج منهم أُلوفاً ، وغنموا ما في العسكر من الأقوات والأموال والآلات والدواب ، وغير ذلك ؛ فصلحت حُلُومهم وعادت إليهم قُوَّتُهم .

ذكر ملكهم معرة النعمان

[٧٦] قال المؤرِّخ . ثم سار الفرنج إلى معرة النُعمان ^(١) ، فنازلوها وحصروها ، وقاتلهم أهلها قتالاً شديداً ، فرأى الفرنج منهم شدةً ونكايةً عظيمة . فعمل الفرنج عند ذلك بُرجاً من خشب يوازي سور المدينة ، ووقع القتالُ عليه ، فصبر المسلمون على القتال إلى الليل . ثمَّ خاف قوم منهم وفشلوا ، وظنوا أنهم إذا تحصَّنوا ببعض الدُّور الكبار امتنعوا بها . فترلوا عن السُّور وأخلَّوْا مكانهم الذي كانوا يحفظونه ، وفعلت طائفة أخرى مثلاً ذلك .

(١) معرة النعمان : بين حماة وحلب ، وكانت تعد من أعمال حمص — معجم البلدان .

ولم تزل كل صائفة منهم تتبع الأخرى حتى خلا السور ، فصعد الفرنج إليه على السلالم . فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم ، ووضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام ، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير . وأقاموا بها أربعين يوماً وساروا إلى عرقة^(١) ، فحاصروها أربعة أشهر ، ونقبوا سورها عدة نقوب ولم يقدروا عليها . وراسلهم ابن منذر صاحب^(٢) شيزر ، وصالحهم عليها . ثم ساروا إلى حمص وحاصروها ، فصالحهم صاحبها جناح الدولة . وخرجوا على طريق النواير^(٣) إلى عكا فلم يقدروا عليها^(٤) ؛ فساروا إلى البيت المقدس .

ذكر استيلائهم خذلهم الله تعالى على البيت المقدس

كان استيلاء الفرنج . خذلهم الله تعالى ، على البيت المقدس في يوم الجمعة ، ضحى ، لسبع بقين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وكان إذ ذاك بيد افتخار الدولة نيابة عن المستعلى بالله . فإنه كان بيد تاج الدولة تثن السلجوقي صاحب الشام ، وأقطعه للأمير سقمان بن أرثن التركماني ، فجاءه الأفضل أمير الجيوش واستولى عليه^(٥) ، وبقي بيد نوابه إلى الآن .

(١) عرقة : بكسر العين ، وسكون الراء ، تقع على بعد ١٢ ميلاً من طرابلس من الشمال الشرقي

في سفح جبل ، وبينها وبين البحر نحو ميل — معجم البلدان .

(٢) « وراسلهم منقذ صاحب شيزر » في الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٨ .

(٣) النواير : فرجة في الجبل بين عكا وصور — معجم البلدان .

(٤) الكامل جـ ١٠ ص ٢٧٨ .

(٥) وذلك في رجب سنة ٤٩١ هـ / أغسطس ١٠٩٨ م — انظر ماسبق .

فقصده الفرنج عند عجزهم عن فتح عكا ، وحصلوه نيقاً وأربعين يوماً ،
ونصبوا عليه بُرجين ، أحدهما من ناحية صهيون^(١) ، فأحرقه المسلمون وقتلوا
جميع مَنْ فيه من الفرنج .

فلما فرغوا من ذلك أتاهم الصّارخ أن المدينة قد مُلكت من الجانب
الآخر ، وهو الجانب الشمالي ، وركب الناس السيفُ ولبث الفرنج أسبوعاً
يقتلون فيهم .

واحتفى جماعة من المسلمين بمحراب داود وقتلوا فيه ثلاثة أمام ، فبذل
لهم الفرنج الأمان ، فسلموه إليهم ، فوفوا لهم ؛ وأخرجوا ليلاً إلى عسقلان
وأقاموا بها .

وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيدُ على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة
من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وعبّادهم وزهادهم ، ممن فارق أهله ، ووطنه
وجاورَ بذلك الموضع الشريف . وأخذوا من عند الصخرة نيقاً وأربعين قنديلاً
من الفضة ، زنة كلِّ قنديل [ثلاثة آلاف وستائة درهم ، وأخذوا تنورا من
فضة وزنه]^(٢) أربعون رطلاً بالرطل الشامي^(٣) ؛ وأخذوا من القناديل
الصغار مائة وخمسين قنديلاً من الفضة ؛ ومن الذهب نيقاً وعشرين
قنديلاً . وغنموا ما لا يقعُ عليه الإحصاء .

(١) « وعملوا برجين مطلين على السور ، أحدهما بباب صهيون ، والآخر بباب العامود وباب
الأساط ، وهو برج الزاوية » - النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٨ .

(٢) [إضافة من الكامل ج ١٠ ص ٢٨٤ .

(٣) الرطل الشامي يساوي ١٢ أوقية ، والأوقية تساوي ٦٠ درهماً ، أى أن الرطل الشامي
يساوي ٧٢٠ درهماً بالصنجة الشامية - صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٨ .

وورد إلى بغداد القاضي سعيد القروي^(١) في شهر رمضان ، ومعه جماعة ، يَسْتَتَفِرُونَ النَّاسَ ، وأوردوا في الدِّيوان كلامًا أبكى العيون ، وصدع القلوب واستغاثوا بالجامع يوم الجمعة ، وبكوا ، وذكروا ما نزل بالمسلمين من البلاء ، وما حلَّ بهم من المُصيبة . فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغانى ، وأبوبكر الشاشى ، وغيرهما^(٢) ، إلى السُّلطان^(٣) بسبب ذلك ، فاتفق ما ذكرناه من الاختلاف الذى وقع بين الملوك السِّلجقية ؛ فتمكَّن^(٤) الفرنج من البلاد .

قال : ولما اتَّصَلَ خبر هذه الحادثة العظيمة بالأفضل أمير الجيوش جَمَعَ العساكر وخرَج إليهم ، فقاتلهم في شهر رمضان من السَّنة . ثمَّ كَبَسَهُ الفرنج هو ومن معه ، وهم على غير تَعَبَةٍ ، فهزموهم وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة . وحاصر الفرنج عسقلان ، فصالحهم أهلها على عشرة آلاف دينار ، وقيل عشرين ألف دينار ، فعادوا إلى القدس .

قال : وكان الذى ملك البيت المقدس من الفرنج كندفرى^(٥) .

(١) « أبى سعد الهروى » فى الكامل جـ ١٠ ص ٢٨٤ .

(٢) « وأبو بكر الشاشى ، وأبو القاسم الزنجانى ، وأبو الوفا بن عقيل ، وأبو مسعد الحلوانى ، وأبو الحسين ابن سماك » فى الكامل جـ ١٠ ص ٢٨٤ .

(٣) المقصود السلطان بركياروق .

(٤) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٩٠ وما بعدها .

(٥) هو جودفرى بوايون Godfrey of Bouillon .

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج

قال المؤرخ ^(١) : وفي ذى القعدة سنة ثلاثٍ وتسعين وأربعمائة لقي كُشْتَكِين بن الدانِشْمَنْد طايِلو ، وهو صاحب ملطية وسيواس ، يميند الفرنجى بالقرب من ملطية ، وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه عليه ، فوردَ عليه [٧٧] فى خمسة آلاف ؛ فلقبهم ابن الدانِشْمَنْد ، وقاتلهم ، فهزِمَ يميند وأسير .

ثم وصل من البحر سبعة قنمصة من الفرنج ، فأرادوا خلاصَ يميند ، فأتوا إلى قلعة أنكورية ^(٢) فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين ؛ وساروا إلى قلعةٍ أخرى فحصرُوها وفيها إسماعيل بن الدانِشْمَنْد ، فجمع الدانِشْمَنْد جمعاً كثيراً ، ولقى الفرنج ، وجعل له كميناً ؛ فقاتلهم وخرج عليهم الكمينُ فقتلهم . وكانوا ثلاثمائة ألف لم يُقتل منهم غيرُ ثلاثة آلاف ^(٣) هربوا .

وسار ابن الدانِشْمَنْد إلى ملطية فملكها وأسر صاحبها .

قال ابن الأثير الجزرى : وكانت هذه الوقائع فى شهرٍ ^(٤) قريبة .

قال : ولم يزل يميند فى أسره إلى سنة خمسٍ وتسعين ، فأخذ منه مائة

(١) مازالت الإشارة هنا إلى ابن الأثير .

(٢) أنكورية : فى وسط شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وهى مدينة أنقرة الحالية — معجم البلدان

(٣) الإشارة هنا إلى الجموع الصليبية من اللبارديين الذين تحركوا فى أواخر سبتمبر ١١٠٠ نحو

القسطنطينية ، ثم انضمت إليهم جموع أخرى من الفرنسيين والألمان ، والذين أصروا على

محاولة تخليص بوهند من الأسر قبل الاتجاه إلى الشام — انظر تفصيل ذلك فى الحركة

الصليبية ج ١ ص ٣٣٥ وما بعدها .

(٤) الكامل ج ١٠ ص ٣٠٠ .

ألف دينارٍ وأطلقه (١) .

ذكر قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين

وما استولى عليه الفرنج من البلاد

وهى : حيفا . وأرسوف . وقيسارية . والرها . وسروج

وفي سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائة سار كندفرى صاحب البيت المقدس إلى عكا ، فحاصرها ، فأصابه سهمٌ فقتله (٢) . وكان قد عمّر مدينة يافا وسلّمها إلى قص من الفرنج اسمه طنكرى (٣) . فلما قُتل كندفرى سار أخوه بغدوين إلى البيت المقدس في خمسمائة فارس ورجالٍ ، فبلغ ذلك الملك شمس الملوك دُقاق صاحب دمشق ، فهض إليه في عسكره ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه فقاتله ، فنصر على (٥) الفرنج .

وفي هذه السنة ملك الفرنج مدينة حيفا عنوةً وهى على ساحل البحر بالقرب من عكا ، وملكوا أرسوف بأمانٍ وأخرجوا أهلها منها ، وملكوا قيساريةً بالسيف وقتلوا أهلها . وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من ديار الجزيرة ، وكانوا قبل ذلك قد ملكوا الرها بمكاتبة من أهلها لأن أكثر أهلها

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٥ .

(٢) تجمع المصادر العربية على أن جود فرى مات مقتولاً بسهم أصابه أثناء حصار عكا ، بينما تجمع المصادر والمراجع الصليبية على أن جودفرى توفى بالحمى — الكامل جـ ١٠ ص ٣٢٤ ، تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٤٤٠ ، الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٣) طنكرى أو تنكرى ، هو المعروف في المراجع العربية الحديثة باسم تانكرد .

(٤) هو بلدوين صاحب الرها ، والذي توج ملكاً باسم « بلدوين الأول » .

(٥) تشير المصادر الغربية إلى أن المعركة انتهت بهزيمة الدماشقة ونجاة بلدوين ... الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٧٥ ، الشرق الأوسط جـ ١ ص ٢٩٢ .

أرمن . فلما كان الآن جَمَعَ الأمير سُفَّمان بن أُرْتُق جمعًا عظيمًا من التُّركمان وزحف بهم إليهم ، فلقوه وقتلوه ؛ فهزموه في شهر ربيع الأول . فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سُرُوج ، فتسلّموها ، وقتلوا كثيرًا من أهلها وسبوا حريمهم ، ونهبوا أموالهم ، ولم يسلم منهم إلا من انهزم (١) .

ذكر أخبار صنجيل الفرنجي وما كان منه في حروبه وحصار طرابلس والطوبان وملك أنطرسوس

وفي سنة خمسٍ وتسعين وأربعمائة لقي صنجيل (٢) الملك قَلِج أرسلان صاحب قونية ، وصنجيل في مائة ألف مقاتل وقلج في عددٍ يسير ، واقتلوا ؛ فانهزم الفرنج وأسير كثير منهم ، وفاز قَلِج بالظفر والغنيمة (٣) . ومضى صنجيل مهزومًا في ثلاثمائة ، فوصل إلى الشام ، فأرسل فخر الملك بن عَمَّار (٤) صاحب طرابلس إلى الأمير جناح الدولة (٥) بجمص وإلى الملك دُقاق بدمشق يقول : من الصَّواب معاجلة صنجيل إذ هو في العدد اليسير .

(١) الكامل ج ١٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) المقصود هو ريموند كونت تولوز ، والمعروف في المراجع الأوربية باسم

'Raymond of st. Gilles'

(٣) الإشارة هنا إلى الجموع الصليبية للمباردية التي هزمت في ذى القعدة ٤٩٥ هـ / أغسطس

١١٠١ م - الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٣٨ .

(٤) هو القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار ، الذي ولي حكم طرابلس في الفترة من ٤٩٣ -

٥٠٢ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٨ م - معجم الأسر الحاكمة .

(٥) « إلى الأمير ياخر خليفة جناح الدولة على حمص » في الكامل ج ١٠ ص ٣٤٤ .

وجناح الدولة هو حسين بن ملاعب - صاحب حمص ، قتل سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م -

النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

فخرج إليه جناحُ الدَّولةِ بنفسه^(١) وسيرَ دُفاقَ ألقىَ مقاتلًا ؛ وأتتهُمُ الأمدادُ من طرابلس . وصافوا صنجيلَ فأخرجَ مائةً من عسكره إلى أهل طرابلس ومائة إلى عسكر دمشق وخمسين إلى عسكر حمص وبقى هو [في]^(٢) خمسين .

فأما عسكر حمص فأنهزموا عند المشاهدة وتبعهم عسكر دمشق .
وأما عسكر طرابلس فإنهم قتلوا المائة الذين قتلوهم ، فحمل صنجيل في المائتين الباقيتين ، فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل .
ونازل طرابلس وحصرها . -

وأناه أهل الجبل فأعانوه على حصرها ، هم وأهل السَّواد ، لأن أكثرهم نصارى . فقاتل من بها أشدَّ قتالًا ، فقتل من الفرنج ثلاثمائة : ثم هادتهم ابنُ عمَّار على مالٍ وخيلٍ ، فرحل صنجيل عنهم إلى مدينة أنطرسوس^(٣) ، وهي من أعمال طرابلس ، فحصرها وفتحها^(٤) ، وقتل من بها من المسلمين .

ورحل إلى حصن الطوبان ، ومقدمه ابن العريض ، فقاتلهم فنصر^(٥)

(١) « فخرج الأمير ياخر بنفسه » في الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤ .

(٢) [] إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤ .

(٣) أنطرسوس = أنطرسوس : تقع شرقي عرقة بنحو ٢٤ ميلًا ، وتطل على البحر - معجم البلدان .

(٤) تشير المصادر الصليبية إلى أن فتح أنطرسوس كان سابقًا على هذه الفترة ، فقد استولى ريموند على أنطرسوس مرتين في سنة ١٠٩٩ ، ١١٠٠ م ، واستولى عليها نهائيًا في فبراير ١١٠٢ م (جمادى الأولى ٤٩٥ هـ) - انظر الحركة الصليبية جـ ١ هي ٣٤٣ وما بعدها .

(٥) الطوبان : حصن من أعمال حمص أو حماة ، إلى الشمال الشرقي من حصن الأكراد - معجم البلدان .

عليهم وأسّر فارسًا من أكابر فرسانهم ، فبَدَل فيه صنجيل عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض إلى ذلك .

ثم سار صنجيل إلى حصن الأكراد^(١) فحصره ، فجمع الأمير جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه ، فقتله باطنى^٢ بالمسجد الجامع . فلما قُتِل صَبَّح صنجيل حصص من الغد ونازَ لها ومَلَك أعمالها .

[٧٨] ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا

وفي سنة سبعٍ وتسعينٍ وأربعمائة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة لاذقية ، فيها التجار والمقاتلة والحجاج وغيرهم ؛ فاستعان بهم صنجيل الفرنجي على حصار طرابلس فحاصروها معه وضائقوها ، فلم يروا فيها مطمعا ، فرحلوا عنها إلى مدينة جبيل^(٢) فحاصروها وقتلوا عليها قتالاً شديداً . فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج طلبوا الأمان على تسليمها ، فبذل لهم صنجيل الأمان ، وتسلم البلد منهم فلم يفو لهم . وأخذ الأفرنج أموالهم وعاقبهم عليها بأنواع العذاب . ثم ساروا إلى عكا نجدة لبغدوين ، صاحب القدس ، على حصارها ؛ فنازئوها وحاصروها في البر والبحر ، وعليها زهر الدولة^(٣) الجيوشى ، فقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ . فلما عجز عن حفظ البلد فارقه ؛ وملك الفرنج عكا بالسيف ، وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة . وساروا منها إلى دمشق ثم إلى مصر .

(١) حصن الأكراد : على جبل الجليل في مواجهة حصص ، بينها وبين بعلبك — معجم البلدان .

(٢) جبيل . شمال شرقي بيروت بنحو ٢٤ ميلاً — معجم البلدان .

(٣) « وكان الوالى بها اسمه بنا ، ويعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبة إلى ملك الجيوشى

وفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج حصن أقيمية وسُرمين من أعمال حلب .

وفي سنة اثنتين وخمسمائة فتح السرداني (١) عرقة ، وذلك أنها كانت بيد غلام فخر الملك بن عمّار وقد عَصَى على مولاه ، فضاقت به القوت وأنقَطعت عنه الميرة ، فكاتب طُغزُ تكين (٢) صاحب دمشق أن يرسل إليه مَنْ يتسلّم الحصن لعجزه عن حفظه . فبعث إليه طغز تكين صاحباً له اسمه إسرائيل في ثلاثمائة ، فتسلّم الحصن . فلما نزل غلام ابن عمّار رماء إسرائيل بسَهْمٍ فقتله في الاختلاط (٣) طمعاً في المال الذي بعرة لئلا يطلع طغز تكين عليه .

قال وأراد طُغزُ تكين أن يشحن الحصن بالعساكر والأقوات ، فتوالت الأمطار [والثلج] (٤) مدّة شهرين ، فعجز عن ذلك . فلما انقطع المطر ركب أربعة آلاف فارس وجاءوا إلى عرقة ، فتوجّه إليه السرداني وهو يحاصر طرابلس ومعه ثلاثمائة فارس ، فانهزم عسكر طُغزُ تكين عندما أشرقت الخيل من غير قتالٍ، فأخذ السرداني أثقالهم وتسلّم الحصن بأمان ، وقبض على إسرائيل ، وقال لا أطلقه إلا بقلان وهو من أكارب الفرنج كان أسيراً ، فقودى به .

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت

كان صنجيل لماً ملك مدينة جبيل ، كما ذكرنا ، حصّر طرابلس ، فلماً

(١) هو المعروف باسم « ولیم جوردان » .

(٢) « فأرسل إلى أتاك طفتكين » - الكامل ج ١٠ ص ٤٦٨ .

(٣) « في الأخلاط » في الكامل ج ١٠ ص ٤٦٨ ، والمقصود في ازدحام الناس .

(٤) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١٠ ص ٤٦٨ .

لم يتمكن منها وعجز عن الاستلاء عليها بنى بالقرب منها حصناً وجعل تحته رِصْصاً ، وأقام يرصدها ينتظر فرصة ، فخرج فخر الملك أبو علي بن عمّار ، صاحب طرابلس ، فأحرق روضه ؛ فوقف صنجيل على سقوفه المحترقة ، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان ، فانخسف بهم . فرض صنجيل عشرة أتّام ، ومات ، وحُمل إلى القُدس فدفن هناك . وذلك في سنة تسع وتسعين وأربعمائة (١) .

ودامت الحرب على طرابلس خمس سنين . فسار فخر الملك ابن عمّار إلى بغداد يستنجد بالخليفة والسُلطان على الفرنج ، على ما ذكرناه ، وعاد من بغداد في منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وتوجه إلى جبيلة (٢) فدخلها وأطاعه أهلها .

وأما طرابلس فإن ابن عمّار لما فارقها راسل أهلها الأفضل أمير الجيوش يلتمسون منه والياً يكون عندهم ومعه الميرة في البحر ، فسير إليهم الأفضل شرف الدولة بن أبي الطيّب والياً ، ومعه الغلال وغيرها . فلما صار إليها قبض على جماعة من أهل ابن عمّار واستولى على ما وجدته من أمواله وذخائره (٣) .

فلما كان في شعبان سنة ثلاث وخمسمائة وصل أسطول كبير من بلد

(١) ٢٨ فبراير ١١٠٥ م — الشرق الأوسط جـ ١ ص ٤٣٦ ، تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص

١٠٠ .

(٢) جبيلة = جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية — معجم البلدان ، وانظر ما يلي عن فتح جبلة .

(٣) انظر ذيل تاريخ دمشق ص ١٦١ ، اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٤٢ .

الفرنج ، مقدمه قص كبير اسمه ريمند بن صنجيل (١) ، ومراكبه مشحونه بالرجال والسلاح والميرة وليس ريمند هذا ابن صنجيل صاحب الحصن (٢) المقدم ذكره . فنزل على طرابلس وكان السرداني وهو ابن اخت صنجيل محاصراً لها قبله ، فجرت بينهما فتنة أدت إلى الشر والقتال فوصل تنكري صاحب أنطاكية إليها إعانة للسرداني ، ووصل بغدوين صاحب البيت

المقدس في عسكره ، فأصلح بينهم (٣) ونزل الفرنج بأجمعهم على طرابلس وضايقوها ، وذلك [٧٩] في شعبان ، وأصقوا أبراجهم بسورها . فلماً شاهد الجند وأهل البلد ذلك سقط في أيديهم ، وذلت نفوسهم ، وزادهم ضعفاً . فتأخر الأسطول المصري عنهم بالميرة والتجدة ؛ ودأوم الفرنج القتال والزحف إلى أن ملكوا البلد عتوة ؛ وذلك في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، سنة ثلاث وخمسة مائة (٤) ونهبوا ما فيها ، وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة

(١) « ريمند بن صنجيل » هكذا في الأصل ، والكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ ، وانعاط المنفا جـ ٣ ص ٤٣ ، وغيرهم .

والمقصود برترام (برتراند) الابن الأكبر لريمند كونت تولوز الصنجيلي .
"Bertram, a son of Raymond of Toulouse"

(٢) هكذا في الأصل ، وهو تحريف — انظر الهامش السابق .

وانظر الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ حيث يوجد خلط مماثل .

(٣) تم الاتفاق على تقسيم إرث ريموند كونت تولوز بينها ، فيحفظ وليم جوردان بأنظرطوس وما فتحه من البلاد مثل عرقة ، وأن يكون نصيب برترام جبيل وطرابلس عقب الاستيلاء عليها ، وعلى أن يتوارث كل منها إذا مات دون وارث — تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١١٢ .

(٤) دخل الصليبيون طرابلس في ١٢ يولية ١١٠٩ م — تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١١٣ .

وَكُتِبَ العلم الموقوفة ما لا يُحد ولا يُوصف .

وكانت طرابلس من أعظم البلاد وأهلها من أكثر الناس أموالاً .
وسلم الوالى الذى كان بها وجاعةً من جندها كانوا التمسوا الأمان قبل
فتحها ، فوصلوا إلى دمشق ؛ وعاقب الفرنج أهل طرابلس بأنواع
العقوبات ، وأخذت دَفَائِنُهُمْ وذخائرهم (١) .
ووصل الأسطول المصرى بالرجال والغلال وغيرها ، ما يكفيهم سنة ،
وكان وصول الأسطول إليها بعد أن مُلِكت بِثانية أيام ؛ ففُرق ما فى الأسطول
على الجهات المجاورة لها : صور وصيدا وبيروت .

ذكر ملك الفرنج جبلة وبلنّياس

قال : ولما فرغ الفرنج من طرابلس سار تنكرى صاحب أنطاكية إلى
بلنّياس (٢) فافتتحها وأمن أهلها ؛ ونزل على مدينة جبلة (٣) وبها فخر الملك
ابن عمّار ، وكان القوتُ قد قلَّ بها ، فقاتل من بها إلى أن ملكها فى الثانى
والعشرين من ذى الحجة بالأمان .

وخرج فخر الملك ابن عمّار وقصد شيزر ، فأكرمه صاحبها الأمير
سلطان ابن على بن مُنقذ الكنانى . ثم سار إلى دمشق فأكرمه طغرتكين

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) بلنّياس : بضمين وسكون النون ، وياء وألف وسين مهملة : كورة ومدينة صغيرة وحصن
بساحل حمص على البحر - معجم البلدان .

وردت « بانياس » فى الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٦ .

(٣) انظر ما سبق عن جبلة وجبلة .

صاحبها ، وأجزل له في العطيّة وأقطعه أعمال الزبداني ؛ وذلك في المحرم سنة أربع وخمسمائة^(١) .

ذكر ملكهم مدينة صيدا

وفي جُمادى الأولى^(٢) سنة أربع وخمسمائة ملك الفرنج مدينة صيدا ، وكانت من جُملة ما هو يد طُغُرُنْكِين صاحب دمشق . وذلك أنه وصل في البحر سِتُون مَرَكَبًا للفرنج مشحونة بالرجال والدُّخائر مع بعض ملوكهم^(٣) ، لِيُحِجَّ إلى القدس ويغزو المسلمين بِرِغْمِهِ ؛ فاجتمع به بغدوين صاحب القدس وقرّر معه الغزو فَنَزَلُوا^(٤) على مدينة صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر ، وضابقوها في البرّ والبحر ، ومنَعُوا الأُسطول المِصرِيّ من الوصول إليها ، وكان بساحل مدينة صُور : فعمل الفرنج بُرْجًا من الخشب وأحكموه ، وجعلوا عليه ما يمنع النَّار والحجارة عنه ، وزحفوا به . فلَمَّا عَايَنَ أهلُ صيدا ذلك ضَعُفَتْ نفوسهم وأشفقوا أن يَصِيبَهُمْ مثلُ ما أصاب أهلَ بيروت ؛ فأرسلوا قاضيها ومعه جماعةٌ من شيوخها إلى الفرنج وطلبوا الأمان ، فأَمَنَهُمْ على نفوسهم وأمّواتهم والعسكر الذي عندهم ، ومنَ أراد المُقام بها^(٥) عندهم أمّنه ،

(١) « سنة اثنتين وخمسمائة » في الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٧ ، وهو تحريف لا يتفق وسير الأحداث .

(٢) « في ربيع الآخر » في الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٣) هو سيجورد ملك النرويج ، الذي اشترك في حصار صيدا في أكتوبر ١١١٠ م - تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١٥٠ .

(٤) « ويقرو » في الأصل ، والتصحيح من الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٥) « فنزلا » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق من الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٩ .

(٦) [بها] إضافة من الكامل جـ ١٠ ص ٤٨٠ .

وَمَنْ أَرَادَ الْمَسِيرَ عَنْهُمْ لَا يَمْنَعُونَهُ ؛ وَحَلَفُوا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَخَرَجَ الْوَالِي وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مَعَهُ تَحْتَ الْأَمَانِ ؛ وَكَانَتْ مَدَّةَ الْحَصَارِ سَبْعَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا .
 وَرَحَلَ بَغْدَوِينَ عَنْهَا إِلَى الْقُدْسِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ يُقَرَّرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَقَامُوا بِهَا عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَاسْتَغْرَقَ أَمْوَالَهُمْ وَأَفْقَرَهُمْ .

ذِكْرُ اسْتِيلَاتِهِمْ عَلَى حِصْنِ (١) الْأَثَارِبِ وَحِصْنِ زَرْدَنَا

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ جَمَعَ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةِ الْفَارِسَ وَالرَّاجِلَ ، وَسَارَ إِلَى حِصْنِ الْأَثَارِبِ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ فَرَسَاخٍ مِنْ حَلَبٍ ، فَحَصَرَهُ وَمَنَعَ الْمِيرَةَ عَمَّنْ فِيهِ ؛ فَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ . فَتَقَبَّ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْقَلْعَةِ نَقْبًا وَقَصَدُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهُ إِلَى خِيْمَةِ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَّةٍ فَيَقْتُلُوهُ . فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ صَبِيٌّ أُرْمِيٌّ فَعَرَفَهُ الْحَالُ ، فَاحْتَاطَ لِنَفْسِهِ وَاحْتَرَزَ ؛ وَجَدَّ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى مَلَكَ الْحِصْنَ عَتَوَةَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهِ أَلْفِي رَجُلًا (٢) وَسَبِيًّا .

ثُمَّ سَارَ إِلَى حِصْنِ زَرْدَنَا (٣) ، فَحَصَرَهُ وَفَتَحَهُ ، وَفَعَلَ بِأَهْلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ مَنبِيجٍ فَارْقَوْهَا خَوْفًا مِنَ الْفَرَنْجِ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَالِسِ (٤) ، فَطَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ الْهَدَنَةَ ، فَامْتَنَعَ الْفَرَنْجُ ثُمَّ أَجَابُوا . فَصَالِحُهُمُ الْمَلِكُ رِضْوَانُ صَاحِبِ حَلَبٍ عَلَى اثْنَتَيْنِ [٨٠] وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخِيُولًا وَثِيَابًا ، وَصَالِحُهُمُ ابْنُ مَنقَذٍ صَاحِبُ شَيْزَرَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ،

(١) « حصين » في الأصل ، وهو تحريف .

(٢) الكامل جـ ١٠ ص ٤٨١ .

(٣) زردنا : بليدة صغيرة غربي حلب - معجم البلدان .

(٤) باليس : بين حلب والرقعة - معجم البلدان .

وصالحهم على الكردي صاحب حماة على ألفي دينار . وكانت عِدَّةُ الهُدنة إلى إدراك المَعْلِّ وحصاده .^(١) ثم جاءت العساكر من العراق ولم يبلغوا غرضًا .

ذكر حصر مدينة صور وفتحها

كان استيلاءُ الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، على مدينة صور في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة . وكان ابتداءُ الحصار في سنة خمس وخمسمائة ؛ وذلك أن الفرنج في هذه السنة اجتمعوا مع بغديون صاحب القُدس على حصارها ، وكانت إذاك بيد نواب الأمر بأحكام الله وبها مِنْ قِبَلِهِ عَزَّ الْمَلِكُ الْأَعَزَّ ، فحصرُوهَا في الخامس والعشرين من جمادى الأولى من السنة ، وعملوا ثلاثة أبراج من الخشب عُلُوُّ البُرْجِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي كُلِّ بُرْجٍ أَلْفُ رَجُلٍ ؛ وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ . وَأَلْصَقُوا أَحَدَ الْأَبْرَاجِ بِسُورِ صُورَ ، فَجَمَعَ عَزَّ الْمَلِكُ أَهْلَ الْبَلَدِ وَاسْتَشَارَهُمْ فِي حِيلَةٍ يَدْفَعُونَ بِهَا شَرَّ الْأَبْرَاجِ . فَجَامَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ طَرَابَلُوسٍ وَضَمِنَ إِحْرَاقَهَا ، وَأَخَذَ أَلْفَ رَجُلٍ بِالسَّلَاحِ التَّامِ ، وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ حُزْمَةَ حَطَبٍ ؛ فَجَاتُوا الْفَرَنْجَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْبُرْجِ الْمَلْتَصِقِ بِالسُّورِ وَأَلْقَوْا الْحَطَبَ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَأَشْعَلُوا فِيهِ النَّارَ . ثُمَّ خَافَ أَنْ يَشْتَغَلَ الْفَرَنْجُ الَّذِينَ فِي الْأَبْرَاجِ بِإِطْفَاءِ النَّارِ ، فَرَمَاهُمْ بِجَرَارٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْعُدْرَةِ كَانَ قَدْ أَعَدَّهَا لَهُمْ فَلَمَّا سَقَطَتْ عَلَيْهِمْ اشْتَغَلُوا بِمَا نَالَهُمْ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرْهَةِ ،

(١) الكامل جـ ١٠ ص ٤٨٢ .

(٢) الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور الذي ولي الخلافة الفاطمية بالقاهرة في الفترة من ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٣ ، وانظر ما يلي .

فتمكنت النار من البرج . وأحرق المسلمون البرجين [الآخرين] (١) أيضا .

وكتب عزُّ الملك طُغْرْتَكِين ، صاحبَ دمشق ، فأنجده بالرجال ، وأرسل أصحابه للإغارة على بلاد الفرنج ، فرجعوا من حصار مدينة صور في شوال من السنة .

ثم عادوا في سنة ست وخمسة إلى الحصار ، وضايقوا البلد ، فأرسل أهل صور إلى طُغْرْتَكِين صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم من جهته مَنْ يتولَّى أمرهم ويحميهم ، وتكون البلد له . فسيّر إليهم عسكرياً ، وجعل عندهم والياً اسمه مسعود ، وكان شهماً شجاعاً عارفاً بالحرب ومكايدها ، وأمدّه بالعساكر والميرة ؛ فطابت قلوب أهل البلد . ولم يقطع خطبة الأمر بأحكام الله ولا غير سيكته ؛ وكتب إلى الأفضل أمير الجيوش يُعرفه ما عمِل ويقول : متى وصل من مصر مَنْ يتولّاها ويذُب عنها سلّمها إليه ؛ وطلب منهم ألا ينقطع الأسطول عنها بالرجال والميرة . فأجابه الأفضل إلى ذلك ، وشكره على ما فعل ، وجهز أسطولاً إليها ، فاستقامت أحوال أهلها .

ولم يزل كذلك إلى سنة ست عشرة وخمسة ، بعد قتل الأفضل أمير الجيوش . وذلك أن المأمون بن البطائحى لما ولى إمرة الجيوش بعد قتل الأفضل سير إلى مدينة صور أسطولاً على العادة ، وأمر المقدم عليه أن يُعمِل الحيلة على الأمير مسعود ، الوالى من قبل طُغْرْتَكِين ، ويقبض عليه ، ويتسلم البلد منه . وكان سبب ذلك أن أهل صور شكوا منه إلى الأمر بأحكام الله . فلما وصل الأسطول وجاء الأمير مسعود يُسلّم على المقدم قبض المقدم عليه

واعتقله ، وحمله إلى الأمر ؛ فأكرمه وأعادته إلى صاحبه بدمشق . واستولى
مقدّم الأسطول على مدينة صور ، ورأسل الأمير طغرتكين بالخدمة ، واعتذر
إليه ، فقبل عذره ^(١) ، ووعدته المساعدة .

فلما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوياً طمعهم فيها ، وشرعوا
في الجَمْع ؛ واتَّصَل خبرهم بواليتها ، فعلم أنه لا قوّة له ولا طاقة بهم ، لِقَلَّةِ
مَنْ بها من الجند والميرة ، وأرسل إلى الأمر بذلك ؛ فرأى أن يُرَدَّ ولاية صور
إلى طغرتكين ، فأرسل إليه بذلك ، فلكها ورثب بها الجند وغيرهم .

وسار الفرنج إلى صور ، ونازلوها في شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة ،
وضيّقوا عليها ولازموا القتال ؛ فقلّت الأوقات ، وسيمّ مَنْ بها القتال ،
وضعفت نفوسهم . وسار طغرتكين إلى بانياس ليقرب منهم ويذبّ عن
البلد ، وأرسل إلى الأمر يستنجده ، فلم ينجده ؛ وأشرف أهلها على الهلاك .
فحينئذٍ رأسل طغرتكين الفرنج على أن يسلم إليهم البلد ويمكّنوا مَنْ بها من
الجند والرعيّة من الخروج بما قدرُوا عليه من أموالهم وغيرها فاستقرّت القاعدةُ
على ذلك ، وفتحت أبوابُ البلد ، وفارقه أهله ، وحملوا ما أطاقوا وتفرّقوا
في البلاد ، ولم يتعرّض الفرنج إليهم . وملك الفرنج البلد في التاريخ [٨١]
الذى قدّمناه ، ولم يبقَ بصور إلاّ ضعيفٌ عاجز عن الحركة ^(٢) .

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وخمسمائة ملك الفرنج حصن القدموس ^(٣)
من المسلمين ، وملكوا بانياس بمراسلة إسماعيل الإسماعيلي ورغبته في ذلك ،

(١) « فاعتذر إليه وقبل عذره » في الأصل ، والنصحیح يتفق والسياق .

(٢) انظر الكامل جـ ١٠ ص ٦٢٠ - ٦٢٢ .

(٣) القدموس : من حصون الاسماعيلية - انظر ما يلي ، الكامل جـ ١٠ ص ٦٥٩ ، نهاية

الأرب جـ ٢٧ ص ٧٩ .

وانضمامه إلى الفرنج ، على ما قلّمنا ذكره^(١) في أخبار تاج الملوك طغرتمكين صاحب دمشق .

هذا ما استولى عليه الفرنج من البلاد الإسلامية . فلنرجع إلى أخبار الدولة العبيدية .

ذكر وفاة المستعلى بالله

كانت وفاته في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر^(٢) سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ومولده لعشر بقين من المحرم سنة سبع وستين^(٣) وأربعمائة ؛ وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة^(٤) وثمانية وعشرين يوماً .

ومدة ولايته سبع سنين وشهراً واحداً وثمانية وعشرين يوماً .

ولم تكن له سيرة تُذكر ، فإن الأمر كان للأفضل أمير الجيوش ، لم يكن للمستعلى معه من الأمر إلا الاسم ، والرسم للأفضل .

(١) انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٨٠ .

(٢) يوجد اختلاف في تاريخ وفاته ، فهو ٢٧ صفر في كز الدرر ج ٦ ص ٤٥٣ ، ٩ صفر في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٣ ، ١٣ صفر في أخبار الدول المنقطعة ص ٨٥ .

(٣) يوجد اختلاف أيضاً في تاريخ ميلاده ، فهو ١٨ محرم ٤٦٨ هـ في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٧ ، ١٠ محرم ٤٦٨ هـ في المنتقى من أخبار مصر ص ٦٩ ، وفي وفيات الأعيان سنة ٤٦٩ هـ ، ج ١ ص ١٨٠ .

ولا يتفق مع النويرى إلا ابن ظافر — انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٨٥ .

(٤) يوجد اختلاف في عمره تبعاً للاختلاف في تاريخ ميلاده ، وتاريخ وفاته انظر الموامش السابقة .

وكان للمستعلي من الأولاد أبو علي المنصور ، وجعفر ، وعبد الصمد .
وزيره الأفضل أمير الجيوش .

قضائه : أبو الحسن بن الكحال النابلسي ، ثم أعاد بن عبد الحاكم ، ثم
أبو طاهر محمد بن رجاء ، ثم أبو الفرج محمد بن جوهر بن ذكا النابلسي .

ذكر بيعة الأمر بأحكام الله

هو أبو علي المنصور بن المستعلي بالله ، وهو العاشر من ملوك الدولة
العبيديّة والسابع من ملوك الديار المصريّة منهم .

قال المؤرخ : لما مات المستعلي بالله أجلس الأفضل أمير الجيوش ولده أبا
على هذا على سرير الخلافة ، وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت
من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ؛ وباع له الناس ولقبه بالأمر بأحكام
الله وله من العمر خمس سنين وشهر واحد وأيام .

قال : ودبر الأفضل الأمر على ما كان عليه في أيام أبيه المستعلي (١) .
وفي سنة خمس مائة بنى الأفضل أمير الجيوش الدار المعروفة بدار الملك (٢)
على شاطئ النيل بمصر ، وكملت عمارتها في سنة إحدى وخمسمائة ،
وسكنها .

(١) ينقل النويري عن ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٧ .

(٢) دار الملك : يقول المقرئزي : هي من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش ، ابتدأ في بنائها
وإنشائها في سنة إحدى وخمسمائة ، فلما كملت تحوّل إليها من دار القباب بالقاهرة ،
وسكنها ، وحول إليها الدواوين من القصر فصارت بها ، وجعل فيها الأسمطة واتخذها
مجلساً سماه مجلس العطايا ، فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة متزهات
الحلفاء « المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٣ ..

ومدحه الشعراء . فمن مدحه أبو الفضل بن أمية المغربي من قصيدة جاء منها :

دارُ هي الفلك الأعلى، وأنت بها شمس الضحى، وبنوك الأنجمُ الزهر

ودار الملك هذه هي دار الوكالة الآن^(١) ؛ وكان موضعها أخصاص موقوفة على الأشراف ، فأمر أن يؤخذ ما كان لهم من الحكر على الأخصاص من مال الرياع السلطانية .

ذكر إنشاء ديوان التحقيق

وفي سنة إحدى وخمسمائة جدّد الأفضل ديواناً وسمّاه ديوان التحقيق^(٢) ، واستخدم فيه أبا البركات يوحنا بن أبي الليث التصрани ؛ وبقي فيه إلى أن قُتل في سنة ثمانٍ وعشرين^(٣) . واستمرّ هذا الديوان إلى أن انقضت الدولة العبيدية وانقطع ، ثم أعاده السلطان الملك الكامل بن الملك العادل في سنة أربعٍ وعشرين ، واستخدم فيه أبو كوجك^(٤) اليهودي . ثم أُبطل في سنة ستٍ وعشرين وستائة فلم يعد . واستخدم في أيام السلطان

(١) « ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة » - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٨٣ .

(٢) كانت وظيفة هذا الديوان هي المقابلة على سائر الدواوين - صح الأعتشى ج ٣ ص ٤٨٩ ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠١ .

(٣) « ثمان عشرة » في اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٣٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٠

(٤) « ابن كوجك » في المنتقى من أخبار مصر ص ٧٧ .

الملك المعز أليك صفي الدين عبد الله بن علي المغربي في استيفاء مقابلة الدواوين ، وهو نوع منه ^(١) .

ذكر حل الإقطاعات ونحويل السنة

وفي سنة إحدى وخمسمائة كثرت شكاوى الأجناد وطوائف العساكر المصرية بسبب إقطاعاتهم ، وأنها خربت وقُلَّ ارتفاعها ، وأنها لا تقوم ببعض كلفهم ، وأن الإقطاعات التي بيد الأمراء زائدة عن الارتفاع . فأحضر الأفضل محمد [٨٢] بن فاتك البطائحي ^(٢) ، وهو وزيره وأستاذ داره ، واستشاره فما يفعل في ذلك ؛ فأشار عليه بحل جميع الإقطاعات التي بيد الأمراء وغيرهم ، وأن يجمع الأمراء والطوائف للمزايدة فيها . فاتفق الرأي على ذلك .

وأحضر الأمراء والأجناد في دار الوزارة ، وتحدث معهم في ذلك ؛ فقال الأمراء : لنا في إقطاعاتنا أملاكٌ وساتين ومعاصر وغيرها . فقال الأفضل : الأملاك لملاكها على جاهها يتصرفون فيها بالبيع والإيجار .

ثم حلَّ الإقطاعات ووقعت الزيادة فيها ، وتميز لكل منهم إقطاع ، وكتب المناشير بذلك . ثم شكى إليه كثرة عبرة البلاد ^(٣) وأن متحصّلها لا يفي بالعبرة .

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) انظر الإشارة ص ٦٢ - ٦٤ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ ، الواقي بالوفيات ج ٤ ص ٣١٣ وما بعدها ، وانظر أيضاً نصوص من أخبار مصر ص ٣ هامش ٢ .

(٣) العبرة : يقصد بها مقدار الضرائب (الخراج والأموال) المقررة على كل إقطاع - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٨١ وما بعدها .

وحَصَلَ للديوان ضياعٌ مفردة^(١) عبرتها خمسون ألف دينار في كل سنة .
ونُقلت السنة الشمسية الخراجية إلى الهلالية ؛ وكانت سنة إحدى
وخمسمائة الهلالية وسنة سبع وتسعين وأربعمائة الخراجية فنقلت إلى سنة
إحدى وخمسمائة^(٢) .

ذكر أخذ الفرما وهلاك بغدوين الفرنجي

صاحب القدس

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة^(٣) أغار بغدوين ملك الفرنج على
الفرما^(٤) وقتل جميع من بها ، وأحرق جامعها ومساجدها ، وذلك بعد أن
حاصرها أياماً والفرما كانت بلدة بين القصير والغرابي من منازل الرمل ، وهي
الآن خراب . وقصد بغدوين مِصرَ فرحل عن الفرما . ورجع إلى البيت

(١) « وحصل لديوان السلطان ضياع مفردة » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٤٠ ، وانظر أيضاً نصوص من أخبار مصر ص ٩ - ١٠ .

(٢) عن تحويل السنة الخراجية الشمسية إلى الهلالية انظر صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٤ - ٦٠ ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٢٧٣ - ٢٨٥ .

(٣) « وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وقيل في سنة أربع عشرة » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٥٦ ، والكامل جـ ١٠ ص ٥٤٣ ، وكنزا الدرر جـ ٦ ص ٤٨٠ .

وهو ما يتفق مع المصادر والمراجع الصليبية التي تذكر وفاته في ٢ إبريل ١١١٨ م ، وهو يوافق ٨ ذو الحجة ٥١١ هـ ، فقد ذكر ابن الأثير « في ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس » - الكامل جـ ١٠ ص ٥٤٣ ، تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ١٧٢ .

(٤) الفرما : مدينة على الساحل شرقي تيسس ، على بعد ٢٣ كم شرقي محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية بين بور سعيد والاسماعيلية - معجم البلدان ، القاموس الجغرافي ق ١ جـ ١

المقدّس ، وهو منقل بالمرض ، فهلك بموضع يقال له جور قبل وصوله إلى العريش . فشقَّ الفرنج بطنه وألقوا مصارينه هناك ، فهي تُرجم إلى وقتنا هذا ، ودخلوا بيخته ، فدفنوها بقامة بالبيت المقدس .

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة رُتّب ذخيرة الملك جعفر في ولاية القاهرة ، ونظر الحسبة وظلم وعسف ؛ وهو الذي بنى المسجد بسوق الخيل المعروف : بالذخيرة ، ومسجد « لا بالله »^(١) ، وسببُ تسميته بذلك أنه كان يقبض النَّاس من الطَّرِيق وَيَعْصِفُهُمْ ، فيقولون له : لا بالله ، فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجره . ولم يعمل فيه صانعٌ إلا وهو مكره مقيد . فابتلى الله ذخيرة الملك بأمراضٍ شديدة ، ولما مات تجنّب النَّاس الصلاة عليه وتشيعه .

ذكر نهب ثغر عيذاب

وفي سنة ثنتي عشرة وخمسمائة عمّر الشريف أبو محمد قاسم بن أبي هاشم^(٢) ، أمير مكة ، مراكب حربية وشحنها بالمقاتلة وسيرهم إلى عيذاب^(٣) ، فنهبوا مراكب التجار وقتلوا جماعةً منهم . فحضر من سلّم من

(١) كان بخارج القاهرة في موضع الميدان أسفل القلعة . المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) هو قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م أو سنة

٥١٨ هـ / ١١٢٤ م — العقد الثمين ج ٧ ص ٢٨ رقم ٢٣٢٤ ، الكامل ج ١٠ ص ٢٦٣ .

(٣) عيذاب : ميناء صغير على البحر الأحمر ، تصل إليه المراكب القادمة من عدن والحبيشة والهند إلى صعيد مصر ، كما كانت على طريق الحج المصري ، يسير إليها الحجاج من مدينة قوص بصعيد مصر — معجم البلدان .

الجار إلى باب الأفضل وشكّوا ما حلّ بهم فأمر بعمارة حرّاريق^(١) لجهزّها ، ومنع الناس أن يجوّا في سنة أربع عشرة ، وقطع الميرة عن الحجاز، فغلت الأسعار . وكان الأفضل قد كتب إلى الأشراف بمكة يلومهم على فعل صاحبهم ، فكتب الشريف إلى الأفضل يعتذر ، والترم بردّ المال إلى أربابه ، ومن قُتل من التجار فماله لورثته . وأعاد الأموال في سنة خمس عشرة (٢) .

ذكر مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وشيء من أخباره

كان مقتله في يوم الأحد سلخ شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وقد ركب من دار المُلْك بمصر فقتل عند كرسى الجسر^(٣) ، تلة الباطنية . قيل بمواطاة من الأمر لأنه كان قد ضاق منه لتحكّمه عليه ومنعه من شهواته ، فقصده اغتياله إذا دخل عليه للسلام ، فتنعه أبوالميمون عبدالمجيد بن أبي القاسم ، ابن عمه ، وقال : إنّ هذا الأمر فيه من قُبْح الأحدثوة وسوء الشّناعة ما لا تحمد عاقبته ، لأنّ هذا الرجل ما عرف له ولا لأبيه إلاّ المودّة في خدمة هذا البيت والذّب عنه ، وإن قتلناه غيلة لا غُنيّة أن

(١) حراقة — حراقات ، وحراريق : نوع من السفن الحربية التي ترى بالنيران — معجم السفن الإسلامية ص ٣٢ .

(٢) العقد الثمين ج ٧ ص ٢٩ .

(٣) كرسى الجسر : بالفسطاط ، في الطريق إلى رحبة الملاحين التي تقع أمام فندق تقى الدين المعروف بسكن الكارم — الانتصارق ٤ ص ٣٥ .

نوّلى منصبه لغيره ، فيكون المتولّى بعده على وجل واحتراس . وإنّما الرأى أن ندبّر عليه . فدبّر عليه حتى قتل . هذا أحد الأقوال فى قتله .

قال : ولما وثب الباطنية عليه ضُرب ثمانى ضربات ، فمات لوقتته ، وحُمِل على أيدي مقدّمى ركابه ، والقائد الميمون محمد وأخوته لا يَمَكُون أحدًا من الدنوّ منه ، وهم [٨٣] يبشرون النَّاس بِسلامته ، حتى وضعوه على سريره وغطّى . ونفَذ المأمون أخاه حَيْدرة إلى الأمر يقول له : أدركنى وتسلّم ملكك لثلاثِ أغلبِ عليه أنا وأنت ؛ وأوصاه أن يُهنئ من وجده بِسلامة الأفضّل . ففعل حيدرة ذلك ، وهنأ حرّم الأفضّل وغيرهم . فغزم أولاده على إثارة فتنه وأنهم يطلبون الأمر لأخيه تاج المعالى ؛ فأمر الأمر بحمل أولاد الأفضّل إلى الإعتقال بخزانة البُنود ، فحُمِلوا إليها ، وبات الأمر بدار الملك .

قال : وكان الأفضّل حسن الاعتقاد فى مذهب السنّة ، جميل السيرة ، مؤثراً للعدل ، صائب الرأى والتدبير ، حسن الهمة ، كريم النفس ، صادق الحديث .

ونال النَّاس بعد قتل الأفضّل من الظُّم والجور والعسف ما لا يُعبّر عنه . فجاء النَّاسُ إلى باب الأمر واستغاثوا ، ولعنوا الأفضّل وسبّوه أفتح سب ؛ فخرج إليهم الخدم وقالوا : مولانا يُسلّم عليكم ويقول لكم : ما السبب فى سبّ الأفضّل وقد كان قد أحسن إليكم وعدل فيكم ؟ فقالوا : إنه عدل وتصدّق وحسنت آثاره ، ففارقنا بلادنا حبّاً لأيامه ، وأقمنا فى بلده ، فحصل بعده هذا الجور ؛ فهو السبب فى خروجنا عن أوطاننا واستقرارنا ببلده .

قال المؤرخ : لما قُتل الأفضل أحضر الأمر وزيره الشيخ أبا الحسن علي الحلبي والقائد أبا عبد الله محمداً وسألها عن الأموال ، فقال القائد : أما السر فأعلمه وأما الظاهر فالوزير يعلمه ، وأخبره بنخائره وأمواله . وأقام الأمر في دور الأفضل ، وهي دار الملك بمصر ودار الوزارة بالقاهرة ، وغيرهما ، أربعين يوماً ، والكتّاب بين يديه يكتبون ما ينقلونه إلى القصور ؛ فوجد له من الذخائر النفيسة ما لا يحصى (١) .

وذكر أن الذي وجد له من الأموال ستة آلاف دينار عيناً ؛ وفي بيت الخاصة ثلاثة آلاف ألف دينار ، وفي البيت البراني ثلاثة آلاف [ألف] (٢) ومائتان وخمسون ديناراً ، وخمسون أردبا دراهم [ورق] (٣) وثلاثون راحلة من الذهب العراقي المغزول برسم الرقم ؛ وعشرة بيوت في كل بيت منها عشرة مسامير من الذهب (٤) ، زنة كل مسمار مائتا مثقال ، عليها العمامم المختلفة الألوان مغطاة بالمناديل المزركشة ، وتسعمائة ثوب من الديباج الملون ، وخمسمائة صندوق من دق دمياط وتيس برسم كسوة جسده ، ولعبة من العنبر على قدر جسده برسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب رائحتها . وترك من الطيب والآلات والنحاس ما لا يحصى . وترك من الأبقار والجواميس والأغنام ما بلغ ضمان ألبانها ونتاجها أربعين ألف دينار في السنة . وكانت الدواة التي يكتب منها مرصعةً بالجواهر ، فقوم ما عليها من الجواهر باثني عشر ألف دينار . وخلف من الكتب

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ٧٩ .

(٢) [] إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، واتعاط الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٣) [] إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، واتعاط الحنفا ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) كانت هذه المسامير تستخدم كمشاجب تعلق عليها العمامم — انظر ما يلي .

خمسمائة ألف مجلد (١)

وحكى القاضي زكى الدين أبو زكريا يحيى بن على الدمشقي في تاريخه عما خلفه الأفضل فقال : خلف . جملة لم يُسمع أن أحداً من الملوك والخلفاء في هذا الزمان جمع مثله ولا ادخر مثل بعضه : وأن الأمر بأحكام الله شرع في حمل ما في دُوره إلى القصر ، فحمل على عدة كثيرة من الجمال والبغال ، ونقل في شهرين وأيام .

قال : وحكى الدينبلى التاجر الآمدي أن مُتولّى الخزانة بالقصور ذكر له جُملاً مما حمل من موجوده في الدار ، منها ستة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار ، ومن الورق ما قيمته مائتا ألف وعشرون ألف دينار ، ومن أطباق الذهب والفضة سبعمائة طبق (٢) ، ومن الآلات مثل أتوار واصطال وصحاف وشربيات وأباريق وزبادى وقدور وقطع من الفضة والذهب مختلفة الأجناس ما لا يحصى كثيرة ؛ وبرانى (٣) صينى كبار ؛ وعييات مملوءة جواهر ، ومن أهناف الدبياج والعتاني وغيره تسعون ألف ثوب ، وثلاث خزائن مملوءة صناديق كلها من اللبني والشرب استعمال تيس ودمياط ، وخزانة الطيب مملوءة أسفاطا ، وعود ، وبرانى مسك ونوافج ، وبرانى زجاج مملوءة من

(١) عن تركة الأفضل انظر اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٧٠ وما بعدها ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٩١ - ٩٢ ، كنز الدرر جـ ٦ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٥١ ، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٢٢ ، وانظر هامش ٢٨٩ من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٠ .

(٢) « طوق » في اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٧٠ .

(٣) برانى - برنية : إناء من الحزف اللامع أو من الصفي .

الكافور القنصوري ، غير مصاعد ، ومن العنبر ما لا يحصى كثرة (١) .

وكان له مجلس يجلس فيه للشراب فيه صُورٌ ثماني جوارى متقابلات ، أربع منهنَّ بيض من كافور ، وأربع سود من عنبر ، قيام في المجلس ، عليهن أفخر الثياب وأتمن الحلى وأحسن الجواهر ، فكان إذا دخل باب المجلس نكسْنَ رُءوسهنَّ خدمةً له ، فإذا جَلَسَ في صدر المجلس استَوَيْنَ قائماتٍ . ووجد له من المقاطع والستور ، والديباج والديبقي الحريري ، والذهب ، والفرش ، والمحاذ والمساند على اختلاف أجناسها ، كلُّ حجرة مملوءة من ذلك ، وعدة صناديق مملوءة حقايق ذهبٍ عراقي يرسم الاستعمال . ووجد له ثمانمائة جارية [٨٤] منهن حطانا خمسٌ وستون ، لكلِّ جارية حجرة وخزانة مملوءة من الكساوى والآلات الديباج والذهب والفضة . ومن كل صنف .

قال الخازن : هذا ما حَضَرَني حِفْظُهُ ممَّا في داره . وأما ما كان في مخازنه وتمت يدِ عمَّاله وجيَّاته وضمَّانِ التواحي فما لا يحصى كثرة ، من الأموال والغلال والحبوب والقطن والكتان والشمع والحديد والأخشاب وغير ذلك . وكلُّ نوع منه ما يجاوز الحدَّ والإحصاء ، ولا يمكن تحرير حسابه إلا في المدَّة الطويلة (٣) .

وأما العدد والخيول والسلاح والبقر والغنم والخيام ، فقال الخازن لم تتحرَّر

(١) اتماظ الحنفا جـ ٣ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) اتماظ الحنفا جـ ٣ ص ٧١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٢ .

(٣) اتماظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٧١ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٨٣ .

لكثرتها . وقال حُميل من داره أربعة آلاف بساط ، وستون حمل (١) ،
طنافس ، وخمسمائة قطعة بلور كبار وصغار ، وخمسمائة قطعة مُحكم ،
وَألف عِدْل من متاع اليمن والإسكندرية والغرب ، وسبعة آلاف مركب (٢)
من أصنافها .

وأما ما عمره من المساجد فمنها : جامع الفيلة (٣) ، وقيل إنه لم يكمله .
وحكى الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتابه المترجم بالنقط في ذكر
الخطط أن جامع الفيلة بناه الأفضل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، وأن
الأفضل مات ولم يكمله فكمله المأمون في وزارته ، ووَلَّى خطايته الشريف
أمين الدولة أبا جعفر ، محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الطرابلسي
البنسائية ، وأمر أن يحضر جميع وجوه الدولة والرؤساء في أول جمعة ،
فحضروا . فلما رقى الشريف المنبر قال : « الحمد لله » ، وأرتج عليه
ودهش ، فلم يزل يكررها إلى أن أضجر الناس ، ونزل وقد هُمَّ ، ومضى إلى
داره ، فاعتلَّ ومات في سنة سبع عشرة وخمسمائة . ومنها المسجد الذي على
جبل المقطم . وبنى في جامع عمرو بن العاص المئذنة الكبيرة والمئذنة
السعيدية (٤) ، والمئذنة المستجدة [به أيضاً] (٥) ، وجامع الجزيرة . وغير ذلك .
وهو الذي أنشأ التاج والخمسة وجوه .

(١) هكذا في الأصل . وفي اتعاظ المنفا ، « وسور حمل » في المنتقى من أخبار مصر ص ٨٣ .

(٢) « وتسعة آلاف سرج » في اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٧١ ، و « سبعة آلاف مركب يعني سرج » في
المنتقى من أخبار مصر ص ٨٣ .

(٣) مسجد الفيلة : كان يطل على بركة الحبش - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) « السعيدة » في الأصل ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٥ .

(٥) [إضافة للتوضيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٥ ، وعن مآذن جامع عمرو بن

العاص انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، الانتصار ق ٤ ص ٦١ .

قال ناظم سيرة المأمون : وعمل الأفضل خيمةً سماها خيمة الفرج ، ثم سُميت بالقائول لأنها كانت إذا نُصبت يموتُ تحتها من الفَرَّاشين رجلٌ أو رجلان (١) . اشتملت على ألف ذراع [وأربعمائة ألف ذراع] (٢) وكان ارتفاعها خمسين ذراعاً بذراع العمل (٣) ، أنفق عليها عشرة آلاف ألف دينار .

ومدحه جماعة من الشعراء وذكروا هذه الخيمة ، منهم أبو جعفر محمد بن هبة الله الطرابلسي بقصيدته التي يقول فيها :

صَرَبْتُ خِيْمَةَ عَزٍّ فِي مَقَرُّعْلًا	أَوْفَتَ عَلَى عَذَبَاتِ الطُّوْدِ ذِي الْقَنْنِ (٤)
جَاءَتْ مَدَى الْطَّرْفِ، حَتَّى خَلَّتْ ذُرُوتَهَا	تَأْوِي مِنْ (٥) الْفَلَكِ الْأَعْلَى إِلَى سَكَنِ
أَقْطَارُهَا مُلِئَتْ مِنْ مَنْظَرِ عَجَبٍ	يُهْدِي (٦) إِلَيْكَ ذَكَاءَ الصَّانِعِ الْفَطِنِ
فَمِنْ رِيَاضٍ سَقَاها الْقَطْرُ صَبِيهٍ	فَمَا بِهَا ظَمًا يَوْمًا إِلَى الْمُزْنِ
وَجَامِحٍ فِي عَنَانٍ لَا يُجَادِبُهُ	وَطَائِرٍ غَيْرِ صَدَّاحٍ عَلَى فَنَنِ
وَأَرْقَمٍ لَا يَمْجُ السَّمُّ رِيْقَتَهُ	وَضَيْغَمٍ لَيْسَ بِالْعَادِيِ وَلَا الْوَهِنِ
وَمَا تِلْكَ صُفُوفًا فِي جَوَانِبِهَا	لَوْ يَسْتَطِيعُونَ خَرَّ الْجَمْعُ لِلذَّقَنِ

(١) عن هذه الخيمة وسبب تسميتها انظر : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٨ ، ج ٣ ص ٤٧١ ،

المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٦ ، اتعاظ الخنفا ج ٣ ص ٧٢ .

(٣) ذراع العمل : طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل ، ويستخدم في العمائر والمباني - صبح

الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٤) « أوفت على عذبات الطور ذي القنن » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٢ .

(٥) « من » ساقط من نصوص من أخبار مصر .

(٦) « يهدى » في نصوص من أخبار مصر .

زَيْنَتْ بِأَرْوَعٍ ، لَا تُحْصَى فَضَائِلُهُ ماضٍ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ فِي سَنَنِ
وَأَطَّلَعَ الدُّسْتُ فِيهَا شَمْسَ مَمْلَكَةٍ يَرَى^(١) التَّأْمُلَ فَضْلَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
وَعَدَّ عَلَى السَّعْدِ أَنَّ النَّصْرَ يَضْرِبُهَا بِالصِّينِ ، بَعْدَ فُتُوحِ الْهِنْدِ وَالْيَمَنِ

وقال أبو علي حسن بن زيد الأنصاري ، الكاتب بديوان
المكاتبات ، يصفها ويمدح الأفضل :

مهلاً ، فقد قصرت عن شأوك الأمم وآبَدت العجزَ منها هذه الهِمَمُ
أخيمَةً ما نصبت اليوم ، أم فلك ؛ ويقظةً ما نراه منك ، أم حُلْمُ ؟
ما كان يخطر في الأفكارِ قبلك أن تَسْمُو عُلُوًّا عَلَى أَفْقِ النَّهْيِ الْخِيمِ
حتى أتيت بها شماءَ شاهقةً فِي مَارِنِ الدَّهْرِ مِنْ يَدَيْهَا شَمَمُ
إنَّ الدَّلِيلَ عَلَى تَكْوِينِهَا فَلَكَا أَنْ احْتَوَتْكَ ، وَأَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

ومنها :

[٨٥] لَدَيْكَ جَيْشٌ ، وَجَيْشٌ فِي جَوَانِبِهَا مُصَوِّرٌ ، وَكَلَا الْجَيْشِينَ مَزْدَجِمُ
إِذَا الصُّبَا حَرَكْتَهَا مَاجَ مَوْكِبِهَا فَمُقَدِّمٌ مِنْهُمْ فِيهَا وَمُنْهَزِمُ
أَخِيلَهَا خَيْلِكَ اللَّاتِي تَغْيِرُ بِهَا فَلَيْسَ تَنْزِعُ^(٢) عَنْهَا الْحُزْمَ وَاللُّجْمَ
عَلِمْتَ أَبْطَالَهَا أَنْ يُقَدِّمُوا أَبَدًا فَكُلُّهُمْ لَغْبَارُ الْحَرْبِ مُقْتَحِمُ
أَمْتَهُمْ أَنْ يَخَافُوا سَطْوَةَ لِرْدَى فَقَدْ تَسَالَمَتِ الْأَسْيَافُ وَالْقِمَمُ^(٣)
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ ، وَالْقَاطِنُونَ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُونَ عَلَى أَعْمَارِهِمْ هَرَمُ

(١) « ترى » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٣ .

(٢) « ينزع » في نصوص من أخبار مصر ص ١٠٣ .

(٣) « اللمم » في نصوص من أخبار مصر .

عَلَّتْ ، فِخْلَنَا لَهَا سِرًّا تَحَدُّثُهُ لِلْفَرْقَدَيْنِ وَفِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمَ
 إِنَّ أَنْبَتَ أَرْضِهَا زَهْرًا ، فَلَا عَجَبُ وَقَدْ هَمَّتْ فَوْقَهَا مِنْ كَفِّكَ الدَّيْمِ

قال المؤرخ : وكان للأفضل شعر حسن ، فمن قوله في غلامه

المعالي :

أَقْضِيبُ يَمِيسُ ، أُمُّ هُوَ قَدْ أُمُّ شَقِيقُ يُلُوحُ ، أُمُّ هُوَ خَدَّ
 أَنَا مِثْلُ الْهَلَالِ سُقْمًا عَلَيْهِ^(١) وَهُوَ كَالْبَدْرِ حِينَ وَأَفَاهُ سَعْدُ^(٢)

وكانت ولاية لأفضل سبعا وعشرين سنة وخمسة أشهر .

(١) « خوفًا عليه » في اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٧٣

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٦ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٧٣ .

ذكر تفويض أمور الدولة وإمرة الجيوش للمأمون البطائحي

قال المؤرخ : وفي الخامس من ذى الحجة من سنة خمس عشرة وخمسمائة فوِّض الأمر بأحكام الله أمورَ الدولة وإمرة الجيوش للقائد أبي عبد الله محمد بن الأمير ثقة الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى المعروف بابن البطائحي (١) ، وكان قبل ذلك عند الأفضل أستاذ داره (٢) . واستقرتْ نُعوته في سجله المقروء على كافة الأمراء والأجناد بالأجل المأمون ، تاج الخلافة ، وجيه الملك ، فخر الصنائع ، ذخر أمير المؤمنين . ثمَّ نعت بعد ذلك بالأجل المأمون ، تاج الخلافة ، عزَّ الإسلام ، فخر الأنام ، نظام الدين والدعاة . ثمَّ نعت بعد ذلك بنعوت الأفضل وهي : السَّيد الأجل المأمون ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين (٣) .

قال ناظم سيرة المأمون : ولما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذى الحجة من السنة ، وهو يومُ الهناء بعيد النَّحر ، جلس المأمونُ في داره وقتَ أذان

(١) الإشارة ص ٦٢ - ٦٤ ، وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ وما بعدها ، الوافي ج ٤ ص ٣١٣ وما بعدها ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٧ هامش ٣١٣ .

(٢) « أستاذ دولته » في المنتقى من أخبار مصر ص ٨٨ ، وهي نفس الوظيفة .

أستاذدار : كلمة فارسية مركبة ، وتطلق على متولى الوظيفة الأستاذارية ، ويقوم صاحبها بالإشراف على شئون مسكن السلطان أو الأمير - صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ ، الفنون الإسلامية والوظائف ج ١ ص ٦٥ .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٨ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٧٥ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٤٨٨ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ .

الفجر ، وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم في أرباب البيوت والأقلام ، ثم الشعراء ، وركب إلى القصور ، فأتى باب الذهب ، فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجارى به العادة ، وأُغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزير السيف والقلم ، وهذا الباب يُعرف بباب السرداب. فلما شاهد المرتبة توقّف عن الجلوس عليها لأنه لم يُذكر له ذلك قبل حضوره ، ثم أُلجأت الضرورة ، لأجل حضور الأمراء ، إلى الجلوس عليها فجلس وأولاده الثلاثة عن يمينه ، وأخواه عن يساره ، والأمراء المطوقون (١) خاصة قائمون بين يديه ، ومن عداهم لا يصل إلى هذا الموضع . فما كان بأسرع من أن فُتح الباب وخرج عدّة من الأستاذين المحنكين (٢) وخرج إليه الأمير الثقة متولّي الرسالة وزمام القصور (٣) ، فوقف أمام المرتبة وقال : أمير المؤمنين يرّد على السيّد الأجل المأمون السلام . فوقف المأمون عند ذلك وقبل الأرض ، وجلس في موضعه ، وتأخر الأمير الثقة حتى نزل من على المصطبة التى عليها المرتبة وقبل الأرض ويّد المأمون ، ودخل من فوره من الباب ، وأغلق الباب ، على [حاله على] ما كان عليه الأفضل .

(١) الأمراء المطوقون : من أرباب السيف ، ومن الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٦ .

(٢) « مطوقين » في الأصل ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ٨٩ .
الأستاذون : الخدام والطواشية ، ومنهم أرباب وظائف القصر وأعلام رتبة المحنكون : الذين يدورون عنانهم على أحناكهم كما يفعل المغاربة ، ومنهم أقرب أرباب الوظائف الخاصة إلى الخليفة — صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٧ ، ٤٨٠ .

(٣) زمام القصر : وهو الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير — صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٤) [إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ٩٠ .

قال : وكان الأفضل يقول : ما أزال أعد نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة ويُعلق الباب في وجهي والدخان في أنفي ؛ لأن الحمام كانت خلف الباب في السرداب .

قال : ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول إلى القصر ؛ فدخل المأمون إلى المكان الذي هُيئَ له ، ودُعِيَ لمجلس الوزارة . وبقى الأمراء بالدهاليز إلى أن جلس الخليفة واستفتح المقرئون . واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده وإخوته ^(١) ؛ ثم دخل الأمراء وسلموا على طبقاتهم ، ثم الأشراف وديوان المكاتبات والإنشاء ، ثم قاضي القضاة [٨٦] ، والشهود ، والداعي ، ثم مقدّموا الرّكاب ومتولّى ديوان المملكة . ثم دخل الأجناد من باب البحر ، وهو الباب الذي يقابل المدرسة الكاملية الآن ، ثم دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلما ببياض أهل البلدين ، ثم البطرّك والنصارى والكتّاب منهم ، وكذلك رئيس اليهود . ودخل الشعراء على طبقاتهم ، وأنشد كل منهم ما سمحت به قريحته . وكانت هذه عادة السلام على ملوك هذه الدولة ، وإنما أوردنا ذلك ليُعلم منه كيف كانت عاداتهم ^(٢) .

وفي سنة سبع عشرة وخمسمائة ورد إلى الديار المصرية طائفة كثيرة من عرب لواته من جهة المغرب ، وانتهوا إلى الإسكندرية وأعمالها ، وأفسدوا فساداً متحكماً . فندب المأمون إليهم أخاه نظام الملك ^(٣) حيدرة ، الملقّب بالمؤتمن ، فقاتلهم وهزمهم ، وغنم أموالهم . وتوجّه إلى الإسكندرية

(١) « وأخواه » في المنتقى من أخبار مصر ص ٩٠ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٨٩ - ٩١ حيث توجد تفصيلات أكثر .

(٣) « نظام الدين أبا تراب » في المنتقى من أخبار مصر ص ٩٣ ، انماط الحفا ج ٣ ص ٩٥ .

ودخلها ، فصادف مراكب البنادقة قد هجموا على ساحل الثغر وأسروا ،
فخرج إليهم ، وحاربهم وهزمهم ، فعادوا^(١) .

ذكر القبض على المأمون

قال : وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة في يوم السبت لأربع خلون من
شهر رمضان قبض الأمر بأحكام الله على وزيره المأمون أبي عبد الله محمد
وعلى أخوته [الخمسة]^(٢) وثلاثين نفرًا من خواصه وأهله ، واعتقله ، ولم
يزل في اعتقاله إلى سنة اثنتين وعشرين ، فصلبه مع أخوته .

وقيل في سبب ذلك إن المأمون راسل الأمير جعفرًا ، أخا الأمر ،
وأغراه بقتل أخيه وأنه يقيمه مكانه في الخلافة ، واستقرت القاعدة بينها
على ذلك ، واتصل ذلك بالشيخ أبي الحسن على بن أبي أسامة ، متولى
ديوان المكاتبات ، وكان خصيصا بالأمر قريبا منه ، وناله من المأمون أذى
كثير ، فأعلم الأمر بالحال . وكان المأمون كثير التطلع لأخبار الناس
والبحت عن أحوالهم ، وكثير الوشاة في أيامه .

قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل : كان ابتداءً حال المأمون
أن والده كان من جواسيس الأفضل بالعراق ، فمات ولم يخلف شيئًا ،
فتزوجت أمه وتركته فقيرًا فاتصل ببعض البينانيين بمصر ، ثم صار يحمل
الأمته بالسوق الكبير . فدخل مع الحماليين إلى دار الأفضل مرة بعد
أخرى فرآه الأفضل خفيًا رشيقًا ، حسن الحركة ، حلو الكلام والحجة ؛

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٩٨ ، المنتقى من أخبار مصر ص ٩٣ ، الكامل ج ١٠ ص

(٢) [] إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٣ .

فسأل عنه ؛ فقيل هو ابن فلان ؛ فاستخدمه مع الفرّاشين . ثم تقدّم عنده وكبرت منزلته وعلت درجته ، إلى أن انتهى إلى ما ذكرنا^(١) . قال محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب^(٢) في تاريخ مصر : إن ابن الأثير وهم في وفاة والد المأمون ، وأن والدّه مات في سنة ثنتي عشرة وخمسائة ، والمأمون إذ ذلك مدبر دولة الأفضل^(٣) . وأكثر الناس يذكرون ما ذكره ابن الأثير .

وقال صاحب كتاب البُستان في حوادث الزّمان : إن المأمون كان يرُشّ بين القصرين ، وجده من غلمان المستنصر بالله . واهه أعلم^(٤) .

ذكر أخبار أبي نجاح بن فنا النصراني الراهب وقتله

كان هذا الراهب من أهل أشموم طنّاح^(٥) . وكان قد خدّم وليّ الدولة يُحنّا بن أبي الليث ، ثم اتّصل بالخليفة الأمر بعد القبض على المأمون . وبذل في مُصادرة قومٍ من النصارى مائة ألف دينار ، فأطلق يده فيهم . وتسلسل الأمر إلى أن عمّ الهلاء منه جميع رؤساء الديار المصريّة وقضاتها وكتّابها وغيرهم . ولم يَبق أحدٌ إلا ناله منه مكروه من الضرب والنهب وأخذ المال . وارتفع شأنه عند الأمر حتى كان يعمل له^(٦) ملابس

(١) « حتى صار وزيراً » في الكامل جـ ١٠ ص ٦٢٩ ، وانظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٤ .

(٢) المعروف بابن مسر .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٤ .

(٤) انظر كنز الدرر جـ ٦ ص ٤٩٣ .

(٥) أشموم طنّاح = أشمون الرمان : من المدن القديمة ، قرب دمياط - القاموس الجغرافي ق ٢

جـ ١ ص ٢٢٩ .

(٦) « إلى أن كان يستعمل له » في الأصل ، والتصحيح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٨ .

مخصوصة به بدمياط وتُنيس من الصُوف الأبيض المنسوج بالذهب ، فكان يلبسها ويلبس من فوقها الغفافير الدِّيَاج^(١) . وكان يتطيب في كلِّ يوم بعدة مثاقيل من المُسك . وكان يركب الحمير بالسُّروج المحلاة بالذهب والفضة ، ويجلس في قاعة الخطابة بالجامع العتيق بمصر ويستدعى النَّاس للمصادرة . فاستدعى في بعض الأيام رجلاً يُعرف بابن الفرس ، وكان من أكابر العدول ذوى الهيئات والديانة ، والناس يعظمونه ويبتجلونه — وأوقع به الإهانة والإخفاق ؛ فخرج من عنده ووقف في الجامع يوم الجمعة وقال : يا أهل مصر ، انظروا عدلَ مولانا الأمرِ في تمكينه هذا التصرائف من المسلمين ! فارتجَّ الناس لكلامه وكادت تكون فتنة ؛ فدخل جماعة على الأمر وخوفوه العاقبة ، وعرفوه ما حلَّ بالمسلمين منه [٨٧] فاستدعاه ، وكان في المجلس رجلاً من الأشراف^(٢) ، فأنشد الأمر أبياتاً منها :

إن الذي شُرِّفت من أجله يزعمُ هذا أنه كاذب

فقال له الأمر : ما تقول ياراهب ؟ فمسكت . فأمرَ به فقتل . وكان الذي تولَّى قتله الأمير مقداد والى^(٣) مصر ، وصلَّبه على الجسر . ثم أنزل وربط على خشبية ورُمى في بحر النيل وخرجت الكتب إلى الأعمال البحرية أنه إذا ألقاه الماء إلى جهةٍ أخرجوه عنها حتى ينتهي إلى البحر المالح .

(١) « عفارة ديباج » في المنتقى من أخبار مصر .

(٢) يذكر ابن خلكان أنه الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشى المالكي المتوفى سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م — وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ رقم ٦٠٥ .

(٣) « ولى » في الأصل ، والتصحيح من اتعاط الحنفا ج ٣ ص ١٢٦ .

ولما قُتِلَ هذا الرَّاهِبُ وجدوا له مقطعاً فيه ثلاثمائة طُرْأحة (١) سامان محشوة ، جُدِّدًا ، لم تُستعمل . هذا مِنْ هذا النوع ، خَلاَ ما وُجِدَ مِنَ الذَّهَبِ والفضة والأقمشة والديباج (٢) .

ذكر مقتل الأمر بأحكام الله

وشىء من أخباره

كان مقتله في يوم الثلاثاء لليلتين خَلتا (٣) من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بجزيرة مصر (٤) بالقرب من المقياس . وثب عليه عشرة نفر من النزارية وقتلوه ، فحمل في جل (٥) إلى الجامع ، ونقل في مركبٍ عشاري (٦) ، وأحْدِر إلى اللؤلؤة في الخليج ، ثم حُمِل إلى القصر ؛ فتوفي ببقية يومه . وقُتِل القومُ الذين قتلوه .

- (١) طراحة : المرتبة ، أو الفراش الذى يجلس عليه - القاموس .
 (٢) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٨٨ - ٨٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٠٧ - ١٠٩ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٧ .
 (٣) « الرابع من ذى القعدة » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٣٠ .
 (٤) « جيزة مصر » في الأصل ، والتصحيح من اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٣٠ ، والمنتقى من أخبار مصر ص ١١٠ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٢ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٠٤ ، وأخبار الدول المنقطعة ص ٩١ .
 (٥) الجل للداية : كساء يقيها من قسوة البرد - القاموس .
 وفي أخبار الدول المنقطعة « في شليل من أشلة الخيل » .
 (٦) عشاري : عشاريات : مركب صغير نسبياً يستخدم عشرين مجدافاً ، ويكثر استعماله في نهر النيل - معجم السفن الإسلامية ص ٩٥ وما بعدها .

وكان مولده في يوم الثلاثاء لليلة خلت من المحرم^(١) سنة تسعين وأربعمائة وقتل في يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم^(٢) منها، فكان عمره أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وولايته تسعة وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصف شهر. وكان محكوماً عليه إلى أن قُتل الأفضل وتولى المأمون فظهر أمره، وصار يتصرف [ويركب]^(٣) في يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الثلاثاء وإذا لم يركب في يوم منها ركب في غيره. ولم يستوزر بعد المأمون وزيراً للسيف والقلم، بل استبدَّ بأمره وباشرها بنفسه.

وكان قبيح السيرة في رعيتيه، يظلمهم ويأخذ أموالهم ويغتصب أملاكهم؛ وسفك دماءهم، وارتكب المحذورات، واستحسن القبائح. ويكفى من سوء سيرته تمكينه الرَّاهب من المسلمين، وقد تقدم خبره^(٤) وولد للأمر في هذه السنة ولدٌ سمي أبا القاسم الطيب وجعله ولياً عهداً، فأخفاه الحافظ.^(٥)

وزراؤه : الأفضل ؛ ثم المأمون .

قضاته : ابن ذكا النابلسي إلى أن رفع إبراهيم حمزة الشاهد إلى الأفضل أمير الجيوش أنه أحدث في مجلس الحكم فعزله ؛ وولى أبا الفضل نعمة بن بشير الجليس النابلسي إلى أن استقال ؛ فولى الرشيد أبا عبد

« ولد يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم » في أخبار الدول المنقطعة ص ٩١ ، والمنتقى من أخبار مصر ص ١١٠ ، اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٣٦ .
ولم يتفق مع النويري في تاريخ ميلاد الأمر سوى ابن تفرى بردى - النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧١ .

(٢) هذا يتناقض مع ما جاء في أول الفقرة .

(٣) [] إضافة من المنتقى من أخبار مصر ص ١١١ .

(٤) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١١ .

(٥) انظر اتعاط الحنفا ج ٣ ص ١٢٨ .

الله محمد بن قاسم الصقلى إلى أن توفى ؛ فأعاد الجليس ثم صرفه ؛ وولى أبا الفتح مسلم ، فبقى إلى أن تولى المأمون فعزله ونفاه لما أخطأ في قراءته ؛ وولى أبا الحجاج يوسف بن أيوب الأندلسى إلى أن توفى في سنة إحدى وعشرين وخمسائة ؛ فولى الأمر أبا عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر القيسراني ، فاستمر إلى أن قُتل الأمر بأحكام الله ^(١) .

ذكر بيعة الحافظ لدين الله

هو أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله ، وهو الحادى عشر من ملوك الدولة العبيديّة والنّامن من ملوك الديار المصريّة منهم . بُوع له بعد مقتل ابن عمّه الأمر ، في يوم الثلاثاء ليلتَيْن خَلتا من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة ، بولاية العهد إلى أن يستبرئ نساء الأمر وهل فيهنّ مَنْ هى مشتملة على حَمْل أم لا .

ذكر قيام أحمد بن الأفضل الحافظ

وما كان من أمر أحمد إلى أن قُتل

قال المؤرّخ : لما بُوع الحافظ لدين الله ثار الجُنْد الأفضليّة وأخرجوا ابن مولاهم ، أبا على أحمد بن الأفضل ، الملقّب بكتيفات ، وولّوه إمرة الجيوش ؛ وذلك في يوم الخميس السّادس ^(٢) من ذى القعدة منها ، فحكم ، واعتقل الحافظ صبيحة يوم بيعته ، ودعا للإمام المُنتظر ؛ وقوى أمر ابن الأفضل .

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٢ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١١٢ ، اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) « سادس عشر » في المنتقى من أخبار مصر ص ١١٣ .

وفي سنة خمس وعشرين رتب أحمد بن الأفضل في الأحكام أربعة قضاة: الشافعية والمالكية والإسماعيلية [٨٨] والإمامية، يحكم كل قاض بمقتضى مذهبه ويورث بمقتضاه، فكان قاضى الشافعية الفقيه سلطان^(١)، وقاضى المالكية اللبني^(٢)، وقاضى الإسماعيلية أبو الفضل^(٣) ابن الأزرق، وقاضى الإمامية ابن أبي كامل^(٤).

وسار أحمد بن الأفضل سيرة جميلة بالنسبة إلى أيام الأمر، ورد على الناس بعض مصادراتهم، وأظهر مذهب الإمامية الاثنى عشرية، وأسقط من الأذان قولهم «حى على خير العمل»، وأمر بالدعاء لنفسه على المنابر بدعاء اخترعه لنفسه وهو: «السيد الأجل الأفضل، مالك أصحاب الدول، والمحامى عن حوزة الدين، وناشر جناح العدل على المسلمين، الأقربين والأبعدين، ناصر إمام الحق في حالتى غيبته وحضوره، والقائم بنصرته بماضى سيفه، وصائب رأيه وتدبيره، أمين الله على عباده، وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده، ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده، مولى النعم، ورافع الجور عن الأمم، مالك فضيلتى السيف والقلم؛ أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش^(٥)».

(١) هو سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسى، المعروف بابن رشا، والمتوفى سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٧٥، العبر ج ٤ ص ٤٢، المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٣.

(٢) هو محمد بن عبد المولى بن محمد بن عبد الله اللبني المغربي - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٢.

(٣) هو هبة الله بن عبد الله بن حسن بن محمد، أبو الفضائل، المعروف بابن الأزرق - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٢.

(٤) هو الفضل بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبي كامل - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٢.

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١٦، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٣ - ١٤٤.

واستمر أمره إلى يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسائة. فاتفق ركوبه في هذا اليوم إلى الميدان بالبستان الكبير^(١) ظاهر القاهرة، للعب بالأكرة^(٢) على جارى عاداته، فوثب عليه مملوك رومى، وقيل بل من صبيان الخاصة^(٣)، فطعنه طعنة ألقاه بها عن فرسه، ونزل واحتز رأسه، ومضى به إلى القصر؛ وذلك بموافقة من الأجناد. فكانت مدة تغليه على الأمر سنة واحدة وشهرين وثلاثة عشر يوماً؛ ودفن بتربة أبيه خارج باب النصر^(٤).

ذكر بيعة الحافظ لدين الله الثانية

قال: ولما قُتل أحمد بن الأفضل ببيع الحافظ بالخلافة بيعة عامة، وظهر الحمل المنتظر بنتاً، فانتقلت الخلافة إليه، وأمر أن يدعى له على المنابر: اللهم صل على الذى شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء دُثورَه، وأقررت الإسلام بأن جعلت طُلوعه على الأمة وظهوره، وجعلته آية لمن يدبر الحقائق بباطن البصيرة، مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا، عبد المجيد أبى الميمون، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين. صلاة دائمة

(١) « البستان الكبير خارج باب الفتوح من القاهرة » فى اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٤٣.

وكان يمتد من زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية - المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٨٧.

٢ الأكرة لغة فى الكرة، وانظر اتعاظ المنفا جـ ٣ ص ١٤٣، والمتقى من أخبار مصر ص ١١٥.

(٣) صبيان الخاص = صبيان الحجر: وهم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة، يقيمون فى حجر منفردة بالقرب من باب النصر - صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٧٧، وانظر ما يلى فى أحداث سنة ٥٤٤ هـ.

(٤) تربة أمير الجيوش بدر الجمالى، وهى أول تربة أنشئت بمقابر باب النصر - خارج الباب - المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٤٦٣.

إلى يوم الدين^(١) .

قال : ولما تم أمر الحافظ استوزر أبا الفتح يانس ، وهو رومي من ممالك الأفضل ، ولقبه بأمر الجيوش ؛ فقتل الطائفة المعروفة بصبيان الخاص ، ومن جملتهم قاتل أحمد بن الأفضل . وكان عظيم الهيبة ، بعيد الغور ، فخافة الحافظ وتخيل منه ، وتخيل يانس أيضا من الحافظ ، فدبر كل واحد منها على صاحبه ، فسبق تدبير الحافظ فيه فسمه في إبريق استعمل الماء منه عند الطهارة فعولج وكاد أن يبرأ . فكلم الحافظ بعض الأطباء ، فقال له الطبيب : إن رأى مولانا أمير المؤمنين أن يمضى إليه ويوزره وهنته بالعافية فإنه لا بد أن ينهض إليك ويمشى ، فإذا مشى لا يكاد يعيش أبدا . فمضى إليه الحافظ فقام إليه وتلقاه ، فمات في ليلته ؛ وذلك في السادس والعشرين من ذى الحجة^(٢) فكانت مدة وزارته تسعة أشهر .

ذكر الخلف بين ابني الحافظ لدين الله

قال المؤرخ ، وفي شعبان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة جرى بين أبي تراب حيدرة وحسن ، ولدى الحافظ ، حرب شديدة ، وافترت العساكر على فرقتين ، وهما الريمانية والجيوشية ، وكان بينها وقعة في خامس شهر رمضان ووقع الحرب بينها بين القصرين ؛ وقتل من الطائفتين تقدير عشرة آلاف إنسان . وكان سبب ذلك أن الحافظ جعل ولده حيدرة ولي عهده من بعده ، فلم يرخص حسن بذلك ، فوقع الاختلاف والحرب بينهما . واستظهر حسن على أخيه حيدرة ، فهرب حيدرة إلى أبيه ، فأرسل الحافظ إلى ابنه حسن ليدخل إليه ، فامتنع وضائق القصر ، وطالبه بأخيه

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١١٧ ، وانظر أخبار الدول المنقطعة ص ٩٥ ، والنجوم الزاهرة

ج ٥ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) « الليلتين خلنا من ذى القعدة » في أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨ ، كنز الدرر ج ٦ ص

حيدرة ، فتلافاه الحافظ وجعله وليّ عهده من بعده . وتمكّن حسن من الدولة والتصرّف فيها بحسب رأيه ، ولم يبق للحافظ معه حكم^(١) .

[٨٩] ذكر مقتل حسن بن الحافظ

كان مقتله في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وذلك أنه لما استقر في ولاية العهد والوزارة والتدبير واستبدّ بالأمر ، قبض على جماعة من الأمراء وقتلهم ، بسبب قيامهم مع أحمد بن الأفضل ، وأقام غيرهم ؛ فخافه من بقي من الأمراء العتق ، وأجمعوا على خلع أبيه من الخلافة وولّده حسن من الوزارة فاجتمعوا بين القصرين ، ورأسلوا الحافظ ، وأعلموه بما أجمعوا عليه ، فاستعطفهم الحافظ واعتذر إليهم ؛ وهرب حسن إلى أبيه ، فقبض عليه وقيده ، وذكر ذلك للأمراء ، فقالوا : لا بد من قتله ، فسقاه أبوه سماً فمات ، وجعله على سرير ، وأمر الأمراء بمشاهدته ، فدخلوا عليه وورأوه فسكتوا . وقيل إن قيام الأمراء^(٢) كان بتدبير الحافظ .

ذكر وزارة بهرام الأرمني

وفي يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة ، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، استوزر الحافظ بهرام الأرمني النصراني ، ونعته بسيف الإسلام تاج الملوك^(٣) . وكان بهرام المذكور قد وصل إلى الديار المصرية

(١) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١١٩ - ١٢٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٤٩ .

(٢) « الأمر » في الأصل ، والتصحيح من سياق الكلام .

وانظر تفصيل ذلك في المنتقى من أخبار مصر ص ١٢١ - ١٢٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص

١٥٣ - ١٥٥ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) « تاج الخلافة » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٥٦ .

واجتمع بالمحافظ ، فرأى منه عقلاً وافرًا وإقدامًا في الحرب وحُسن تدبير (١).

وكان سببُ وصوله من بلاده أن القائم بأمر الأرمن مات ، وكان بهرام أحقَّ بمكانه من غيره فعَدَلَ الأرمنُ عنه وولَّوا غيره ، فغضب لذلك وخرج من تلِّ باشر^(٢) وقدم مصر ؛ فعينه المحافظ للوزارة . واستشار بعض أهله وأكابر دَوْلته فيه ، فكلَّهم كره ذلك وأشار عليه ألا يفعل ، وقالوا : إنه نصراني لا يَرْضاه المسلمون ، وإنَّ من شروط الوزارة أن الوزير يرقى المنبر مع الإمام في الأعياد ليزرَّ عليه المزرة الحاجزة بينه وبين الناس ؛ وأن القضاة هم نواب الوزراء ، من زمن أمير الجيوش . بدر الجمالي ، ويُذكرون في النيابة عنهم في الكتب الحكمية النافذة عنهم إلى الآفاق وكتب الأنكحة . فقال المحافظ : إذا رضينا نحن فَمَنْ يخالِفنا ، وهو وزير السيف ؟ وأما صُعود المنبر فيستتبع عنه فيه قاضى القضاة ، وأما ذكره في الكتب الحكمية فلا حاجة إلى ذلك . واستوزر والناس يُنكرون ذلك عليه (٣).

وقال بعض المؤرخين : إن بهرام كان والى الغربية يومئذ وإنه سارَ منها مجدًا إلى أن وصل إلى القاهرة وحاصرها يومًا واحدًا ودخلها . فلما ولى الوزارة وثبتت بها قدمه سأل المحافظ أن يَسْمَح له بإحضار إخوته وأهله ، فأذن له في ذلك . فأرسل إليهم وأحضرهم من تلِّ باشر ، فتواصلوا حتى كَمَل منهم ومن غيرهم من الأرمن تقدير ثلاثين ألف إنسان ؛ فاستطالوا على المسلمين . وبُنيت في أيامه كنائس كثيرة وديرة

(١) المنتقى من أخبار مصر ١٢٢ .

(٢) تل باشر : حصن وكورة شمالى حلب ، وأهلها من النصارى الأرمن — معجم البلدان .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٢٣ ، اتماظ الحنفا ج ٣ ص ١٥٦ .

حتى إن كل رئيس من أهله بنى له كنيسة؛ وخاف أهل مصر منهم أن يغيروا الملة الإسلامية. وكثرت الشكايات فيه. وكان أخوه المعروف بالباساك، وإليه تنسب المنية^(١) التي بالقرب من إطنفيح^(٢)، قد ولى الأعمال القوصية فجار فيها جوراً عظيماً واستباح الأموال، فعظم ذلك على الناس.

ذكر خروج بهرام^(٣) من الوزارة

وزارة رضوان ابن الوحشى

قال: ولما ثقلت وطأة بهرام على الناس اجتمع الأمراء وكاتبوا رضوان بن الوحشى، وذلك في صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وكان يومئذ متولى الغربية ولاه بهرام إياها إبعاداً له، فلما أتته كتب الأمراء نهض في طلب الوزارة، ورفى المنبر، وخطب خطبةً بليغةً حرّض الناس فيها على الجهاد. فأجابوه. وحشد العُربان وقدم إلى القاهرة. وكان الأمراء قد كاتبوه وقالوا: إذا وقع الوجه في الوجه ارفع المصاحف على الرماح فإننا ننحاز إليك؛ ففعل ذلك. وخرج بهرام إليه لما قرب من القاهرة؛ فلما عاين الأمراء [٩٠] والجند المصاحف التحقوا جميعهم برضوان، وبقي بهرام في الأرمن خاصة. فراسل المحافظ وقال: أنا ألقاهم بمن معنى. فخاف المحافظ عاقبة ذلك، فأمره أن يتوجه إلى قوص ويُقيم عند أخيه الباساك إلى حين يدبر أمراً. فعاد بهرام إلى القاهرة،

(١) منية الباساك: من القرى القديمة، وتعرف حالياً باسم المنيا، وهي تابعة لمركز الصف بمحافظة الجيزة - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٣١.

(٢) إطنفيح: من المدن المصرية القديمة، من أعمال الجيزة، وإليها تنسب الأعمال الأطنفيحية، وهي حالياً بلدة تابعة لمركز الصف بمحافظة الجيزة، القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٢٦.

(٣) «رضوان» في الأصل، وهو تحريف، والتصحيح مما يلى.

وأخذ ماخف حمله ، وخرج من باب البرقية في حادي عشر جمادى الأولى ؛ وتوجه إلى الأعمال القوصية .

قال : ولما انفصل عن القاهرة أتت العوام منازل الأرمين ، وكانوا قد نزلوا المحسنية^(١) وعمروها دوراً . ولما اتصل بأهل قوص انهزم بهرام ثاروا بأخيه الباساك وقتلوه ومثلوا به ، وربطوا في رجله كلباً ميتاً ، ورموه على مزبلة . فقدم بهرام بمد ذلك بيومين ، ومعه طائفة من أقاربه ، فرأى الباساك على هذه الحال ، فقتل جماعة من أهل قوص بالسيف ونهبها وسار إلى أسوان . ثم رجع ونزل بالديرية البيض^(٢) ، وهي من أعمال أخميم بالجانب الغربي .

قال : ولما فارق بهرام القاهرة دخلها رضوان ووقف بين القصرين ، واستأذن الحافظ فيما يفعله ؛ فأمره بالنزول بدار الوزارة ، فنزلها ، وخلع عليه خلع الوزارة ، ونعته بالأفضل . ونذب رضوان جماعة من العسكر مع أخيه ناصر الدين ، فتوجهوا إلى بهرام ، فاستقر الأمر بينهم أن يقيم بالديرية البيض ؛ وعاد الجند الذين مع بهرام إلى مصر . ودبر رضوان الأمر أحسن تدبير ، وصادر جماعة من أصحاب بهرام وشدد عليهم الطلب ، وقتلهم بالسيف .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة أحضرت^(٣) من تنيس امرأة بغير يدين ، وموضع يديها مثل الحلمتين ، فجيء بها إلى مجلس الوزارة بين يدي رضوان ، فعرفته أنها تعمل برجلها ما يعمله الناس باليدين من خط ورقم وغير ذلك . فأحضر لها دواة ، فتناولت الأقلام

(١) الحسينية : خارج باب الفتوح - المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٠ .

(٢) « فنزل بالديرية البيض ، وهي أماكن حصينة في غرب إخميم » - المنتقى من أخبار مصر ص

(٣) « أخبار » في الأصل ، والنصحیح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٢٩ ، انعام المنها ج ١

برجلها اليسرى وتأملتها قلماً قلماً فلم ترَ ض شيئا منها؛ فأخذت
السكين وبرت لنفسها قلماً وشقته وقطته، واستدعت ورقة فأمسكتها
برجلها اليمنى، وكتبت باليسرى بأحسن خط ما تكتب النساء بأيديهن
مثله، وحمدت الله في آخر الرقعة، وناولتها للوزير. فتناولها فوجدها
قد سألته الرقعة في راتبها؛ فزادها، وأعادها إلى بلدها (١).

وفيها بنى رضوان المدرسة المعروفة به بالإسكندرية (٢)،
واستدعى الفقيه أبا طاهر بن عوف (٣) إلى حضرته وأسند إليه
تدريسها.

ذكر خروج رضوان من الوزارة وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي شهر رمضان سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة أحضر الحافظ
بهرام الأرمني من الصعيد، وأسكنه في القصور وأكرمه، فعظم ذلك على
الأفضل رضوان، فشغب الحافظ عليه الجند، فقام بعضهم عليه،
وجرت بينهم حربٌ بالقاهرة. وطلب رضوان أن يسكن مع الحافظ في
القصور، فلم يمكنه. فتزايد الحال على الأفضل وضعفت قدرته عن لقاء
العساكر، فهرب إلى الشام، وذلك في منتصف شوال منها، وقصد

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٢٩ - ١٣٠، اتعاض الحنفا ج ٣ ص ١٦٧.

(٢) هي المدرسة الحافظية التي أنشأها رضوان بن ولحشى للفقيه المالكي أبي الطاهر بن عوض -
تاريخ مدينة الإسكندرية ص ٤٨.

(٣) هو إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عرف الزهرى، أبو الطاهر، توفى سنة
٥٨١ هـ / ١١٨٥ م - العبر ج ٤ ص ٢٤٢، أعلام الإسكندرية ص ١٠٥ - ١٢٧.

كُمَشْتَكِينِ وَالِي صَرْخَدَ^(١) فَأَقَامَ عِنْدَهُ فَأَكْرَمَهُ^(٢). ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ فِي سَلْخِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَقَدْ جَمَعَ جَمْعًا صَالِحًا مِنَ الْجُنْدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَسْكَرَ وَحَارِبُوهُ عِنْدَ بَابِ الْفُتُوحِ، فَمَضَى وَنَزَلَ عِنْدَ الرَّصْدِ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الصَّعِيدِ. فَتَدَبَّأَ إِلَيْهِ الْحَافِظُ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الْفَضْلِ^(٣) بِنِ مَصَالِ بَأَمَانَ؛ فَسَارَ إِلَيْهِ وَتَلَطَّفَ بِهِ، إِلَى أَنْ أَحْضَرَهُ إِلَى الْقَصْرِ، فِي رَابِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ، فَاعْتَقَلَهُ فِي بَعْضِ قَاعَاتِ الْقُصُورِ. فَأَقَامَ فِي الْإِعْتِقَالِ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، فَخَرَجَ مِنْ نَقْبِ نَقْبِهِ فِي الْقَصْرِ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا. وَرَكِبَ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ كَانِ يَكَاتِبُهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجِيْزَةِ، وَلَقِيَ عَسْكَرَ الْحَافِظِ وَقَاتَلَهُمْ عِنْدَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ، فَهَزَمَهُمْ. وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ، وَنَزَلَ بِالْجَامِعِ الْأَقْمَرِ^(٤)، وَأَغْلَقَ الْحَافِظُ بَابَ الْقَصْرِ فِي وَجْهِهِ؛ فَاسْتَحْضَرَ رِضْوَانَ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ وَالِدَوَاوِينَ، وَأَمَرَ دِيوَانَ الْجَيْشِ بِعَرْضِ الْجُنْدِ، فَعَرَضَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً خَارِجَةً عَنِ الْقَصْرِ كَانَتْ فِي الدَّوَاوِينَ، وَأَنْفَقَ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى الْحَافِظِ فِي طَلْبِ الْمَالِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَأَمَرَ الْحَافِظُ مَقْدَمِي السُّودَانَ بِالْهَجُومِ عَلَى رِضْوَانَ وَقَتْلِهِ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ، فَهَمُّ بِالرُّكُوبِ، فَاعْجَلُوهُ عَنِ ذَلِكَ، وَضَرَبَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفٍ فَقَتَلَهُ. وَقَتِلَ مَعَهُ أَخُوهُ، وَأَحْضَرَتْ رَأْسَاهُمَا إِلَى الْحَافِظِ.

(١) صرخد: تلاصق بلدة حوران من أعمال دمشق، وكانت من القلاع الحصينة - معجم البلدان.

(٢) انظر أخبار الدول المنتظمة ص ٩٩، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠، الكامل ج ١١ ص ٤٨ - ٤٩.

(٣) هو سليم بن مصال، نجم الدين أبو الفتح - اتماظ المنفا ج ٣ ص ١٧٣، وانظر ما يلي حيث يلقبه النويري أيضًا «أبا الفتح» عندما ولي وزارة الظافر.

(٤) الجامع الأقمر: أنشأه الخليفة الأمر بأحكام الله، وقام على إنشائه وزيره المأمون البطانحي، وهو الآن بشارع المعز لدين الله (النحاسين) - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٠.

وسكنت الفتنة ، وأرسل الحافظ الرأس [٩١] لزوجة رضوان فلما وقع في حجرها قالت : هكذا تكون الرجال . فلم يكن في وقت رضوان أسمر^(١) منه .

وكان مولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة . وأول ولاية وليها الأعمال القوصية والأعمال الإخميمية في سنة ثمان وعشرين وخمسائة .

ذكر وفاة بهرام الأرمني

كانت وفاته لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وخمسائة بالقصور ، وكان الحافظ قد أسكنه بدار بها ولم يمكنه من التصرف ، وكان يشاوره في تدبير الدولة والأمور ويصدر عن رأيه . فلما هلك حزن عليه حزناً شديداً ، وأمر بقلق الدواوين ثلاثة أيام .

وأحضر الحافظ بطرك الملكية بمصر ، وأمره بتجهيزه ، فجهزه . وأخرج وقت صلاة الظهر في تابوت عليه الديباج ، وحواله جماعة من النصاري يبغون باللبان والسندروس والعود ؛ وخرج الناس كلهم مشاة ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان . ثم خرج الحافظ على بغلة خلف التابوت وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر بغير طيلسان . ولم تزل الناس مشاة والقسوس يعلنون بقراءة الإنجيل ، والحافظ على حالته إلى دير الخندق^(٢) بظاهر القاهرة ؛ وقيل بل في بستان الزهري

(١) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٧ - ١٣٨ ، اتماظ المنفا ج ٣ ص ١٨٢ - ١٨٤

(٢) دير الخندق : ظاهر القاهرة من بحريها ، عمره جوهر الصقل عوضاً عن دير هدمه

بالقاهرة - المراعي والاعتبار ج ٢ ص ٥٠٧ .

فى الكنيسة المستجدة^(١) . ونزل الحافظ عن بقلته ، وجلس على شفير القبر ، وبكى بكاء^(٢) كثيراً .

وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة طلع النيل حتى بلغ تسعة عشر ذراعاً وأربع أصابع^(٣) ، ووصل الماء إلى الباب الجديد^(٤) أول الشارع الأعظم بالقاهرة ، وصار الناس يتوجهون من القاهرة إلى مصر من جهة المقابر . ولما وصل الماء إلى الباب أظهر الحافظ الحزن والانقطاع ، فدخل عليه بعض خواصه وسأله عن السبب ، فأخرج له كتاباً وقال له : انظر هذا السطر ؛ فقرأه ، فإذا فيه : إذا وصل الماء إلى الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد . وقال : هذا الكتاب الذى تعلم منه أحوالنا وأحوال الدولة وما يأتى بعدها^(٥) .

ذكر وفاة الحافظ لدين الله

وشىء من أخباره

كانت وفاته فى ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ومولده فى المحرم سنة أربع وستين

(١) كنيسة الزهرى : كانت فى بر الخليج الغربى ، غربى اللوق ، فى الموضع الذى كانت فيه البركة الناصرية - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥١٢ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٣ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٧٥ .

(٣) « ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث عشرة أصبعا » فى النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٨٤ .

ويذكر ابن مباتق أن النيل إذا وصل إلى ستة عشر ذراعاً فقد وجب الخراج ، وأن هذه الزيادة تبشر بمحصول جيد ، فإذا وصلت ثمانية عشر ذراعاً كان هذا نذيراً بطفيان النيل وفساد المحصول - قوانين الدواوين ص ٧٦ .

(٤) الباب الجديد : أنشأه الحاكم بأمر الله ، على يسرة الخارج من باب زويلة .. المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٠٠ .

(٥) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٣٩ - ١٤٠ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٨٧ .

وأربعمائة، وقيل في المحرم سنة ثمان وستين^(١). فكانت مدة عمره ستا وسبعين سنة وشهوراً، ومدة ولايته منذ بويح البيعة العامة الثانية، بعد قتل أحمد بن الأفضل، ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً.

قال المؤرخ: وكان الحافظ موصوفاً بالبطش والتيقظ؛ وكان شديد المناقشة. وهو الذى عمل طبل القولنج الذى كسره الملك الناصر صلاح الدين يوسف؛ وكان هذا الطبل قد عمل من سبعة معادن والكواكب السبعة فى إشراقها. وكان خاصته أنه كلما ضرب به ضربة خرج الريح من مخرج الضارب^(٢).

قال بعض المؤرخين: إن الحافظ خطر بباله أن ينقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى القاهرة، وكانت المدينة إذ ذاك يُخطب بها لبني العباس، لظهور ملوك الدولة السلجقية؛ فأرسل نحواً من أربعين رجلاً من أهل النجدة والقدرة، فتوجهوا إلى المدينة وأقاموا بها مدة، وتحيلوا بأن حفروا سرباً من مكان بعيد، وعملوا حساب الخروج فى المكان المقصود. فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من أن ينقل من المكان الذى اختاره له؛ فيقال إن السرب انهار عليهم فهلكوا؛ وقيل بل سعى بهم فأهلكوا.

وكان للحافظ من الأولاد: أبو على حسن؛ هلك كما ذكرنا؛ وعبد الله، هلك فى حياته أيضاً؛ وأبو المنصور إسماعيل؛ وأبو الأمانة جبريل؛ ويوسف.

(١) اختلف المؤرخون فى تاريخ ميلاده فهو سنة ٤٦٧ هـ أو ٤٦٨ هـ فى المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٠، أخبار الدول المنقطعة ص ٩٨، وسنة ٤٦٦ هـ فى كنز الدرر ج ٦ ص ٥٠٦.

(٢) عن هذا الطبل انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٨، وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٣٧.

ووزراؤه : تقدّم ذكرهم . ولما قتل رضوان بن الولخشى لم يستوزر
بعده أحدا ، وإنما كانوا كتابا . فمن أشهر كتابه أبو علي حسن
الأنصاري كان [القاضي] ^(١) الفاضل يقول : لم يسمع الزمان بمثله .
ومن أشهر شعرائه الشريف أبو الحسن الأخفش المغربي ، في
جملة شعره في قصيدة :

ذكر الدّوح وشاطي بردى وحبابا فيه يحكى بردا
[٩٢] والصبا يمرح في أرجائه وتحوك الريح منه زردا
ينثر الدر عليه فضة وتذيب الشمس فيه عسجدا
ورشا لو لم تكن ريقته خمر صافية ما عر بدا

قضاته : لما غلب أحمد بن الأفضل على الأمر ، أبقى محمد
ابن هبة الله ابن ميسر القيسراني على القضاء ، ثم صرفه الحافظ
واستقضى أبا الفخر صالح بن عبد الله بن أبي رجا ، ثم قبض عليه
الوزير يانس الرومي وقتله ، فولى سراج الدين أبو الثريا نجم من
جعفر ، مضافا إلى الدعوة ، إلى أن قتل في ذي القعدة سنة ثمان
وعشرين ؛ فأعيد سناء الملك بن ميسر ، فأقام إلى أن قبض عليه في
يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين ، وسير إلى
تنيس فقتل بها . وولى بعده القاضي الأعز أبو المكارم أحمد بن عبد
الرحمن بن محمد بن أبي عقيل ، إلى أن توفي في شعبان سنة ثلاث

(١) [إضافة للتوضيح .

وهو عبد الرحيم بن علي بن الحسن المسقلاني ، القاضي الفاضل ، توفي سنة ٥٩٦
هـ / ١٢٠٠ م - وفيها الأعيان ج ٣ ص ١٥٨ رقم ٣٧٤ .

وثلاثين . وأقام الناس بغير قاض ثلاثة أشهر ، ثم ولى أبو الفضائل هبة الله بن عبد الوارث الأنصارى لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة منها . ثم جرت مفاوضة بينه وبين « النبيه »^(١) أبي الحسن على بن « اسماعيل »^(٢) ، قبل أدت الى مصافحة خرج في أثنائها القاضى إلى القصر وهو مخرق الأثواب وقد تحلقت عمامته فى حلقه ، فعظم على الحافظ خروجه على هذه الهيئة وغرّمه مائتى دينار ؛ واستتاب أباطاهر إسماعيل ابن سلامه الأنصارى ، فأقام فى النياية إلى مُستهلّ المحرم سنة خمس وثلاثين ، فوفر جارى القضاء ، وهو أربعون ديناراً فى كل شهر ، وخدم لجارى التقدمة فى الدعوة ، وهو ثلاثون ديناراً ، فى الوظيفتين ؛ فأجيب إلى ذلك وأقام إلى أن صُرف لسبع خلون من صفر سنة ثلاث وأربعين ، وبقي على الدعوة . وولى القضاء أبو الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المقدسى إلى آخر المدّة^(٣) .

ذكر بيعة الظافر بأعداء الله

هو أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ، وهو الثانى عشر من ملوك الدولة العبديّة والتاسع من ملوك الديار المصرية منهم . بويع له بعد وفاة أبيه لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة . واستوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن

(١) ، (٢) « بياض فى الأصل ، والتكلمة من أخبار الدول المنقطعة ص ١٠١ .

فعدما تولى هبة الله بن عبد الوارث القضاء « أضيفت إليه دار العلم وعزل عنها النبيه أبو الحسن على ابن اسماعيل ، ثم أعيدت إلى النبيه فحضرها أبو الفضائل هذا القاضى المذكور لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ، وجرت بينها مفاوضات أدت إلى مصافحة » - أخبار الدول المنقطعة ص ١٠١ .

(٣) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٠ - ١٠١ .

مصال ، ونَعَتَهُ بالسَّيِّدِ الأَجَلِ المَفْضَلِ أميرِ الجيوش ؛ وكان إذ ذاك من أكابر أمراء الدَّولة .

وفى الرابع من شعبان من السُّنة اجتمع السودان وجماعة من المفسدين بالبهنَسانية^(١) فخرج إليهم الوزير فحاربهم وهزمهم .

ذكر قيام العادل بن السُّلار ووزارته

ومقتل ابن مصال

فى هذه السنة ثار الأمير المظفَّر أبو الحسن على^(٢) بن السُّلار والى الإسكندرية وخرج وحشد وتقدَّم بِمَنْ معه ، ودخل القاهرة فى يوم الأربعاء سابع شعبان ، ووقَّف على باب القصر ، ورأسل الظافر والمدبِّر له من النساء ؛ فراجَعَت فى ذلك وفاء لابن مصال ، ثم أجيبَ إلى ما سأله . وفتح بابُ القصر ، وخُلع على المظفَّر بخلع الوزارة ولُقِّب بالعاذل . فلما اتصل ذلك بابن مصال جمع عُربان البلاد ، ووافقهُ بَدْرُ بن رافع مقدَّم العربان بتلك البلاد ؛ وقصد ابن السُّلار فندب إليه ربيبه عَبَّاس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بعسكر معه . فعسكر ببركة الحبش . فندب ابن مصال لحربه الأمير الماجد فجَدَّ فى السَّير وكبس عسكر عباس ، فأثحنهم جراحًا وقتلا ؛ فانهزمَّ عباس .

(١) البهنسا : مدينة بالصعيد غربى النيل ، وتبع حاليًا مركز بنى مزار بمحافظة المنيا - القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤١٦ رقم ٤٨٥ ، العبر ج ٤ ص ١٣١ . وانظر أخباره فى المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٢ وما بعدها ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩٦ وما بعدها ، النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٢٨٨ وما بعدها ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٢ وما بعدها .

واجمع ابن مصال رأيه على قَصْدِ بِلَادِ الصَّعِيدِ ، فَعَاجَلَهُ ابْنُ السَّلَارِ وَأَمَدَ رَبِيئَهُ بِالْعَسَاكِرِ وَأَمْرَهُ بِمُعَاجَلَتِهِ قَبْلَ الْجَمْعِ ، فَأَدْرَكَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ دَلَاصَ (١) . وَالتَّقَوُّوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَهْدٍ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ هُنَاكَ ، وَاقْتَتَلُوا ؛ فَانْجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ قَتْلِ ابْنِ مِصَالٍ وَبَدْرِ بْنِ رَافِعٍ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ تَاسِعِ عَشْرِ شَوَّالٍ . وَحُمِلَ رَأْسُ ابْنِ مِصَالٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَطِيفَ بِهِ ، وَخُلِعَ عَلَى الْعَادِلِ فِي ذَلِكَ (٢) الْيَوْمِ .

وَفِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أُغْلِقَ الْعَادِلُ أَبْوَابَ الْقَاهِرَةِ وَالْقُصُورِ ، وَقَبِضَ عَلَى صِبْيَانِ الْخَاصِّ وَقَتْلَهُمْ ، وَكَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا وَهُمْ أَوْلَادُ الْأَجْنَادِ وَالْأَمْرَاءِ وَعَبِيدُ الدَّوْلَةِ فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا تُوْفِيَ وَخَلَّفَ أَوْلَادًا حُمِلُوا إِلَى حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ وَأُودِعُوا فِي أَمَاكِنَ مُفْرَدَةٍ لَهُمْ ، وَيُؤْخَذُ فِي تَعْلِيمِهِمُ الْفَرُوسِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ؛ وَتَسَمَّوْا صِبْيَانَ الْخَاصِّ . وَكَانَ سَبَبُ إِيقَاعِ الْعَادِلِ بِهِمْ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ تَعَاقَدُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَبَادَرَ بِهِمْ ، وَقَبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَجَعَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي الْمَرَاكِزِ بِالثَغُورِ (٣) .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ السَّنَةِ قَتَلَ الْعَادِلُ أَبَا الْمَكْرَمِ الْمَوْفِقَ مُحَمَّدَ بْنَ مَعْصُومِ التَّنِيسِيِّ نَازِحَ الدَّوَاوِينِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَادِلَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ كَانَ مِنْ صِبْيَانِ الْحُجْرِ وَكَانَ يَتَكَرَّرُ [دَخُولُهُ] (٤) إِلَى الْمَوْفِقِ بِرِسَائِلٍ وَيَكَلِّمُهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ ، فَكْرَهُهُ

(١) دلاص : من القرى المصرية القديمة ، على الضفة الغربية للنيل ، من أعمال البهنسا ، وهي حاليًا تابعة لمركز بني سويف بمحافظة بني سويف ، القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ٤٢ - ١٤٣ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٩٦ ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، الكامل ج ١١ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ .

(٤) [إضافة للتوضيح من المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ١٩٩ .

الموقِّق ، ثم كُتِبَ بعد ذلك لابن السَّلال منشورٌ بإقطاع ، فدخل به إليه ، فتغافل عنه وأهمل أمره ؛ فقال له ابن السَّلال : ما تسمع ؟ فقال : كلامك ما يدخل في أذني أصلاً . فأخذ ابن السَّلال منشوره وخرج من حيث أتى . فلما ولي أمر الدولة دخل عليه الموقِّق وسلم عليه ، فقال له : ما أظنَّ كلامي يدُخل في أذنك . فتلجلج بين يديه وقال له : عفو السلطان . فقال : قد استعملتُ للعفو من حين خروجي من عندك ، ما أتيتك به . وأشار لبعض خدومه فأحضر مسماراً من حديد عظيم الهيئة^(١) ، وقال : هذا والله أعددتُه لك من ذلك الوقت . وضرب المسمار في أذنه حتى نفذ من الأخرى ، وحُمِل إلى باب زويلة الأوسط ودُقَّ المسمار في خشبة ، وعلِقَ عليها وقد مات .

ذكر ما فعله الفرنج بالفرما

وما جهَّزه العادل من الأسطول إلى بلادهم

وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة أغار الفرنج على الفرما فنهبوها وأحرقوها^(٢) وعادوا إلى بلادهم . فجهَّز العادل المراكب الحربيَّة وشحنها بالرجال وسفَّرها في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين ، فمضت إلى يافا وقاتلوا من بها في المراكب ، واستولوا على عدَّة كثيرة من مراكب الفرنج ، وأحرقوا ما عجزوا عن أخذه ، وقتلوا خلقاً كثيراً . ثم امتدوا إلى ثغر عكا وفعلوا فيه كِفعلهم بيافا . وكذلك فعلوا بصيدا وبيروت وطرابلس . وأنكروا في الفرنج نكايَّة عظيمة .

(١) « عظيم الخلقه » في المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٤ .

ووجدوا طائفة كثيرة من حجاج الفرنج فقتلوهم عن آخرهم . وكان جملة ما أنفق في هذا الأسطول ثلاثمائة ألف (١) دينار .
وفي سنة ست وأربعين قُطعت جميع الكساوى المرتبة للإمراء والدواوين عن أربابها ، وتوفرت .

ذكر مقتل العادل بن السلار

وسلطنة ربيبه عباس

كان مقتله في السادس من المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وكان سبب ذلك أن العادة كانت جارية بتجريد عسكر من مصر في كل سنة لحفظ عسقلان من الفرنج ، وكان الفرنج قد حاصروها في سنة سبع وأربعين . فلما كان في هذه السنة وقعت القرعة في البذل على عباس ربيب العادل ، وهو ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، فجرده العادل بالعساكر ، وقال له : هَذَا الثَّغْرُ قَدْ نَازَلَهُ الْفَرَنْجُ ، وَلَا غُنْيَةَ أَنْ تَتَوَجَّهَ بِالْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ لِتُدْفَعَهُمْ عَنْهُ . فخرج عباس من القاهرة ومعه جماعة من أكابر الأمراء ، منهم أسامة بن منقذ ، وكان خصيصا بعباس فلما وصلوا إلى بلبيس تذاكر عباس وأسامة القاهرة وطيب المقام بها وماخرجا إليه ، وما يلقىانه من الشدائد ولقاء العدو ؛ فتأوه عباس لذلك ولا م عمه كونه جرده ، فقال له أسامة : لو أردت أنت كنت سلطان مصر . قال : وكيف الحيلة في ذلك ؟ فقال : هذا ولدك نصر (٢) ، بينه وبين الظافر مودة عظيمة ، فأرسله إليه وخاطبه على لسانه أن تكون أنت

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٥ . اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٢٠٢ . تاريخ الحروب الصليبية

ج ٢ ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

(٢) « ناصر الدين » في اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٢٠٤

السُّلطان مكان عمك ، فهو يختارك ويكره العادل . فإن أجابك لذلك فاقتل عمك .

فجهز عباس ابنه وعرفه ما تقرّر مع أسامة . فدخل إلى القاهرة على حين غفلة من العادل ؛ واجتمع بالظافر وأعلمه الحال ؛ فأجاب لما طلب .

ثم مضى نصر إلى عند جدته ، زوجة العادل (١) ، وأعلم العادل أن والده أعاده شفقة عليه من السفر . ومضى العادل إلى مصر وجهز المراكب الحربية ، وأنفق في رجالها ليلحق عباساً ، وأقام طول نهاره في العرض [٩٤] والنفقة على رجالها ، وعاد إلى داره بالقاهرة وهو على غاية من التعب . فلما نام على فراشه احتز نصر بن عباس رأسه ، ومضى به إلى القصر ، ودخل إلى الظافر ، وجهز إلى أبيه ، فركب لوقته ؛ ودخل القاهرة صبيحة نهار الأحد الثاني عشر من المحرم ، فوجد جماعة من الأتراك ، كان العادل قد اصطنعهم لنفسه ، قد ثاروا لذلك ، فلاطفهم وطمنهم ؛ فلم يطمئنا . ومضوا إلى دمشق .

وكانت وزارة العادل ثلاث سنين ونصف سنة تقريباً ؛ وكان من الأكراد الزرزارية . ولما قُتل طيف برأسه في القاهرة جميعاً . ونصب الظافر عباساً في السلطنة (٢) .

ذكر مقتل الظافر بأعداء الله وأخويه

كان مقتله في ليلة الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسائة . وذلك أنه خرج ليلاً متنكراً ومعه خادمان وجاء إلى دار نصر

(١) هي السيدة بلارة بنت القاسم - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٧ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، أخبار الدول

ابن عَبَّاسٍ ، وهى الدَّارُ المعروفة قديماً بدار جبر بن القاسم ثم عُرفت بسكن المأمون بن البطائحي ، وهى المدرسةُ المعروفة بالسُّيُوفِيَّةُ ^(١) فى وقتنا هذا ، المقابلة لحافر الدبابله . بُوْطِ سُوْقِ السُّيُوفِيِّينَ بالقاهرة وهى لطائفة الفقهاء الحنفيَّة . فلما جاء الظَّافِرُ إليه قتله نصرُ بن عَبَّاسٍ ، وَحَفَرَ له تحت لوحِ رِخَامٍ ودفنه ^(٢) ، وقتل أحد الخادمين وهرب الآخر .

وكان سببُ ذلك أَنَّ الأُمراء استوحشوا من أُسامة بن منقذ لَمَّا حَسَنَ لِعَبَّاسٍ قتل عمِّه العادل ، وَقَصَدُوا قتل أُسامة . فلما علم بذلك اجتمع بعبَّاسٍ وقال له : كيف تصيرُ علي ما يقوله النَّاسُ فى ولدك وآتِهامهم أَنَّ الخليفة الظَّافِرُ يفعلُ به ما يفعله مع النساء ! فعظَّم ذلك على عَبَّاسٍ . وقيل بل كان الظَّافِرُ قد انعم على نصر بن عَبَّاسٍ بقلوب ، فجاء نصرٌ إلى والده وأعلمه بذلك ، فقال له أُسامة : ما هى بمهرك غالية . فقال عَبَّاسٌ لأُسامة : كيف تكونُ الحيلةُ على هذا الأمر ؟ فقال : إِنَّ الخليفة فى كلِّ وقتٍ يأتى لولدك فى هذه الدَّارِ خفيةً ، فإذا أتاه فأمره بِقتله . فأوصى عَبَّاسٌ ابنه بذلك ؛ فلما جاءه قتله نصر ^(٣) .

قال : ولما كان صبيحةَ يومٍ قَتَلَهُ رِكبُ عَبَّاسٍ وولده على العادة وأتى إلى القصر ؛ فقال لِبعضِ الخدم : أَعْلِمِ مولانا لِيَجْلِسَ للاجتماع معه .

(١) المدرسة السيوفية بالقاهرة : وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، وعرفت بالسيوفية لكون سوق السيوفيين كان على بابها - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) « ودفنه فى الباذنج بدار المأمونى بالسويفيين » فى كنز الدرر ج ٦ ص ٥٦٤ .

« ورمى الكل فى جب عنده وغطى رأس الجب بقطعة رخام بيضاء ، فصارت من جملة رخام المجلس » - أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٥ .

(٣) انظر المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٧ ، اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٢٠٨ ، المواعظ والاعتبار ص ٢٠ .

فدخل وأعلم أهل القصر بما التمسهُ عَبَّاسٌ من الاجتماع بالخليفة . فقالوا : قل له إنه خرج البارحة ولم يعد . فجاء الخادمُ إليه وأعلمه الخبرَ ؛ فشدَّ عَبَّاسٌ في طلبِ الظَّافرِ ، ودخل إلى القاعاتِ ومعه أكابرُ الخدمِ ، وقال : لا بُدَّ من مولانا . ف قيل له عند ذلك : أنت أعلمُ بحاله .. فأحضر أخويه يوسف وجبريل وقال لهما : أنتما قتلتما مولانا . فأنكرا ذلك وحلَّفا عليه الأيمان المغلظة . وأحضر القاضي وجماعة من الأعيان أهل الفتيا وداعى الدعاة وقال : قد صحَّ عندي أن أخوي الظَّافر قتلاه . فأفتوه بقتلها ؛ فقتلايين يديه وقيل إنه قتل معها أبا البقاء ابن حسن بن الحافظ ، وصارم الدولة ، مُصْلِح ، زمام القصر^(١)

قال : وكان الظَّافرُ من أحسن خلقِ الله وجهًا . وكان مولده يوم الأحد ، النصف من شهر ربيع الآخر^(٢) سنة سبعٍ وعشرين وخمسمائة ؛ فكانت مدة عمره إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً ؛ ومدة ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وخمسة أيام^(٣)

ولده : أبو القاسم عيسى .

وزراؤه : تقدّم ذكرهم .

قضاته : أبو الفضائل يونس ، إلى أن صرفه العادل بن السلار في سنة سبعٍ وأربعين ؛ وولّى أبا المعالي مجلى^(٤) بن نجا المخزومي ، فأقام إلى آخر الدولة .

(١) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٨ ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٦ .

(٢) « في المحرم » كنز الدرر ج ٦ ص ٥٥٧ .

(٣) المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٩ ، أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٦ .

(٤) هو مجلى بن جميع بن نجا ، القرشي المخزومي ، القاضي أبو المعالي ، صاحب الذخائر ،

المتوفى سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م - وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥٤ رقم ٥٥٦ .

ذكر بيعة الفائز بنصر الله

هو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأعداء الله ؛ وهو الثالث عشر من ملوك الدولة العبيدية والعاشر من ملوك الديار المصرية منهم . بُوع له بعد مقتل والده في يوم الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وعمره خمس سنين . وذلك أنه لما قُتل الظافر استدعى عباسُ ابنه أبا القاسم عيسى هذا وحمله على كتفه ، ووقف في القاعة ، وأمر أن تدخل الأمراء ، فدخلوا ؛ فقال : هذا ولدُ مولاكم وقد قتل أبوه وعماه كما ترون ، والواجبُ الطاعةُ لهذا الطفل . فقالوا بأجمعهم : سمعنا وأطعنا ؛ وصاحوا صيحةً عظيمةً زلَّ منها عقلُ الصبي واختل . ثم سيره [٩٥] إلى إمه ولُقب بالفائز ؛ فأقام يُصرع في كلِّ يوم (١) .

وانفرد عباسُ بالوزارة وتبدير الأمور ، ولم يبقَ على يده يد ، وظنَّ أن الأمر استقام له .

ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره

قال المؤرخ : لما قُتل الظافرُ بأعداء الله أكثر أهل القصر النواح عليه ، وشرعوا في إعمال الحيلة على عباس ، ووافق ذلك نفور الأمراء منه لإقْدامه على القتل ؛ فاختلفت الكلمةُ عليه ، وهاجت العساكر . وتفرقت الفرق ، ولبسوا السلاح . فخرج إليهم عباس في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول من السنة ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل جماعة منهم .

(١) « وكان والياً على الأشمونين والبهنسا » في انعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢١٥ .

فأرسلت عمّة الفائز أخت الظافر شعورَ أهل القصر طي الكُتب إلى الأمير طلائع ابن رُزيك ، وهو إذ ذاك متولّى الأعمال السُّيوطية ، وقيل كان متولّى مَنية بنى خَصب^(١) ، وسألوه الانتصارَ لمولاه فجمع العُربان والأجناد ومُقطعى البلاد ، وسار إلى القاهرة ، فوصل إليها في تاسع عشر شهر ربيع الأول من السنة ، وخرج النَّاسُ للقاءه .

فاستشار عبّاس أسامة بن مُنقذ فأشار عليه باللّحاق بالشّام . فدخل إلى القصر وأخذ في [جمع]^(٢) تُحفه وحَمَلُ أمواله ، وسار هو وأسامَة بن مُنقذ إلى الشّام على طريق أيلة . فأرسلت عمّة الفائز إلى الفرنج بعسقلان رُسلًا على البريد تُعلِّمهم الحال وتبذل لهم الأموال في الخروج على عبّاس وأخذ ما معه . فخرجوا إليه وقاتلوه ، فتخادَل عنه أصحابه ، ونهبوا ما معه فأسره الفرنج وحملوه إلى عسقلان ؛ ونجا أسامة إلى دمشق^(٣) .

وقيل إن الفرنج قتلوا عبّاسًا وأسروا ابنه نصرًا ففداه الصّالح بن رُزيك ، وأحضره إلى القاهرة وضرب عنقه .

ذكر وزارة الصّالح أبي الغارات طلائع بن رُزيك

قال المؤرخ : لما توجه عبّاس نحو الشّام وافق ذلك قدوم طلائع بن رُزيك ، فخرج الأمراء والعساكر إليه . فمن الأمراء من شهر سلاحه

(١) مَنية بنى خَصب : هي مدينة المنيا الحالية ، قاعدة محافظة المنيا وتنسب إلى الخَصب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل هارون الرشيد - ألفاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) [إضافة للتوضيح .

(٣) أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٩ . وانظر ما جاء بكنز الدرر ج ٦ ص ٥٦٧ ، وانظر المواظ والاعتبار ص ٢٣ - ٢٧ .

وقَاتَلَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ التَّحَقَّقَ بِهِ ؛ ثُمَّ انْجَلَى الْأَمْرُ بَعْدَ سَاعَةٍ عَنْ دُخُولِ طَلَانِعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَالْعَسَاكِرُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ وَهُوَ لَابَسُ السَّوَادِ ، وَأَعْلَامُهُ سُودٌ كَذَلِكَ حُزْنًا عَلَى الظَّافِرِ ، وَشَعُورُ نِسَاءِ الْقَصْرِ الَّتِي سِيرَتْ إِلَيْهِ عَلَى الرَّمَاحِ (١) .

وَنَزَلَ طَلَانِعَ دَارَ المَأْمُونِ الَّتِي كَانَ بِهَا نَصْرُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَحْضَرَ الخَادِمَ الَّذِي كَانَ مَعَ الظَّافِرِ لَمَّا قُتِلَ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَكَانِهِ ، فَأَخْرَجَ وَغُسِّلَ وَكَفَّنَ ، وَجُمِلَ فِي تَابُوتٍ عَلَى أَعْنَاقِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَسْتَادِينَ ، وَابْنُ رَزِيكٍ يَمْشِي أَمَامَ التَّابُوتِ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى القَصْرِ فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْفَائِزُ وَدُفِنَ فِي تَرْبَتِهِمْ بِالْقَصْرِ وَجَلَسَ الْفَائِزُ فِي بَقِيَّةِ النَّهَارِ ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِ رَزِيكٍ بِالمَوْشِحِ وَالْعَقْدِ ، وَعَلَى وُلْدِهِ وَإِخْوَتِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، وَقُرِئَ سَجْدُهُ (٢) بِالْوِزَارَةِ . وَنِعَتَ بِالمَلِكِ الصَّالِحِ . وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَقَتَلَهُمْ ، فِي ثَالِثِ عِشْرَى شَهْرِ ربيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ تَمِيمٌ (٣) ، مَتَوَلَّى إِخْمِيمَ وَأَسْبُوْتَ ، عَلَى الصَّالِحِ ، وَجَمَعَ جَمْعًا صَالِحًا (٤) ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الصَّالِحَ عَسْكَرًا ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ تَمِيمٌ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبٍ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ انْفَسَخَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَ الصَّالِحِ وَرَزِيكٍ وَالفَرَنْجِ ، فَجَهَّزَ الصَّالِحُ الجُيُوشَ وَالسَّرَايَا إِلَى بِلَادِ الفَرَنْجِ . فَوَصَلَتْ سَرِيَّةٌ إِلَى عَسْقَلَانَ وَغَنِمَتْ وَعَادَتْ سَالِمَةً . وَجَهَّزَ المَرَاكِبَ فِي

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ١٠٩ ، المنتقى من أخبار مصر ص ١٤٩ - ١٥٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) انظر نص هذا السجل في حسن المعاوضة ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢١٤ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٣٧ - ٣٥٠ ، وجاءت مقتطفات منه في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١١ .

(٣) « الأوحى بن تميم » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢٤ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١٢ .

(٤) « جمعا موفورا » في المنتقى من أخبار مصر ١٥٤ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢٤ .

البحر إلى نحو بيروت ، فأوقعت بمراكب الفرنج . وجَهَّز سريةً إلى جهة الشوبك^(١) فعاثوا في تلك النواحي ، وعادوا سالمين بالغنائم والأسرى .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين قبض الصالح ابن رزبك على الأمير ناصر الدولة ياقوت وأولاده واعتقلهم ؛ وسبب ذلك أنه بلغه أنه كاتب أخت الظافر وقصد القيام على الصالح ، وكان والياً عاملاً على الأعمال القوصية ، وهو بالقاهرة . ولم يزل في حبسه إلى أن توفي في شهر رجب سنة ثلاث وخمسين .

وفي سنة أربع وخمسين ثار على الصالح طرخان بن سليط بن ظريف ، متولى الإسكندرية ، وجمع جموعاً من العربان وغيرها ؛ وتقدم بها لحره ؛ فندب الصالح إليه الأمير عز الدين حسام بن فضة بعسكر ، فالتقوا واقتتلوا ، فهزم حسام جيوشه وظفر به ؛ فاعتقله الصالح .

فلما كان في المحرم سنة خمس وخمسين ثار أخوه إسماعيل طلباً لثأره ، وتلقب بالملك الهادي ؛ فندب الصالح [٩٦] إليه الجيوش . فلما هجمت عليه هرب وأتى الجيزة ، واستتر عند بعض العربان . فلما كان في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر هرب طرخان من الاعتقال هو والموكل به ، فقبض عليه في السادس من الشهر وصلب على باب زويلة ، ورُمى بالنشاب ، ثم مسك أخوه إسماعيل وصلب إلى جانبه بعد ضرب عنقه^(٢) .

وفي سنة أربع وخمسين بنى الصالح حصناً من اللبن على مدينة بلبس^(٣) .

(١) الشوبك : قلعة حصينة جنوب البحر الميت ، على الطريق بين مصر والشام - معجم البلدان .

(٢) انظر اتماظ الحنفا ج ٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

(٣) اتماظ الحنفا ج ٣ ص ٢٣٦ .

ذكر وفاة الفائز بنصر الله

كانت وفاته في ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة ؛ وقيل لليلة بقيت منه ؛ وكان مولده في يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم سنة أربع وأربعين ، فكان عمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وأياماً ، ومدّة ولايته ست سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً (١) .

وزرأوه : الأفضل عباس بن يحيى بن تميم ؛ ثم الصالح طلائع بن رزيك .

قضاته : أبو المعالي مجلي بن نجا القرشي المخزومي ؛ ثم صرف في أول وزارة الصالح ، وأعيد أبو الفضائل يونس ؛ ثم صرف بالقاضي المفضل أبي القاسم هبة الله بن كامل .

ذكر بيعة العاضد لدين الله

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف ، بن الحافظ عبد المجيد ، بن محمد ، ابن المستنصر بالله أبي تميم معدّ ، بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي ، بن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور [بن العزيز بالله] (٢) نزار ، بن المعز لدين الله أبي تميم معدّ ، بن المنصور بنصر الله أبي طاهر إسماعيل ، ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ، بن المهديّ عبّيد الله . وهو الرابع عشر من ملوك الدولة العبّيدية ، والحادي عشر من ملوك الديار المصرية

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١٠٩ .

ورود أن مدة ولايته « ست سنين وستة أشهر وسبعة عشر يوماً » في كنز الدرر ج ٦ ص

منهم ؛ وعليه انقرضت دولتهم . بُويعَ له بعد وفاة الفائز بنصر الله في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وكان الملك الصالح طلائع قصد أن يُبايع لِشخص من أقارب العاضد ، فقال له بعض أصحابه لا يَكُنْ عَبَّاسَ أَحْزَمَ مِنْكَ حَيْثُ اخْتَارَ صَغِيرًا وَتَرَكَ مِنْهُ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ ، وَاسْتَبَدَّ هُوَ بِالْأَمْرِ . فَعَدَلَ الصَّالِحُ إِلَى الْعَاضِدِ ، وَبَايَعَ لَهُ وَهُوَ مَرَاهِقُ الْبِلُوغِ ؛ فَكَانَتِ الْخِلَافَةُ لِلْعَاضِدِ اسْمًا وَلِلصَّالِحِ رِسْمًا^(١) .

ويوسفُ أبو العاضد هو أحد الأخوين^(٢) اللذين قَتَلَهَا عَبَّاسٌ بَعْدَ قَتْلِ الظَّافِرِ .

وَفِي سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ تَزَوَّجَ الْعَاضِدُ لِدِينِ اللَّهِ بَابِنَةَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ رُزَيْكٍ ؛ وَكَانَ الْعَاضِدُ تَوَقَّفَ عَنْ زَوَاجِهَا ، فَجَبَرَهُ الصَّالِحُ عَلَى ذَلِكَ وَاعْتَقَلَهُ إِلَى أَنْ تَزَوَّجَهَا ؛ وَقَصَدَ بِذَلِكَ أَنْ يُرَزِّقَ الْعَاضِدُ مِنْهَا وَلَدًا فَتَحْصَلَ الْخِلَافَةُ وَالْمُلْكُ لِبَنِي رُزَيْكٍ ، فَجَاءَ بِخِلَافِ مَا قَصَدَ^(٣) .

(١) « للعاضد رسماً وطلائع حسماً » في أخبار الدول المنقطعة ص ١١١ ، « وكانت خلافته اسماً له ، وجسماً ورسماً للصالح بن رزيك » كنز الدرر ج ٧ ص ١٣ .

(٢) « الأبوين » في الأصل ، والتصحيح يتفق والأحداث السابقة .

(٣) انظر اتعاظ الخنفا ج ٣ ص ٢٤٦ . الكامل ج ١١ ص ٢٥٥ .

ذكر مقتل الملك الصالح طلائع بن رزّيك وقيام ولده الملك العادل رزّيك

كان مقتله في السّابع عشر من شهر رَمَضان سنة ست وخمسين وخمسمائة . وذلك أنّه ركب في هذا اليوم من دار الوزارة إلى القصر ، وجلس على مرتبته على عادته ؛ فلما انقضى المجلس خرج ؛ فبينما هو في دهاليز القصر وثب عليه جماعة فضرّبوه بالسّكاكين عدّة ضربات مهلكة . وكان سبب ذلك أنّه تحكّم في الدّولة لخلوّها من الأمراء وصغر سنّ العاضد ، وكان قد فرّق الأمراء وقتل بعضهم ؛ فبعثت ست القصور عمّة العاضد الأموال إلى بعض الأمراء وأغرّتهم به ، فرتبوا ذلك . قال : ولما ضرب بالسّكاكين ألقى ابن الرّبد نفسه عليه وقاتل دونه ودخل بقيّة الأمراء فخلّصوه فركب وبه بعض رمق . فلما رآته ست القصور وقدر كب أيقنت بالهلاك . قال : ولما استقرّ في منزله أرسل إلى العاضد يعاتبه على ما كان منه ، فحلف وأنكر أن يكون أطلع ^(١) على هذا الأمر قبل وقوعه فأرسل إليه أن يبعث إليه عمّته ست القصور ، فتوقف العاضد عن ذلك ، فأرسل الصّالح إلى [ست] ^(٢) القصور وأخرجها ؛ فلما جاءت إلى منزله أمر [٩٧] بخنقها ، فخنقت بين يديه حتى ماتت . ومات الصّالح في بقيّة ليّلتته .

قال : وكان الصّالح شديد التّشيع متغالياً في مذهب الإمامية ؛ وكان يكره أهل السنّة . وقيل إنّ كان يسبّ الصحابة ، رضى الله عنهم ،

(١) « أن يكون الخلع على هذا » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح يتفق والسياق ، انظر الكامل ج ١١ ص ٢٧٤ .

(٢) [إضافة تتفق والسياق ، وانظر الكامل ج ١١ ص ٢٧٤ .

وغضب على من يتنقّصهم . وكان فيه بُخْلٌ وحَسَدٌ . ومنع في أَيامه من بيع الغلال حتى غَلَّتْ الأسعار . وكان كثير التَطَّلُعِ إلى ما في أيدي الناس ، وصادَرَجَ جماعة ليس لهم تعلقٌ بالدولة وأفنى الأمراء قتلاً واعتقالاً . وهو أول من خُوِطِبَ بالملك في الديار المصْرِيَّة (١) .

وقال ابن الحباب في سيرته : إنه من وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأيهم الغساني الذي ارتدَّ عن الإسلام في خلافة عُمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال المؤرخ : وكان والدُ الصَّالِح يُسمى أسد رُزَيْك ، قَدِمَ مع أمير الجيوش بدر الجمالي .

قال : وكان الصَّالِح مع ذلك حازماً ضابطاً لأُمور دولته شاعراً أديباً . قال القاضي الأَرشدُ عُمارة اليسني (٢) : دَخَلْتُ على الصَّالِح قبل وفاته بليلتين فنَّاولني رُقْعَةً وَقَالَ : قَدْ عَمِلْتَ هذين البيتين في هذه السَّاعة ؛ فإذا فيها :

نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلَمَّوْا
تِ عِيُونَ يَقْظَانَةٌ لَا تَتَّامِ
قَدْ رَحَلْنَا إِلَى الْجَمَامِ سَنِينَا
لَيْتَ شِعْرِي ! مَتَى يَكُونُ الْجَمَامُ !!

(١) يذكر المقرئ أن « أول من لقب بالملك منهم مضافاً إلى بقية الألقاب رضوان بن ولحشى عندما وزر للحافظ لدين الله ، فقيل له السيد الأجل الملك الأفضل ، وذلك في سنة ثلاثين وخمسائة » - المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٤٠ ، ثم أكد ذلك في اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ١٦١ ، ثم عاد المقرئ وذكر في حديثه عن الصالح طلائع بن رزيك « وهو أول من خوطب بالملك في ديار مصر ونعت به » اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢١٨ ، ٢٥١ .

ولم يرد في السجل الخاص برضوان بن ولحشى لقب ملك - انظر صبح الأعشى جـ ٨ ص ٣٤٢ - ٣٤٦ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٢٦ - ٣٣٣ .

(٢) هو أبو الحسن نجم الدين عمارة اليمني ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . وضاحب كتاب النكت المصرية ص ٤٨ - ٤٩ .

فقلت : هما صَالِحَان ، وَقَمْت ، فكان آخر عهدي به ^(١) .

قال المؤرخ : وكان الصَّالِح يَقَطِّع اللَّيْلَ أَثْلَاثًا : فَالثَّلَاثُ الْأَوَّلُ مَعَ
أَمْرَاءِ دَوْلَتِهِ وَوَجُوهِهَا ؛ وَالثَّلَاثُ الثَّانِي مَعَ جُلَسَائِهِ وَنُدَمَائِهِ وَشِعْرَائِهِ ؛
وَالثَّلَاثُ الثَّلَاثُ مَعَ خَوَاصِّ نَسَائِهِ . فَكَانَ يُسَمَّى : أَبُو الْعَمْرِينَ قَالُوا :
وَكَذَلِكَ كَانَ أَمِيرَ الْجَيْشِ بَدْرَ الْجَمَالِيِّ :
وَمِنْ شِعْرِ الصَّالِحِ قَوْلُهُ :

يَا مَرِيضَ الْقَلْبِ بِالذَّنِّ ب ، متى بِالْعَفْوِ تَبْرًا
كُلَّمَا جَدَّدْتَ يَوْمًا تَوْبَةً ضَيَّعْتَ أُخْرَى
تَشْتَهَى الْأَجْرَ وَلَا تَفْ عَمَلٌ مَا يُكْسِبُ أَجْرًا
أَتَسْرَى بَعْدَ ذَهَابِ الْ عُمَرِ تَسْتَأْنِفُ عُمَرَا

وقوله :

يَا مَا شِئًا فَوْقَ الثَّرَى رِفْقًا ، فَسَوْفَ تَصِيرُ تَحْتَهُ
إِنْ قُلْتَ إِنِّي أَعْرِفُ الْ مَوْلَى الْقَدِيرِ ، فَمَا عَرَفْتَهُ
إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ لِلْمَخَا فَةِ وَالرَّجَاءِ ، فَمَا عَبَدْتَهُ ^(٢)

وَالصَّالِحُ هُوَ الَّذِي بَنَى الْجَامِعَ ^(٣) خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ الْمَعْرُوفِ بِهِ .
وَكَانَ يَقُولُ : نَدِمْتُ عَلَى ثَلَاثَةٍ : أَحَدُهَا أَنِّي بَنَيْتُ الْجَامِعَ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ
وَجَعَلْتُهُ عَوْنًا عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ فَيَضُرُّهَا وَقَتِ الْحَصَارِ ؛ وَالْأُخْرَى تَوَلَّيْتِي
شَاوَرُ أَعْمَالِ الصَّعِيدِ ، وَاللَّهِ لَا كَانَ خَرَابُ دَوْلَةِ بَنِي رُزَيْكٍ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ ؛

(١) النكت المصرية ص ٤٨ - ٤٩ ، انماظ الحنفا ج ٣ ص ٢٥٢ ، الكامل ج ١١ ص ٢٧٦ .

(٢) انظر النكت المصرية ص ٤٨ .

(٣) عن جامع الصالح : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٣ .

وَالثَّالِثَةُ أَنِّي أَنْفَقْتُ فِي الْعَسَاكِرِ مَائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ لِأَجْلِ فَتْحِ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ فَتَأَخَّرْتُ عَنْ ذَلِكَ ^(١).

قال : ولما توفى دُفِنَ بَدَارِ الْوِزَارَةِ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى تَرْبَتِهِ الَّتِي بِقَرَأَةِ

مصر .

قال : ولما حضرته الوفاة أَحْضَرَ وَلَدَهُ رُزَيْكَ وَأَوْصَاهُ بِوَصَايَا كَثِيرَةٍ ،
مِنْ جُمْلَتِهَا أَنَّهُ لَا يَعْزَلُ شَاوِرَ وَلَا يَغْيِرُ عَلَيْهِ مُغْيِرًا .

قال : وورثاه الشعراء بقصائد كثيرة ، فيها ما قاله القاضي الأرشد

عمارة اليمنى :

أَفَى أَهْلَ ذَا النَّادَى عَلِيمٌ أَسَائِلُهُ فَإِنِّي لِمَا بِي ، ذَاهِبُ الْعَقْلِ ذَاهِلُهُ ^(٢)

سَمِعْتُ حَدِيثًا أَحْسَدُ إِلِصَّمُ عِنْدَهُ وَيُذْهِلُ وَاعِيَهُ ، وَيَخْرُسُ قَائِلُهُ

ومنها :

وَقَدْ رَابَنِي مِنْ شَاهِدِ الْحَالِ أَنِّي أَرَى الدُّسْتِ مَنْصُوبًا وَمَا فِيهِ كَافِلُهُ

وَأَنِّي أَرَى فَوْقَ الْوُجُوهِ كَانَهُ تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّ النَّفُوسَ ثَوَاكِلُهُ

دَعُونِي . فَمَا هَذَا أَوْانُ بُكَانِهِ ^(٣) سِيَّاتِيكُمْ طَلَّ الْبُكَاءِ وَوَابِلُهُ

وهي قصيدة طويلة أتى فيها بكل عجيب

قال : وَلَمَّا مَاتَ الصَّالِحُ خَرَجَتْ الْخَلْعُ مِنَ الْقَصْرِ لَوْلِيدِهِ ، وَتَلَقَّبَ

بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ مَجْدِ الْإِسْلَامِ ^(٤)

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٢ .

(٢) « ذاهب اللب ذاهله » في الروضتين ج ١ ص ٣١٣ ، النكت العصرية ص ٥٠ ، كنز الدرر

ج ٧ ص ١٨ .

(٣) « فما هذا وقت بكائه » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٤) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٢ .

[٩٨] ذكر ظهور حسين بن نزار وقتله

وفي شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسائة ورد حسين بن نزار، بن المستنصر بالله ابن الظاهر لإعزاز دين الله من بلاد المغرب، وقد جمع جمعاً عظيماً وتلقب بالمنتصر بالله؛ فخرج إليه الأمير عز الدين حسام بن فضة ابن رزيك على صورة الانضمام إليه واللحاق به. فلما صار عنده في خيمته غدر به وقتله، وحمل رأسه إلى العاضد لدين الله.

وفيهما بنى الأمير أبو الأشبال ضرغام البرج المعروف به بئر الإسكندرية.

ذكر انقراض دولة بني رزيك

قد ذكرنا أن الملك الصالح بن رزيك، والد العادل، لما حضرته الوفاة أوصى ابنه العادل بوصايا كثيرة منها أنه لا يعزل شاور من عمله ولا يحركه؛ وحذره من ذلك فلما كان في سنة سبع وخمسين اجتمع أقارب العادل وحسنوا له عزل شاور عن ولاية الصعيد، فذكرهم بوصية أبيه، فأصروا على عزله، وكان أشدهم في ذلك الأمير عز الدين حسام ابن فضة، فألزم العادل إلى أن كتب كتاباً يستدعي فيه شاور ويأمره بالحضور إلى القاهرة فكتب إليه شاور يستعطفه ويظهر الطاعة والإذلال لسابق الخدمة لأبيه، ومناصحته في القيام بأمر الدولة، ثم قال فيه إن كان القصد أن يلي الأعمال أحدكم فليُرسل السلطان من يتسلمها غير عز الدين حسام؛ وإن كان غيركم من الأمراء فأنا أحق به من سواكم؛ وقد سمعتم وصية أبيكم الصالح في حقي وما كرره عليكم في أمري

وإقرار أعمال الصَّعيد في يدي . وأرسل الكتاب إلى العادل ، فوقَّف عليه ، وأوقف عليه أقاربه وأهله . فقالوا : إن أَبْقَيْتَهُ طَمَعٌ فِي الْبِلَادِ وَلَا يَحْمِلُ إِلَيْكَ مَالًا . فقال العادل لهم : المصلحةُ تركُهُ . فصمَّوا على عزله .

فأحضر العادلُ نصير الدين شيخ الدولة ، وهو من أقاربه ، وخالع عليه وولاه الأعمال القوصية ، وكتب على يده إلى شاور بتسليم الأعمال إليه ووصوله إلى القاهرة . وتوجَّه نصير الدين . فلما وصل إلى إخميم أقام بها وأرسل الكتاب إلى شاور طيُّ كتابه ؛ فلما وقف شاور على الكتاب أرسل إلى نصير الدين رسولا من جهته برسالة يقول له : إن بيني وبينك صُحبة ولا تغترَّ بقول حُسام ، وارجع من حيث أتيت فهو خير لك . فرجع نصير الدين إلى القاهرة ولم يُعاوذه .

وأظهر شاور العصيان على الدولة ، وأحضر جماعة من العُربان من بنى شيبان وغيرهم ، وتوجَّه من الأعمال القوصية ، وجعل طريقه على الواحات ، وخرج منها إلى تروجة ، وحشد العُربان وأنفق فيهم الأموال ؛ فوافقوه وانطاعوا له ؛ فسار بهم نحو القاهرة . فندب العادل لحرِّبه سيف الدين حُسَيْنًا ، صهره ، ومعه جماعة من الأمراء . فرأسلهم شاور واستمالهم ، وبذل لهم الأموال الجمة ، فمالوا إليه فلما التقوا انحازوا إلى جماعته وفارقوا مُقدِّمهم ، فأنهزم حُسَيْن واستجار بظريف ابن مكنون أمير جذام فأجاره ، وحمله في البحر ؛ فمضى إلى مدينة الرسول ﷺ فمات هناك فندب إليه العادل عز الدين حُسامًا ، فأنهزم منه أيضا .

فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الْعَادِلُ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَتَوَجَّهَ إِلَى إِطْفِيحٍ ، وَاسْتَصْحَبَ أَهْلَهُ وَذَخَائِرَهُ . وَاسْتَجَارَ بِسُلَيْمَانَ بْنِ الْفَيْضِ اللَّخْمِيِّ ، وَكَانَ مِنْ

أصحاب أبيه الصالح ، فأنزله عنده ؛ ومضى مِنْ وقته إلى شاور وأخبره بخبر العادل ، فندب إليه جماعة فأخذوه أسيراً هو ومن معه ، ونهب أصحاب ابن الفيض ما كان معه . وحُمل إلى شاور فوصل إليه في ليلة الجمعة لثلاثِ بَقيِن من المحرم سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة فأمر شاور باعتقاله ؛ وقال لسليمان بن الفيض : لقد خبأك الصالح ذخيرة لولده حين استجار بك فأسلمته لى ، وأنا أخبتك ذخيرة لولدى . ثم أمر به فشُق . وسُميت فرقة ابن الفيض غمازة من ذلك اليوم ، فهي تعرف الآن بهذا الاسم . فكانت أيام العادل سنة واحدة وثلاثة أشهر وأياماً . وجميع دولة بنى رزّيك تسع سنين تقريباً .

[٩٩] ذكر وزارة شاور الأولى وخروجه منها

كانت وزارته في يوم الأحد لثمانٍ بَقيِن من المحرم سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة . وذلك أنه لما انهزمت جيوش العادل بن رزّيك وهرب هو إلى إطفيح خلت القاهرة منهم ؛ فدخلها شاور ، وحضر بين يدي الخليفة العاضد لدين الله ، فخلع عليه خلع الوزارة ، وسلطنه ، ولقبه بأمير الجيوش . وأطلق شاور لأهل القصور الإطلاقات الكثيرة ، وزادهم على مقرراتهم في أيام بنى رزّيك واستدعى أموال بنى رزّيك وودائعهم . وبسط العدل أياماً ، ثم شرع في ظلم الناس ؛ وبسط يده وبد أولاده في الدولة ؛ وقطع أرزاق الأمراء والجند واستخف بهم وبالعاضد . وعتا ولده الكامل وتجبر ، ولبس رداء الكبير ، وبذخ في الأموال ، وصرفها في غير وجوه مصارفها ^(١) .

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٥٩ ، الكامل ج ١١ ص ٢٩١ ، كنز الدرر ج ٧ ص ٢٥ .

وسَاءَتْ سِيرَتُهُ فِي الْأُمْرَاءِ فَأَجْمَعُوا عَلَى إِخْرَاجِ الْعَادِلِ مِنَ الْأَعْتِقَالِ وَنَصَبِهِ فِي الْوِزَارَةِ . فَأَتَصَلَ ذَلِكَ بِالْكَامِلِ بْنِ شَاوَرَ ؛ فَأَشَارَ عَلَى أَبِيهِ بِقَتْلِ الْعَادِلِ . فَأَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّهُ أَوْلَانِي خَيْرًا فَلَا أَقْتُلُهُ ، فَقَتَلَهُ الْكَامِلُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ أَبِيهِ . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى شَاوَرَ وَعَلَى الْأُمْرَاءِ ، وَغَضِبَ الْأُمْرَاءُ لِقَتْلِ الْعَادِلِ ، وَخَرَجُوا عَنْ شَاوَرَ ، وَافْتَرَقُوا عَلَى فِرْقَتَيْنِ : فَكَانَ الضَّرْغَامُ وَإِخْوَتُهُ وَأَهْلُهُ فِرْقَةً ، وَالظَّهْمِيرُ عَزَّ الدِّينَ مَرْتَفِعًا وَعَيْنَ الزَّمَانِ وَابْنُ الزُّبَيْدِ فِرْقَةً .

وَكَانَ الضَّرْغَامُ وَمَنْ مَعَهُ أَظْهَرَ الْفِرْقَتَيْنِ . فَخَرَجَ عَلَى شَاوَرَ وَحَارَبَهُ ، فَجَمَعَ شَاوَرَ أَمْوَالَهُ وَذَخَائِرَهُ وَغِلْمَانَهُ ، وَخَرَجَ لَيْلًا مِنَ الْقَاهِرَةِ ، فَرَكِبَ الضَّرْغَامُ فِي إِثْرِهِ فَلَحِقَهُ عِنْدَ بَابِ النَّصْرِ ؛ فَقَاتَلَهُ طِيُّ بْنُ شَاوَرَ ، فَقُتِلَ طِيُّ ، وَأَسْرَ أَخُوهُ الْكَامِلُ ؛ وَمَضَى شَاوَرَ إِلَى الشَّامِ . وَذَلِكَ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، لِثَلَاثِ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ . فَكَانَتْ وَزَارَتُهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ^(١) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ وَزَارَةِ الضَّرْغَامِ بْنِ سَوَارٍ

قَالَ : وَلَمَّا تَوَجَّهَ شَاوَرَ إِلَى الشَّامِ عَادَ الضَّرْغَامُ إِلَى الْقَصْرِ وَأَرْسَلَ إِلَى الْعَاضِدِ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ شَاوَرَ ، وَمَضَى إِلَى دَارِهِ بِقِيَّةِ لَيْلَتِهِ . وَجَاءَ إِلَى الْقُصُورِ مِنْ بُكْرَةِ النَّهَارِ ، فَاسْتَدْعَاهُ الْعَاضِدُ لِدِينِ اللَّهِ ، وَوَلَاهُ الْوِزَارَةَ ، وَلَقَّبَهُ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَاسْتَحْلَفَ لَهُ الْأُمْرَاءَ .

(١) « فكانت وزارته تسعة أشهر » تعاضد الحنفيا ج ٣ ص ٢٦١ .

وأرسل علم المُلْك بن النحاس إلى الملك العادل نُور الدِّين محمود بن زَنْكى ، صاحب الشَّام ، يقبض على شاور . فأظهر نور الدِّين الإجابة لذلك ، وباطنه بخلاف ظاهره ^(١) .

قال : ولما ولي الضَّرغام الوزارة خرج عليه الأمير على بن الخوَّاص ، فظفر به الضَّرغام ، فأشهروه بالقاهرة ، وصلبه . وأحضر جماعة من الأمراء إلى داره لدعوة عملها ، فلما حضروا إليه قبض عليهم وقتلهم ^(٢) .

ذكر قدوم شاور من الشَّام وعوده إلى الوزارة ثانيًا وقتل الضَّرغام

كان قدومه في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة . وذلك أنه لما توجه إلى دمشق اجتمع بالملك العادل نور الدِّين محمود بن زَنْكى ، وحسن له أن يجهز معه جيشًا يفتح به مصر ؛ ووصفها له ورغبه فيها ، والتزم أنه يحمل خزائنها ^(٣) إليه يستعين بها على قتال الفرنج . فمال إليه ، وجهز معه أسد الدِّين شيركوه بعساكر . فلما قاربوا مصر ندب إليهم الضَّرغام عسكريًا وقدم عليه أخاه ناصر المسلمين ، فلقبهم على بلبس ، فانهزم العسكر المصري وعاد إلى القاهرة .

(١) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٦٣ .

(٢) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٦٣ .

(٣) « ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٦٤ ، وانظر أيضًا

الروضتين ج ١ ص ٣٣٢ .

وسار شاوّر والعساكر الشامية، فنزل بظاهر القاهرة في آخر الشهر، واجتمع معه خلق كثير من العربان. فعلم الضرغام أنه لا قبيل له بما دهمه؛ فركب إلى القصر، وطاف به، وجعل ينادى العاضد، وهو يخاف أن ينزل إليه. فأرسل إليه العاضد يقول: أنج بنفسك. فخرج من القاهرة يريد مصر، ودخل شاوّر وشيركوه إلى القاهرة، وندب جماعة في إثر الضرغام فأدركوه عند مشهد السيدة نفيسة، فقتلوه هناك في يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة. وطيف برأسه القاهرة [١٠٠] على رُمح، وبقيت جثته مُلقاةً بين الآكام ثلاثة أيام حتى أكلتها الكلاب. ودُفن ما بقي منه عند بركة الفيل، وعُمل عليه قبة، فكانت مدة ملك الضرغام تسعة أشهر^(١).

وكان فارسًا بطلاً، كريماً، عاقلاً، أديباً، يحب العلماء ويقربهم؛ وله مجلس يجتمع فيه أهل العلم والأدب دون غيرهم. وكان حسن الخط. يُقال إنه كان يحاكي ابن البواب^(٢) في خطه.

قال: ودخل شاوّر إلى العاضد لدين الله في مُستهل شهر رجب، فعاتبه على ما كان منه في إحضار العسكر الشامي، وحذره عاقبة ذلك؛ فهو عده أنه يصرفهم إلى بلادهم، فقبل ذلك منه، وخلع عليه خلع الوزارة.

(١) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٧٢، كنز الدرر ج ٧ ص ٢٦، أخبار الدول المنقطعة ص ١١٤.

(٢) هو علي بن هلال، صاحب الخط الجميل المنسوب، وعرف بابن البواب لأن أباه كان بواباً عند بني بويه - وتوفي ابن البواب سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٤٢ رقم ٤٥٧.

« ويكتب كتابه ابن مقله » في اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٧١.
وهو محمد بن علي بن الحسين بن مقله، الكاتب المشهور، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م - وفيات الأعيان ج ٥ ص ١١٣ رقم ٦٩٨.

ذكر غدر شاور بشيركوه

قال : ولما انتصب شاور في الوزارة وتم له ما أراد ، أخذ في التدبير على العسكر الشامي ، وحلف الأمراء ، وتحاذل عن شيركوه ؛ وصار يخرج إليه بوجه عليه آثار الغضب . ففهم أسد الدين شيركوه عنه ، وعلم شاور أنه لا يقبل له بشيركوه ، فاستعان بالفرنج ^(١) واستدعاهم من الساحل لنصرته ، ووعدهم بالأموال . واتصل ذلك بأسد الدين فحاصر القاهرة .

واتصل خبر شاور بالملك العادل نور الدين ، فكتب إلى أسد الدين وأعلمه بما بلغه من مباطنة الفرنج ، وأمره بالخروج عن الديار المصرية . فأبى ذلك وتوجه إلى بلبليس ، واحتوى على بلاد الحوف ، وجعل مدينة بلبليس ظهره . فاجتمعت العساكر المصرية ومن أتاهم من الفرنج ، ونازلوا أسد الدين ، وحصروه ببلبليس ثلاثة أشهر ، وهو ممتنع بها لم يبرز إليهم ، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر على الفرنج أن نور الدين ملك حارم ^(٢) وسار إلى بانياس ، فرأسلوا شيركوه يسألونه الصلح ؛ فأجابهم إلى ذلك ؛ وخرج من مدينة بلبليس ^(٣) ، فلما صار بظاهرها أشار شاور على تلك الفرنج بمهاجمته وقبضه فامتنع مرى ^(٤) ، ملك الفرنج ، وأبى إلا الوفاء بيمينه لشيركوه .

وسار أسد الدين إلى الشام ، وعاد شاور إلى القاهرة ، ومعه طائفة من الفرنج يتقوى بهم . وكان قد بذل لهم على نصرته أربعمائة ألف دينار ، ويهادنهم خمس سنين .

(١) المقصود بالملك عموري الأول Amalric I ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٦٢ -

١١٧٤ م ٥٥٧ - ٥٦٩ هـ الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٨٤ .

(٢) حارم : حصن تجاه مدينة أنطاكية - معجم البلدان .

(٣) « في أول ذي الحجة » - اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٤) المقصود عموري الأول - أمريك الأول .

وكان دخول شاور إلى القاهرة لست مضين من ذى الحجة من السنة ؛ واستمر بمصر من غير منازع ، إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ذكر عود أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية بالعساكر الشامية وانفصاله

قال المؤرخ : لما انفصل أسد الدين شيركوه عن الديار المصرية في سنة تسع وخمسين ، بقي عنده منها أمر عظيم . وكان إذا خلا بنور الدين الشهيد يرغبه فيها . فجهزه بالعساكر والحشود ، فسار من الشام في شهر ربيع الأول سنة اثنين وستين وخمسمائة ، فاتصل ذلك بشاور ، فرأسل الفرنج وانتصر بهم . فخرج الفرنج ووقفوا على الطريق التي يسلكها شيركوه إلى الديار المصرية ، فعدل شيركوه عن تلك الطريق وجعلها عن يمينه ، وسار حتى نزل إطفيح ، في سادس شهر ربيع الآخر . وعبر النيل إلى الجانب الغربي ، ونزل الجيزة ، وأقام عليها إلى العشرين من جمادى الأولى . واستولى على الغربية وغيرها . فأرسل شاور إلى الفرنج يستحثهم ، فأتوه على الصعب والذلول ، وقد طمعوا في ملك الديار المصرية (١) .

فلما تكاملوا بالقاهرة توجه أسد الدين شيركوه نحو الصعيد ، وسار شاور والفرنج في آثارهم . فجمع أسد الدين الأمراء واستشارهم [في] (٢)

العُبور إلى الجانب الشرقي والعود إلى الشام ، فوافقوه على ذلك ؛ فنهض

(١) اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٨٢ ، الروضتين ج ١ ص ٣٦٤ ، الكامل ج ١١ ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح .

شرف الدين بُزغش ، أحد الأمراء المماليك النورية ، وكان شجاعاً مقداماً ، وأنكر ذلك كل الإنكار ، وامتنع من الموافقة ، وقال : مَنْ خاف من الأسر أو القتل فلا يخدم الملوك^(١) ويأكل رزقهم ، ويكون في بيته عند امرأته . وقال : والله لا نزال نقاتل إلى أن نُقتل عن آخرنا أو ننتصر . فوافقهُ أسدُ الدين ، وجمعَ عسكره ورتبهم ، وجعلَ أُنقاله في القلب ليكثر بها السواد ولئلا ينهبها أهل البلاد .

فبينما هم في التثبيت إذا بشاور والفرنج قد أقبلوا ، ورتبهم واقتتلوا ، فكانت الهزيمة على شاور والفرنج^(٢) وتوالت عليهم الحملات من العسكر الشامي ، فتمادت بهم الهزيمة إلى الجيزة ، وشيركوه في آثارهم . وقُتل منهم خلقٌ وغرق كثيرٌ منهم . وأسر أسدُ الدين [١٠١] صاحب قيسارية^(٣) .

ودخل شاور والفرنج إلى القاهرة ، ومَلَكَ أسدُ الدين البرُّ الغربي بكماله ؛ وقصد الإسكندرية ليحاصرها . فلما قُرب منها خرج إليه أهلها وسلموها إليه من غير ممانعة ؛ وكان والي الثغريوم ذاك نجم الدين بن مصال . فدخل شيركوه البلد ، وأقام بها أياماً قلانل ، واستتاب بها صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، وتركه بها ومعه ألف فارس . وتوجه هو إلى الصعيد فاستولى عليه ، واستخرج أمواله ؛ وصام شهر رمضان بمدينة قوص .

هذا وشاور يتجهز للخروج ويرتب أحواله وأحوال الفرنج ويرم ماتلف لهم . فلما تكامل ما يحتاج إليه قصد الإسكندرية ، فأخرج أهلها

(١) « الكرك » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الروضين جـ ١ ص ٣٦٥ .

(٢) « وكانت هذه الواقعة في موضع يعرف بالباين بالقرب من الأشمونين ، في يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة » — اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) هو هيو Hugues — أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ .

الأموال وأنفقوها ، واستعدوا للحصار ؛ فكان في جُملة ما أخرجوه للحصار أربعة وعشرون ألف قوس زُنْبُورِك وما يناسب ذلك من الآلات .

وسارَ شاور ومُرَى ملك الفرنج ، فنازلوا الإسكندرية . فلما رأوا شدة أهلها واجتماعهم على الحصار ، تقدّم شاور إليهم وقال : سلّموا إلى صلاح الدين ومن معه وأضع عنكم المكوس ، وأعطيكم الأتماس . فامتنعوا وقالوا : معاذ الله أن نسلم المسلمين إلى الفرنج والإسماعيلية . فعند ذلك وقع الحصار واشتدّ على أهل الإسكندرية إلى أن قلت الأوقات .

وبلغ ذلك أسد الدين فسار من الصعيد وجدّ في السير إلى الإسكندرية ، وكان شاور قد أفسد التركمان الذين مع أسد الدين فصاروا معه ؛ واجتمع لشيركوه طائفة كبيرة من العُربان ، فلما علم شاور بقربه خافه ورأسله في طلب الصلح ، وبذل له خمسين ألف دينار ، سوى ما أخذه من خراج البلاد ، على أن يُضارِق الديار المصرية . فأجاب أسد الدين إلى ذلك^(١) ، وشرط عليهم أن يرجع هو إلى الشام ويرجع الفرنج إلى بلادهم . فاستقرت هذه القاعدة ، وحلف الفرنج عليها .

ففتحت الإسكندرية عند ذلك ، وخرج صلاح الدين يوسف إلى مرَى ملك الفرنج وجلس إلى جانبه . فدخل شاور عليها ، فقال لمرَى : سلّمهُ إلى وأعطيك في كل سنة خمسين ألف دينار . فقال مرَى : نحن إذا حلفنا

(١) « وأرسل شيركوه إلى صلاح الدين يأمره بتقرير الصلح ، ورحل عن مصر إلى الشام » في

اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٨٥ .

كما ورد « فصالحوا الملك الناصر على أن يسلم إليهم أسد الدين صاحب قيسارية » في أخبار

الدول المنقطعة ص ١١٥ .

وهذا يدل على أن الصلح تم أولاً مع صلاح الدين في الإسكندرية .

لا نَغْدِيرُ؛ وَوَبَّخَهُ . وَكَانَ أَسَدُ الدِّينِ قَدْ شَرَطَ عَلَى شَاوَرٍ أَنْ الْفَرَنْجَ يَرْحَلُونَ وَلَا يَلْتَمِسُونَ مِنَ الْبِلَادِ دِرْهَمًا وَلَا ضَيْعَةً وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ .

قال : وَأَرْجَحُ أَسَدُ الدِّينِ ، وَدَخَلَ مِصْرَ بِرِضَاءِ أَهْلِهَا ، وَسَارَ إِلَى بَلْبِيسَ . وَأُرْسِلَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَوْسُفَ أَنْ يَتَوَجَّهَ فِي الْمَرَاكِبِ إِلَى عَمَّا ، هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَمَا مَعَهُ مِنَ الْأَنْتِقَالِ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَرَكِبَ مِنْ عَمَّا إِلَى دِمَشْقَ .

هكذا حكى ابنُ جَلْبِ رَاغِبٌ فِي تَارِيخِهِ . قَالَ : وَأَرْجَحُ أَسَدُ الدِّينِ مِنْ بَلْبِيسَ فِي نِصْفِ شَوَّالٍ ، وَدَخَلَ شَاوَرٌ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَدَخَلَهَا فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَتَلَقَّاهُ الْعَاظِدُ لِدِينِ اللَّهِ .

وَأَمَّا الْفَرَنْجُ ، فَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَاوَرٍ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شِخْنَةٌ ^(١) بِالْقَاهِرَةِ وَتَكُونَ أَبْوَابُهَا بِيَدِ فَرَسَانِهِمْ ، وَيَكُونَ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةٌ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةَ خَرَجَ بِمِحْبَى بْنِ الْخِيَاطِ عَلَى شَاوَرٍ وَطَلَّبَ الْوِزَارَةَ ؛ فَتَدَبَّ شَاوَرٌ عَسْكَرًا لِحَرْبِهِ ، فَانْهَزَمَ وَمَضَى إِلَى بِلَادِ الْفَرَنْجِ ^(٢) .

(١) شِخْنَةٌ : مُصْطَلَحٌ يَقْصَدُ بِهِ مَا يُوضَعُ فِي الْبِلَادِ مِنْ رِجَالِ الْأَمْنِ لِمُضَبَّطِهَا وَحَايَتِهَا — الْقَامُوسُ .

(٢) 'تعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٩٠

ذكر وصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر

قال المؤرخ : وفي سنة أربع وستين وخمسمائة عادَ الفرنج إلى القاهرة . وذلك أنهم لما توجهوا في سنة اثنتين وستين رتبوا في القاهرة جماعة من أبطالهم وشجعانهم وفرسانهم ليحموها من عسكر يأتي إليها من الشام ؛ فلما رأوا خلوا مصر من الأجناد راسلوا ملكهم مرى واستدعوه ، وكان من الشجاعة والمكر على أمر عظيم . فامتنع وقال : الرأي ألا نقصدها فإنها طعمة لنا ، وأموالها تحمل إلينا نتقوى بها على قتال نور الدين ؛ وإن قصدناها حمل أصحابها الخوف على تسليمها لنور الدين ، وإن أخذها وجعل فيها مثل أسد الدين شيركوه فهو هلاك الفرنج وخروجهم من الشام . فلم يقبلوا رأيه ، وقالوا : ما يصل عسكر نور الدين إلينا إلا وقد ملكناها . وغلبوا على رأيه .

فتجهز الفرنج وساروا حتى وصلوا إلى مدينة بلبيس ونازلوها ؛ فوقع الإرجاف بمصر ؛ وشرع شاور في إنشاء حصن على مصر واستعمل فيه الناس ، فلم يبق أحد إلا وعمل فيه ؛ وحفر خندقا . وملك الفرنج بلبيس عنوة وسبوا وقتلوا خلقا كثيرا^(١) . وكان معهم بعض الأمراء المصريين ممن هرب من شاور ، منهم يحيى بن الخياط .

ثم ساروا [١٠٢] إلى القاهرة وأحاطوا بها ، وذلك في العاشر من صفر ، فخاف أهلها إن أهملوا القتال أن يحل بهم ما حل بلهل بلبيس ، فجدوا في القتال والاحتراس .

(١) أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ ، اتعاظ المنفا ج ٣ ص ٢٩٣ .

قال : ولما قُرب الفرنج من القاهرة أمر شاوَر بنهب مصر وإحراقها ، فأحرقت في تاسعِ صفر ، ونهبت ؛ وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة ، فانتقل بعضهم ، وتحصن البعض بالجزيرة ، وتوجه آخرون في المراكب إلى ثغرى الإسكندرية ودمياط ، وطائفة إلى الوجه القبلي ؛ وتفرقوا وذهبت أموالهم . كل ذلك قبل نزول الفرنج على القاهرة بيوم .

قال : وبقيت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ؛ إلى حادى عشر شهر ربيع الآخر .

قال : ولما علم العاضدُ لدين الله عجزَ أهل القاهرة عن مقاومة الفرنج أرسل إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى يستغيث به ، وسير إليه شعورَ نسائه في طيِّ الكتب .

وقيل إن شاوَرًا أرسل إلى نور الدين أيضًا .

وأرسل شاوَر إلى مرى ملك الفرنج يُذكره بسابق الصعبة والعُهود القديمة ، وقرّر أن يحمل إليه ألف ألف دينار ؛ فأجاب مرى إلى ذلك وقال لأصحابه : نأخذ المال ونتقوى به ونمضى ثم نرجع فلا نبالي بعد ذلك بنور الدين . فاستوثق شاوَر منه بالأيمان وعجل له مائة ألف دينار ، ومأطله بالبقية ؛ وشرع يجمع له من أهل القاهرة المال ، فلم يحصل له من جهتهم غير خمسة آلاف دينار ليضعفهم .

هذا والرسل تتابع إلى الملك العادل ويستغيثون به . وقرّر له ثلث الديار المصرية .

قال : ولما وصلت الكتب إليه طلب أسد الدين شيركوه من حصص ، فسار منها إلى حلب في ليلة واحدة ، فجهزه نور الدين وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والسلاح وغير ذلك . فاختار أسد الدين من العسكر ألفى فارس من الأقوياء ، وستة آلاف من بقية العسكر . وأنفق نور

الدين لكل فارس عشرين ديناراً . ثم سار شيركوه ، فكان خروجه من دمشق في منتصف شهر ربيع الأول ؛ وأزده نور الدين بجماعة من الأمراء ، منهم مملوكه عز الدين جرديك ، وشرف الدين بزهش وعين الدولة الياروقى ، وناصر الدين خمارتكين ، وقطب الدين ينال بن حسان المنبجى ، وغيرهم ^(١) . والله أعلم .

ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ورحيل الفرنج عنها

قال : وقدم أسد الدين شيركوه بالعساكر ، فكان وصوله إلى مصر في يوم الثلاثاء لليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة . ولما بلغ الفرنج قربه عادوا عن القاهرة إلى بلادهم ، وكان رجوعهم في يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر ، ومعهم من الأسرى اثنا عشر ألف نفس . ودخل أسد الدين القاهرة في سابع شهر ربيع الآخر ، وخرج إليه العاضد لدين الله وتلقاه . وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان وجلس إلى جانب العاضد ، وخلع عليه ؛ وفرح الناس بقدومه . وعاد أهل مصر إليها ، وشرعوا في إطفاء النيران وإصلاح ما تشعث . وكانت سقوف جامع عمرو بن العاص بمصر قد احترقت فجدده الملك الناصر صلاح الدين يوسف .

قال : وأمر العاضد أسد الدين بالنزول على شاطئ النيل بالمقس ، ورتب له شاورولمن معه الإقامة الوافرة ، وأظهر له ودا كثيرا ، وصار يتردد إليه في كل يوم . فطلب أسد الدين من شاور ما لا ينفقه في عسكره ، فمطله

(١) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٣٨ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٩٤ .

فسير إليه شيركوه الفقيه عيسى الهكاري يطالبه بالنفقة ويقول له : إن العسكر قد طال مقامهم وطالبوا بالنفقة وتغيرت قلوبهم عليك ، وإني أخشى عليك منهم . فلم يكثر شاور بذلك ، وشرع في المأطلة فيما كان قرره لنور الدين .

وعزم شاور على أن يصنع دعوةً ويحضر أسد الدين وجماعة الأمراء الذين معه إلى داره ، ويقبض عليهم ، ويستخدم من معه من الجند فيمتنع بهم من الفرنج . فنهاه عن ذلك ولده الكامل ، وحلف أنه إن صمم على هذا الأمر عرف به شيركوه . فقال له أبوه : والله لئن لم تفعل هذا قتلنا عن آخرنا . فقال الكامل لأبيه : صدقت ، ولأن نقتل ونحن مسلمون خيرٌ من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين [عود]^(١) الفرنج إلا أن يسمعوا أن أسد الدين قد قبض عليه ، وحينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين ما أغاثه ، ويملكون البلاد . فترك ما عزم عليه^(٢) . واتصل ذلك بالعاضد فأعلم شيركوه .

[١٠٣] ذكر مقتل شاور

كان مقتله في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر من السنة .

وذلك أن الأمراء النورية لما رأوا مأطلته بالنفقة وبلغهم أنه قد عمل على القبض عليهم اتفق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك ، وغيرهما ، على قتله وأعلموا أسد الدين بذلك ؛ فنهاهم عنه . واتفق أن شيركوه خرج لزيارة قبر الإمام الشافعي هذا اليوم ، وحضر شاور له على عادته ، فقيل إنه توجه للزيارة ؛ فقال : توجه إليه . فتوجه معه يوسف

(١) [إضافة للتوضيح من اتعاط المنفا جـ ٣ ص ٣٠٠ ، الكامل جـ ١١ ص ٣٣٩ .

(٢) انظر اتعاط المنفا جـ ٣ ص ٣٠٠ ، الكامل جـ ١١ ص ٣٣٩ .

وَجُرِّدَ بَدَنُهُ وَهَمَّا يُسَايِرَانِهِ ، فَأَنْزَلَاهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَكَتَفَاهُ ، فَهَرَبَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ . فَجَعَلَاهُ فِي خَيْمَةٍ ، وَأَحَاطَ بِهَا جَمَاعَةٌ وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ قَتْلُهُ بِغَيْرِ أَمْرِ أَسَدِ الدِّينِ ^(١) . فَحَضَرَ مِنَ القَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنْ قِبَلِ العَاضِدِ ، يَسْتَحْتِ عَلَى قَتْلِهِ ، وَحَضَرَ أَسَدُ الدِّينِ إِلَى المَخِيْمِ وَرُسِلَ العَاضِدُ تَتَوَاتَرَ لِأَسَدِ الدِّينِ بِأَمْرِهِ بِقَتْلِهِ . فَقُتِلَ ، وَأُرْسِلَ رَأْسُهُ إِلَى العَاضِدِ عَلَى ^(٢) رُمْحٍ .

وَمَضَى أَوْلَادُهُ إِلَى القُصُورِ وَاسْتَجَارُوا بِالعَاضِدِ ، فَقَتَلُوا بَعْدَ العُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ ، فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ خَلْوَنٍ مِنْ جَمَادَى الْأُولَى مِنْهَا . وَهَمُ : الكَامِلُ ؛ وَالمَعْظَمُ ، وَرُكْنُ الإِسْلَامِ . وَتَأَسَّفَ شِيرِكُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الكَامِلِ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ .

قال : ولما قُتِلَ شَاوَرُ اسْتَدْعَى العَاضِدُ أَسَدَ الدِّينِ شِيرِكُوهُ ، فَدَخَلَ إِلَى القَاهِرَةِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا شَاوَرُ ، فَرَأَى العَوَامَ وَقَدْ اجْتَمَعُوا ، فَهَالَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنْ مَوْلَانَا العَاضِدُ لَدِينِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَنْهَبُوا دُورَ شَاوَرٍ . فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، وَنَهَبُوا . وَدَخَلَ شِيرِكُوهُ إِلَى القَصْرِ ، فَتَلَقَاهُ العَاضِدُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِطَمَ الوِزَارَةِ ، وَلَقَّبَهُ المَلِكُ المَنْصُورُ أَمِيرَ الجَيْوشِ ^(٣) . وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ فِي الوِزَارَةِ حَتَّى تُوُفِيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ خَمْسَةِ وَسِتِّينَ يَوْمًا ؛ وَقَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ المَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفَ ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الأَيُّوبِيَّةِ .

(١) « نور الدين » في الأصل ، والتصحيح من الكامل ج ١١ ص ٣٤٠

(٢) انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠١ .

(٣) انظر نص المنشور وما كتبه عليه العاضد بخطه في صبح الأعشى ج ٩ ص ٤٠٦ . اتعاظ

الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢ ، الروضتين ج ١ ص ٤٠٢ ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٦٥ .

ذكر انقراض الدولة العبيديّة والخطبة للمستضىء بنور الله العباسي

كان انقراض هذه الدولة عند خلع العاضد لدين الله ، وذلك في يوم الجمعة لسبع مضين من المحرم سنة سبع وستين وخمسائة .
وكان سبب ذلك أن صلاح الدين يوسف لما ثبتت قدمه في ملك الديار المصرية وأستمال الناس بالأموال قتل مؤتمن الخلافة جوهرًا ، زمام القصور ، ونصب مكانه قراقوش الأسدّي الحصىّ خادم عمه ، ثم كانت وقعة السودان فأفناهم بالقتل ، على ما نذكره إن شاء الله مستوفى في أخباره . ثم أسقط من الأذان قولهم : « حى على خير العمل » ؛ وأبطل مجلس الدعوة ؛ وضعف أمر العاضد معه إلى الغاية فعند ذلك كتب الملك العادل نور الدين إلى الملك الناصر صلاح الدين يأمره بالقبض على العاضد وأقاربه ، والخطبة للخليفة المستضىء بنور الله ^(١) ، وكان المستضىء قد رأسله في ذلك . فامتنع صلاح الدين ، وكره إزالة هذه الدولة . فكتب إلى الملك العادل يعتذر ، وقال : إن فعلنا هذا الأمر لأننا من قيام أهل مصر علينا لميلهم إلى هذه الدولة . وكان قصد صلاح الدين أن يتفوى بالعاضد على نور الدين إن هو أراد الدخول إلى الديار المصرية ^(٢) .

فلما ورد جوابه على نور الدين بالاعتذار انزعج لذلك ، ورادف رأسله إليه يأمره بخلع العاضد والقبض عليه ^(٣) .

(١) هو أبو محمد الحسن المستضىء بنور الله ، ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠ م / تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٦٨ .

(٣) انظر الروضتين ج ١ ص ٤٩٣ .

فاستدعى الملك الناصر الأمراء واستشارهم في ذلك ، فعينهم من حذره ، ومنهم من هوّنه عليه . فأحضر الفقيه اليسع بن يحيى بن اليسع ، وعرفه الحال . فلما كان في هذه الجمعة صعد إلى المنبر بجامع مصر قبل طلوع الخطيب ، ودعا للمستضى بنور الله ؛ فلم ينكر عليه أحد . فلما كان في الجمعة الثانية أمر الملك الناصر الخطباء بمصر والقاهرة أن يخطبوا للمستضى بنور الله أبي محمد الحسن ، بن المستجد بالله العباسي ؛ فخطبوا له .

ثم توفي العاضد لدين الله إثر هذا الخلع ، في يوم عاشوراء من السنة ، بعد ثلاثة أيام من خلعهِ . وكان ضعيفاً لما قطعت خطبته ، فقال صلاح الدين : لا تعلموه ، فإن عوفى أعلمناه ، وإن توفي فلا نفعه بهذه الحادثة .

وقال [١٠٤] بعض المؤرخين : إن صلاح الدين لما قطع خطبته دخل عليه وقبض عليه واعتقله ، فلما رأى ذلك كان في ذخائره فص في خاتم ، فمضه ، فمات لوقته . فكان صلاح الدين يقول : ندمت [على] كوني دخلت على العاضد وفعلتُ به ما فعلتُ ، وكان أجله قد قرب . ولما مات جلس الملك الناصر للعزاء به . فكانت مدة ولايته إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً ، ومولده في يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسمائة ؛ فعمره على هذا إحدى وعشرون سنة إلا أحد عشر يوماً .

وكان له من الأولاد ثلاثة عشر وهم عليّ ؛ وموسى ؛ وعبد الكريم ؛ وأبو الحجاج يوسف ؛ وأبو الفتوح ؛ وإبراهيم ؛ وجعفر ؛ ويحيى ؛ وعبد القوى ؛ وعبد الصمد ؛ وأبو البشر ؛ وعيسى . فأعتقلهم الملك الناصر بأجمعهم ، واستمرّوا في الاعتقال إلى سنة اثنتين وستمائة ، فكان من أمرهم ما نذكره في أخبار الدولة الأيوبية .

وَوَزَّرْهُ مَنْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَهُمْ : الصَّالِحُ أَبُو الْغَارَاتِ طَلَائِعُ بْنُ رُزَيْكٍ ؛ ثُمَّ وَلَدَهُ الْعَادِلُ رُزَيْكٌ ، ثُمَّ شَاوِرٌ ؛ ثُمَّ الضَّرْغَامُ ؛ ثُمَّ عَادَ شَاوِرٌ ؛ ثُمَّ أَسَدُ الدِّينِ شِيرِكُوهُ ؛ ثُمَّ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ الدِّينِ يَوْسُفُ .

قَضَاتِهِ : أَبُو الْقَاسِمِ هَبَةُ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ ؛ وَأَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْقَوَى ؛ ثُمَّ الْأَعْزُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَلَامَةَ ؛ ثُمَّ أَعْيَدَ عَبْدِ الْجَبَّارِ ؛ ثُمَّ أَعْيَدَ ابْنَ كَامِلٍ ، ثُمَّ صَرَفَ عَلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِالْقَاضِيِ صَدْرِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دَرِيَّاسٍ ^(١) .

وَكَانَ الْعَاضِدُ شَدِيدَ التَّشْيِعِ مُتَغَالِبًا فِي سَبِّ الصَّحَابَةِ ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . إِذَا رَأَى سُنِّيًّا اسْتَحَلَّ دَمَهُ .

جَامِعُ أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ وَمَدَّتْهَا وَمَنْ مَلَكَ مِنْ مَلُوكِهَا

كَانَتْ مَدَّةُ تَغْلِبِ مَلُوكِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبِلَادِ مِنْذُ أُخْرِجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ عُبَيْدُ اللَّهِ ، الْمَنْعُوتُ بِالْمَهْدِيِّ ، مِنْ سِجْلِمَاسَةَ ، مِنْ سَجْنِ الْيَسْعِ ابْنَ مَدْرَارٍ إِلَى أَنْ مَاتَ الْعَاضِدُ هَذَا مَائَتِي سَنَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَشَهْرًا ^(٢) . مِنْهَا بِبِلَادِ الْغَرْبِ ، مِنْذُ دَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ رَقَادَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْمَعْرُزُ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَرْبَعٌ وَسِتُونَ سَنَةً وَعِشْرَةَ أَشْهُرًا وَخَمْسَةَ وَعِشْرُونَ

(١) انظر أخبار الدول المنقطعة ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) « مائتين وتسعة وستين سنة وثمانية أشهر وأحد وعشرين يوما » - أخبار الدول المنقطعة ص

يوماً^(١). وباقي هذه المدّة بمصر والشام، إلى أن انقطعت دعوتهم .
 بخروج عسقلان عن يد المسلمين واستيلاء الفرنج عليها، في جُمادى
 الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، في أيام الظاهر بأعداء الله في وزارة
 عباس بن يحيى بن تميم .

وعدة من ملك منهم أربعة عشر ملكاً تسموا كلهم بالخلافة؛ وهم: عبد
 الله المنعوت بالمهدى؛ ثم ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد؛ ثم ابنه
 المنصور بنصر الله أبو الظاهر إسماعيل؛ ثم ابنه المعز لدين الله أبو تميم
 معد، وهو أول من ملك الديار المصرية والبلاد الشامية منهم، وإليه تنسب
 القاهرة المعزية؛ ثم ابنه العزيز بالله أبو المنصور نزار؛ ثم ابنه الحاكم بأمر
 الله أبو علي المنصور؛ ثم ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم، وقيل أبو
 الحسن، علي؛ ثم ابنه المستنصر بالله أبو تميم معد؛ ثم ابنه المستعلي بالله
 أبو القاسم أحمد؛ ثم ابنه الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور؛ ثم ابن عمه
 الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله؛ ثم
 ابنه الظاهر بأعداء الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ؛ ثم ابنه الفائز
 بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظاهر؛ ثم ابن عمه العاضد لدين الله أبو
 محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن
 المستنصر؛ وعليه انقضت دولتهم، وانتهت أيامهم، وباد ملكهم، فلم
 يعد إلى وقتنا هذا .

قال المؤرخ: ولما خلع العاضد ومات واعتقل الملك الناصر صلاح
 الدين يوسف أولاده بالقصور من القاضى الأرشد عمارة اليمنى الشاعر
 بالقصور، وهى مغلقة الأبواب، مهجورة الجناز، خاوية على عروشها،
 خالية من أنيسها؛ فأنشأ قصيدته المشهورة التى رثى بها القصور وأهلها،

(١) « خمسة وستون سنة وأربعة أشهر ونصف » - أخبار الدول المنقطعة ص ١١٧ .

وهي من عيون المراثي [١٠٥] وأولها (١) :
 رميت يادهر كف المجد بالشَّلَلِ
 وجيده بعد حُسن الحَلِي (٢) بالعطل
 سعيت في منهج الرأى العثور، فإن
 قَدَرْت من عثرات الدهر (٣) فاستقل
 هَدَمْت قاعدة المعروف (٤) عن عَجَل
 سُقِيت مُهَلًّا، أما تمشى على مهل
 لَهْفِي ولَهْفَ بنى الآمال قاطبةً
 على فَجِيعَتِنَا (٥) في أكرم الدُّول
 قَدِمْتُ مِصرَ فأولتني خلائفها
 من المكارم ما أُرْبِي على الأمل
 قومُ عرفتُ بهم كَسْبُ الألوْفِ ومن
 جاهلها (٦) أنها جاءت ولم أسل
 منها :

ياعاذلى في هوى أبناء فاطمة
 لك الملامة إن قصرت في عذلى

(١) انظر هذه القصيدة في : الروضتين ج ١ ص ٥٧٠ - ٥٧١ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٦ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٦ - ٥٢٨ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(٢) « بعد حل الحسن » في الروضتين .

(٣) « من عثرات البغي » في الروضتين .

(٤) « قواعد المعروف » في الأصل ، والتصحيح من الروضتين واتعاظ الحنفا .

(٥) « على فجيعتها » في مفرج الكروب .

(٦) « كما لها » في المصادر الأخرى .

بالله زُرْسَاحَةَ الْقَضْرَيْنِ ، وَأَبِكْ مَعِي
 عَلَيْهَا ، لِأَعْلَى صِفَيْنِ وَالْجَمَلِ
 وَقُلْ لِأَهْلَيْهَا : وَاللَّهِ مَا التَّحَمَّتْ
 فِيكُمْ جِرَاحِي ، وَلَا قِرْجِي بِمَنْدَمِيلٍ ^(١)
 مَاذَا تُرَى ^(٢) كَانَتْ الْإِفْرَنْجُ فَاعِلَةٌ
 فِي نَسْلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 هَلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ قِسْمَةٍ مَا
 مُلَكْتُمْ بَيْنَ حُكْمِ السُّبْبِيِّ وَالنُّفْلِ
 وَقَدْ حَصَلْتُمْ عَلَيْهَا وَاسْمُ جَدِّكُمْ
 مُحَمَّدٌ ، وَأَبْيَكُمْ غَيْرُ مُنْتَقِلِ
 مَرَرْتُ بِالْقَضْرِ ، وَالْأَبْوَابُ خَالِيَةٌ
 مِنَ الْوُفُودِ ، وَكَانَتْ قِبْلَةَ الْقَبْلِ
 فَمِلْتُ بِوَجْهِي خَوْفَ مُنْتَقِدِ
 مِنَ الْأَعَادِي ، وَوَجْهُ الْوُدِّ لَمْ يَمِيلِ
 أَسَلْتُ مِنْ أَسْفَى ^(٣) دَمْعِي غَدَاةَ خَلْتِ
 رَحَابِكُمْ ، وَغَدَتِ مَهْجُورَةَ السُّبْلِ
 أَبْكِي عَلَى مَا تُثْرَاتِ ^(٤) مِنْ مَكَارِمِكُمْ
 حَالَ الزَّمَانِ عَلَيْهَا ، وَهِيَ لَمْ تُحَلِّ

(١) « فيكم قروحي ولا جرحي مندمل » في الروضتين ، « فيكم جروحي ولا قروحي

بمندمل » في مفرج الكروب وصبح الأعشى .

(٢) « ماذا عسى » في اتعاظ الخنفا .

(٣) « أسبلت من أسف » في المصادر الأخرى .

(٤) « أبكي على ما بدلى » والتصحيح من المصادر الأخرى .

وهي قصيدة مشهورة مطوّلة .
ولما انقرضت هذه الدّولة قامت الدّولة الأيوبية على ما ذكره إن شاء
الله تعالى في أخبار ملوكها والله أعلم .

ذكر أخبار الدولة الأيوبية

وهي دولة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأولاده ، ودولة أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر وأولاده ، رحمهم الله تعالى .

ولنبداً بذكر نسب نجم الدين أيوب والد ملوك الدولة الأيوبية وابتداء حاله وحال أخيه أسد الدين ، وكيف تنقلت بهم الحال إلى أن ملك أسد الدين شيركوه الديار المصرية ، وكيف انتقل الملك من بعده إلى ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف . ثم نذكر أخبار من ملك من أولاده وأخيه الملك العادل وأولاده في حربهم وسلمهم إلى حين انقراض دولتهم . وبالله التوفيق

ذكر نسب الملك الأفضل نجم الدين

هو [أبو]^(١) سعيد أيوب بن شادى بن مروان . هذا هو المقطوع به الذى لا نزاع فيه ، ولا خلاف بين أحد من المؤرخين ونقله أخبارهم . وقال الملك الأجدد نجم الدين أبو محمد الحسن ، ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المفاخر داود ، ابن السلطان الملك المعظم شرف الدين أبي المظفر عيسى ، ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد ، ابن الملك الأفضل نجم الدين أبي سعيد أيوب ، رحمهم الله تعالى ، فى كتابه المترجم بالفوائد الجليلة فى الفرائد الناصرية : سمعت من يقول : مروان بن محمد ؛ وقال بعض الناس محمد بن يعقوب .

(١) [إضافة تتفق مع ما يلى .

وانظر ترجمته فى : الروضتين ج ١ ص ٥٣٣ وما بعدها ، وورد « أبو الشكر »

فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٥ رقم ١٠٧ .

وقال شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن في كتابه المترجم بالروضتين في أخبار الدولتين سمعت من يقول : مروان بن يعقوب (١).

وقال [١٠٦] الملك الأجدد : وقد اختلف في نسبهم على ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما قاله عز الدين علي بن الأثير الجزري المؤرخ أن نجم الدين أيوب من بلد دوين (٢) من أذربيجان ، وأصله من الأكراد الروادية ؛ وهذا القبيل هم أشرف الأكراد (٣).

قال الملك الأجدد : وهذا شيء يجري على السنة كثير من الناس ، ولم أر أحدا ممن أدركه من مشايخ بيتنا يعترف بهذا النسب ، لكنهم لا ينكرون أن نجم الدين كان بدوين .

قال : والمشهور عند بيتنا أن جدنا نزل على الأكراد وتزوج منهم ، فصارت بيننا وبينهم خؤولة لا غير . وبدل على ذلك أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف لما ملك البلاد تقدم في دولته جماعة من الأكراد ، فلم يبق أحد منهم إلا جاء بنوعمه وأقاربه ، حتى صار في عصبية من أهله ؛ والسلطان رحمه الله لم يأت إليه من يمت بقراءة إلا من جهة النساء فقط ؛ ولو كان من الروادية لكان جميع القبيلة أولاد عمه وإن لم يكن له ابن عم قريب فيكون ابن عم بعيد قطعاً لأن القبيلة كلها أولاد رجل واحد . ولا شك أن الدواعي تتوفر على الانتفاء إلى الملك ما لا تتوفر على الانتفاء إلى الأمراء .

القول الثاني : أنهم من أولاد مروان بن محمد الأموي ، آخر خلفاء الدولة الأموية .

(١) انظر الروضتين ج ١ ص ٥٣٤ .

(٢) دوين : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وباء مثناه من تحت ساكنه وآخره نون ، بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس - معجم البلدان .

(٣) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٤١ .

قال الملك الأجدد : وهذا شيءٌ أدعاه الملك المعز فتح الدين أبو الفداء إسماعيل بن الملك العزيز ظهير الدين أبي الفوارس سيف الإسلام طغتكين ، ابن أيوب ، باليمن ، لما ملكه بعد أبيه ، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله أمير المؤمنين . وقال يحيى بن حميد بن أبي طي : قد نقتت عن ذلك فأجمع الجماعة من بني أيوب على أنهم لا يعرفون جداً فوق شادي^(١) .

القول الثالث : ما ذكره حسن بن عمران الجرشي فإنه جاء إلى الملك المعظم وعمل شجرةً لنسب بني أيوب ، فوصله بعلی بن أحمد المرى^(٢) ممدوح أبي الطيب المتنبى الذي يقول فيه :

شرق الجوُّ بالغبَّار إذا سا ر على بن أحمد الفنقام
وقال أيضا في مدحه :

إنما بن عوف بن سعد جمرات لا تشتهيها النعام
ولم يُنكر الملك المعظم عليه ذلك بل قبل منه .

قال : وهذا سرُّ النسب الذي عمَّله الجرشي ، وهو : أيوب بن شادي ابن مروان بن أبي علي .

قال الملك الأجدد : قلت : ويحتمل أن يكون أبو علي هذا هو محمد المقدم ذكره - وأبو علي كنية له - ابن عنتر بن الحسن بن علي بن أحمد ابن أبي علي بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحارث بن سفيان بن عمرو بن مرة بن شبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وبقيّة النسب معروف . هذا ما قيل في نسبه . وأما ابتداء حاله :

(١) انظر الروضتين ج ١ ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) « علي بن محمد » في الأصل ، والتصحيح من بيت الشعر التالي ، ومن كثر الدرر ج ٧

ذكر ابتداء حال الملك الأفضل نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه

قال المؤرخ : قدم نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه من بلد دوين إلى العراق في خلافة المسترشد بالله^(١) ، وخدموا مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد . فرأى من نجم الدين عقلاً ورأياً وحُسن سيرة ، وكان أَسَنُّ من أخيه أسد الدين ، فجعله مجاهدُ الدين دُزداراً^(٢) بقلعة تَكْرِيت^(٣) ، وكانت له ، فسار إليها ومعه أسد الدين .

وقيل بل كان نجمُ الدين قد خدم السُّلطان محمد بن ملكشاه السُّلجُقي^(٤) ، فرأى منه أمانةً وعقلاً ، وسداداً وشهامةً ، فولاه قلعة تَكْرِيت ، فقام بها أحسن قيام . فلما ولى السُّلطان مسعود^(٥) أقطع قلعة تَكْرِيت لمجاهد الدين بهروز ، فأقرَّ نجمُ الدين في الولاية . وكان آتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، والد السُّلطان الشهيد نور الدين لما انهزم من قراجا السَّاقى في سنة ست وعشرين وخمسمائة ، كما ذكرناه^(٦) ، بلغت به الهزيمة إلى تَكْرِيت ، فقام نجم الدين بخدمته أتم قيام ، وأقام له

(١) هو أبو منصور فضل المسترشد بالله ، ولى الخلافة العباسية في بغداد في الفترة من ٥١٢ - ٥٢٩ هـ / ١١١٨ - ١١٣٥ م - تاريخ الدول الاسلامية ص ١٣ .

(٢) « فجعله مستحفظاناً » في الكامل ج ١١ ص ٣٤١ .

ودزدار : كلمة فارسية بمعنى حاكم حصن .

(٣) تَكْرِيت : بفتح التاء - بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، ولها قلعة حصينة غربي دجلة - معجم البلدان .

(٤) توفي سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م - انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٣٧٠ وما بعدها .

(٥) عن السلطان مسعود وأخباره ، انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٢ وما بعدها .

(٦) انظر نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٤ .

السفن إلى أن عَبَرَ دجلة ، فكان ذلك سبب وُصَلتِه بالبيت الأتابكي [١٠٧] وتقدّمه .

قال : ثم اتفق بين أسد الدين وبين قوارص النصراني ، كاتب بهروز ، مشاجرةً في بعض الأيام ، فكلمه النصراني بكلمة أمضته ، فضرب عنقه بيده ، ورماه برجله ^(١) فلما اتصل الخبر ببهروز وحضر عنده من حذره من جُراة شيركوه وتمكين نجم الدين واستيخوازه على قلوب الرعايا خاف عاقبة ذلك ، وكتب بالإنكار عليه بسبب ما كان من أخيه ، وعزله . فسار نجمُ الدين أيوب وشيركوه إلى عماد الدين زنكي في الموصل ، فلما وصل إليه سُرَّ بها وأحسن إليها ، فأقطعها الإقطاعات الجليلية ، وشهدا معه حروب الكفار وقتال الفرنج .

فلما ملك زنكي قلعة بعلبك ، في سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة جعل نجم الدين دُزداراً بها ؛ فأقام بها إلى أن قُتل عماد الدين زنكي ، في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وحاصر معين الدين أنز ، صاحب دمشق قلعة بعلبك ، حتى ضاق الأمر على نجم الدين ، فاضطر إلى تسليمها إليه ، وتعوّض عنها إقطاعاً وأملاًكاً ؛ وكان عنده من الأكابر الأمراء . واتصل أسد الدين شيركوه بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فجعله مقدماً على عسكره ، وجعل له حمص والرحبة وغيرها .

فلما تطلعت همة نور الدين بملك دمشق أمر أسد الدين بمكاتبة أخيه نجم الدين أيوب في ذلك ، فرأسله ، فأعان نور الدين على فتح دمشق ؛ فعظم محلها عند نور الدين . فكان نجم الدين إذا دخل عليه جلس من غير أن يؤذن له في الجلوس ، ولم تكن هذه الرتبة لغيره من سائر الأمراء . فلما كان من أمر شاور ما قدمناه وقصد نور الدين محمود أو استغاث به ،

(١) « فجرد أسد الدين سيفه وقتل النصراني ... وأخذ النصراني برجله فالتقى من القلعة » في الروضتين ج ١ ص ٥٣٧ .

أرسل معه أسد الدين بالعساكر ؛ وكان من أمره في المرة الأولى ، في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، والمرة الثانية ، في سنة اثنتين وستين ، والمرة الثالثة في سنة أربع وستين وخمسمائة [على] ما قدمنا ذكره في أخبار الدولة العبيدية في أيام العاضد لدين الله .

ذكر وزارة الملك المنصور أسد الدين شيركوه بالديار المصرية ووفاته

كانت وزارته للعاضد لدين الله في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة .

وذلك أنه لما كان من أمر شاور ومقتله ما ذكرناه آنفا استدعى العاضد لدين الله أسد الدين شيركوه ، فدخل إلى القاهرة في الساعة التي قُتل فيها شاور ، فرأى من اجتماع العوام ما هاله ، فخاف على نفسه ، فقال لهم : أمير المؤمنين يأمركم بنهب دار شاور . فقصدَهَا الناس ونهبوها ، وتفرقوا عنه . ولما نزل أسد الدين بدار شاور ، وهي دار الوزارة ، لم يجد فيها ما يجلس عليه^(١) .

قال : ولما تفرق الناس للنهب دخل أسد الدين على العاضد لدين الله ، فتلقاه وخَلَع عليه خَلَع الوزارة ، ولقَّبَه بالملك المنصور أمير الجيوش ، وكتب له تقليد الوزارة ، وكتب عليه العاضد بخطه عهداً : عهد لم يُعهد لوزير بمثله ، وتقليد أمير رآك أمير المؤمنين أهلاً لحمله . والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مرأشيد سُبَّله . فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة ، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزرت بخدمتك من

(١) انظر ما سبق تحت عنوان ذكر مقتل شاور .

النَّبوة^(١)؛ وأتخذ الفوز سبيلاً « وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا »^(٢).

وخرج من عند العاضد وركب إلى دار الوزارة وسكنها ، واستقل بالأمر . واستعمل على الأعمال من يثقُ به من كُفَاةِ أصحابه ، وأقطع البلاد لعساكره . وأرسل إلى ديوان الإنشاء بالقصر يطلب من يكتب بين يديه ، فأرسل إليه متولى الديوان القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسّانى ؛ وظن رؤساء ديوان المكاتبات أن هذا الأمر لا يتم ، وأن^(٣) أسد الدين يُقتل عن قريب كما قُتل غيره ، فأرسلوا إليه القاضى الفاضل وقالوا لعله يُقتل معه . فكان من أمره ما كان .

ولم تطل مدة أسد الدين فى الوزارة بل انقضت أيامه ، وفاجأه حمامه ، فتوفى فى يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة من السنة .

واختلف فى سبب وفاته ، فقيل إنه مات فجأة ، وقيل بعلّة الخوانيق ، وقيل بل سُم . فكانت مدة وزارته خمساً وستين يوماً^(٤) ؛ وعُمل عزاءه ثلاثة أيام ، وحمل إلى المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة

(١) « اعترت خدمتك إلى نبوة النبوة » فى الروضتين ج ١ ص ٤٠٢ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٢) سورة النحل رقم ١٦ جزء من الآية رقم ٩١ .
وقارن نص المنشور وما كتب عليه الضد بخطه فى صبح الأعشى ج ٩ ص ٤٠٦ ،
اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٢ ، الروضتين ج ١ ص ٤٠٢ ، مفرج الكرب ج ١
ص ١٦٥ ، تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع الجزء الأول ص ٣٤ - ٤٤

(٣) « فان » فى الأصل ، والنصحیح يتفق مع السياق ، وما ورد فى الروضتين ج ١ ص ٤٠٣ .

(٤) « ثلاثة وستين يوماً » فى اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣٠٤ .

والسّلام؛ ودُفن هناك برباط الوزير [١٠٨] جمال الدّين وزير
الموصل^(١).

ولمّا مات أسد الدّين شيركوه استقرّ في الوزارة بعدّه الملك النّاصر
صلاح الدّين يوسف بن أيّوب.

ذكر أخبار الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف

ابن الملك الأفضل نجم الدّين أيّوب ووزارته بالديار المصريّة

كانت وزارته بالديار المصريّة عقب وفاة عمّه الملك المنصور أسد
الدّين شيركوه وقد تناول^(٢) جماعة من الأمراء النّورية للوزارة؛ منهم
عين الدولة الياروقى، وقطب الدّين قايمآز، وسيف الدّين المشطوب
الهكّارى، وشهاب الدّين محمود الحارمى، وهو خال صلاح الدّين؛
وخطبها كلّ منهم لنفسه. فأشار جماعة من المصريّين وخواصّ العاضد
لدين الله على العاضد أن يولّى صلاح الدّين، وقالوا: إنه أصغر
الجماعة سنّاً ولا يخرج من تحت أمر أمير المؤمنين. فإذا استقرّ وضعنا
على العساكر من يستميلهم^(٣) إلينا، فبقي عندنا من الجند من نتقوى

(١) هو محمد بن على بن أبي منصور، جمال الدين أبو جعفر، وزير الموصل، توفى سنة
٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م - الروضتين ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٥٦، الكامل ج ١١ ص

٣٠٦ - ٣١٠، وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٤٣ رقم ٧٠٤.

(٢) «تداوله» في الأصل، والتصحيح يتفق والسياق.

(٣) «تسليمهم» في الأصل، والتصحيح يتفق والسياق.

به ، ثم نأخذ يوسف بعد ذلك أو نخرجه فإن أمره أسهل من غيره ، فاستدعاه العاضد لدين الله ، وخلع عليه خلع الوزارة . ولقبه بالملك الناصر^(١) ، فلم يطعمه أحد من الأمراء الذين كانوا تطاولوا للوزارة ولا خدموه .

وكان الفقيه عيسى الهكاري^(٢) معه ، فسعى مع الأمير سيف الدين على بن أحمد المشطوب حتى استماله إليه ، وقال له : إن هذا الأمر لا يصل إليك مع الياروقى والحارمى وغيرهما . ثم اجتمع بالحارمى وقال له مثل ذلك ، وقال له : إن صلاح الدين ولد أختك ، وعزه وملكه لك ، وقد استقام له الأمر ، فلا تكن أول من سعى فى إخراج الأمر عنه . واجتمع بالأمراء واستمالهم . فأطاعه بعضهم وعصى بعضهم .

فأما الياروقى فإنه قال : لا أخدم يوسف أبداً ، وعاد إلى الملك العادل نور الدين هو وجماعة من الأمراء . وصار صلاح الدين نائباً عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين ولا يكاتبه إلا : « بالأمير الأسفهلار^(٣) صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية . يفعلون كذا وكذا » . ويفعل علامته فى الكتب ، عظمت أن يكتب اسمه .

ولما وزر صلاح الدين نبت قدمه ، واستمال قلوب الناس بالأموال فمالوا إليه فقوى أمره ، وضعف أمر العاضد .

(١) انظر نص منشور تعيينه صلاح الدين وزيراً فى صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٩١-٩٨ ،

تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع الجزء الأول ص ٥٧-٦٣ .

(٢) هو عيسى بن محمد بن عيسى ، الهكاري ، توفى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م - وفیات

الأعيان جـ ٣ ص ٤٩٧ رقم ٥١٦ .

(٣) الاسفهلار : كلمة تركية مركبة بمعنى مقدم العسكر ، وصاحب هذه الوظيفة زمام

كل زمام ، وإليه أمر الأجناد ، والتحدث فيهم - صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٧٩ .

ذكر مقتل مؤتمن الخلافة جوهر ، زمام القصور وانتقال وظيفته إلى قراقوش الأسدي وحرب السودان

كان مقتل مؤتمن الخلافة في يوم الأربعاء لخمسٍ بيقين من ذي القعدة ، من سنة أربعٍ وستينٍ وحمسمائة .
وسبب ذلك أن الملك الناصر شرع في نقض^(١) إقطاع المصريين ، فاتفق هذا الخادمُ مع جماعةٍ من الأمراء المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى الديار المصرية ، والاعتضاد بهم على صلاح الدين ومن معه ؛ وأرسل الكتب مع إنسان ، فجعلها في نعلٍ وليسه ، وسار على أنه فقير رث الهيئة . فلما وصل إلى البيضاء^(٢) وجدته تركماني ، فأنكر حاله إذ هورت الهيئة جديد المداس . فأخذ مداسه وفتقه ، فوجد الكتب فيه ، فحمله بها إلى الملك الناصر ، فوقف عليها ، وكتب الأمر ، وقرّر الرجل بالعقوبة ، فأقرّ أن الكتب بخط رجل يهودي ، فاستحضره ، فأقرّ بها . ثم قتل صلاح الدين القاصد . واستشعر مؤتمن الخلافة من الملك الناصر ، فلزم القصور واحترز على نفسه ، فكان لا يخرج منها . فلما طال ذلك عليه خرج في هذا اليوم لقصر^(٣) له بالخرقانية ، فأرسل إليه الملك الناصر جماعةً فقتلوه ، وأتوه برأسه ، فرتب حينئذٍ على أزمة

(١) « بعض » في الأصل ، والتصحيح من الروضتين ج ١ ص ٤٥٠ ، وانظر اتعاظ

الحنفا ج ٣ ص ٣١١ .

(٢) « البئر البيضاء » في الروضتين ج ١ ص ٤٥٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٢ .

وهي موضع قرب بلييس بينها وبين الخانكة على الطريق بين القاهرة وغزة - معجم البلدان .

(٣) « وخرج إلى منظره له على النيل ، بستان بناحية الخرقانية ، قريباً من قلوب » -

اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٢ .

القصور قراقوش الخصي، وكان من ممالك عمه أسد الدين ليطالعه بما يتجدد بالقصور.

قال: ولما قُتل مؤتمن الخلافة ثار السودان لذلك وأخذتهم الحمية، وعظم عليهم قتله، لأنه كان رأسهم ورئيسهم، فحشدوا واجتمعوا، فزادت عدتهم على خمسين ألف عبد؛ وكانوا أشد على الوزراء من العسكر. فندب الملك الناصر العسكر لقتالهم، وقدم على العسكر أبا الهيجاء السمين؛ فالتقوا بين القصرين واقتتلوا، فقتل من الفريقين جمع كثير. [١٠٩] فلما رأى الملك الناصر قوتهم وشدة بأسهم أرسل إلى محلّتهم المعروفة بالمنصورة^(١)، خارج باب زويلة، فأحرقها؛ فاتصل ذلك بهم، فضعت نفوسهم، فانهزموا إلى محلّتهم فوجدوا النيران تضرم فيها. وأتبعهم العسكر فمنعهم من إطفائها^(٢). ودام [القتال]^(٣) بينهم أربعة أيام، نهاراً وليلاً، إلى يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة؛ فخرجوا بأجمعهم إلى الجيزة وقد أيقنوا بالهلاك، وخرج إليهم تورانشاه أخو الملك الناصر فقتلهم، ولم ينج منهم إلا اليسير. وكتب الملك الناصر إلى ولاية البلاد بقتل من يجدونه منهم، فقتلوا من عند آخرهم.

وبقى الملك الناصر يخشى من أهل القصر لما فعله بمؤتمن الخلافة جوهر، فكان جوهر هذا سبب زوال ملك الدولة العبيدية وجوهر القائد سبب ملك المعز للبلاد؛ فشتان بين الجوهرين.

(١) المنصورة = الحارة المنصورية، على مئة من سلك في الشارع خارجاً من باب زويلة، وكانت حارة متسعة جداً فيها مساكن السودانيين، خربها الأمير خطاب بن موسى بأمر صلاح الدين - بعد هذه الواقعة - وصيرها بستاناً - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص

(٢) الطغى في الأصل، والتصحيح يتفق والسياق.

(٣) [] إضافة للتوضيح.

ذكر الحوادث في الأيام الناصرية غير الفتوحات والغزوات
لم تقدم هذه الحوادث التي نذكرها الآن على الغزوات والفتوحات
إلا أنها سابقة على ذلك في التاريخ ، ولأننا أردنا أن نفراد غزواته
وفتوحاته ليأتي الكلام عليها سياقة يتلو بعضه بعضاً ، ولا ينقطع بغيره ،
فكان مما نذكره :

ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب والد الملك الناصر إلى الديار المصرية

كان الملك الناصر قد كتب في طلب والده ، رحمهما الله تعالى ،
فوصل بأولاده وأهله إلى القاهرة في السابع والعشرين من شهر رجب
سنة خمس وستين وخمسائة ؛ ولما وصل تلقاه الخليفة العاضد لدين
الله بظاهر باب الفتوح عند شجرة الإهليلج^(١) ، ولم تجر بمثل ذلك
عادة ، فكان يوماً مشهوداً . وخلع العاضد عليه ، ولقبه الملك الأفضل ،
وحمل إليه من أنواع التحف والألطاف شيئاً كثيراً ؛ وأقطعه الإسكندرية
ودمياط والبحيرة ، وأقطع ولده شمس الدولة ، أخا الناصر ، قوص
وأسوان وعيذاب ، وكانت عبرتها يوم ذاك مائتي ألف وستة وستين ألف
دينار^(٢) .

ذكر إبطال الأذان بحى على خير العمل

قال المؤرخ : ولعشر مضيئ من ذى الحجة سنة خمس وستين
وخمسائة أمر الملك الناصر أن يسقط من الأذان قولهم « حى على

(١) صحراء الإهليلج : شرقى الخندق فى الرمل ، وكانت تنتهى إليها عمارة الحسينية
من جهة باب الفتوح ، وكان بها شجر الإهليلج الهندى فعرفت بذلك ، وهو من
جملة بستان ريدان الذى يعرف بالريدانية - المواظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) انظر اتمام الحفا ج ٣ ص ٣١٧ ، الروضتين ج ١ ص ٤٦٥ ، النوادر السلطانية
ص ٣٤ - ٣٥ .

خير العمل ، محمّد وعلى خير البشر . وكانت أول وُضمة دخلت على الشيعة والدولة العبيديّة ؛ وينسوا بعدها من خير يصل إليهم من الملك الناصر . ثم أمر أن يُذكر في الخطبة بكلام مُجَمَّل ، ليُلبس على الشيعة والعامّة : اللهم أصلح العاضد لدينك ^(١) .

ذكر ما أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة ومصر من المدارس والخوانق

قال المؤرخ : وفي أول سنة ست وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر بهدم دار المعونة ^(٢) المجاورة للجامع العتيق بمصر . ودار المعونة هي المكان الذي يعتقل فيه الناس . وأمر ببنائها مدرسة لطائفة الفقهاء الشافعية ، وتعرف هذه المدرسة بابن زين التجار ^(٣) . وإنما عُرفت به لأنه درس بها .

ثم عمر دار الغزل المجاورة لباب الجامع المعروف بباب الزكخته مدرسة للطائفة المالكية ^(٤) ودرس فيها ابن أبي المنصور .

وفيها اشترى تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه ، ابن أخى صلاح الدين ، الدار المعروفة بمنازل العز ^(٥) بمصر ، وبنها مدرسة للطائفة الشافعية .

(١) اتعاط الحنفا ج ٣ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) دار المعونة = حبس المعونة ، بالفسطاط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) مدرسة ابن زين التجار = المدرسة الناصرية = المدرسة الشريفة : وهي أول مدرسة أنشئت بالفسطاط - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

وابن زين التجار هو أحمد بن المظفر بن الحسين ، أحد أعيان الشافعية ، توفي سنة ٥١٩ هـ / ١١٩٤ م - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) المدرسة القمحية بالفسطاط : بجوار الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) - المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٥) مدرسة منازل العز بالفسطاط : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ .

وكانت هذه الدار يسكنها الأمير ناصر الدولة بن حمدان في الأيام
المستنصرية ؛ وقد تقدّم ذكر ذلك .

ثم أمر الملك الناصر ببناء مدرسة الشافعيّ والبيمارستان ، وعمر
الخانقاه المعروفة بسعيد السعداء على ما يأتي ذكر ذلك .

وفي [هذه] ^(١) السنة أيضا أبطل الملك الناصر مجلس الدعوة من
الجامع الأزهر وغيره ، وكان [١١٠] من سنة الدولة العبيديّة أن يقيموا
لهم دُعاة كالخطباء والله أعلم .

ذكر تفويض القضاء بالديار المصريّة

للقاضي صدر الدين بن درباس

وفي سنة ستّ وستين وخمسائة في ثامن عشرى جمادى الآخرة
فوض السلطان الملك الناصر القضاء بالديار المصريّة إلى القاضي صدر
الدين أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس المارداني ، فاستمرّ
إلى آخر الأيام الناصرية .

وفي سنة سبع وستين وخمسائة ، في سابع المحرم قطعت خُطبة
العاضد لدين الله ، ومات في يوم عاشوراء كما قدّمناه .

وفيها في الثالث عشر من جمادى الأولى كُشِفَ حاصلُ الخزانة
بالتصور ، فوجد فيها ما يزيد على مائة صندوق ، ومن الذخائر النفيسة
ما لا مزيد عليه .

وفيها في صفر أمر الملك الناصر بإبطال المكوس بالقاهرة
والأعمال عن التجار المتردّدين إليها وإلى ساحل المقسم صادراً
ووارداً ، فكان مبلغ ذلك مائة ألف دينار عينا .

(١) [إضافة يقتضيها السياق .

وفيها رُسم بتحويل سنة خمس وستين الخراجية إلى سنة سبع وستين الهلالية ، وكانت قد حُوِّلت في سنة خمسمائة في أيام الأفضل أمير الجيوش ^(١) .

ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب

كانت وفاته رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء السابع والعشرين ^(٢) من ذى الحجة سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة . وذلك أنه ركب من داره ، فلما انتهى إلى باب القصر في وسط المحجة شبَّ به فرسه فسقط عنه ، فحُمِلَ إلى منزله ، فعاش ثمانية أيام ومات فُدْفِنَ إلى جانب قبر أخيه أسد الدين في الدار السلطانية ، ثم نُقِلَ إلى المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقبراً في تربة الوزير جمال الدين الأصفهاني وزير الموصل رحمه الله .

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أمر الملك الناصر ببيع الكتب التي بخزانة القصر ^(٣) ، فكانت أكثر من مائة ألف كتاب من سائر المصنفات ، فأبيعت بأخس الأثمان .

ذكر عمارة قلعة الجبل والِسُّور

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة أيضاً أمر الملك الناصر بعمارة قلعة الجبل والِسُّور الدائر على القاهرة ومصر ، وجعل مبدأه من شاطئ

(١) انظر ما سبق عن تحويل السنة الخراجية إلى السنة الهلالية .

(٢) « ثامن عشر ذى الحجة » كنز الدرر ج ٧ ص ٥٠ .

ويذكر أبو شامة أن نجم الدين وقع من على فرسه في ١٨ ذى الحجة ، وتوفي في ٢٧ منه - الروضتين ج ١ ص ٥٣٣ .

(٣) عن خزانة الكتب التي كانت بالقصر انظر الروضتين ج ١ ص ٥٠٧ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٠٣ .

النَّيْل إلى شاطئه . فكان دَوْرُ السَّورِ على القاهرة ومصر والقلعة تسعة وعشرين ألف ذراع ، وثلاثمائة ذراع وذراعين . من ذلك ما بين قلعة المقسم والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ؛ ومن القلعة بالمقسم إلى حائط قلعة الجبل ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع واثنتان وتسعون ذراعاً ؛ ومن حائط قلعة الجبل إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع . ودائرُ قلعة الجبل ثلاثة آلاف ومائتا ذراع وعشرة أذرع ، كل ذلك بالذراع الهاشمي . وتولَّى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وحفر في رأس الجبل بئراً يتوصَّل إلى مائها المعين من دَرَجٍ منحوتةٍ من الجبل ؛ وتوفى الملك الناصر قبل أن تكمل عمارته^(١) .

وفيهما أمر ببناء المدرسة عند تربة الإمام الشافعي رحمه الله ، وتولاها الفقيه الزاهد نجم الدين الخبوشاني .

وأمر باتخاذ دارٍ في القصر بيمارستاناً للمرضى ، ووقف على ذلك وقفاً . وهذا الـبـيـمارـسـتانُ يُسَمَّى في وقتنا هذا الـبـيـمارـسـتانَ العتيق^(٢) .

وفيهما أسقط مكوس مكة ، شرفها الله تعالى ، المقررة على الحاج وعوض أميرها عن ذلك في كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحاً تُحمل إلى ساحل جدة ، وعيّن لذلك ضياعاً بالديار المصرية وقرّر أيضاً حَمَل غلّاتٍ إلى المجاورين بالحرمين الشريفين والفقراء ؛ فقال الشيخ أبو

(١) عن قلعة الجبل انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٠٣ ، وانظر أيضاً كريتز ويل : وصف قلعة الجبل (ترجمة جمال محرز) ، كازانوف : تاريخ ووصف قلعة الجبل ، ترجمة أحمد دراج .

(٢) ذلك تمييزاً له عن الـبـيـمارـسـتانِ المنصوريّ — انظر الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ١٥٥ - ١٥٦ .

وعن بيمارستان صلاح الدين انظر المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٥ .

الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي^(١) في ذلك من قصيدة يمدح بها الملك الناصر :

رفعت مكارم مكس الحجاز	بأنعامك الشايل القامر
وأمنت أكناف تلك البلاد	فهان السبيل على العابر
وسمت أياديك فيأضة	على واري وعلى صاير
فكم لك بالشرق من حامد	وكم لك بالغرب من شاكر

ذكر قتل جماعة من المصريين

وفى سنة تسع وستين وخمسائة أيضا ، فى ثانى شهر رمضان صلب جماعة ممن أراد الأوثوب بمصر من أصحاب الخلفاء العبيديين . وسبب ذلك أن جماعة من شيعتهم ، منهم عمارة اليمنى الشاعر ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضى الأعز سلامة المعروف بالعوريس^(٢) ، والقاضى ضياء الدين نصر بن عبد الله بن كامل ، وداعى الدعاة ، وغيرهم من جند العبيديين ورجال السودان وحاشية القصر ومن وافقهم من الأمراء الصلاحية والجند - اتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من جزيرة صقلية ومن سواحل الشام إلى الديار المصرية على شىء بذلوه لهم من المال والبلاد ، وقرروا أن الملك الناصر إذا خرج إليهم بنفسه ثار هؤلاء بالقاهرة ومصر وأعادوا الدولة العبيدية ، العلوية بزعمهم ، ويعود من معه من العساكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام بالبلاد . وإن أقام هو وأرسل العساكر إليهم ثاروا به فأخذوه باليد . وقال لهم عمارة : وأنا فقد أبعدت أخاه إلى اليمن خوفا أن يسد مسده ، وتجتمع الكلمة عليه بعده . وأرسلوا إلى الفرنج وتقررت هذه القاعدة بينهم .

(١) توفى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م - انظر مقدمة رحلة ابن جبير ص ٥ وما بعدها .

(٢) « العوريسى » فى الكامل ج ١١ ص ٣٩٨ .

قال : وكان ممن أدخلوه معهم في هذا الأمر زين الدين علي^(١) بن نجا الواعظ ، وهو القاضي ابن نجية ، ثم اختلّفوا في وزارة الخليفة ؛ فقال بنو رزيك : يكون الوزير منا . والقاضي ؛ وقال بنوشاور : بل يكون الوزير منا فحضر ابن نجا إلى الملك الناصر وأعلمه بصورة الحال ، فأمره بمباطنتهم وموافقتهم ، ومطالعتهم بأحوالهم . ففعل ذلك .

ثم وصل رسول من ملك الفرنج إلى الملك الناصر بهدايا ، وهو في الظاهر له وفي الباطن هؤلاء ، فوضع الملك الناصر عليه من النصارى من داخله وباطنه ؛ فذكر له الحال على جليته ، فأعلم به الملك الناصر . فلما تحقّقه قبض على هؤلاء وصلبهم ، فكان ممن صلب عمارة اليمنى ، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضي الأعز العوريس ، وغيرهم^(٢) .

وجاء عمارة إلى باب القاضي الفاضل لما أمسك ، فاحتجب عنه ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد احتجب

إن الخلاص من العجب^(٣)

ونودي في أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها إلى أقاصى الصعيد ، واحتاط الملك الناصر على من بالقصر من سلالة العاضد

(١) هو علي بن إبراهيم بن نجا ، الفقيه الحنبلي ، المعروف بابن نجية ، زين الدين أبو الحسن ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ / ١١٦٣ م - شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٠ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٨٣ .

(٢) عن صلب عمارة الشاعر اليمني وأصحابه انظر الروضتين ج ١ ص ٥٦٠ - ٥٧٧ . وعن هذه المؤامرة انظر السلوك ج ١ ص ٥٥ - ٥٧ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٨٧ ، الكامل ج ١١ ص ٣٩٨ - ٤٠١ ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٥٩ .

(٣) هو العجب ، في الروضتين ، والكامل .

وأهله . وأما مَنْ كان قد وَاَفَقَهُم من أصحابه فلم يُخاطِبهم في ذلك ولا أَوْهَمهم أَنَّهُ عَليم به . وَبَلَغ ذلك فرنج السَّاحل فلم يتحرَّكوا من أَمَاكنهم ، وأما فرنج صقلية فإتهم قصدوا ثغر الإسكندرية على ما نذكره .
وفي سنة سبعين وخمسمائة ، في أوائلها ، خالف الكنز^(١) ، أمير العرب ، على الملك الناصر بصعيد مصر ، واجتمع معه جماعة كبيرة من رعايا البلاد والعربان والسودان وغيرهم ، وقَتَلَ أخا الأمير أبي الهيجاء السمين ، وكان قد توجه لإقطاعه بالصعيد . فعظم قتله على أخيه ، وكان من أكابر الأمراء الناصرية ، فسار إلى قتال الكنز . وَنَدَب معه الملك الناصر جماعة من الأمراء والعسكر ، فوصلوا إلى مدينة طُود ، وهي على مسافة يومٍ من مدينة قوص إلى جهة الصعيد ، فامتنع مَنْ بها عليهم ، فقاتلُوهم وظفروا بهم وقتلوا كثيراً منهم ، وأخربوا البلد ، فهي إلى وقتنا هذا تعرف بطُود الخراب ، وغيطانها عامرة . ثم سار العسكر منها إلى الكنز ، فقاتلوه ، فقَتِل هو وَمَنْ مَعَهُ من الأعراب ، وأمنت البلاد واستقر أهلها^(٢) .

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة ظهر بالديار المصرية فأر كثير جداً . قال القاضي الفاضل عبد الرحيم : حدثني مَنْ شاهد هذا الفأر وهو يرحل من بقعة إلى أخرى فيغطى الأرض بكماها حتى لا يظهر منها شيء ألبتة

(١) كنز الدولة : لقب منحه لأول مرة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله لحاكم النوبة في عهده أبو المكارم هبة الله بن محمد بن علي عندما قبض على الثائر أبي ركوة وأرسله إلى الحاكم - انظر ما سبق - وكان آخر من لقب منهم بهذا اللقب كنز الدولة المعاصر لصلاح الدين ، والذي قتل سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م - البيان والإعراب ص ٥٠ .
وينوكنز أو الكنوز هم سلالة العرب بعد اختلاطهم بالنوبيين ولا زالت قبيلة الكنوز تعيش حتى اليوم جنوبي أسوان - انظر تاريخ دولة الكنوز الإسلامية .

(٢) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٦ وما بعدها ، الروضتين ج ١ ص ٦٠٠ وما بعدها .

وأنه شاهده يمرُّ بأماكن فلا يُلْمُ بها ولا يخرجُ عليها والزُّروعُ بها محصورة ،
ويعرُّ بأخرى فلا يلبثُ أن يُفسدَ جميعَ ما فيها ولا يرتحلُ عنها وبها شيءٌ من
الزُّرع ولا المقات بالجملة .

وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة [١١٢] ظهر بأبوصير السدر^(١) من
أعمال الجيزة بيت أشاع الناسُ أنه بيت هرمس ، ففتح بحضور القاضي
نظام الدين بن الشهرزورى وأخرج منه أشياء ، من جملتها صور كِبَاشٍ
وضفادع بأزهر ، وقوارير دهنج ، وفلوس من فضة ونحاس ، وأصنام
نحاس وياقوت ، وغير ذلك من الذهب والفضة والتحف القديمة ووُجد
فيه خلقٌ كثير من الأموات .

وفي سنة ثمانين وخمسمائة في يوم الاثنين مستهلَّ المحرمِ دُرِّسَ في
المدرسة الفاضلية^(٢) التي أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم بالقاهرة
بدرج مَلُوخِيَا ؛ ورُتِبَ فيها لإقراء كتاب الله تعالى الشيخ الإمام العالم
الزكى أبو [محمد]^(٣) القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي ؛ وفي التدريس
على مذهبي الشافعي ومالك الفقيه أبو القاسم عبد الرحيم بن سلامة
الإسكندري ، رحمهما الله تعالى .

وحيث ذكرنا هذه النبذة من الحوادث التي اتفقت في خلال دولته ،
فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية .

(١) أبوصير السدر : من القرى القديمة ، التابعة لمركز الجيزة بمحافظة الجيزة - القاموس
الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٣ .

(٢) عن المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) [] إضافة لتصحيح الاسم .

وهو القاسم بن فيره ، أبو محمد الشاطبي ، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م - وفيات
الأعيان ج ٤ ص ٧١ رقم ٥٣٧ .

ذكر ما استولى عليه الملك الناصر من البلاد الإسلامية بنفسه وأتباعه

كان من البلاد التي خُطب بها للملك الناصر صلاح الدين يوسف طرابلس الغرب وبعض بلاد إفريقية، منها مدينة قابس^(١).

وسبب ذلك أن شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر^(٢)، ابن أخى الملك الناصر، توجه في سنة ثمان وستين وخمسمائة في طائفة من الأتراك إلى جبال نفوسة^(٣)، واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بالبلاط، وهو من أعيان أمراء تلك الناحية، وكان خارجاً عن طاعة [ابن] ^(٤)عبد المؤمن. فاتفقا وكثرا جمعها، ونزلاً على طرابلس الغرب، فحاصراها مدةً وضيقاً على أهلها، ثم فتحها، فاستولى قراقوش عليها، وأسكن أهلها بقصرها. ثم ملك كثيراً من بلاد إفريقية إلا المهديّة وسفاقس وقفصة وتونس وما والآها من القرى والمواقع. وكثرت جمع قراقوش، فحكم على تلك البلاد، وجمع أموالاً عظيمة وجعلها بمدينة قابس، وقويت نفسه، وطمع أنه يستولى على جميع إفريقية لبعده ابن عبد المؤمن عنها واشتغاله بجهاد الفرنج. ثم جاء نورا به مملوك تقي الدين أيضاً، بطائفة من الترك فزاد بهم قوةً إلى قوته. ثم اجتمع الأتراك وعلى

(١) قابس: بكسر الباء الموحدة، مدينة بين طرابلس وسفاقس، على ساحل البحر، غربي طرابلس الغرب - معجم البلدان.

(٢) هو عمر بن شاهنشاه بن أيوب، توفي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٥٦ رقم ٥٠١.

(٣) جبال نفوسة: بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة، جبال في المغرب بين مدينتي طرابلس والقيروان - معجم البلدان.

(٤) [إضافة للتوضيح - انظر ما يلي.

وهو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، الذي تولى زعامة الدولة الموحدية في الفترة من ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٨٤ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٥٤.

ابن إسحاق الملقب [المعروف بابن غانية]^(١) وملكوا بجاية في سنة ثمانين ، وانقادوا إلى الملقب واستعانوا به ، لأنه من بيت الملكة والرياسة القديمة ، ولقبوه بأمر المسلمين ؛ وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها شرقاً وغرباً إلا تونس والمهدية فإن الموحدين حفظوها .

ولما حصل استيلاؤهم على بلاد أفريقية قطعت خطبة أولاد عبد المؤمن وخطب للناصر لدين الله العباسي ؛ وقصدوا مدينة قفصة فتسلموها في سنة اثنتين وثمانين ؛ وأقام بها طائفة من الملقبين والأتراك .

فلما اتصلت هذه الأخبار بالأمر يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(٢) اختار من عسكره عشرين ألف فارس من الموحدين ، وسار بهم في صفر سنة ثلاث وثمانين ، فوصل إلى مدينة تونس . وأرسل ستة آلاف مع ابن أخيه فساروا إلى الملقب والأتراك بقفصة ، فهزموهم الملقب ومن معه في شهر ربيع الأول من السنة . فجاء يعقوب بن يوسف بمن معه في نصف شهر رجب منها ، والتقوا على مدينة قايس ، فانهزم الأتراك والملقب ، وقتل كثير منهم . وفتح يعقوب قايس ، وأخذ أموال قراقوش وأهله وحملهم على مراكش . وحصر مدينة قفصة ثلاثة أشهر وبها الترك ، فطلبوا الأمان لهم ولأهل البلد ، فآمنهم وسير الأتراك إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم .

هذا ما اتفق لهذه الطائفة ، وإن كانت هذه الفتوحات لا تختص كلها بالدولة الأيوبية ، إلا أنهم كانوا سبباً ، وهم الذين استولوا على البلاد كما ذكرنا فأوردناها في أخبارهم .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١١ ص ٥٠٧ .

وكان ملكهم بجاية بعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن وتولية ابنه يعقوب - انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ٤ .

(٢) ولى في الفترة من ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م - تاريخ الدول الإسلامية ص

[١١٣] ذكر استيلائه على اليمن

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة جهز الملك الناصر أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه^(١) إلى اليمن ، فسار في مستهل شهر رجب . وكان عمارة اليمنى الشاعر يذكر له البلاد ويحسنها له ويحثه على قصدها ، ويعظم مملكتها . فسار ووصل إلى مكة شرفها الله تعالى ، ومنها إلى زبيد^(٢) وبها صاحبها عبد النبي المتغلب عليها^(٣) . فلما قرب منها ورأى أهلها انهزموا ، فوصل المصريون إلى سور زبيد فلم يجذوا عليه من يمانع عنه ، فنصبوا السلاليم وصعدوا عليها إلى السور فملكوا البلد عنوة ونهبوه ، وأسير المتغلب عليها عبد النبي وزوجته المدعوة بالخيرة ، وكانت امرأة صالحة كثيرة الصدقة . وسلم شمس الدولة عبد النبي إلى سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ، وهو من أمرائه ، وأمره أن يستخرج منه الأموال ، فاستخرج منه شيئاً كثيراً وأظهر دفائن كانت له . ودلتهم الخيرة على ودائع لها كثيرة . ثم أصلح أمر زبيد وخطب بها للناصر لدين الله^(٤) .

ثم سار إلى ثغر عدن ، وهي فُرْضة^(٥) الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكش وفارس وغير ذلك ؛ وهي من جهة البر من أمتع البلاد

(١) توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠٦ رقم ١٢٧ .

(٢) زبيد : بفتح أوله وكسر ثانيه - مدينة مشهورة باليمن في مواجهة ساحل باب المندب - معجم البلدان .

(٣) هو عبد النبي بن علي بن المهدي ، حكم زبيد في الفترة من ٥٥٨ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٢ - ١١٧٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٠٢ .

(٤) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، الخليفة العباسي في بغداد ، الذي ولي في الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص

وأحصنها . وصاحبها يومئذ رجل اسمه ياسر (١) ، فخرج إليه وقَاتَلَهُ ، فانهزم هو ومن معه ؛ فسبَّقه بعضُ عسكر الدَّولة فدخلوا البلد قبل أهله وملكوه ، وأسير صاحبه . وقصد العسكرُ نَهَبَ البلدِ ، فمنعهم شمسُ الدَّولة ، وقال : ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بها . ثم عاد إلى زييد وحصر ما في الجبل من الحصون فملك قلعة تَعَزَّ واسمها الدَّمولة ، وهي من أحصن القلاع ، وبها تكون خزائن صاحب اليمن . ومَلَّكَ غيرها من الحصون والمعاقل ، واستتاب بثغر عدن عزَّ الدين عثمان الزنجيلي ، وبزييد سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ . وجعل في كلِّ حصنٍ نائباً من أصحابه .

وأحسن شمسُ الدَّولة إلى أهل البلاد ؛ وعادت زبيدُ إلى أحسن ما كانت عليه من العمارة والأمن . ثم عاد شمس الدولة من اليمن ، وقدم إلى دمشق بعد أن ملكها الملك الناصر ، فوصل إليها في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

ذكر ملكه مدينة دمشق

قال المؤرخ : لما توفي الملك العادل نور الدين الشهيد محمود^(٢) ابن زنكى رحمه الله ، كما قدَّمناه (٣) في أخباره ، وولَّى بعده ولده الملك الصالح إسماعيل أقرَّ الملكُ الناصر الخطبةَ باسمه بعد أبيه ، ولم يخطبُ لنفسه . ثم اتَّفَقَ ما ذكرناه من نُقْلَةِ الملك الصالح من دمشق إلى حلب ، ولم يُستأذن الملكُ الناصر في ذلك ولا كتبَ له فيه ؛ فسارَ

(١) في عهد محمد بن عمران ، الذى حكم عدن في الفترة من ٥٦٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٤ - ١١٧٣ م ، وكان صيبا ، فتحكم في البلد الوزير ياسر بن بلال - تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٠٤ .

(٢) عن وفاة نور الدين محمود وترجمته انظر الروضتين ج ١ ص ٥٧٧ - ٥٨٥ (٣) لم يذكر التويرى فيما سبق وفاة نور الدين محمود ولا أخباره ، وإنما هو ينقل حرفيا عن غيره .

[الملك الناصر]^(١) من الديار المصرية إلى الشام في شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسائة ، ووصل إلى دمشق في يوم الاثنين سلخ الشهر - وقال ابن شداد في سلخ شهر ربيع الآخر^(٢) - وتسلم دمشق من الأمير شمس الدين بن المقدم ونزل بدار العقيقي ، وكانت سكن أبيه ، وأحسن إلى الأمراء وأكرمهم ، وأظهر أنه إنما حضر إلى الشام نصرة للملك الصالح ، وليعيد عليه ماأخذه ابن عمه سيف الدين غازي من بلاده . وأقر خطبته ولم يقطعها ولاخطب لنفسه .

ذكر ملكه مدينة حمص وحماه

قال المؤرخ : ولما ملك دمشق استخلف بها أخاه سيف الإسلام^(٤) طغر تكين بن أيوب ، وتوجه إلى مدينة حمص في مستهل جمادى الأولى ، فنازلها ، فملك المدينة ولم يشتغل بالقلعة ؛ وترك بالمدينة من يحفظها ويمنع من [في]^(٥) القلعة من التصرف .

وسار منها فوصل إلى مدينة حماة في مستهل جمادى الآخرة ؛ وكان بقلعتها الأمير عز الدين جرديك ، وهو من المماليك النورية ، فامتنع من تسليمها . فأرسل إليه يعرفه ما هو عليه من الطاعة للملك الصالح ، فاستخلفه جرديك على ذلك ، وخرج إليه ، وترك أخاه بالقلعة ليحفظها . وتوجه عز الدين جرديك إلى حلب ليكون سفيراً [١١٤] بين الملك الناصر وبين كُمشتكين فا عتقل بحلب فلما بلغ أخاه ذلك سلم القلعة إلى الملك الناصر فملكها .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) انظر النواذر السلطانية ص ٥٠ . وانظر الروضتين ج ١ ص ٦٠٢ وما بعدها .

(٣) هو سيف الدين غازي بن مودود النسي ولي حكم الموصل في الفترة من ٥٦٥ -

٥٧٦ هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٦ .

(٤) سيف الدين ، في الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠ ، ٢٢ .

(٥) [إضافة تتفق مع السياق ، ومع ما ورد في مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٢ .

ذكر حصره حلب وعوده عنها وملكه قلعة حمص وبعليك

قال : ولَمَّا بلغ الملك الناصر خيرُ عزَّ الدين جُرْدِيك والقَبْض عليه ، توجَّه إلى حلب وحَصَرها في جُمادى الآخرة من السَّنة ، فقاتله أهلها ، وركب الملك الصَّالح وهو صبيُّ وعمره اثنتا عشرة سنة وجمَعَ أهل حلب ، وذكُرهم بإحسان والده إليهم ، واستنصر بهم في دَفْع صلاح الدِّين ، فبكَوْا وحلَّفُوا له علي بَذل النفوس والأموال ، وقاتلوا أشدَّ قتال . وأرسل سعد الدِّين كُمشتكين إلى سنان ، مقدِّم الإسماعيلية ، مالا كثيرا على قتل الملك الناصر ؛ فسير إليه جماعة ، فظفر صلاح الدِّين بهم وقتلهم . ورَحَلَ عن حلب في مستهلِّ شهر رجب من السنة .

وكان سبب رحيله أن كُمشتكين أرسل إلى القومض ريمُنْد^(١) الصَّنْجِيلِي ، صاحب طرابلس ، أن يجهز إلى بلاد صلاح الدِّين من الفرنج مَنْ يمنعه من الوُصول إليها . فلَمَّا بلغه ذلك فارق حلب وعاد إلى حماة في ثامن الشهر ، بعد نزول الفرنج على حمص بيوم . فلَمَّا سمع الفرنج بقُربه رحلوا عن حمص ، ووَصَلَ صلاح الدِّين إلى حمص ، ومَلِك القلعة بعد حصار . وكان ملكه لها في الحادي والعشرين من شعبان من السَّنة .

ثم سار منها إلى بعليك ، وكان بها يمن الخادم متوليها من أيام نور الدِّين ، فحَصَرها الملك الناصر ، فطلب يمن الأمان ، فأمنه وتسلم القلعة في رابع شهر رمضان .

(١) هو ريموند الثالث أمير طرابلس الصليبي - الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٤٤ ، الكامل ج ١١ ص ٤١٩ ، الروضتين ج ١ ص ٦١١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص

ذكر انهزام عسكر سيف الدين غازى من الملك الناصر وحصره حلب ثانيا

قال المؤرخ . كان الملك الصالح كتب إلى عمه سيف الدين غازى يستنجده على قتال صلاح الدين ودفعه فجهز العسكر صُحبة أخيه عز الدين مسعود ، وتأخر هو لِمَا وقع بينه وبين أخيه عماد الدين من الاختلاف الذى قدمناه فى أخبار الدولة الأتابكية ^(١) فسارت العساكرُ السُفِيَّة ، واجتمع معها العسكرُ الحلبى ، وساروا كلهم لقتال الملك الناصر فأرسل إلى سيف الدين يبدل له تسليم حمص وحماة وأن يُقرَّ بيده مدينة دمشق نيابةً عن الملك الصالح ؛ فلم يُجب إلى ذلك وقال : لا بُدَّ من تسليم جميع ما أخذه من بلاد الشام ويعود إلى مصر .

فلما امتنع سيف الدين من إجابته تجهز عند ذلك للقاء عز الدين مسعود ومن معه وقتالهم ، فالتقوا فى تاسع عشر شهر رمضان بقرون حماة ^(٢) ، فلم تثبت عساكر سيف الدين وانهزموا لا يُلوى بعضهم على بعض . وتبعهم الملك الناصر وغنم مُعسكرهم ، ووصل إلى حلب وحاصرها ، وقطع خطبة الملك الصالح ، وأزال اسمه .

فلما طال الحصار على من بحلب راسلوه فى الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ؛ فأجابهم إلى ذلك ، وانتظم الصلح . فرحل عن حلب فى العشر الأول من شوال ووصل إلى حماة ، ووصلت إليه بها رُسل الخليفة المستضىء بنور الله ، ومعهم الخلع والأعلام السود وتوقيع من الديوان العزيز بالسلطنة ببلاد مصر والشام .

(١) انظر نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ١٧٠ .

(٢) قرون حماة : منطقة جبلية تشرف على مدينة حماة ، وتتكون من قمتين متقابلتين -

وفيها ملك قلعة بعرين^(١) في العشر الأول من شوال من صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني ، وكان من أكابر الأمراء النورية ، فجاء إلى خدمة الملك الناصر ، وظن أنه يكرمه ويقربه ، فلم ير من ذلك شيئاً ، ففارقَه وعاد إلى قلعته . فلما استقر الصلح بين المليكين الناصر والصالح نازل [الناصر]^(٢) بعرين ونصب عليها المجانيق وملكها .

ذكر الحرب بين الملك الناصر وسيف الدين غازي

وانهزام غازي

قد قدمنا انهزام عز الدين مسعود بالعسكر السيفي من الملك الناصر في سنة سبعين وخمسائة . فلما كان في سنة إحدى وسبعين جمع سيف الدين غازي جميع عساكره وفرق فيهم الأموال ، واستنجد بصاحب حصن كيفا^(٣) وصاحب مارددين^(٤) وغيرهما ، وسار إلى حلب ، واستصحب سعد الدين كمشتكين مدير دولة الملك الصالح والعسكر الحلبي .

وكان صلاح الدين في قلة من السسكر لأنه جهز أكثر عساكره إلى الديار المصرية فلما بلغه ذلك [١١٥] أرسل يستدعي عساكره ، فلم تلحقه ؛ وأعجلته الحركة ، فسار من دمشق إلى حلب للقاء غازي ومن معه ، فالتقى العسكران بتل السلطان بالقرب من حلب ، في عاشر شوال من السنة .

(١) بعرين = بارين : مدينة وقلعة بين حماة وحلب - معجم البلدان .

(٢) [] إضافة للتوضيح .

(٣) حصن كيفا : بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر - معجم البلدان .

(٤) مارددين : بكسر الراء والذال ، قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، تشرف على نصيبين - معجم البلدان .

وكان عزّ الدين زلفندار مقدّم العسكر الموصلى قليل المعرفة بالحروب ، فجعل أعلام صاحبه في هدة من الأرض لا يراها إلا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا أن سيف الدين غازى قد انهزم ، وانهزموا لا يلوى الأخ على أخيه . ولم يقتل من العسكر على كثرته غير رجل واحد . وانهزم سيف الدولة إلى الموصل وترك أخاه عزّ الدين بحلب^(١) .

قال العماد الأصفهاني : إن سيف الدين غازى كان في عشرين ألف فارس ؛ وخطأه ابن الأثير الجزرى في ذلك وقال إن أخاه مجدّ الدين أبا السعادات المبارك كان يتولّى كتابة الجيش ، وأنه وقف على جريدة العرّض فكانت ستة آلاف^(٢) .

وإن جمعنا بين قوليهما فنقول : إن الجريدة التي وقف عليها ابن الأثير كانت للجيش المختصّ بسيف الدين غازى خاصّة ، والذي نقله العماد الأصفهاني عن جميع ما صحبه من سائر الجيوش الحلبية والحصّية ، والمآريديّة ، والله أعلم .

ذكر ما ملكه الملك الناصر من بلاد الملك الصالح

بعد هذه الواقعة

قال المؤرّخ : لما استولى الملك الناصر على أُنقال العسكر الموصلّى وغنمها ، واتسع هو وعسكره بها ، سار إلى بزاعة^(٣) ، فحصرها وملكها^(٤) بعد قتال من بقلعتها ، وجعل بها من يحفظها . ثم

(١) الكامل جـ ١١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) انظر الكامل جـ ١١ ص ٤٢٩ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) بزاعة : بلدة من أعمال حلب ، في وادى بطنان ، بين منبج وحلب - معجم البلدان .

(٤) وذلك « في الثاني والعشرين من شوال » - الروضتين جـ ١ ص ٦٥٥ .

سار إلى مَنبِج^(١) فحصرها في آخر شَوال ، وبها صاحبها قطب الدين يَنال بن حَسَّان المَنبِجِي ، وكان شديدَ العداوةِ للملك النَّاصر والتَّحريصِ عليه ؛ فملك المدينة وحاصر القلعة وملكها عنوةً ، وأسر صاحبها يَنال ، ثم أطلقه ، فسارَ إلى الموصل ، فأقطعه سيفَ الدِّين غازي مدينة الرِّقَّة .

ثم سار إلى قلعة عَزَّاز^(٢) فناز لها في ثالث ذى القعدة ونصب عليها المجانيق ، ولازم الحصار ثمانية وثلاثين يوماً وتسلمها في حادي عشر ذى الحجة من السنة^(٣) .

ووثب عليه في مدَّة الحصار باطنِي^(٤) فضربه بسكين في رأسه ، فردَّ عنه المِغْفَرُ^(٥) ، وضربه عدَّة ضربات وقعت في زيق كزاغندة^(٦) .

(١) مَنبِج : بالفتح ثم السكون . بلد قديم ، بينها وبين حلب حوالي ٣٠ ميلاً - معجم البلدان .

(٢) عزاز = أعزاز : بليدة وقلعة شمالي حلب - معجم البلدان .

(٣) انظر الروضتين ج ١ ص ٦٥٥ وما بعدها ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢ وما بعدها ، الكامل ج ١١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤) المقصود من إسماعيلية الشام المعروفين بالحشاشين أو الحشيشية - الروضتين ج ١ ص ٦٥٨ .

(٥) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة في الحرب لحماية الرأس - انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ هامش ٣ .

« فلولا المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله » - الكامل ج ١١ ص ٤٣٠ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ .

(٦) « طوق كزاغندة » في الروضتين ج ١ ص ٦٥٩ .

كزاغند = كزاغند : لفظ فارسي بمعنى المعطف القصير ، ويلبس فوق الزردية - مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٤ هامش ٥ .

ذكر حصره مدينة حلب والصلح عليها

قال : ثم رحل الملك الناصر عن أعزاز ونازل حلب في نصف ذي الحجة ، وحصرها إلى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وترددت الرسائل بينهم في الصلح ، فاستقرت القاعدة بين الملك الناصر وسيف الدين غازي والملك الصالح وصاحب ماريدين وصاحب حصن كيفا ، وتحالفوا أن يكونوا كلهم عوناً على الناكث منهم . فتم الصلح ، وأعاد الملك الناصر إليهم قلعة أعزاز ، ورجع عن حلب .

ذكر نهبه بلاد الإسماعيلية

قال : لما عاد الملك الناصر من حلب قصد بلاد الإسماعيلية في شهر المحرم سنة اثنتين وسبعين لقتالهم ، لأنهم أرادوا قتله ؛ فنهب بلادهم وخرّبها ؛ ونازل قلعة مصياف ^(١) . فأرسل سنان مقدم الإسماعيلية إلى الأمير شهاب الدين الحارمي صاحب حماة ، وهو خال الملك الناصر ، يطلب منه الدخول بينها في الصلح والشفاعة ، وتهدده بالقتل إن لم يفعل . ففعل ذلك ، وتم الصلح . وتوجه الملك الناصر إلى دمشق ، ثم رحل منها إلى الديار المصرية لأربع خلون من شهر ربيع الأول ، ووصل إلى القاهرة لأربع بقين منه .

ذكر عبوره الفرات وملكه الديار الجزيرية

وفي سنة ثمان وسبعين ^(٢) وخمسمائة كان الملك الناصر يحاصر بيروت ، فأتته كتب مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين علي بن

(١) مصياف = مصياب = مصييث : حصن مشهور للإسماعيلية بساحل الشام قرب طرابلس - معجم البلدان .

(٢) « ثمانين وسبعين » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١١٥ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٢ .

تكوين^(١) مُقَطَّع حِرَّان يطلبه إلى البلاد وَيَعِدُه المساعدة . فسارَ وَعَبَّرَ الفرات ، وكَاتَبَ ملوكَ الأَطْرَافِ [١١٦] وَوَعَدَهُمْ ، وبَدَّلَ لَهُمُ البُنْدُولَ على نَصْرَتِهِ فَأَجَابَهُ نُوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ صَاحِبُ حِصْنِ كَيْفَا . فسارَ المَلِكُ النَّاصِرُ إلى مَدِينَةِ الرُّهَا فَحَصَرَها فِي جُمَادَى الأُولَى ، وَدَاوَمَ الحِصَارَ ، فَطَلَبَ صَاحِبُهَا فَخْرَ الدِّينِ مَسْعُودَ الرَّعْفَرَانِي الأَمَانَ ، فَأَمَنَهُ وَتَسَلَّمَ البَلَدَ ، وَصَارَ صَاحِبُهَا فِي خِدْمَتِهِ ؛ وَتَسَلَّمَ القَلْعَةَ . فلما مَلَكَها سَلَّمَها لِمُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ حِرَّانَ . ثم سارَ عَنها إلى الرِّقَّةِ وَكانَ بِها مُقَطَّعًا قَطْبُ الدِّينِ يَنالُ بِنِ حِسانِ المَنْبِجِيِّ ، فَمَلَكَها ، وَسارَ صَاحِبُها إلى عِزِّ الدِّينِ أَتابِكَ . وَسارَ إلى الخَباوِرِ فَمَلَكَها . بَكمالِهِ . ثم سارَ إلى نَصيبِيينَ ، فَمَلَكَ المَدِينَةَ لَوَقْتِهِ ، وَحَصَرَ القَلْعَةَ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَمَلَكَها ؛ وَأَقَطَّعَها لِأَميرِ أَبِي الهِجاءِ السَّمينِ ، وَهُوَ مِنْ أَكْابِرِ الأَمراءِ ، وَسارَ عَنها ، وَمَعَهُ نُوْرُ الدِّينِ صَاحِبُ الحِصْنِ ، فَحاصِرُ المَوْصِلِ فَلَمْ يَظْفِرْ مَناها بِشِئٍ لِحِصانِها وَكَثْرَةِ مَنْ بِها .

ذِكْرُ مَلَكَ مَدِينَةِ سِنْجَارِ

قال : ثم سارَ المَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ المَوْصِلِ إلى سِنْجَارِ ، فَسَيَّرَ مِجَاهِدُ الدِّينِ قايِمَازَ إليها نَجْدَةً مِنَ العِساكَرِ ، فَمَنَعَهُمُ المَلِكُ النَّاصِرُ الوِصُولَ إليها ، وَأَوَقَعَ بِهِمْ وَأَخَذَ سِلاحَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَسارَ إليها وَنازَلها وَبِها شَرَفُ الدِّينِ أَميرِ أَميرانِ أَخو عِزِّ الدِّينِ صَاحِبِ المَوْصِلِ ، فَمَلَكَها بِأَمَانٍ بَعْدَ حِصارٍ عَظِيمٍ . وَسارَ شَرَفُ الدِّينِ وَمَنْ مَعَهُ إلى المَوْصِلِ .

وَاسْتَقَرَّ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ جَميعُ ما مَلَكَه فِي هَذِهِ الوَاقِعَةِ بِمَلِكِ سِنْجَارِ (٢) وَاسْتَنابَ بِها سَعْدُ الدِّينِ بِنِ مَعينِ الدِّينِ أَنْرَ ، وَهُوَ مِنْ أَكْابِرِ الأَمراءِ ،

(١) « على كوجك » في مفرج الكروب ج ٢ ص ١١٦ ، « على بن بكتكين » في الكامل

ج ١١ ص ٤٨٢ .

(٢) « فلما ملك سنجان صارت على الجميع كالسور » - الكامل ج ١١ ص ٤٨٨ .

وأحسنهم صورةً ومعنى . وعاد إلى نصيبين ، فلقية أهلها وشكروا إليه من أبي الهيجاء السمين فأنكر عليه وعزله .

وسار إلى حران فوصل إليها في أوائل ذي القعدة ، فكتب عز الدين صاحب الموصل صاحب خلات ، وهو شاه أرمن^(١) ، واستنجد به على حرب الملك الناصر . فلما بلغه اجتماعهما سار إلى بحرزم^(٢) بالقرب من مارددين .

ذكر ملكه مدينة آمد وتسليمها إلى صاحب حصن كيفا

قال : ثم سار من هذه الجهة إلى آمد فوصل إليها في سابع عشر ذي الحجة^(٣) فنزلها وحاصرها ، ونصب عليها المجانيق . وهي من أحصن البلاد ، يضرب المثل بحصانتها ، وكان صاحبها ابن نيسان في غاية الشح يبخل ببذل المال ، فملأ أصحابه وتخاذلوا عنه . فأخرج نساء إلى القاضي الفاضل^(٤) وسأله أن يأخذ له الأمان ولأهله ، وأن يؤخر ثلاثة أيام حتى ينقل ماله بالبلد من الأموال والذخائر .

فأجابه الملك الناصر إلى ذلك ، وتسلم البلد في العشر الأول من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وانقضت الأيام الثلاثة قبل فراغه من نقل أمواله ، فمُنِعَ مِمَّا بَقِيَ . وسلم الملك الناصر البلد بما فيه إلى نور الدين صاحب الحصن ، وكان فيه من الذخائر ما تزيد قيمته على ألف دينار^(٥) .

(١) « شاهرمن » في الأصل ، والتصحيح من النوادر السلطانية ص ٥٨ ، الكامل ج ١١ ص ٤٨٨ .

(٢) بحرزم : بلدة في واد بين مارددين ودينسر من أعمال الجزيرة - معجم البلدان .

(٣) « لثلاث بقين من ذي الحجة » في مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٤ .

(٤) « الأفضل » في الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من الكامل ج ١١ ص ٤٩٤ .

(٥) « ألف دينار » في الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٣٦ ، الكامل ج ١١

ذكر ملكه تل خالد وعين تاب

قال : ثم سار الملك الناصر إلى تل خالد من أعمال حلب فحصرها ورمأها بالمجانيق ، فطلب أهلها الأمان ، فأمنهم ، وتسلمها في المحرم أيضا .

وسار منها إلى عين تاب ، وبها ناصر الدين محمد [بن خمارتكين] ^(١) من أيام نور الدين الشهيد ، فحصرها ، فرأسله في طلب الأمان على أن يكون الحصن بيده ويكون في خدمته . فأجابهُ إلى ذلك وحلف له عليه ، فنزل إليه واتصل بخدمته ^(٢) .

ذكر ملكه حلب

قال : ثم سار من عين تاب إلى حلب في المحرم أيضا ونزل بالميدان [الأخضر] ^(٣) عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن ^(٤) ؛ فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد [أن] ^(٥) يبني مساكن لنفسه ولأصحابه وعساكره ، وأقام أياما والقتال بين العسكرين في كل يوم .

وكان صاحبها عماد الدين زنكي بن مؤدود بن زنكي مجدا في القتال ، فطالبه بعض الجند بأرزاقهم ، [١١٧] فاعتذر بقلّة المال عنده ؛ وكان قد شح بإخراجه ، فقال له من يريد حفظ حلب يخرج الأموال ولو باع حلى نسائه . فجنح إلى تسليمها ، فرأسل الملك الناصر في طلب العوض عنها : سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج .

(١) [إضافة للتوضيح من الروضتين ج ٢ ص ٤٢]

(٢) « وكان أيضا في المحرم من هذه السنة » - الكامل ج ١١ ص ٤٩٥ .

(٣) [إضافة للتوضيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤١ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٦ .

(٤) جبل جوشن: يطل على حلب من غربيها - معجم البلدان .

(٥) [إضافة تتفق والسياق .

فَسَلَّمَ^(١) مثل حلب وأعمالها وتعوّض عنها قرى ومزارع، وجرت الأيمان على ذلك. وتسلمها الملك الناصر في ثامن عشر صفر.

فسبّ الناس عماد الدين زنكى وأسمعوه المكروه على فعله. واستقرت الحال بينهما أن عماد الدين يحضر إلى خدمة الملك الناصر متى استدعاه بنفسه وعسكره ولا يحتج بحجة.

قال: ولما تسلم الملك الناصر حلب امتدحه القاضي محيي الدين ابن الزكى، قاضى دمشق، بقصيدة جاء منها:

وفتحكم حلباً بالسيف فى صفر مبشر بفتوح القدس فى رجب^(٢)
فكان كذلك.

ونقل الملك الناصر أخاه الملك العادل من نيابة الديار المصرية إلى حلب، فى سنة تسع وسبعين، وأعطاه حلب وقلعتها وأعمالها ومنبج وما يتعلق بها؛ وسيره فى شهر رمضان.

ذكر فتح الملك الناصر حارم

قال: ولما فتح الملك الناصر حلب كان بقلعة حارم^(٣) سرخك، وهو من المماليك النورية، فامتنع من تسليمها، فرأسله فى ذلك وخيره فيما يريد من القلاع، ووعدّه الإحسان؛ فاشتطّ فى الطلب. فتردّدت الرسائل بينهم، فراسل سرخك الفرنج ليحتمى بهم، فبلغ ذلك من معه من الأجناد فخافوا أن يسلمها للفرنج، فقبضوا عليه واعتقلوه، ورأسلوا الملك الناصر فى طلب الأمان، فأجابهم وتسلم الحصن ورتب

(١) «فسلم» فى الأصل، والصحيح يتفق مع السياق، وانظر الكامل جـ ١١ ص ٤٩٧.

(٢) انظر الكامل جـ ١١ ص ٤٩٧.

(٣) حارم: بكسر الراء، حصن وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهى من أعمال حلب - معجم البلدان.

فيه دُرْدَارًا من بعض خَوَاصِهِ^(١) ، وأقام الملك النَّاصِرُ بحلبَ إلى أن قرَّرَ قواعدها وأقطع أعمالها .

ذكر حصار الموصل

وفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حاصر الملك النَّاصِرُ الموصل . وذلك أنه سار من دمشق في ذى القعدة سنة ثمانين لقصد حصارها فلما وصل إلى مدينة بلد^(٢) سِيرَ إليه عز الدين صاحب الموصل والدته وابنة عمه^(٣) الملك العادل نور الدين الشهيد وغيرهما من النساء في جماعة من أعيان الدولة يسألونه المصالحة ، وبذلوا موافقته وإنجاده بالعساكر متى طلبها ، ليعود عن قصد الموصل . وإنما أرسلهن ظناً منه أنه لو سير ابنة نور الدين إلى الملك النَّاصِرِ في طلب الشَّامِ أعطاه لأنَّها ابنة مخدومه . فتلقأهن بالإكرام ، وأحسن إليهن ، واستشار أصحابه في ذلك ، فكلُّ أشار عليه بموافقتهن .

فقال له الفقيه عيسى الهكاري وعلي المشطوب : مثل الموصل لا تترك لا امرأة ، وإن عزَّ الدين ما أرسلهنَّ إلا وقد عجز عن الحرب . فوافق ذلك هواه فردهنَّ خائبات ، واعتذر بأعذار غير مقبولة ، وقصد الموصل وحاصرها ، وكان بينهم مناوشات فلم يتمكن منها ، فندم حيث

(١) انظر الكامل جـ ١١ ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٢٦ ، شفاء العلوب ورقة ٢٨ ب ، المختصر جـ ٣ ص ٦٧ .

(٢) بلد : من أعمال بغداد ، على نهر دجلة - معجم البلدان .

(٣) « والده وابن عمه » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق ، من الكامل جـ ١١ ص ٥١٢ . وأورد ابن واصل هذا الخبر عند المنازلة صلاح الدين للموصل للمرة الثالثة - مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٧٠ - ١٧١ .

وما أورده النويري يتفق مع ما ورد في الكامل .

لم يحبس النساء . ففي أثناء ذلك توفي شاه أرمن^(١) صاحب خِلاط ، فأشار عليه أصحابه بمُفارقة الموصل وقصد خِلاط ، ففارقها .

ذكر ملكه ميافارقين

(٢) قال : ولما سار الملك الناصر إلى خِلاط جعل طريقه ميافارقين وكان صاحبها قطب الدين صاحب مَردين قد توفي^(٣) وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها إلى شاه أرمن وعسكره بها ؛ فتوفي شاه أرمن أيضا ، فطُبع في أخذها ونأزلها . فرآها مشحونة بالرجال ، وفيها زوجة قطب الدين المتوفى وبناته ، والمقدم على جيشها أسد الدين بَرْتَقَش^(٤) ، وكان فيه شجاعة وشهامة . فحصرها الملك الناصر من أول جمادى الأولى ، ونصب عليها المجانيق والعرادات ؛ واشتد القتال فلم يظفر منها بشيء ؛ فرجع عن القوة إلى أعمال الحيلة . فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول إن أسد الدين قد مال إلينا في تسليم البلد ، ونحن نرعى حق أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ، ونريد أن يكون لك نصيب ، وأنا أزوج بناتك بأولادى ، وتكون ميافارقين وغيرها لك وبِحُكْمِكَ ، [١١٨] ووضع من أرسل إلى أسد الدين يعرفه أن الخاتون قد مالت للانقياد إلى تسليمها ، وأن من بخلاط قد كاتبوه ليسلموها إليه . فسقط في يده ، وضعفت نفسه ، وأرسل إلى الملك الناصر يقترح إقطاعا ومالا ، فأجيب إلى ذلك . وسلم البلد في سلخ جمادى الأولى ، وعقد نكاح بعض أولاده على بعض البنات .

(١) « شاهرمن » في الأصل ، والتصحيح من الكامل ج ١١ ص ٥١١ . ومفرج الكروب ج ٢ ص ١٦٨ ، وسيجرى تصحيحها في المواضع التالية .

(٢) ميافارقين : أهم مدن ديار بكر ، بإقليم الجزيرة - معجم البلدان

(٣) هو قطب الدين يلفغازى بن ألبى ، المتوفى سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، وخلفه ابن حسام الدين يولوق أرسلان - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٥٣ .

(٤) « يرتقش » في الكامل ج ١١ ص ٥١٥ .

ذكر عوده إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين صاحبها

قال : ولما تسلّم الملك الناصر مَيّافارقين وفرغ من أمرها وتدبير أحوالها ، عاد إلى الموصل لحصارها . فتردّت الرّسائل بينه وبين عزّ الدين صاحبها ، ووقع الاتّفاق على أن يسلم للملك الناصر شهرزور وأعمالها ، وولاية القرابلي ، وجميع ما وراء الزّاب ، وأن يخطب له على منابر بلاده ، ويضرب السّكّة باسمه ؛ وتحالفا على ذلك . فتسلّم الملك الناصر البلاد ، وسكنت الدّهماء .

ورحل إلى حرّان فمرض بها وطال مرضه حتى أيس منه ؛ ثمّ عوفى . وعاد إلى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

قال : ولما كان الملك الناصر مريضاً بحرّان كان عنده ابن عمه ناصر الدّين محمد [بن]^(١) شيركوه ، وله من الإقطاع حمص والرّحبة ، فسار إلى حمص واجتاز بحلب ، وأحضر جماعة من أخصائها ، ووعدهم ، وأعطاهم مالا ؛ ثمّ وصل إلى حمص ورأسل جماعة من الدّماشقة على تسليم البلد إذا مات الملك الناصر . وأقام ينتظر موته ؛ فتوفى ناصر الدّين ليلة عيد الأضحى سنة إحدى وثمانين ، وعوفى الملك الناصر .

[وكان الملك الناصر]^(٢) لما بلغه ما اعتمده ناصر الدّين بحلب ومُرسلته للدّماشقة ، وضع عليه الناصح بن العميد سقاء سماً فمات ، وطُلب ابن العميد من الغد فلم يوجد ؛ وسار من ليلته إلى الملك الناصر ؛ فقويت الظنّة^(٣) بذلك .

(١) [إضافة من مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٤ .

(٢) [إضافة تتفق مع السياق ، وانظر شفاء القلوب ورقة ١١ ، الكامل ج ١١ ص ٥١٨ ،

مفرج الكروب ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) انظر الكامل ج ١١ ص ٥١٨ .

ولَمَّا تُوْفِي أُعْطِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِقْطَاعَهُ لَوْلَدِهِ شِيرْكُوهُ ، وَعَمْرَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . وَخَلَّفَ نَاصِرُ الدِّينِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَيُْولِ وَالْآلَاتِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَحَضَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى حَمَصٍ وَعَرَضَ تَرْكَهُ ، وَأَخَذَ أَكْثَرَهَا ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْجِهَادِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ إِلَّا مَا لَخِيرَ فِيهِ .

وحضر شيركوه عند الملك الناصر [بعد موت أبيه بسنة]^(١) ، فأجلسه في حجره وسأله إلى أين انتهى من القرآن ، فقال إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾^(٢) ، فاضطرب الملك الناصر لذلك وظن أنه عرض بفعله ، وطلب مؤذبه ولوَّحه فوجده كذلك .

فَعَوَّضَهُ عَمَّا أَخَذَهُ مِنْ مَالِ أَبِيهِ الضِّيَاعَ الْخَرَابَ بِالشَّامِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا بِالْخَرَابِ الْأَسَدِيِّ : وَوَرِثَتُهُ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ يَبِيعُونَ خَرَابَ ضِيَاعِ الشَّامِ وَالسَّوَادِ وَالْبَلْقَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَاسْتَوْلُوا مِنَ الْخَرَابِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِمْ ، وَأَبَاعُوا مَا لَهُمْ لَهُمْ ، فَإِنَّهُ قِيلَ إِنْ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْمَبَايَعَةِ أَرْبَعَمِائَةَ ضَيْعَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْخَرَابُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَأَبَاعَ وَرِثَتَهُ جَمِيعَ مَا خَرِبَ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَتَضَمَّنْهُ كِتَابُهُمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَبِيعُونَهُ لِأَرْبَابِ الْجَاهَاتِ بِأَحْسَنِ الْأَثْمَانِ . وَأَعْرَفَ بِلْدَا يَسْمَى رَمْدَانَ مِنْ بِلَادِ الْبَلْقَاءِ بِالْقَرْبِ مِنَ الرَّقِيمِ وَالْجَادِيَةِ وَسَنْجَابِ^(٣) اشْتَرَاهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ الْمَنْصُورِي^(٤) لَمَّا كَانَ يَنْوِبُ عَنِ السُّلْطَنَةِ بِالشَّامِ ،

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل جـ ١١ ص ٥١٨ .

(٢) سورة النساء رقم ٤ آية رقم ١٠ .

(٣) قرى في منطقة البلقاء بالقرب من عمان شرقي نهر الأردن - معجم البلدان .

(٤) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين ، ولي سلطنة المماليك في الفترة من ٦٩٦ -

٦٩٨ هـ / ١٢٩٧ - ١٢٩٩ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٢ .

من الورثة الأسيديّة بسبعمائة درهم ؛ فلما مات وانتقل بعضُ ميراثه إلى السلطان الملك الناصر^(١) بالولاء الشرعي . وكنتُ أباشر ديوانه بالشام ، حصّلتُ من مُغلّ هذه البلدة في سنة إحدى وسبعمائة ما أبيع بنيفٍ وعشرين ألف درهم . فانظر إلى هذا التفاوت العظيم .

ذكر غزوات الملك الناصر وما افتتحه

من بلاد الفرنج

وقد رأيتُ أن أُفرد غزوات الملك الناصر وفتوحاته ونكباته في الفرنج ، ولا أضمّ ذلك إلى غيره من أخباره ، لأن فيه ما يدلُّ على قوّة الإسلام ، وأن الله تعالى لم يزل يؤيد هذا الدين من عباده بمن يُناضل عنه ، ويحمي حوزته ، ويذب عن أهله ، ويستأصل شأفة عدوهم . ونذكر ذلك على الترتيب .

فكان أول ذلك وصولُ الفرنج إلى ثغر دمياط ورجوعهم عنه .

كان وصولُ الفرنج ، خذلهم الله تعالى ، إلى ثغر دمياط في صفر سنة خمس وستين وخمسمائة ، [١١٩] فحاصروا الثغر . وكان سببُ ذلك أن أسد الدين شيركوه لما ولي الوزارة للخليفة العاضد لدين الله خافه فرنج الساحل ، فكاتبوا أهل صقلية والأندلس من الفرنج يستمدونهم ويخبرونهم أن أسد الدين قد ملك الديار المصرية ، وأنهم لا يأمنونه على البيت المقدس . فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح ، فنازلوا دمياط وضيّقوا على أهلها . فأرسل الملك الناصر إليهم العساكر براً وبحراً ، وكتب إلى الملك العادل نور الدين الشهيد بذلك ، ويعرفه^(٢)

(١) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولي عرش السلطنة المملوكية ثلاث مرات ، وتوفى سنة

٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م — تاريخ الدول الإسلامية ص ١٦٢ .

(٢) « ويعرفه إلا أنه لا يمكنه » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق ، وانظر الكامل ج ١١ ص

أنه لا يمكنه الخروج من القاهرة لأنه لا يأمن أمر الشيعة وأنهم يثرون بعده ، فيبقى الفرنج أمامه والمصريون خلفه . فأمدّه نور الدين بعسكر ، وخرج نور الدين بنفسه إلى بلاد الفرنج للإغارة عليها ؛ فاستباح أموالها لخلو البلاد الساحلية منهم فلما بلغهم ذلك رجعوا إلى بلادهم بساحل الشام بعد مقامهم على دمياط نيفاً وخمسين يوماً ، ولم يظفروا منها بشيء . وأخرج العاضد للملك الناصر في هذه الغزاة ألف ألف دينار مصرية ، سوى الثياب والأسلحة .

ذكر غزوه بلاد الفرنج وفتح أيلة

وفي سنة ست وستين وخمسمائة سار الملك الناصر عن القاهرة وأغار على أعمال عسقلان والرملة ، وهجم على ربض غزة فنهبه . وأتاه ملك الفرنج^(١) في قلة من العسكر ليرده ، فهزمه الملك الناصر بعد أن أشرف على أسره ، وعاد إلى القاهرة ، وعمل مراكب مفصلة ونقلها على الجمال إلى البحر ، فجمع قطعها وشدها ، وألقاها في الماء . وحصر أيلة براً وبحراً ، وفتحها في العشر الأول من شهر ربيع الآخر ، واستباح أهلها وما فيها ؛ وعاد إلى الديار المصرية^(٢) .

ذكر محاصرة الشوبك وعوده عنها

قال المؤرخ : وفي صفر سنة سبع^(٣) وستين توجه الملك الناصر إلى حصن الشوبك ونازله ، وحصره ، وضيق على من به من الفرنج . ودام القتال ، فطلب أهله الأمان ، واستمهلوه إلى عشرة أيام فأجابهم

(١) المقصود هو الملك عموري الأول (أميرك الأول) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية .

(٢) انظر الكامل ج ١١ ص ٣٦٥ .

(٣) « ست » في الأصل ، والتصحيح يتفق وسير الأحداث ، ويتفق مع ما ورد في الروضتين ج ١

ص ٥١٨ ، الكامل ج ١١ ص ٣٧١ .

إلي ذلك . ثم بلغه أن الملك العادل نور الدين جاء من دمشق إلى الشوبك من الجانب الآخر ، فخاف أن نور الدين متى ملك الشوبك قبض عليه ، فعاد إلى الديار المصرية ، وكتب إلى نور الدين يعتذر بمرض أبيه بمصر ، فقبل عُذره ظاهراً ، ووقعت الوحشة بينهما باطنا

ذكر وصول [أسطول] صقلية إلى ثغر الإسكندرية وانهزامه

كانت هذه الحادثة في سنة سبعين وخمسائة ، ولم يكن للملك الناصر بها غزاة بنفسه ولا مباشرة للحرب . وكان سبب وصول هذا الأسطول إلى الثغر ما قدمناه من مكاتبة المصريين الذين صلبهم صلاح الدين الفرنج . فوصل من صقلية مائتا شيني تحمل الرجال ، وست وثلاثون طريدة^(٢) تحمل الخيل ، وست مراكب تحمل آلة الحرب ، وأربعون مركباً تحمل الأزواد . وفي المراكب من الرجال : خمسون ألفاً ومن الفرسان ألف فارس وخمسائة فارس . وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية . فوصلوا إلى الثغر في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة ، فخرج إليهم أهل الثغر بعددهم وأسلحتهم ، فمنعهم المتولّى عليهم ، وأمرهم أن يقاتلوا من وراء السور . وطلع الفرنج إلى البر ونصبوا الدبابات^(٣) وقاربوا السور ؛ وقتلهم أهل البلد قتلاً شديداً . وجاء إلى الإسكندرية من كان إقطاعه بالقرب منها .

(١) [إضافة للتوضيح من الكامل ج ١١ ص ٤١٢ .

(٢) طريدة : سفينة حربية مخصصة لحمل الخيول - معجم السفن الإسلامية .

(٣) الدبابات : أبراج متحركة تستخدم في مهاجمة الأسوار والحصون - السلوك ج ١ ص ٥٦ هامش ١ . وانظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤ .

وكتب إلى الملك الناصر بذلك ؛ فتجهز بنفسه ؛ وقدم من يعلم أهل
الثغر بوصوله ، وكان أهل الثغر قد أنكروا في الفرنج ، وقتلوا وجرحوا
كثيراً منهم ، وحرقوا الدبابات .

ولما علم الفرنج بمقدم الملك الناصر جنحوا إلى الهرب ،
وأخذتهم سيوف أهل الثغر ، وحرقوا بعض مراكبهم ، ونهبوا خيامهم ،
وأخذوا سلاحهم ؛ وكثر القتل فيهم ، وهرب من بقي ؛ واحتسب ثلاثمائة
من الفرسان على تل ، فقاتلهم المسلمون طوال الليل إلى ضحى الغد ،
فأخذوا بين أسير وقتيل .

[١٢٠] ذكر مسيره إلى عسقلان وغيرها

وانهزام عسكره وعوده

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة خرج الملك الناصر إلى غزة
وعسقلان .

وكان رحيله من القاهرة بعد صلاة الجمعة لثلاث ليالٍ خلون من
جمادى الأولى من السنة ، فوصل إلى عسقلان في يوم الأربعاء لليلة
بقيت من الشهر ، فسبى وسلب ، وضرب أعناق الأسرى ؛ وتفرق
عسكره للإغارة على الأعمال .

ثم سار إلى الرملة في يوم الجمعة مستهلاً جمادى الآخرة ،
فاعترضه الفرنج وقد جمعوا جموعاً كثيرة ؛ فكان بينهما وقعة عظيمة
استشهد فيها أحمد ولد الملك المظفر تقي الدين [عمر]^(١) ، وأسر
ولده الثاني شاهنشاه ، وأقام في الأسر سبع سنين حتى افتتكه السلطان
بمال كثير . وأسر الفقيه عيسى الهكاري .

ثم كانت على المسلمين . وذلك أن العساكر كانت قد تعبت للحرب ، فلما قاربهم العدو أراد بعض الأمراء أن ينقل الميمنة إلى الميسرة والميسرة إلى القلب ، فلما اشتغلوا بهذه التعبئة هجم عليهم الفرنج ، فانكسروا وطلبوا الديار المصرية ، وضلوا في الطريق . وعاد السلطان ومن معه إلى القاهرة في يوم الخميس منتصف الشهر^(١) .

ذكر وقعة مرج عيون وانهزام الفرنج وأسر ملوكهم

كانت هذه الوقعة في يوم الأحد لثمان خلون من شهر المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ؛ وكان الفرنج في عشرة آلاف مقاتل . فلما التقوا مع المسلمين انهزم ملكهم^(٢) مجروحاً عند اللقاء وأسر منهم جماعة ، منهم : مقدم الداوية^(٣) . ومقدم الأستبارية ، وصاحب طبرية ، وأخو صاحب جبيل^(٤) ، وابن القومصية^(٥) ، وابن بارزان^(٦) صاحب الرملة ، وصاحب جينين ، وقسطلان يافا ، وابن صاحب مرقية وعدة من خيالة القدس وعكا . وغيرهم من المقدمين الأكابر زادت عدتهم على مائتين وسبعين ، سوى غيرهم ، فنقلهم السلطان إلى دمشق .

فأما ابن بارزان فإنه بذل في نفسه مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من المسلمين ، والتزم بهكاك الفقيه عيسى الهكاري . وأما ابن القومصية فافتكته أمه بخمسة وخمسين ألف

(١) نظر الكامل جـ ١١ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) هو بلدوين الرابع ملك مملكة بيت المقدس الصليبية - الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٦٠ .

(٣) هو أودو سانت أماند - تاريخ الحروب الصليبية - ٢ ص ٦٧٨ .

(٤) « وأخوه صاحب جبيل » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٧٦ ، الكامل جـ ١١ ص ٤٥٥ .

(٥) المقصود هو ابن كونتيسة طرابلس - تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٧٨ .

(٦) هو بلدوين إبلين .

دينارٍ صُورِيَّة . وأما مقدّم الداويّة فإنه هلك ، فطُلبت جُثته بإطلاق ألف أسير من مقدّمي المسلمين (١) .

قال : وفي هذا اليوم ظفّر الأسطول المصريّ ببَطْشَة (٢) كبيرة للفرنج ، فاستولى عليها وعلى أخرى ، وعاد إلى الثغر بألف أسير . والله أعلم .

ذكر هدم بيت الأحزان

كان الفرنج قد عمروا حصن بيت الأحزان في مدّة مقام الملك الناصر على بعلبك واشتغاله بأمرها ؛ فبنّوه على مخاضة بيت الأحزان ، وبينه وبين صَفد وطبرية نصف يوم .

وكان في بنائه ضررٌ عظيمٌ على المسلمين ، فبذل لهم الملك الناصر في هدمه مائة ألف دينار ، فأبوا ذلك . فجهز إليه الجيش ، فوصل إلى المخاضة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين ، والحصنُ مبنىٌّ دونها من الغرب . فنصبوا عليه المجانيق بعد العصر من يوم الأحد ، فما جاء الليل إلا وقد استولوا على الباشورة (٣) . ثم أدارحوه النُّقوب ، فاستمرت إلى يوم الخميس ، ليست بقين من الشهر ، فهدم الجدار ، ودخل العسكر الحصن وغنموا ما فيه ؛ فكان ما غنموا من أنواع السلاح الجديدة مائة ألف قطعة ؛ وأسروا سبعمائة أسير ، ومن أسرى المسلمين مائة . ثم هدم الحصن إلى الأساس ، وكان سمكه عشرة أذرع (٤) .

(١) انظر مضمار الحقائق ص ١٦ - ١٨ ، وانظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٦٧٦ -

٦٧٩ ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٠٤ - ٨٠٥ .

(٢) بطسة = بطشة : مركب حربية كبيرة - معجم السفن الإسلامية .

(٣) الباشورة : الحائط الخارجى للحصن - مفرج الكروب ج ٢ ص ٨١ هامش ١ .

(٤) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٨٠ - ٨٦ ، الكامل ج ١١ ص ٤٥٥ - ٤٥٨ ، مضمار

الحقائق ص ٢٤ - ٢٦ .

قال : ولما عمر الفرنج بيت الأحران قال النشو أحمد الدمشقي :
 هلاكُ الفرنج أتى عاجلا
 وقد آن تكسيرُ صُلبانها
 ولولم يكن قد دنا حتفها
 لما عمّرت بيت أحرانها^(١)

ذكر مسير الملك الناصر إلى بلاد الأرمن

[١٢١] [وفي سنة ست وسبعين وخمسائة ، توجه الملك الناصر إلى بلاد الأرمن . وذلك أن ابن لاوون^(٢) ملك الأرمن كان قد استمال قوماً من التركمان ، فلما أتوه وهم آمنون أسرهم . فدخل الملك الناصر إلى بلاده واستولى على قلعة تعرف بالمناكير^(٣) ، وهدمها إلى الأساس ، وأخذ ما فيها من الآلات . ووجد المسلمون في أرضها صهريجاً مملوءاً من الآلات الذهب والفضة والنحاس . فبذل ابن لاوون جملةً من المال ، وأنه يطلق الأسرى ، ويشتري خمسمائة أسير من بلاد الفرنج ويطلقهم . فأجابه السلطان إلى ذلك ، وأخذ رهينةً عليه . ثم عاد إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى سنة ثمان وسبعين وخمسائة^(٤) .

ذكر مسيره إلى الشام والإغارة على طبرية وبيسان

وما كان من الظفر بمراكب الفرنج ببحر عيذاب

وفي سنة ثمان وسبعين وخمسائة توجه السلطان الملك الناصر لقصد الشام عند وفاة الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين . فأغار

(١) الكامل ج ١١ ص ٤٥٧ .

(٢) هو رويين الثالث - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٧٧٨ .

(٣) المناكير « في مفرج الكروب ج ٢ ص ٩٩ .

(٤) انظر الكامل ج ١١ ص ٤٦٦ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩ ، التوادر السلطانية

على طبرية وبيسان في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول ، فانتصر بعد قتال .

وفيهما كان الظفر بالفرنج ببحر عيذاب^(١) . وذلك أن البرنس صاحب الكرك^(٢) عمل أسطولا بالكرك ، ونقل قطعه إلى بحر آيلة ، وجمعها وألقاها في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، فساروا في البحر وافترقوا فرقتين : فرقة حصلت آيلة ، وفرقة توجهت إلى عيذاب . وأفسدوا السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوه من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار . وجاءوا على جين غفلة ، فرأى الناس ما لم يهتدوه ، فإن هذا البحر لم ير الناس فيه فرنجيا قط ، لا تاجرا ولا مقاتلا قبل هذا الوقت .

وكان الملك العادل ينوب عن أخيه الملك الناصر بالديار المصرية ، فعبر أسطولا وجّه فيه جماعة من المسلمين ، ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الخاص ، فسار في طلبهم . وأبتدأ بالمركب التي على آيلة ، فظفر بها ، وقتل بعض من فيها وأسر بعضهم . وتوجه لوقته بعد ظفره بهم إلى الذين توجهوا إلى عيذاب ، وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز وأخذ الحاج ، والدخول بعد ذلك إلى اليمن ، فوصل لؤلؤ إلى عيذاب فوجدهم قد نهبوا ما وجدوه بها وتوجهوا ، فسار في أثرهم ، فبلغ رابع والحوراء فأدركهم بها ، وأوقع بهم . فلما تحققوا العطب خرجوا إلى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب ، فنزل من مراكبه وقاتلهم في البر أشد قتال ، وأخذ خيلا من الأعراب الذين هناك فركبها ، وقاتلهم ، فظفر بهم وقتل أكثرهم ؛ وأسر من بقي ، وأرسل

(١) المقصود ميناء عيذاب على البحر الأحمر .

(٢) هو المعروف في المصادر العربية باسم أرناط ، وفي المصادر والمراجع الأوربية باسم ريجنالد شاتيون - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٧٨٠ .

بعضهم إلى مِني لِيُنْحَرُوا بها عُقُوبَةً لَهُم على قَصْدِهِم البَيْتَ الحَرَام .
وعاد إلى مصر ببقية الأسرى ، فقتلوا ^(١) .

ذکر الإغارة على الغور

قال : ولما ملك الملك الناصر حلب وعاد إلى دمشق ثم رحل منها في ثامن جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل على بيسان فوجد أهلها قد ارتحلوا عنها ، فنهبها العسكر الناصري وتفرّوا بما فيها ، وحرّقوا ما لم يمكنهم أخذه . وسار بهم حتى أتى الجالوت ، وهي قرية عامرة وعندها عين جارية ، فعبأ أصحابه عندها للقتال ، ورحل إلى الفولة ^(٢) ، ووقع القتال بينه وبين الفرنج ، وكان الظفر له . ثم عاد إلى دمشق ، فوصل إليها في يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة .

وتوجّه إلى الكرك في هذه السنة ، وعاد .

ثم جمع العساكر المصرية والحليّة وغيرها وقصد الكرك في سنة ثمانين وخمسمائة ، وهي الدفعة الثانية ؛ فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم للذب عنها ، ففارقها السلطان ، وجّه طائفة إلى نابلس فنهبها وعادوا إليه ^(٣) .

ذکر غزوة الكرك والشوبك

وفتح طبرية ومجدل يابا ويافا

قال العماد الأصفهاني في البرقي الشامي : وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة برز الملك الناصر من دمشق في أول المحرم ، في العسكر

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٧ - ١٣٢ ، الكامل ج ١١ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٢) الفولة : قرية معروفة بالقرب من عين جالوت - معجم البلدان ، النوادر السلطانية ص ٦٢ .

(٣) انظر النوادر السلطانية ص ٦١ - ٦٣ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥١ ، الكامل ج ١١ ص ٥٠٢ .

العرمرم ، ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم . فلما وصل إلى رأس الماء^(١) أمر ولده الأفضل بالمقام عندها ليجتمع عنده الأمراء الواصلون من الجهات . وسار السلطان [١٢٢] إلى بصرى ، ثم منها إلى الكرك ، ورعى الزروع وقطع الأشجار . ثم سار إلى الشوبك وفعل مثل ذلك . ووصل إليه العسكر المصري ففرقه على قلعتي الكرك والشوبك . وأقام إلى أن انقضى من السنة شهران ، والملك الأفضل مقيم برأس الماء ، وقد اجتمعت عنده العساكر ، فتقدم إلى سرية منهم بالغارة على أعمال طبرية ، فانتهوا إلى صفورية^(٢) فخرج إليهم الفرنج فقاتلهم ، فكان الظفر للمسلمين ، وهلك مقدم الأستبار ؛ وعادوا إليه فكانت مقدمة النصر المبين .

وانتهت البشائر إلى الملك الناصر وهو بنواحي الكرك والشوبك ، فسار بمن معه في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول ، وعرضهم في اثني عشر ألف فارس . وعزم على دخول الساحل ، فأنتهى إلى نهر الأقوقوانة^(٣) فاجتمعت الفرنج في زهاء خمسين ألفاً ، ونزلوا على مرج صفورية بأرض عكا ، فلم يتقدموا عنها . فتقدم السلطان إلى الأمراء أن يقيموا في مقابلتهم ، ونزل هو بمن معه من خواصه على طبرية وشرع في نهب سورها ، فهدموه في ساعة من نهار ، وأمنتت القلعة بمن فيها .

فلما اتصل بالفرنج فتح طبرية تقدموا ، وذلك في يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ، فترك السلطان على طبرية من يحفظ قلعتها ، وتقدم بالعسكر ، فالتقى على سطح جبل طبرية الغربي منها . وحال

(١) رأس الماء : موضع في حوران ، على مسافة ٢٠ ميلاً شمالى درعا — معجم البلدان .

(٢) صفورية : قرب طبرية — معجم البلدان .

(٣) نهر الأقوقوانة : على شاطئ بحيرة طبرية — معجم البلدان .

بينهما الليل ، فباتا إلى صبيحة يوم الجمعة ، فتصادما بأرض قرية اللوييا ؛ واستمرت الحرب بينهما إلى الليل فكانت من أعظم الحروب . ثم باتا إلى صبيحة يوم السبت ، فالتقيا .

فلما عاين القومص^(١) أن الدائرة تكون على طائفته هرب في أوائل الأمر قبل اشتداده ، وسار نحو صور ، فتبعه جماعة من المسلمين ، فنجوا بمفرده . ثم انهزمت طائفة أخرى فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينح منها واحد . واعتصمت الطائفة الأخرى بتل حطين ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، فقتلهم العطش ، فأسير مقدمهم ، وقتل الباقون وأسروا ، وألقى الله عليهم الخذلان .

قال القاضي أبو المحاسن ابن شداد : لقد حكى لى من أثق به أنه لقي بحوران شخصا واحداً ومعه طنْبُ خيمة فيه نيف وثلاثون أسيراً^(٢) . وأما القومص الذى هرب فإنه وصل إلى طرابلس ، وأصابه ذات الجنب ، فأهلكه الله .

قال : وبات السلطان بالمنزلة ، ونزل يوم الأحد على طبرية وتسلم قلعتهما فى بقية يومه ، وأقام بها إلى يوم الثلاثاء .

قال : ولما يسر الله هذا الفتح كتب السلطان إلى أخيه الملك العادل سيف الدين بمصر يبشّره به ، وأمره بالمسير إلى بلاد الفرنج من جهة مصر بمن بقي عنده من العساكر ، ومحاصرة ما يليه منها ؛ فسارع إلى ذلك ، وسار ونازل حصن مجدليابة^(٣) وفتحها ، وغنم ما فيه ، ثم سار إلى يافا وفتحها عنوة ، وقتل وسبى ، وأسر وغنم ..

(١) المقصود ريموند صاحب طرابلس ،

(٢) النوار السُلطانية ص ٧٧ .

(٣) « يافا » فى الأصل ، والتصحيح يتفق وعنوان هذه الفقرة ، وما ورد فى الكامل جـ ١١ ص

ذكر فتح عكا ونابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرية ومعليا والقولة والطور والشقيف وغير ذلك

قال ابن شدّاد : ثم رحل السلطان طالباً عكا . وكان نزوله عليها في يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ، وقاتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الأولى ، فأخذها ، واستنقذ من كان فيها من الأسارى ، وكانوا زهاء أربعة آلاف ؛ واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر .

ثم تفرقت العساكر في بلاد الساحل فأخذوا نابلس ، وحيفا ، وقيسارية ، وصفورية ، والناصرية ، ومعليا ، والقولة ، والطور ، والشقيف وقلاعاً تلى هذه كثيرة ؛ وكان ذلك لخلوها من الرجال فإنهم عمهم القتل والأسر^(١) .

ذكر فتح تبنين وصيدا وصرفند وبيروت وجبيل

قال : ثم أرسل السلطان [ابن] أخيه تقي الدين إلى تبنين ، فضايقها ، وكتب إلى السلطان أن يأتيه بنفسه ، فوصل إليها ونازلها يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الأولى ، فسأل من بها الأمان واستمهلوا خمسة أيام لينزلوا بأموالهم ، وأطلقوا الأسارى ، فخرجوا إليه ، فسُرّ بهم وكسأهم . وخلص في تلك السنة [١٢٣] من الأسرى أكثر من عشرين ألف أسير ، ووقع في أسره من الكفار مائة ألف .

قال : ثم رحل السلطان من تبنين إلى صيدا ، فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها بعد قتال .

(١) النوادر السلطانية ص ٧٩ ، وانظر الكامل ج ١١ ص ٥٣٩ وما بعدها .

(٢) [] إضافة من الكامل ج ١١ ص ٥٤١ .

ثم سار إلى صيدا ، ففارقها صاحبها وتركها خالية ، فتسلّمها ساعة
 وُصوله إليها لتسع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين
 وسار من يومه نحو بيروت فقاتل أهلها على سورها وظنوا أنهم قد
 قدروا على حفظه ، فدخلها المسلمون من الجانب الآخر ، فسألوا
 الأمان فأمّتهم على أنفسهم وأموالهم ، وتسلّمها في التاسع والعشرين
 من الشهر .

وأما جبيل فكان صاحبها في جملة الأسرى الذين نُقلوا إلى
 دمشق ، فسأل إطلاقه وتسلّمها ، فأحضره مقيّداً ، فسلم البلد وأطلق
 أسرى المسلمين ، وأطلقه السلطان .

ذكر فتح عسقلان وما يجاورها

قال : وسار السلطان إلى عسقلان والرملة وغزة والدأروم وغير
 ذلك .

فنزّل على عسقلان في يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة ،
 ونصب عليها المجانيق ، فسلموها على خروجهم بأموالهم سالمين ؛
 وذلك في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة ^(١) .

ثم تسلّم حصون الدّاوية وهي غزة ، والدأروم ، والرملة ، وتبني ،
 وبيت لحم ، ومشهد الخليل ، ولد ، وبيت جبريل ^(٢) .

قال : وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين
 خمس وثلاثون سنة ، فإن العدو استولى عليها في السابع والعشرين من
 جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٥ ، التوادر السلطانية
 ص ٨٠ .

(٢) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١٠ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ .

قال العماد : وفوض السلطان القضاء والحكم والخطابة وجميع المناصب الدينية بمدينة عسقلان وأعمالها إلى جمال الدين عبد الله بن عمر الدمشقي ، وهو المعروف بقاضي اليمن .

ذكر فتح البيت المقدس

قال المؤرخ : لما فرغ السلطان الملك الناصر من أمر عسقلان وما يجاورها سار إلى البيت المقدس ، فكان وصوله إليه في يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . وكان به البطريرك المعظم عندهم ، وهو أعظم شأنًا من ملكهم ، وبه أيضًا ياليان بن بارزان صاحب الرملة ومن خلص من فرسان الفرنج من حطين ، واجتمع به أهل عسقلان وغيرها ، كلهم يرى الموت عليه أهون من أن يملك البيت المقدس .

فنزل السلطان بالجانب الغربي وأقام خمسة أيام يطوف حول البلد لينظر من أين يقاتله . ثم انتقل إلى الجانب الشمالي يوم الجمعة ، العشرين من الشهر ، وكانت عدة من به من المقاتلة ستين ألفًا غير النساء والصبيان فنصب السلطان المجانيق في تلك الليلة ، ونصب الفرنج على السور مجانيق أيضًا ، وقاتلوا أشد قتالٍ رآه الناس لأن كلاً من الفريقين يرى ذلك عليه من الواجبات لا يحتاج فيه إلى سلطان . وكانت خيالة الفرنج يخرجون في كل يوم إلى ظاهر البلد فيقاتلون ويبارزون . وتوالى الزحف ، ونقب المسلمون السور مما يلي وادي جهنم .

فلما رأى الفرنج ذلك أخذوا إلى طلب الأمان ، وبعثوا جماعة من أكابرهم في ذلك ؛ فامتنع الملك الناصر من ذلك وقال : لا أفعلُ بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة من

القتل والسبي . فلما رجع الرُّسُل إليهم ، أرسل باليان بن بارزان يطلب الأمان لنفسه ليحضر إلى الملك الناصر ، فأمنه ، فحضر إليه وسأله الأمان ، فلم يُجِبْهُ ، واستعطفه فلم يتعطف ، واسترحمه فلم يرحمه . فلما أيس منه قال له ما معناه : أيها السلطان ، اعلم أننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى ، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة ؛ فإذا رأينا أن الموت لا بد منه والله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ، ونحرق أموالنا وأمتعتنا ، فلا نترككم تغمون منها ديناراً واحداً ولا درهماً ، ولا تسبون ولا تأسرون رجلاً ولا امرأة . [١٢٤] فإذا فرغنا من ذلك أخبرنا الصخرة والمسجد الأقصى ؛ وغير ذلك من المواضع الشريفة ؛ ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين ، وهم خمسة آلاف ، ولا نترك لنا دابةً ولا حيواناً إلا قتلناه . ثم نخرج إليكم ، كلنا ، فنقاتلكم قتال من يريد يحيى دمه ونفسه ، فلا يقتل الرجل منا حتى يقتل ؛ فإما أن نموت أجراءً أو نظفر كراماً .

فلما سمع الملك الناصر كلامه استشار عند ذلك أصحابه ، فأشاروا عليه بموافقتهم .

ووقع الصلح على أن يسلموا أسرى المسلمين ، ويبدلوا عن كل رجل من الفرنج عشرة دنانير ، وعن كل امرأة خمسة ، وعن كل طفل وطفلة دينارين ، يستوى في ذلك الغنى والفقير . وبدل ابن بارزان في الفقراء ثلاثين ألف دينار من ماله ، وعلى أن تكون المدة أربعين يوماً ، فمن أدى ذلك قبل المدة خلص ومن تأخر استرق .

وتسلم السلطان المدينة في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر

رجب . وكان يوماً مشهوداً ، ورفعت الأعلام الإسلامية على الأسوار^(١) ، ورتب السلطان على أبواب البلد أمناء من الأمراء يأخذون من أهله ما استقر عليهم ، فخانوا ، ولو أدوا الأمانة لامتلات الخزائن .

قال : وصلى الملك الناصر الجمعة الثانية في رابع شعبان في قبة الصخرة ، وكان الخطيب والإمام القاضي محيي الدين ابن الزكي قاضي دمشق^(٢) .

ثم رتب له خطيباً وإماماً ونقل إليه المنبر الذي كان عمله الملك العادل نور الدين يحلب برسم البيت المقدس إذا فتحه . وكان بين عمله وفتح البيت المقدس ما يزيد على عشرين سنة .

ثم تقدم أمر السلطان بعمارة المسجد الأقصى ومحو ما كان الفرنج صنعوه من الصور على عاداتهم ، ونقل إليه المصاحف ، وطهره من أدناس الكفر ، رحمه الله تعالى ، وتقدم بعمل الرُّبُط والمدارس ، وجعل دار الأستبار مدرسة للشافعية^(٣) .

ذكر رحيله ومحاصرة صور

قال المؤرخ : وأقام السلطان الملك الناصر بالبيت المقدس إلى الخامس والعشرين من شعبان من السنة ، ثم سار لقصد محاصرة صور وقد اجتمع فيها خلق كثير من الفرنج . وقدم إليها المرْكيس^(٤) في

(١) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٧ ، الكامل ج ١١ ص ٥٤٦ - ٥٥٣ ، النوادر السلطانية ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ، محيي الدين بن الزكي ، توفي ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م - وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٢٩ رقم ٥٩٤ .

(٣) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) هو كتراد ابن ماركيز موتيفرات - تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣ .

البحر بأموال عظيمة؛ وكانت عادته أن يحضر إلى البيت المقدس بأموال يفرقها، فلما حضر في هذا الوقت ووصل عكا فرأها قد خرجت عن أيدي الفرنج سار إلى صور فملكها، وأنفق مائته على من بها، فقوى أمره وانحاز إليه جميع من خلع بالأمان من سائر البلاد. فأنفق على سور صور وخنادقها، وعمقها، فصارت كالجزيرة في البحر لا يمكن الوصول إليها.

فوصل الملك الناصر إلى عكا في مستهل شهر رمضان، فأصلح من شأنها، ثم رحل عنها ونازل صور في تاسع شهر رمضان ونزل على نهر بالقرب من البلد؛ ثم نزل على تل يقارب صور في الثاني والعشرين من الشهر، وقسم القتال على العسكر لكل جمع منهم وقت معلوم. واستدعى الأسطول المصري، وكان بعكا، فجاءته عشر شوان، وكان للفرنج في البحر مراكب فيها رماة الجروح^(١) والزنبوركات^(٢) يرمون من دنا من البحر. فاستطال الأسطول عليها، وأحاط بهم المسلمون وقتلوا براً وبحراً؛ ثم أغفلوا أمرهم فملك الفرنج من الشوانى خمسة وأسرهم مقدمها^(٣).

ثم كانت حروب كثيرة ووقائع.

ثم رحل السلطان عنها في آخر شوال، وهو أول كانون^(٤)، وسار إلى عكا، وأذن للعساكر بالعود إلى أوطانهم للراحة في الشتاء والعود في الربيع، فعادت عساكر الشرق والموصل والشام ومصر، وبقي

(١) الجرخ - الجروح: أنواع من السهام - انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٢ هامش ٤.

(٢) الزنبورك - الزنبوركات: نوع سميك من السهام - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٤ هامش

(٣) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٤. الكامل ج ١١ ص ٥٥٣ - ٥٥٥.

(٤) ديسمبر ١١٨٧ م.

السُّلْطَانُ فِي عَكَا فِي حَلَقْتِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَرَدَّ أَمْرَهَا إِلَى الْأَمِيرِ عَزِ الدِّينِ جُرْدِيكَ (١) .

ذَكَرَ فَتْحَ هُونِينِ

قَالَ الْمُؤَرِّخُ : كَانَ السُّلْطَانُ لَمَّا فَتَحَ تَبَيَّنَ امْتِنَاعَ مَنْ بِهُونِينِ مِنْ تَسْلِيمِهَا ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقَلَاعِ وَأَمْنَمَهَا ، فَتَرْتَبَ عَلَيْهَا مِنْ يَحْضُرِهَا ؛ فَطَلَبَ مَنْ بِهَا الْأَمَانَ لَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ يَحَاصِرُ صُورَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَنَزَلُوا مِنْهَا وَتَسَلَّمَهَا (٢) .

[وَاتَّفَقَ أَنْ فَتَحَ هَذِهِ الْمَدِينِ وَالْحِصُونِ جَمِيعَهَا مِنْ جَبَلَةِ إِلَى سَرْمِينِيَّةِ ، مَعَ كَثْرَتِهَا ، كَانَ فِي سِتِّ جَمْعٍ مَعَ أَنَّهَا فِي أَيْدِي أَشْجَعِ النَّاسِ] (٣) [١٢٥] وَأَشَدَّهُمْ عِدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَيَسِّرُ اللَّهُ فَتْحَهَا فِي أَيَّامٍ مَدَّةٍ .

(١) انظر الكامل جـ ١١ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ .

(٢) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(٣) رغم تتابع أرقام أوراق المخطوط ، فإن الكلام غير متصل فيما بين ورقم ١٢٤ وورقة ١٢٥ ، والفقرة المضافة من الكامل جـ ١٢ ص ١٣ - ١٤ لمواصلة تتابع الأحداث ، وتتفق مع السياق الذي أورده التويري في بداية الورقة ١٢٥ ، أما المدن والحصون التي تشير إليها هذه الفقرة فهي :

- ذكر فتح جبلة - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٨ ، الكامل جـ ١٢ ص ٧ .
- ذكر فتح بكسر ائيل - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٩ ، الكامل جـ ١٢ ص ٨ .
- ذكر فتح اللاذقية - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٥٩ ، الكامل جـ ١٢ ص ٩ .
- ذكر فتح صهيون - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦١ ، الكامل جـ ١٢ ص ١٠ .
- ذكر فتح الشفر وبكاس - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٤ ، الكامل جـ ١٢ ص ١٢ .
- ذكر فتح سرمانية - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٤ ، الكامل جـ ١٢ ص ١٣ .

ذكر فتح حصن برزية

قال : ولما رحل السلطان من قلعة الثغر سار إلى قلعة برزية (١) ، وبحصانتها يضرب المثل ، وهي تقابل حصن أفامية (٢) وتناصفها في أعمالها ، وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصي ، ومن عيون تنفجر من جبل برزية وغيره .

وكان أهلها أضر شيء على المسلمين يقطعون الطريق ويبلغون في الأذى .

فنزّل السلطان شريقها في رابع عشرين الشهر (٣) ، وركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعا يقاتلها منه ، فلم يجده إلا من جهة الغرب . وهذه القلعة لا يمكن أن تقاتل من جهتي الجنوب والشمال ألبتة ، فإن جبلها لا يصعد إليه من هاتين الجهتين ؛ وأما الجانب الشرقي فيمكن الصعود منه لغير مقاتل لصعوبته وارتفاعه ؛ وأما جهة الغرب فإن الوادي المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهم . فنزله المسلمون ونصبوا المجانيق ، ونصب أهل القلعة منجنيقا ، فرأى السلطان المجانيق لا تفيد ، فتركها وعزم على الزحف ومكائرتها بالرجال ؛ فقسّم العسكر ثلاثة أقسام ، يزحفون بالنوبة . فطال ذلك على أهلها وعجزوا عن مقاتلتهم فملكها المسلمون عنوة ونهبوا وأسروا وسبوا ، وأخذوا صاحبها وأهله ، وأمست خالية خاوية . وألقى المسلمون النار في بعض البيوت فاحترقت (٤) .

(١) برزية = برزويه : حصن قرب الساحل على سن جبل شاهق - معجم البلدان .

(٢) أفامية : حصن على سواحل حمص ، يقابل برزية - معجم البلدان .

(٣) هو شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٤ هـ - الكامل ج ١٢ ص ١٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) الكامل ج ١٢ ص ١٤ - ١٧ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، النوادر السلطانية ص ٩٢ - ٩٣ .

ذكر فتح قلعة دَرَبَسَاك

قال : ثم رحل السلطان بعد فتوح برزوية من الغد فأتى جسر الحديد ، وهو على العاصى بالقرب من أنطاكية ، فأقام هناك حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار إلى قلعة دَرَبَسَاك ، فنزل عليها في ثامن شهر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وهي من أحصن معازل الداوية وقلاعهم التي يدخرونها عند نزول الشدائد بهم . فنصب عليها المجانيق ، وتابع الرمي بالحجارة ، فهدم قطعة يسيرة من سورها : ثم أمر بالزحف عليها ومهاجمتها : فتوالى الزحف والقتال ، وتقدم النقبابون فنقبوا منها برجاً وعلقوه فسقط ، وطلب أهله الأمان فأمنهم على ألا يخرجوا منها بغير ثيابهم خاصة ، فخرجوا كذلك ، وتوجهوا إلى أنطاكية ، وتسلمه في تاسع عشر شهر رجب (١) .

ذكر فتح قلعة بَغْرَاس

قال : ثم سار عن دَرَبَسَاك إلى قلعة بَغْرَاس ، فحصرها بعد أن اختلف أصحابه في حصرها ، فمنهم من أشار به ، ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين ، وقلعة منيعة ، وهو بالقرب من أنطاكية . فسار إليها وجعل أكثر عسكره مقابل أنطاكية يغيرون على ضياعها ، وبقي هو في بعض أصحابه على القلعة ونصب عليها المجانيق فلم يؤثر فيها ، فغلب على الظنون تعذر فتحها . فبينما هم في ذلك إذ جاء رجل من القلعة يطلب الأمان لرَسُولٍ ، فأعطيه ، وجاء رسول يطلب الأمان لأهلها ، وسلموها على قاعدة دربساك ، فأجابهم إلى ما طلبوا . وعاد

(١) الكامل جـ ١٢ ص ١٧ - ١٨ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ، النوار السلطانية

الرَّسُولَ وَمَعَهُ الْأَعْلَامَ السُّلْطَانِيَّةَ فَرَفَعَتْ عَلَى رَأْسِ الْقَلْعَةِ ، وَتَسَلَّمَهَا السُّلْطَانُ وَأَمَرَ بِتَخْرِيْبِهَا فَخَرِبَتْ (١) .

ذِكْرُ الْهَدَنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَّةِ

قَالَ : وَلَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ بَغْرَاسَ قَصْدِ حِصَارِ أَنْطَاكِيَّةِ فَجَاءَتْهُ رُسُلٌ يَمْنَدُ تَسْأَلَهُ الْهَدَنَةَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِحَيْثُ يُطْلَقُ جَمِيعٌ مَنَ عِنْدَهُ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ . فَاسْتَشَارَ السُّلْطَانُ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارَ أَكْثَرُهُمْ بِذَلِكَ لِيَسْتَرِيحَ الْعَسْكَرُ وَيَجْدُدُوا [١٢٦] مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ وَوَقَّعَتْ الْهَدَنَةَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ أَوْلَاهَا تَشْرِينَ الْأَوَّلِ (٢) .

وَتَوَجَّهَ السُّلْطَانُ إِلَى حَلَبِ فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ ، وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ الشَّرْقِيَّةَ : عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِيَّ بْنَ مَوْدُودِ صَاحِبِ سَنْجَارِ ، وَعَسْكَرَ الْمَوْصَلِ ، وَغَيْرَهُمَا . ثُمَّ رَجَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَدْخَلَهَا فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ .

ذِكْرُ فَتْحِ الْكِرْكِ وَالشُّوبُوكِ وَمَا يَجَاوِرُهُمَا

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ قَدْ جَعَلَ عَلَى الْكِرْكِ مِنْ يَحْصُرُهُ ، وَهُوَ سَعْدُ الدِّينِ كَمَشْبِهِ (٣) ، فِي أَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ؛ فَلَازَمَ الْحِصَارَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ حَتَّى نَفَذَتْ دَخَانُ الْفَرَنْجِ ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهُمْ . فَرَأَسَلُوا الْمَلِكَ الْعَادِلَ أَخَا السُّلْطَانَ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ جَعَلَهُ بِتِلْكَ التَّوَاحِي فِي جَمْعٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَسَأَلُوهُ الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدِ الدِّينِ مَقْدَمَ الْعَسْكَرِ فَتَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ مِنْهُمْ وَأَمَّنَّهُمْ .

(١) الكامل جـ ١٢ ص ١٨ - ١٩ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، النوادر السلطانية ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) شهر أكتوبر ١١٨٨ م - شعبان ٥٨٤ هـ - الكامل جـ ١٢ ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) « كمشبا » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧١ .

وتسلّم أيضاً ما قارب هذا الحصن من الحُصُون وهو الشوبك ،
 وهرمز ، والوعيرة ، والسلم فأمنت القلوب من تلك الجهة^(١) .

ذكر فتح قلعة صفد

قال : ولما وصل السلطان إلى دمشق أشير عليه أن يفرّق العساكر ،
 فقال : إن العمر قصير والأجل غير مأمون ، وقد بقي بيد الفرنج هذه
 الحصون : صفد والكوكب ، ولا بد من الفراغ من ذلك فإنهما في وسط
 بلاد الإسلام . وأقام بدمشق إلى منتصف شهر رمضان من السنة ، وسار
 إلى قلعة صفد ، فحصرها ونصب عليها المجانيق ، وداوم الرمي ليلاً
 ونهاراً ، فسألوا الأمان ، فأمنهم وتسلّمها ، وخرج أهلها إلى صور^(٢) .

ذكر فتح كوكب

قد قدّمنا^(٣) أن السلطان كان قد جعل على كوكب الأمير قايماز
 النجّمي^(٤) . فلما حصر السلطان صفد أرسل من بصور من الفرنج نجدة
 من جهاتهم إلى كوكب ، وهم مائتا رجل من الشجعان ، فظفر بهم
 قايماز فقتلهم عن آخرهم ، وأرسل إلى السلطان المقدمين عليهم ، وهما
 رجلان من فرسان الأستبار ، فأمر بقتلها ، فقال أحدهما ما أظن أننا
 ينالنا سوء بعد أن رأينا وجهك الصبيح . فعفا عنهما واعتقلهما .

ولما ملك صفد سار عنها إلى كوكب وشدد الحصار ووالى الزحف ،
 وأشرف على أخذها ، فسأل الفرنج الأمان فأمنهم وأطلقهم ، وتسلّم

(١) الكامل ج ١٢ ص ٢٠ - ٢١ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) وذلك في رابع عشر شهر شوال ٥٨٤ هـ - مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٣) لم يذكر النويري ذلك من قبل ، ولكنه ينقل عن غيره ، وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع .

(٤) هو قايماز بن عبدالله النجّمي ، صادم الدين ، توفي سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م - البداية

والنهاية ج ١٣ ص ٢٣ ، الدارس ج ١ ص ٥٧٢ وما بعدها .

الحِصْنُ فِي مِنتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

فَالْتَحَقَ مَنْ كَانَ بِهِ بَصُورٌ فَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَكثُرُوا ، لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُمْ شُجْعَانُ الْفَرَنْجِ وَكُمَاتُهُمْ . وَتَابَعُوا الرَّسَلَ إِلَى مَلُوكِ الْفَرَنْجِ بِالْأَنْدَلُسِ وَصِقْلِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ يَسْتَعِيثُونَ بِهِمْ وَيَسْأَلُونَ الْأَمْدَادَ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا نَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَعِيدَ فِيهِ عِيدَ الْأَضْحَى . ثُمَّ سَارَ مِنْهُ إِلَى عَكَا وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ انْسَلَخَتِ السَّنَةُ (١) .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ثَارَ بِالْقَاهِرَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَنَادُوا بِشِعَارِ الْعُلُويِّينَ ، وَصَاحُوا : يَا لَعَلِي (٢) وَسَلَكُوا الدُّرُوبَ يُنَادُونَ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ يُلَبُّونَ دَعْوَتَهُمْ وَيُخْرِجُونَ مَعَهُمْ ، فَيُعِيدُونَ الدَّوْلَةَ الْعُبَيْدِيَّةَ وَيَمْلِكُونَ الْبَلَدَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ بِالْقَصْرِ مِنَ الْعُلُويِّينَ ؛ فَلَمْ يُجِبْهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

فَلَمَّا خَابَ سَعْيُهُمْ تَفَرَّقُوا فَأَخَذُوا . وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَهَمَّهُ وَأَزْعَجَهُ .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ : يَنْبَغِي أَنْ يُفْرَحَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ وَلَا يَحْزَنَ ، حَيْثُ عَلِمَ مِنْ بَوَاطِنِ رَعِيَّتِهِ الْمَحَبَّةَ لَهُ وَالنَّصِيحَةَ ، وَتَرَكَ الْمَيْلَ إِلَى عَدُوِّهِ . وَلَوْ وَضَعَ السُّلْطَانُ جَمَاعَةً يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ لَيَعْلَمَ بَوَاطِنُ أَصْحَابِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَسِرَ الْأَمْوَالُ الْجَلِيَّةَ لَكَانَ قَلِيلًا فَسُرِّيَ عَنْهُ .

(١) الكامل جـ ١٢ ص ٢٢ - ٢٣ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٦ ، التوادر السلطانية ص ٩٦ .

(٢) « يال على » في مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٦ ، الكامل جـ ١٢ ص ٢٤ .

(٣) « وخبر الأموال » في الأصل ، والنصح من الكامل جـ ١٢ ص ٢٤ .

[١٢٧] ذكر فتح شقيف ارنوم

وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسمائة سار السلطان إلى شقيف ارنوم^(١)، وهو من أمنع الحصون، ليحصره، ونزل بمرج عُيون فنزل صاحب الشقيف، وهو ارناط^(٢) صاحب صيدا، إلى السلطان؛ وكان من أكثر الناس ذهاء ومكرًا فقال: أنا محب لك ولدولتك، ومعتزف بإحسانك، وأخاف أن يطّلع المركيس على ما بيني وبينك فينال أولادى وأهلى منه أذى، فإنهم عنده بصور؛ وأحب أن تمهلنى حتى أتوصل إلى تخلصهم من عنده، وحينئذ أحضر أنا وهم إلى عندك ونسلم الحصن إليك، ونكون فى خدمتك، نقنع بما تعطينا من الإقطاع. فأجابه السلطان إلى ذلك وظن صدقه، واستقر الأمر بينهما أن يسلم الشقيف فى جمادى الآخرة.

وأقام السلطان بمرج عُيون ينتظر الأجل وهو قلق مفكر لقرب انقضاء الهدنة بينه وبين صاحب أنطاكية فأمر تقي الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه من بلاد الشرق ويكون مقابل أنطاكية لئلا يغير صاحبها على ما يجاوره من بلاد الإسلام عند انقضاء الأجل.

وكان السلطان أيضًا منزِع الخاطر لما بلغه من اجتماع الفرنج بصور وما يصل إليهم من الأمداد، وأنهم اجتمعوا فى خلق كثير وخرجوا من مدينة صور إلى ظاهرها؛ فخاف أن يترك الشقيف وراء ظهره. وكان ارناط فى هذه المدة يشتري الأقوات من سوق العسكر، والسلاح، وغير ذلك مما يحصن به شقيقه، فيبلغ السلطان فلا يُنكره بحسن ظنه. وكان قصد ارناط المطاولة إلى أن يظهر الفرنج من صور.

(١) شقيف ارنوم = شقيف ارنون: قلعة حصينة بين بانياس والساحل - معجم البلدان.

(٢) واسمه رينالد، ويعرف برينجالد صاحب صيدا - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ٨٧٠.

فلما قاربَ الأجل تقدّم السلطان إلى الشقيف ، واستدعى أرناط وقد بقي من الأجل ثلاثة أيام ، فجاءه ، فتحدّث معه في تسليم الحصن ، فاعتذر بأولاده وأهله وأن المركيس لم يمكنهم من المجيء إليه ، وطلب المهلة مدّة أخرى . فحينئذٍ تحقق السلطان مكره وخداعه ، فأخذَه وحَبَسَه ، وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيسًا وحمله رسالة سرًا ، وأظهر أنه أمره بتسليمه ؛ فامتنع من بالحصن من تسليمه : فسرّ أرناط إلى دمشق وسجنه ، وتقدّم إلى الشقيف وضيق على من به ، وترك عليه من يحفظه ويمنع من الوصول إليه . فتسلّمه في يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وأطلق صاحبه^(١) .

ذكر مسير السلطان من مرج عيون إلى صور وما كان عليها من الوقائع

قال : وجاءت السلطان كتب أصحابه الذين جعلهم يزكّا^(٢) في مقابلة الفرنج على مدينة صور يخبرونه أن الفرنج قد اجتمعوا على عبور البحر الذي لصور ، وعزموا على حصار صيدا . فسار جريدة في شجعان أصحابه ، فوصل إليهم بعد أن كانت الوقعة بين الفرنج وبين الزك .

وذلك أن الفرنج خرجوا من مدينة صور ، فلقبهم الزك على مضيق وقاتلوه ومنعواهم ، وكانت حربًا شديدة ، وأيسر من الفرنج جماعة ، منهم سبعة رجال من فرسانهم المشهورين ، وقتل من المسلمين

(١) الكامل ج ١٢ ص ٢٧ - ٢٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ، النوادر السلطانية ص ٩٧ .

(٢) الزك : طلائع الجيش - صبح الأعشى ج ١٠ ص ١١٠ .

جماعة . ثم عجز الفرنج عن الوصول إلى صيدا فعادوا إلى صور والله أعلم^(١) .

ثم كانت لهم وقعة ثانية بعد وصول السلطان مع المتطوعة .

وذلك أن السلطان لما جاء إلى صور أقام مع اليزك في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج للخروج ؛ فركب في بعض الأيام في عدة يسيرة لينظر إلى مخيم الفرنج من الجبل ، فظن من هناك من المتطوعة أنه قصد الغزاة ، فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو وبعثوا [١٢٨] عن العسكر ، وخلفوا السلطان وراء ظهرهم ؛ فبعث من يردهم فلم يرجعوا . وظن الفرنج أن وراءهم من يحميهم فأحجموا عنهم ؛ فلما علموا بانفرادهم حملوا عليهم حملة رجل واحد ، فقتل منهم جماعة من المعروفين ؛ فشق ذلك على السلطان والمسلمين . وكانت هذه الواقعة في تاسع جمادى الأولى .

فلما رأى السلطان ذلك انحدر من الجبل بمن معه ، وحمل على الفرنج فردهم إلى الجسر ، فرموا بأنفسهم في الماء ، ففرق منهم مائة دارع سوى من قتل . وعادوا إلى مدينة صور ، فعادا السلطان إلى تبين ثم إلى عكا .

ثم كانت وقعة ثالثة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة صبر فيها الفريقان^(٢) .

ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها

قال المؤرخ : لما كثر جمع الفرنج بصور ، على ما ذكرناه من أن السلطان كان كلما فتح حصناً أو مدينة بالأمان سار أهلها إلى صور

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . الكامل ج ١٢ ص ٢٩ .

(٢) انظر تفصيل هذه الواقعة الثالثة في الكامل ج ١٢ ص ٣٠ - ٣١ .

بأموالهم وأهليهم ، اجتمع بها منهم عالمٌ كثير لا يُحصون ، وأموالٌ كثيرة ، ثم إن الرهبان والقُسوس لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس عنهم ، وتابَعهم جماعةٌ من المشهورين . فأخذهم البطرك^(١) ودخل بهم إلى بلاد الفرنج يطوفها بهم ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ، ويحثونهم على الأخذ بنار البيت المقدس .

وصوروا صورة المسيح عليه السلام وصورة رجل أعرابي والعربي يضربه بين جماعة ، وقالوا : هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين ، وقد جرحه وقتله^(٢) .

فعظّم ذلك على الفرنج وحشدوا ، حتى النساء ، فإنهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأقران . ومن لم يستطع أن يخرج استأجر عنه أو يعطيهم مالا . فاجتمع لهم من الرجال والأموال مالا . يُحصى كثرة .

واجتمعوا بصور والبحر يُمدّهم بالأموال والأقوات والعدد والذخائر ، فضاقت عليهم مدينة صور ، باطنها وظاهرها ؛ فأرادوا قصد صيدا ، فكان من ردهم ما ذكرناه .

فاتفقوا على قصد عكا ومُحاصرتها ؛ فسأروا إليها بفارسهم ورجالهم ، ولزموا البحر في مسيرهم ، لا يفارقونه في السهل والوعر ، ومراكبهم تسايروهم وفيها السلاح والذخائر . فكان رحيلهم من مدينة صور في ثاني شهر رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ونزولهم

(١) « البترك » في الأصل .

والمقصود رئيس أساقفة صور وهو جوسبيوس Goscus الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٨٣ .

(٢) انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٨٨ ، الكامل ج ١٢ ص ٣٢ ، الروضتين ج ٢ ص ١٤١ .

على عكا في مُنتصف الشهر . فتخطف المسلمون منهم في مسيرهم وأخذوا من انفراد .

وجاء الخبر إلى السلطان برحيلهم ، فسار حتى قاربهم . ثم نزلوا على عكا قبل وُضوله إليها ، ونازلوها من سائر جهاتها براً وبحراً ، فلم يبق للمسلمين إليها طريق . ونزل السلطان عليهم وضرب خيمته على تل كيسان^(١) وامتدت يمينته إلى تل العياضية وميسرته إلى النهر الجاري^(٢) ، ونزلت الأثقال بصفورية . وسير الكتب إلى الأطراف ، يستدعى العساكر ، فأتاه عسكر الموصل ، وديار بكر ، وسنجار ، وغيرها من بلاد الجزيرة . وأتاه تقي الدين ابن أخيه ، ومظفر الدين بن زين الدين صاحب حران والرها . فكانت الأمداد تأتي المسلمين في البر وتأتي الفرنج في البحر .

وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة .

نحن نذكر المشهور منها على سبيل الاختصار ؛ وأما الحروب التي تكون بين بعض هؤلاء وبعض هؤلاء ، والمناوشات ، فلو شرحناها لطال بها الكتاب لأن مدة هذا الحصار كانت ثلاث سنين وشهراً .

وكان ابتداء القتال في مُستهل شعبان من السنة . فقاتلهم السلطان في ذلك اليوم ولم يبلغ منهم غرضاً ؛ ثم باكرهم القتال واستدار عليهم من سائر جهاتهم إلى أن انتصف النهار ، وصبر الفريقان أعظم صبر . فحمل تقي الدين من اليمين على من يليه منهم وأزاحهم عن مواقفهم ، فركب بعضهم بعضاً لا يلوى الأخ على أخيه ، والتجأوا إلى من يليهم من أصحابهم . وانكشف نصف البلد ، وملك تقي الدين مكانهم ، ودخل

(١) تل كيسان : بفتح الكاف وياء ساكنة : موضع في مرج عكا من سواحل الشام — معجم البلدان .

(٢) هو نهر بالس .

المسلمون البلد وخرجوا منه ، واتصلت الطريق وزال الحصار . وأدخل السلطان إلى البلد [١٢٩] مَنْ أراد من الرجال ، وما أراد من الذخائر ، والأموال ، والسلاح ؛ فكان مِنْ جُملة من أمره السلطان بالدخول إليها الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين . وقُتِل من الفرنج في هذا اليوم خلقٌ كثير .

ثم كانت بينهم وقعتات في ثامن شعبان ، وتاسعِهِ ، وعَاشِرِهِ ، وحادي عشرِهِ . ثم كانت وقعةٌ في تاسع عشر شعبان بين أهل عكا والعدو فقتل من في الطائفتين وجرح .

ثم كانت الوقعة الكبرى في الحادي والعشرين من شعبان وذلك أن الفرنج اجتمعوا وتشاوروا ، وقالوا إن العسكر المصري إلى الآن ما قديم وهذا فعل السلطان ، فكيف إذا قدمت عساكره فأجمعوا رأيهم على مُناجزة الحرب . وكانت عساكر السلطان متفرقة : منها طائفة في مُقابلة أنطاكية تمنع صاحبها من الإغارة على الأعمال الحلبية ؛ وطائفة على حمص في مُقابلة طرابلس ؛ وطائفة تقابل من بقي بصرى ؛ وطائفة بالديار المصرية لحماية ثغرى الإسكندرية ودمياط ، ومن بقي من العسكر المصري إلى الآن لم يصل ؛ وهذا مما أطمع الفرنج في الظهور .

قال : وأصبح المسلمون في هذا اليوم على عاداتهم ؛ منهم من يتقدم إلى القتال ومنهم من هو في خيمته ، ومنهم من قد توجه في حاجته . فخرج الفرنج من معسكرهم كالجراد المنتشر قد ملأوا الأرض ، فكانت وقعة عظيمة ابتداؤها على المسلمين ، ثم أنزل الله نصره عليهم ، فهزموا الفرنج أقيح هزيمة ، وقتل منهم من رؤسائهم عشرة آلاف ، وقتل من المسلمين في هذه الموقعة من الغلمان ومن لم يعرف مائة وخمسون ، ومن المعروفين الأمير مجلى بن مروان ،

والظهير أخو الفقيه عيسى [الهكاري]^(١)، وكان والى البيت المقدس ، جمَعَ العِلْمَ والذِّينَ والشَّجَاعَةَ ، والحاجب خليل الهكاري ، وجمال الدين بن رَوَاحَةَ الحموي ، ولم يكن بالمصاف . وأَسِرَ مِنَ الفرنجِ مَقْدَمَ الدَّوَابَّةِ ؛ وكان السُّلْطَانُ قد أسره فيما تقدَّم وأطلقه ، فقتله الآن .

قال : وأمر السُّلْطَانُ بِجَمْعِ القَتْلَى وإلقائهم في النهر الذي يشرب منه الفرنج .

قال العماد الأصفهاني رحمه الله : ومن العجب أن الذين ثبتوا في هذه الواقعة لم يبلغوا ألفاً ، ردُّوا مائة ألف ، وآتاهم الله قوة بعد ضعف .
قال ابن الأثير : وأخذ في جُمْلَةِ الأسرى ثلاث نسوة فرنجيات كنَّ يقاتِلْنَ على الخيل ، فلما أُسِرْنَ وألْقِيَ عَنْهُنَّ السِّلَاحُ عُرِفْنَ^(٢) .

ذِكْرُ رَحِيلِ السُّلْطَانِ عَنِ مَنزِلَتِهِ وَتَمَكُّنِ الْفَرَنْجِ مِنْ حِصَارِ عَمَّا

كان رحيله في رابع شهر رمضان من السنة . وسبب ذلك أنه لما قُتِلَ مِنَ الْفَرَنْجِ هَذِهِ الْمَقْتَلَةَ الْعَظِيمَةَ جَافَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ ، وَحَدَّثَ لِلْأَمْرَجَةِ فِسَادٌ ، وَحَصَلَ لِلْسُّلْطَانِ مَرَضُ الْقَوْلَجِ ، وَكَانَ يَعْتَرِيهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَمْرَاءُ وَالْأَطْبَاءُ بِالانتقال ، وقالوا لو أراد الفرنج أن ينصرفوا لما قدرُوا فإِنَّا قَدْ ضيقنا عليهم ؛ والرأى أن يَنْتَقِلَ عَنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، فَإِنْ رَحَلُوا فَقَدْ كَفِينَا شَرَّهُمْ ، وَإِنْ أَقَامُوا عُدْنَا إِلَى الْقِتَالِ ، فَوَافَقَهُمْ . وَكَانَ بَشَسَ الرَّأى .

(١) [إضافة للتوضيح .

(٢) الكامل ج ١٢ ص ٣٩ .

ورحل السلطان إلى منزلة الخروبة^(١)، وكتب إلى أهل عكا يعلمهم بسبب رحيله ويحثهم على حفظ البلد وغلق أبوابها.

قال: ولما رحل السلطان بعساكره عن تلك المنزلة أَمِنَ الفرنج وانبسطوا، وأنبثوا، وعادوا إلى حصار عكا في البر والبحر، وشرعوا في حفر خندق عليهم يكون بينهم وبين المسلمين إن قصدوهم وعملوا سوراً من تراب، وجاءوا بما لم يكن في الحُصبان. هذا والسلطان قد اشتد به المرض فلم يستقل منه إلى أن تكامل حفر الخندق وعمل السور من ترابه.

ذكر وصول العسكر المصري في البر [١٣٠]

والأسطول في البحر

قال: وفي منتصف شوال سنة خمس وثمانين وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين. فلما وصلت قويت قلوب الناس، وأحضر من آلات الحصار شيئاً كثيراً. ثم وصل بعده الأسطول المصري في خمسين قطعة ومقدمهم الأمير حسام الدين لؤلؤ، وكان شهماً شجاعاً، مقدماً ميمون النقيبة، خبيراً بقتال البحر؛ فوصل بفتة، فوقع على بطشة كبيرة للفرنج، فغنمها وأخذ ما فيها من الأموال الكثيرة والميرة، وعبر بذلك إلى عكا؛ فسكنت نفوس الناس بذلك. وقال العماد: إنه ظفر ببطشتين^(٢).

(١) الخروبة: تل في الطريق بين صفورية وعكا، في منطقة الجبال التي تشرف على السهل بهذه المنطقة - معجم البلدان.

(٢) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٠٥.

ذكر خبر ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته

قال العماد الأصفهاني : ونُي الخبر بوصول ملك الألمان^(١) إلى قسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل على قصد العبور إلى بلاد الإسلام . فاستنفر الملك الناصر الجيوش والعساكر من كل جهة ، وجَهَّز القاضي بهاء الدين شداد وأمره بالمسير إلى الديوان العزيز ببغداد^(٢) وأن يمرُّ على صاحب سنجار^(٣) ، وصاحب الموصل^(٤) ، وصاحب إربل^(٥) ، ويستدعيهم بأنفسهم وعساكرهم .

قال ابن شداد : فسرت في حادي عشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وأبلغت الرسائل ، فأجابوا إلى ذلك ، فعُدت في خامس شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وسبقت العساكر^(٦) .

ثم وصلت العساكر عند انقضاء الشتاء في شهر ربيع الأول وأمدّه الخليفة بحمل من النفط الطيار وحملين من القنا ، وتوقيع بعشرين ألف دينار يقبض على الديوان العزيز من التجار ، وخمسة من الزراقيين .

(١) هو الامبراطور فردريك بربروسا - الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص ٨٨٦ .

(٢) كان الخليفة في ذلك الوقت الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء ، الذي ولي الخلافة العباسية في الفترة من ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٣) هو عماد الدين زنكي بن مودود ، الذي ولي سنجار في الفترة من ٥٦٦ - ٥٩٤ هـ / ١١٧٠ - ١١٩٧ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٧ .

(٤) هو عز الدين مسعود بن غازي ، الذي ولي حكم الموصل في الفترة من ٥٧٦ - ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ - ١١٩٣ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٦ .

(٥) هو زين الدين يوسف بن علي الذي حكم إربل في الفترة من ٥٦٣ - ٥٨٦ هـ / ١١٦٨ - ١١٩٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٤٩ .

(٦) النوادر السلطانية ص ١١٥ .

وكان العدو قد اصطنع ثلاثة أبرجة من الخشب والحديد كالجبال وأبسها الجلود المسقاة بالخل ، فيسر الله تعالى على المسلمين إحراقها ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول .

قال : وكان السلطان قد كتب إلى مصر بعمارة الأسطول وإحضاره إلى عكا ، فوصل في يوم الخميس ثامن الشهر ، فكانت الحرب في هذا اليوم في ثلاثة مواضع في البحر ، والحصار في البر ، وكان النصر بحمد الله للمسلمين .

هذا ما كان من أمر السلطان لما بلغه خبر ملك الألمان .

وأما ملك الألمان فقال ابن الأثير في تاريخه الكامل :

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة خرج ملك الألمان من بلاده ، وهم طائفة من الفرنج من أكثرهم عدداً وأشدهم بأساً ، وكان قد أزعجه ملك المسلمين البيت المقدس ، فجمع عساكره وسار بهم ، وطريقه في مسيره على القسطنطينية . فأرسل ملك الروم^(١) بخبره إلى السلطان ، ووعدته أنه لا يمكنه من العبور إلى بلاده . فلما وصل ملك الألمان إلى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه ، لكنه منع عنهم الميرة ، فقلت أزواده ؛ وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية ، وصاروا على أرض بلاد الإسلام ، وهي مملكة الملك قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي^(٢) . فلما وصلوا إلى أوائلها ثار عليهم التزكمان [فمازالوا]^(٣) يسايرونهم ، فيقتلون من انفرد منهم ويسرقون ماقدروا

(١) هو إسحاق الثاني أنجليوس ، الذي ولي عرش الدولة البيزنطية في الفترة من ١١٨٥ -

١١٩٥ م - تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٨٥١ .

(٢) هو قليج أرسلان بن مسعود ، عز الدين ، الذي ولي سلاجقة الروم في الفترة من ٥٥١ -

٥٨٨ هـ / ١١٥٦ - ١١٩٢ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ٣٢١ .

(٣) [إضافة تتفق والسياق - من الكامل ج ١٢ ص ٤٨ .

عليه ؛ فنالهم لذلك مشقة عظيمة ، وهلك كثير منهم من الجوع والبرد وكثرة الثلوج .

فلما قاربوا مدينة قونية خرج إليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج أرسلان [ليمنعهم] ^(١) فعجز عن ذلك ، فعاد إلى قونية ، فأسرعوا السير في أثره فنأزلوا قونية وأرسلوا إليه هدية وطلبوا منه أن يأذن للرعية في بيع الأتوات عليهم ، فأذن في ذلك .

وطلبوا من الملك قطب الدين أن يأمر رعيته بالكف عنهم وأن يجهز معهم جماعة من أمرائه رهائن ، فخافهم ، وسلم إليهم نيفا وعشرين أميراً كان يكرههم . فسأروا بهم معهم ، ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من أذاهم ؛ فقبض ملك الألمان على من معه من الأمراء وقبضهم ، فمنهم من مات في أسره ومنهم من قدى نفسه ^(٢) .

قال ابن شداد : وأعوزهم الزاد وعراهم جوع عظيم ، وعجزوا عن حمل أقمشتهم ، فجمعوا عدداً كثيرةً وسلاحاً [١٣١] وجعلوا ذلك بيدراً ^(٣) وأضرموا فيه النار ، لعجزهم عن حمله ، ولئلا ينتفع به غيرهم . قال : وبقيت بعد ذلك رابية من حديد ^(٤) .

قال ابن الأثير : ثم سار إلى أن أتى إلى بلاد الأرمن ، وصاحبها يومئذ لافون ^(٥) بن اصطفانه بن ليون الأرمني ، فأمدهم بالأتوات والعلوفات ، وحكمهم في بلاده ، وأظهر الطاعة لهم . ثم سار إلى

(١) [إضافة من الكامل جـ ١٢ ص ٤٨ .

(٢) انظر الكامل جـ ١٢ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) البيدر : الجرن أو المخزن - القاموس .

(٤) النوادر السلطانية ص ١٢٣ .

(٥) هو ليو الثاني بن سديفاني بن ليو الأول - تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٣٨ - ٨٣٩ .

أنطاكية ، وكان في طريقهم نهر^(١) فنزلوا عنده ، وعَبَّرَ ملكهم إليه ليغتَسِلَ فيه ، ففرق في مكان لا يَبْلُغُ الماءَ وسطَ الرَّجُلِ فيه . وكفى الله شره^(٢) .

وقال ابنُ شدَّاد : إنه لما وصل إلى طرسوس سَبَّحَ في النهرِ فمَرَضَ من شِدَّةِ بَرْدِ الماءِ فمات ؛ ولما مات سَلَقُوهُ في خلٍ وجمَعُوا عِظَامَهُ في كيسٍ ليحملوها إلى القُدسِ ويدفنوها به^(٣) .

قال ابن الأثير : وكان معه ولدٌ كبيرٌ فملك بعده وسار إلى أنطاكية ، فاختلف أصحابه عليه ؛ وأحبَّ بعضهم العودَ إلى بلادِهِ فتخلف عنه ، ومال بعضهم إلى تملكِ أخٍ له فعاد أيضا ، وسارَ هو فيمَن بَقِيَ معه . فمَرَضَهُمْ ، وكانوا نِيَقًا وأربعين ألفًا وقعَ فيهم الوباءُ والموتُ ، فوصلوا إلى أنطاكية وكانهم قد نَبَسُوا من القبورِ فتبرَّم بهم صاحبُها وحسَّن لهم المسيرَ إلى عكا . فسأروا على اللاذقية وجبلة وغيرهما من البلاد التي ملكها المسلمون ؛ وخرج أهل حلب وغيرها إليهم وأسروا منهم خلقًا كثيرًا ، ومات أكثرُ مِمَّن أسر^(٤) .

قال : وبلغوا إلى طرابلس وأقاموا بها أيامًا فكثُرَ فيهم الموتُ ، فلم يَبْقَ منهم إلا نحو ألف رجل ، فركبوا في البحر إلى الفرنج الذين على عكا .

ولما وصلوا ورأوا ما نالهم في طريقهم وما هم فيه من الاختلافِ عادوا إلى بلادهم ، ففرقت بهم المراكب ، فلم يَبْجُ منهم أحد^(٥) .

(١) هو نهر سالف .

(٢) الكامل جـ ١٢ ص ٤٩ .

(٣) النواذر السلطانية ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) الكامل جـ ١٢ ص ٤٩ .

(٥) الكامل جـ ١٢ ص ٤٩ - ٥٠ .

وقال ابن شدّاد : إنهم لما وصلوا إلى أنطاكية طلب ابن ملكهم من صاحبها قلعها لينقل إليها أمواله وخزائنه وأثقاله ، فسلمها إليه طمعاً في ماله ، وكان كذلك ، فإنه لم يعد إليه واستولى الإبرنس على ما فيها (١) .

قال : وجاءت فرقة منهم إلى حصن بغراس وظنوا أنه للفرنج ، ففتح لهم وإلى الحصن الباب وتسلم منهم الأموال ، وأسر جماعة منهم وقتل . وخرج إليهم العسكر الحلبي فقتل منهم وأسر . ثم أخذ من بقي منهم على طريق طرابلس فخرج عليهم من باللاذقية وجبله ، فقتلوا منهم وأسروا .

ثم ركب ملك الألمان في البحر من طرابلس بمن بقي معه لقصده عكا ، في أواخر شعبان ، فثارت عليهم ريح كسرت منهم ثلاث مراكب ، ووصل الباقيون إلى صور ثم إلى عكا في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين ؛ وكان لقدمهم وقع عظيم (٢) .

وسياتي ذكر ما تجدد بعد وصولهم إلى عكا إن شاء الله تعالى . فلنذكر ما كان قبل وصولهم من الوقائع .

ذكر الوقعة العادلية على عكا

كانت هذه الوقعة في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى سنة ست وثمانين .

قال ابن شدّاد : لما بلغ السلطان وصول ملك الألمان إلى بلاد الأرمن جهز بعض العساكر إلى البلاد المتاخمة لطريق عسكر العدو ،

(١) النوادر السلطانية ص ١٣٦ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وتقدّم أمره بهدم سور طبرية وهدم يافا وأرسوف وقيسارية ، وهدم سور صيدا وجبيل ونقل أهلها إلى بيروت . فلما علم الفرنج أن العساكر قد تفرقت نهضوا للقتال بغتة وهجموا على الميمنة وفيها مخيم الملك العادل ، فلما بصّر بهم ركب فيمن معه ، وتلاحقت به العساكر ، واقتتلوا ، فكانت من أعظم الوقائع ، قُتل فيها خلقٌ كثير من الفرنج .

قال : ولقد خُضت في الدماء بدائتي واجتهدت أن أعدهم فما قدرت على ذلك لكثرتهم وتفرقتهم ؛ وشاهدت منهم امرأتين مقتولتين . وكانت هذه الواقعة فيما بين الظهر والعصر في الميمنة وبعض القلب ، ولم يفتقد من المسلمين فيها غير عشرة غير معروفين ^(١) .

قال : ولما أخبر من بعكا من المسلمين بهذه الواقعة خرجوا إلى مخيم العدو من البلد ، وجرى بينهم مقتلة عظيمة انتصر فيها المسلمون ، ونهبوا ما كان بخيام الفرنج من الأقمشة وغيرها ، حتى الطعام الذي في القدور ، وسبوا النساء .

قال : واختلف الناس في عدد من قُتل من الفرنج في هذه الواقعة ، فقيل ثمانية آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، ولم ينقصهم حازر عن خمسة آلاف ^(٢) .

[١٣٢] ذكر وصول الكندهري إلى عكا نجدة للفرنج

وماجدده من آلة الحصار

قال : ثم وصل الكندهري ^(٣) في البحر نجدة للفرنج في عددٍ كثير أضعاف ما نقص منهم ، ففرق الأموال واستخدم ؛ ونصب المجانيق على

(١) النوادر السلطانية ص ١٢٩ - ١٣١ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) هو هنري تروى كونت شامبانيا ، وهو ابن أخى ملك فرنسا من جهة أبيه ، وابن أخى ملك

عكا فحرقها المسلمون ؛ ثم نصب منجنيقين فأحرقا في أول شعبان ، وكان قد أنفق عليهما ألف دينار وخمسمائة دينار ، وأسير من الفرنج سبعون في هذا اليوم ومن جُمَلتهم فارس كبير عندهم فقتله المسلمون^(١)

ثم جهز الفرنج بطشاً لمحاصرة بُرج الذبان^(٢) ، وهو برج في وسط البحر على باب ميناء عكا ، فعمدوا إلى بطشة من البُطش وعملوا برجاً على صاريها وملاؤه حطباً ونفطاً على أنهم يلحقون البطشة ببرج الذبان ، ثم يُحرقون البرج الذي على الصاري . وجعلوا في البطشة قووداً كثيراً حتى يُلْقوه في البرج إذا اشتعلت فيه النيران . وعبثوا بطشة ثانية وملاوها حطباً على أنها تدخل بين المراكب الإسلامية ثم يلهبونها فتحترق هي والبطش الإسلامية وجعلوا في بطشة ثالثة جماعة من المُقاتلة . وقدموا البطشة نحو البرج ، وكان الهواء مُسعداً لهم ، فلما أحرقوا البطشة والبرج الذي قصدوا بهما إحراق بطش المسلمين وبرج الذبان انعكس الهواء عليهم بإذن الله تعالى ، فاحترقت البُطشتان ، وانقلبت الثالثة بمن فيها من المُقاتلة . والله أعلم^(٣) .

ذكر ما كان من أمر الفرنج بعد وصول ابن ملك الألمان إلى عكا وما اتخذوه من آلات الحصار

قال : ولما وصل ابن ملك الألمان القائم في الملك بعد أبيه إلى عكا كان وصوله إليها في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين

(١) التوادر السلطانية ص ١٣٤ - ١٣٥ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) برج الذبان : برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء عكا ، يحرس الميناء ، ومضى عبره المركب أمن غائلة العدو - مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) التوادر السلطانية ص ١٣٨ - ١٣٩ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

وخمسمائة . فكان أول ما بدأ به أنه خرج إلى يَزْكِيَّةِ السَّلْطَانِ وَقَاتَلَهُمْ ، فقتل من أصحابه وجرح خلق كثير ، وانكسروا ورجعوا إلى المخيم غروب الشمس من ذلك اليوم ؛ وقتل من المسلمين اثنان وجرح جماعة . فلما عاين ذلك رجع إلى قتال من في البلد ، واتخذ من آلات الحصار ما لم ير قبل ذلك مثله ، فكان مما أحدثه آلة عظيمة تسمى دبابة يَدْخُلُ من تحتها المقاتلة ، وهي من الخشب الملبس بصفائح الحديد ، ولها من تحتها عجل يحرك من داخلها حتى تنطح السور بشدة عظيمة فتهدمه بتكرار نطحها ، وآلة أخرى وهي قبو فيه رجال تسحب فيه كبش ، ورأس تلك الآلة ممددة شبه سكة المحراث ، ورأس الكبش مدور ، هذا يهدم بثقله ، وتلك تهدم بحدتها وثقلها ، وهي تسمى سفودا^(١) ، وأعد الستائر^(٢) والسلايم وغير ذلك ؛ وأعد في البحر بطشة عظيمة وصنع فيها برجا بخرطوم إذا أرادوا قلبه على السور بحركة انقلب بحركات ويبقى طريقا إلى المكان الذي ينقلب عليه تمشي عليها المقاتلة ، ونصب المجانيق وحكمها على السور ، وتوالت ججارتها حتى أثرت فيها أثرا بينا فأخذ المسلمون سهمين عظيمين من سهام الجروح وأحرقوا نصالهما حتى بقيا كالشعلة من النار ثم روبا في منجنيق الفرنج فاحترق ، واتصل لهبه بالآخر فأحرقه^(٣) .

ثم زحف العدو على البلد في شهر رمضان في خلق كثير ، فأملهم أهل البلد حتى سحبوا ألثهم المذكورة وقاربوا أن يلصقوها بالسور ويحصل منهم في الخندق جماعة كثيرة ، فأطلقوا عليهم الجروح

(١) مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٣٤ .

(٢) ستارة : ستائر : وتتخذ من الجلود واللباد ، وتبلل بالخل والشب والنطرون لوقاية الأبراج

والدبابات الخشبية والسفن من قذائف النفط - مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٠٣ هامش ٥ .

(٣) انظر التوادر السلطانية ص ١٤٠ - ١٤١ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٣٣٦ .

والمجانيق والسهام والثيران ، وفتحوا الأبواب وهجموا على العدو من كل مكان ، وكبسوهم في الخندق ، فانهزموا ؛ ووقع السيف فيمن بقي في الخندق منهم . ثم ألقوا النار في كبشهم ، فاحترق ، وسرت ناره إلى السقود فاحترق أيضا ، وعلق المسلمون في الكبش الكلايب الحديد فسحبوه وهو يشتعل ، فحصل عندهم ، فأطفأوه بالماء . ووُزن ما كان عليه من الحديد فكان مائة قنطار بالشامى [١٣٣] فكان هذا اليوم من أحسن أيام الإسلام^(١) .

قال : واستأنف الفرنج عمل دبابة أخرى وفي رأسها شكل عظيم يُقال له الكبش ، وله قرنان في طول الرمح كالعُمد الغلاظ ، وسقوفها هي والكبش بأعمدة الحديد ، ولبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس ، فلم يبق للنار عليها سبيل ؛ وشحنوها بالرجال . فنصب المسلمون عليها المجانيق ورموها بالحجارة ، فأبعدت الرجال من حولها ، ثم رموها بحزم الحطب فأحرقوا ما بين القيرنين ، وخسفها المنجنيق ، وخرج أهل عكا فقطعوا رأس الكبشين .

قال : وفي العشر الأوسط من شهر رمضان ألقَت الرياح بطشتين فيهما رجال ونساء وصببان ، وميرة عظيمة وأغنام ، فغنيهما المسلمون^(٢) .

وكان في إحداهما امرأة محتشمة كثيرة الأموال ؛ واجتهد الفرنج في استنقاذها فلم يجابوا لذلك .

وكان بينهم في بقية السنة عدة وقائع يطول شرحها .

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٤٣ - ١٤٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٣٧ .

وفى سابع ذى الحجة هُدِمَت قطعة عظيمة من سور عكا فسدها المسلمون وقاتلوا عليها قتالاً شديداً حتى أحكموا بناءها .

وفى ثانى ذى الحجة هلك ابن ملك الألمان وكند كبير ، ومرض الكندهرى ، ووقع فيهم فناء عظيم . والله أعلم .

ذكر وصول ملك افرنسيس

كان وصوله فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسائة فى ست بطش عظام مشحونة بالمقاتلة^(١) ؛ وكان ملكاً مطاعاً فيهم ، ووعدهم بالأمداد خلفه . وكان معه باز عظيم الخلق أبيض اللون ، فطار من يده وسقط على سور عكا ، فأخذه المسلمون وأنفذوه إلى السلطان ؛ فبدل الفرنج فيه ألف دينار فلم يجابوا لذلك .

قال : وزحف الفرنج على عكا فى يوم الخميس الرابع من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ، ونصبوا عليها سبعة مجانيق . وبلغ من مضايقتهم لها أنهم كانوا يلقون فى خندقها ما يموت من دوابهم وما يؤيس منه ممن أثخنه الجراح . وانقسم أهل البلد أقساماً : قسم ينزلون إلى الخندق ويقطعون الدواب ليسهل نقلها ، وقسم ينقلون ذلك إلى البحر ، وقسم يذبون عنهم ، وقسم فى المنجنيقات وحراسة الأسوار .

قال : وكانوا قد صنعوا دبابة عظيمة أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من الرصاص ، والثالثة من الحديد ، والرابعة من

(١) هبط الملك فيليب أغسطن ملك فرنسا إلى المعسكر الصليبي أمام عكا فى ٢٠ إبريل سنة

النحاس ؛ فكانت تعلو على السور وتركب فيها المقاتلة ؛ وقربوها من السور فكاد أهل البلد يطلّبون الأمان ؛ فأعان الله على حرقها^(١) . وكان في جمادى الأولى عدة وقعات .

قال : ولما حُرقت دبابات الفرنج وكباشهم وأبرجتهم الخشب وستائرهم أقاموا أمام خيامهم مما يلي عكا تلاً مُستطيلاً عاليًا من التراب ، فكانوا يقفون وراءه ويحولونه ليقربوه من السور ؛ إلى أن صار بينه وبين السور مقدار نصف غلوة سهم . فلم تعمل فيه النار .

ذكر وصول ملك الإنكلتير

كان وصوله إلى عكا في ثالث عشر جمادى الأولى من السنة^(٢) بعد أن ملك في مسيره قبرص عنوة ؛ ووصل في أربعين قطعة . ولما قدم توالى الزحف والقتال . ثم مرض مرضاً شديداً وجرح الإفرنسيس ، وهم مع ذلك لا يدعون القتال . هذا واللصوص يدخلون عليهم في خيامهم ويسرقون أقمشتهم ويخطفونهم ، فكانوا يدخلون على الرجل من الفرنج وهو نائم فيوقظونه ، ويشيرون إليه بالسلاح ؛ إن تكلمت ذبحناك ، ومحمولونه [١٣٤] ويخرجون به إلى عسكر المسلمين . فعلوا ذلك مراراً كثيرة .

قال : ثم ترددت الرسائل من الفرنج إلى السلطان مدافعةً بسبب مرض الإنكلتير ؛ ثم استأذن في إهداء جوارح ، وقال إنها قد ضعفت وتغيرت من البحر ، وطلب أن يسير لها دجاج وطير تأكله لتقوى به ثم

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥١-٣٥٢ .

(٢) وصل الملك رتشارد قلب الأسد ، ملك إنجلترا في ٧ يونية ١١٩١ م - الشرق الأوسط

والحروب الصليبية ص ٩٢٢ .

هدى للسلطان . ففهم السلطان أنه يحتاج ذلك لنفسه لأنه حديث عهد بمرض ، فسير إليه ذلك . ثم أرسل في طلب فاكهة وتلج ، فأرسل إليه . وهم مع ذلك يحاصرون البلد أشد حصار (١) .

ذكر استيلاء الفرنج على عكا

قال : ثم اشتد الحصار في سابع مجادى الآخرة ، فركب السلطان بالعسكر وجرى قتال عظيم إلى الليل ، ولم يطعم في ذلك اليوم ؛ ولما حال بينها الليل عاد إلى خيامه . ثم باكر القتال ، فوصلت مطالعة من بالبلد يذكرون أن العجز قد بلغ بهم الغاية ، وأنهم في الغد متى لم يعمل ما يمنع العدو طلبوا الأمان وسلموا البلد . فرأى السلطان مهاجمة العدو ، فلم يساعده العسكر . فضعت نفوس أهل البلد ، وتمكن العدو من الخنادق فملكوها ، ونقبوا السور وأحرقوه ، ف وقعت بدنة من الباشورة ودخل العدو إليها ، فقتل منها زهاء مائة وخمسين نفساً ؛ وكان منهم ستة من أكابرهم ، فقال أحدهم : لا تقتلوني حتى أرحل الفرنج عنكم . فقتل رجل من الأكراد وقتل الخمسة ، فناداهم الفرنج من الغد احفظوا الستة فإننا نطلقكم كلكم بهم . فقالوا : قد قتلناهم . فقوى عزم الفرنج على عدم المصالحة وأنهم لا يطلقون من في البلد إلا بإطلاق جميع الأسرى الذين في أيدي المسلمين ، وتعاد إليهم البلاد الساحلية .

فصالحهم من بالبلد على أنهم يسلمون إليهم البلد وجميع ما فيه من الآلات والتعدد والمراكب ، ومائتي ألف دينار ، وألف وخمسمائة أسير

مجاهيل الأحوال ، ومائة أسير معيّنين ، وصلب الصُّلْبُوت ؛ على أنهم يخرجون بأنفسهم ونسائهم وذراريهم ، ومأمعهم من أموالهم وأقمشتهم . فكتبوا في ذلك إلى السُّلْطَان ، فأنكر هذا الأمر واستعظمه ؛ وعزم على أن يكتب بالإنكار على مَنْ بعكاً . وجمع أمراءه وأصحاب المشورة ، فما شعر المسلمون إلا وقد ارتفعت أعلام الكفر وصلبائه على أسوار البلد ؛ وذلك ظهر نهار الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة ، سنة سبع وثمانين وخمسائة .

فعضمت المصيبة على المسلمين وتحيّز المسلمون إلى بعض أطراف البلد . ثم ترددت الرسائل بينها على تقرير القاعدة في خلاص مَنْ بعكاً من المسلمين ، فاستقرت الحال على مائة ألف دينار وستمائة أسير وصلب الصُّلْبُوت . وأنفذوا ثقاتهم وعابنوا الصُّلْبُوت في ثامن عشر شهر رجب ؛ ثم طلبوا أن يسلم ذلك إليهم فإذا صار عندهم أطلقوا الأسرى ؛ فامتنع السلطان من ذلك إلا بعد تسليم الأسرى .

فلما رأوه قد امتنع منه أخرجوا خيامهم إلى ظاهر الخنادق في الحادي والعشرين من الشهر ؛ ثم ركبوا في وقت العَصْرِ في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وثمانين ، وجمعوا الأسرى ، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد ، فقتلوهم صبراً ، طعناً بالرَّمْح وضرباً بالسيف ، رحمة الله عليهم ؛ ولم يُبقوا من المسلمين إلا أكابرهم . فلما اتصل الخبر بالسلطان حمل المسلمون عليهم ، وجرّت بينهم حرب عظيمة دام القتال فيها طول النهار . وتصرف السلطان فيما كان قد حصّله من المال ، وأعاد الأسرى إلى أمكانهم ، وردّصلب الصُّلْبُوت إلى مكانه (١) .

(١) مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٦٤ ، النوادر السلطانية ص ١٦٦ - ١٧٢ ، الكامل ج

١٢ ص ٦٦ - ٦٨ ، وانظر المختصر ج ٣ ص ٧٩ - ٨٠ .

ذكر ما كان بعد أخذهم عكا

قال : ثم سار الفرنج إلى صُوب عسقلان في مستهل شعبان ، وسار السلطان في عرضهم ، والمسلمون يتخطفونهم ويقتلون منهم ويأسرون ؛ وكل أسير جرى به إلى السلطان أمر بقتله . ثم كانت وقعة عظيمة في تاسع شعبان عند رحيلهم من قيسارية ، انتصر فيها المسلمون . ثم رحل السلطان فنزل شعراء أرسوف . وطلب ملك الإنكلترا الاجتماع بالملك العادل خلوة ، فاجتمعا ، فأشار بالصلح . وكان حاصل كلامه [١٣٥] أنه قد طال بيننا القتال ونحن في نصرة فرنج الساحل ، ورأى الصلح ، ويرجع كل منا إلى مكانه . فقال له الملك العادل : على ماذا يكون الصلح ؟ قال : على أن تسلموا لأهل الساحل ما أخذ منهم من البلاد . فأبى الملك العادل (١) .

ثم كانت وقعة أرسوف في يوم السبت رابع عشر شعبان ؛ وكانت الدائرة فيها على الفرنج (٢) .

ذكر هدم عسقلان

قال : ثم رحل السلطان بعد وقعة أرسوف في تاسع عشر شعبان ، ونزل بالرملة ، واستشار أصحابه في أمر عسقلان ، فأشاروا عليه بتخريبها خشية أن يستولى العدو عليها وهي عامرة ، فتكون سببا لأخذ البيت

(١) انظر النوادر السلطانية ص ١٨٢ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) النوادر السلطانية ص ١٨٣ - ١٨٤ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

المقدس وقطع طريق مصر . فعلم السلطان عجز المسلمين عن حفظها
لقرب عهدهم بقتال عكا ؛ فسار حتى أتى عسقلان ، وأمر بتخريبها ،
وكان هو وولده الملك الأفضل يستعملان الناس في الخراب خشية من
حضور العدو فيتعدرو هدمها ، ثم حرقها بالنار ؛ والأخبار تتواتر من جهة
العدو بعمارة يافا . واستمر الخراب والحريق إلى سلخ شعبان (١) .

ثم رحل السلطان عنها يوم الثلاثاء ، ثاني شهر رمضان فنزل على
الرملة يوم الأربعاء ، وأمر بتخريب حصنها وتخريب كنيسة لده . وركب
جريدة إلى القدس الشريف ، فوصل إليه في يوم الخميس .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان من السنة كانت بينهم وقعة
انتصر فيها المسلمون .

قال : ثم سار السلطان إلى الرملة في سابع شوال وأقام بها عشرين
يوماً ، فجرت وقعات ؛ منها وقعة في ثامن شوال ، وفي سادس عشره ،
والدائرة فيها على العدو .

وفي ثامن عشر شوال اجتمع الملك العادل والإنكثير على طعام ،
وأنفصلاً (٢) على توأدد ، وسأله الاجتماع بالسلطان فامتنع السلطان من
ذلك .

ثم رحل الفرنج في ثالث ذي القعدة إلى الرملة ، وأظهروا قصد بيت
المقدس والحرب مستمرة بين المسلمين وبينهم . ورحل السلطان إلى
القدس في الثالث والعشرين من ذي القعدة بنية المقام به ، وشرع في
تحصينه .

(١) النوادر السلطانية ص ١٨٧ - ١٨٨ ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) « وأنفصلا » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

ذكر وقوع الصلح والهدنة العامة بين المسلمين والفرنج

قال : ولم تنزل الحربُ قائمةً والمراسلاتُ متصلةً بينهم على طلب الصلح ، والسُّلطان لا يرضى بما يختارونه ، وهم لا يُوافقون على ما يريده السُّلطان ، إلى الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ، فوُقعت هدنةُ عامّة في البرِّ والبحر ، وجُعِل لهم من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور ، وأدخلوا في الصلح طرابلس وأنطاكية . وأُخْرِج من عمل يافا الرملة ومجدل يابا^(١) ومن عمل عكا الناصرة وصور وصيدية واشترط خرابُ عسقلان . ووقعت المصالحة مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر^(٢) ، أولها مُبتدأ أيلول الموافق لهذا التاريخ ، وذلك بعد سؤال ملك الإنكلتير وتكرار رسائله .

قال : ثم أمر السُّلطان أن يُهادي في الطرقات والأسواق : ألا إن الصلح قد انتظم ، فمن شاء من بلادنا يدخل بلادهم ومن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل .

ووقع له عزمُ الحج في ذلك المجلس^(٣) .

ثم أمر بإرسال مائة نقاب لتخريب سور عسقلان وإخراج الفرنج منها ، فخربت . وكان يوم الصلح يوماً مشهوداً واختلطت العسكران .

ثم اشتد المرض بالإنكلتير فرحل ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان وسار معه الكندهرى إلى جهة عكا ، ولم يبق بيافا [١٣٦]

(١) مجد ليابة : قرية قرب الرملة - معجم البلدان .

(٢) « ثمانية أشهر » في الكامل جـ ١٢ ص ٨٥ .

(٣) انظر النواذر السلطانية ص ٢٣٥ .

إلا مريضاً أو عاجزاً . ثم أذن السلطان للناس في الرجوع إلى أوطانهم ، فسار عسكرُ إربيل والموصل وسنجار ؛ وقوى عزمه على الحج .
ثم عاد السلطان إلى القدس ورتب أحواله وعين الكنيسة التي في شارع قمامة للبيمارستان ونقل إليه العقاقير والأدوية ؛ وأدار سور القدس . وأقام بالقدس إلى يوم الأربعاء رابع شوال ، وخرج في يوم الخميس خامس الشهر قاصداً دمشق . فلما انتهى إلى طبرية وصل إليه بهاء الدين قراقوش الأسدي وقد خُص من الأسر ، فاستصحبه معه وكشف القلاع والحصون ، ودخل إلى دمشق في يوم الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ؛ وجلس الناس يوم الخميس ؛ وأنشده الشعراء ؛ وكان مجلساً عاماً ، وعم الناس فيه بعدله . ولم يزل كذلك إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

كانت وفاته رحمه الله تعالى بعد صلاة الصبح يوم الأربعاء لثلاث بقين من صفر سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائة .

وكان مولده بقلعة تكريت في شهور سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة ؛ فكان عمره سبعاً وخمسين سنةً تقريباً . ومدته ملكه منذ ولي وزارة العاضد لدين الله ولقب بالملك الناصر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربعٍ وستين وخمسمائة وإلى هذا التاريخ أربعاً وعشرين سنةً وثمانية أشهرٍ وخمسة أيام ؛ ومنذ خلع العاضد في سابع المحرم سنة سبعٍ وستين وخمسمائة اثنتين وعشرين سنةً وشهراً واحداً وعشرين يوماً .

وكان ابتداء مرضه يوم السبت سادس عشر صفر؛ ونال المسلمون لوفاته من الألم ما لا يُعبر عنه. ولما مات دُفن بقلعة دمشق في منزله؛ وما زال ابنه الأفضل يترؤى في موضع ينقله إليه، فشرع في بناء تربته عند مسجد القدم^(١) وبني عندها مدرسة للشافعية. وأمر ببناء التربة في سنة تسعين وخمسمائة؛ فاتفق وصول ابنه العزيز تلك السنة من الديار المصرية للحصار، فحرب ما كان قد ارتفع من البناء. ثم أمر بعمارة القبة في حدّ جامع دمشق، فعمرت ونقل إليها يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة؛ ومشى الأفضل أمام تابوته وأخرج من باب القلعة على دار الحديث إلى باب البريد^(٢) وأدخل منه إلى الجامع، وصلى عليه قدام باب السر، صلى عليه القاضي محيي الدين محمد بن علي بإذن الأفضل. ثم حمل إلى لحده، وألحده الأفضل وجلس في الجامع ثلاثة أيام.

وكان الملك الناصر رحمه الله كريماً جواداً شجاعاً، حسن الأخلاق، مضت أكثر أيامه في الجهاد في سبيل الله تعالى.

قال ابن شدّاد: لما مات السلطان لم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وجراماً^(٣) واحداً ذهباً سورياً، ولم يخلف ملكاً في سائر أنواع الأملاك. وحسب ما وهبه من الخيل في مدة مقامه على عكا فكان تقديره اثني عشر ألف رأس؛ ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به، وصاحبه يلازمه في طلبه؛ وما حضر

(١) مسجد القدم، جنوبي الحصباء بدمشق

(٢) باب البريد: أحد أبواب الجامع الأموي بدمشق. الدارس ج ٢ ص ٣٧١ وما بعدها.

(٣) «جرما واحدا» في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٦. وانظر أيضا الفتح القسي ص ٦٢٩.

حيث ذكر «ولم يخلف في خزائنه سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما»

اللقاء إلا استعار فرساً فركبه . وكان لا يلبس إلا ما يحل كالكتان والقطن والصوف . وكان له ركعات يصلّيها من الليل^(١) .

وخلف رحمه الله من الأولاد ، على ما نقله العماد الأصفهاني وغيره سبعة عشر ولدا : الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن [على]^(٢) ، وهو أكبرهم ؛ والملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ؛ والملك الظاهر غياث الدين ، وقيل شهاب الدين ، أبو منصور غازي ؛ والملك الظاهر مظفر الدين أبو العباس خضر ؛ والملك المعز فتح الدين أبو يعقوب يوسف^(٣) ؛ والملك الأعز شرف الدين أبو يوسف^(٤) يعقوب [١٣٧] والملك المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ؛ والملك الزاهر مجير الدين أبو سليمان داود^(٥) ؛ والملك المفضل قطب الدين أبو محمد موسى^(٦) ؛ والملك الأشرف عز الدين محمد^(٧) ؛ والملك المحسن شهاب الدين^(٨) أبو العباس أحمد ؛ والملك الجواد ركن الدين أبو سعيد أيوب ؛ والملك المظفر^(٩) فخر الدين أبو منصور تورانشاه ؛ والملك العادل نور الدين أبو المظفر

(١) النوادر السلطانية ص ٧ وما بعدها .

(٢) [إضافة للتوضيح من مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٣ .

(٣) « إسحاق » في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٥ ، الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٤) « أبو سيف » مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٥) « الملك الزاهر مجير الدين أبو الفتح سليمان مسعود » في الأصل ، والتصحيح من مفرج

الكروب ج ٢ ص ٤٢٤ ، الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٦) « أبو موسى قطب الدين » في الروضتين ج ١ ص ٧١٠ .

(٧) « عزيز الدين » في الروضتين ج ١ ص ٧١٠ ، و « نصير الدين » في مفرج الكروب ج ٢

ص ٤٢٥ .

(٨) « بين الدين » في مفرج الكروب ، و « ظهير الدين » في الروضتين ، و « زين الدين » في

شفاء القلوب ورقة ٥٤ أ .

(٩) « المعظم » في مفرج الكروب ، والروضتين ، وشفاء القلوب .

ملكشاه^(١)؛ والملك المنصور نُصرة الدين مروان^(٢)؛ والملك الصالح
معين الدين إسماعيل^(٣)؛ وعماد الدين شادي، ويسمى عمر؛ وابنة
صغيرة^(٤).

ذكر من ملك الممالك التي كانت جارية في ملك السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى
من أولاده وإخوته وأقاربه وأزواجه بعد وفاته

استقرَّ ملكُ دمشق وما معها للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن
على، وهو أكبر أولاده ووليَّ عهده، وعنده أخواه شقيقاه الملك الظاهر
خضر والملك المفضل^(٥) موسى.

واستقرَّ ملكُ الديار المصرية للملك العزيز عماد الدين أبي الفتح
عثمان.

واستقرَّ ملكُ حلب وما يليها للملك الظاهر غياث الدين غازي،
وعنده أخوه الملك الزاهر داوود، فجعله من قبَله على البيرة.

واستقرَّ ملك حمص والرحبة [وتدمر]^(٦) للملك المجاهد أسد الدين
شيركوه بن محمد بن شيركوه، وهو ولد ابن عم السلطان الملك الناصر.

(١) «الملك الغالب أبو الفتح ملكشاه» في مفرج الكروب، والروضتين، وشفاء القلوب.

(٢) «الملك المنصور أبو بكر» في مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٥، و«نصرة الدين مروان» في
الروضتين ج ١ ص ٧١١.

(٣) لم يرد ذكره في مفرج الكروب والروضتين.

(٤) «وأما البنت فهي مؤنسة خاتون، تزوجها الملك الكامل محمد» الروضتين ج ١ ص
٧١١، مفرج الكروب ج ٢ ص ٤٢٦، شفاء القلوب ورقة ٧٤ أ.

(٥) «الأفضل» في الأصل، والتصحيح يتفق مع ما سبق.

(٦) [إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ٤].

واستقر ملك حماة وسلمية والمعرة ومنبج للملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

واستقر ملك حران والرها وميافارقين والرقة وقلعة جعبر والكرك والشوبك للملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، وهو أخو السلطان .

واستقر ملك بعلبك للملك الأجدد [بهرامشاه] ^(١) بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب .

واستقر ببعريين وأفاميه وكفرطاب عز الدين [إبراهيم] ^(٢) بن شمس الدين بن المقدم .

واستقر بصهيون ناصر الدين [منكورس بن خمارتكين] ^(٣) غلام أبي قبيس .

واستقر بتل باشر بدر الدين دلدرد بن ياروق .

واستقر ببعينتاب ناصر الدين شحنة حلب .

هذه الممالك التي كانت جارية في ملك السلطان الملك الناصر رحمه

الله .

فلنذكر الآن أخبار الديار المصرية ومن ملكها بعد وفاة السلطان الملك الناصر ، ونجعل ما يقع لهؤلاء الملوك ، أو في ممالكهم ، من الحوادث في ضمن أخبار ملوك الديار المصرية ؛ وننبه عليها بالتراجم ، على ما نقتضيه عليه إن شاء الله تعالى .

(١) [إضافة من مفرج الكروب جـ ٣ ص ٤ .

(٢) [إضافة من مفرج الكروب جـ ٣ ص ٤ .

(٣) [إضافة من مفرج الكروب جـ ٣ ص ٤ .

ذكر أخبار الملك العزيز عماد الدين أبي الفتح عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

وهو الثاني من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية ^(١) ملك الديار المصرية عندما وصل إليه الخبرُ بوفاة والده السلطان الملك الناصر ، رحمه الله تعالى ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

ولما ملك أحسن السيرة وأطلق جميع ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم من المكوس على اسم الزكاة . وجَهز إلى البيت المقدس عشرة آلاف دينار لتُصرف في مصالحه ؛ وأكرم أصحاب أبيه وعاملهم الأفضل أخوه صاحب دمشق بخلاف ذلك ، فمالت القلوب إلى الملك العزيز ونفرت عن الملك الأفضل . فاستشعر الأفضل من أمرائه ، وعزم على القبض عليهم ؛ فبَلغهم الخبرُ ففارقوه ، واتصلوا بخدمة أخيه الملك العزيز بالديار المصرية في بقية السنة . فأكرمهم وقرَّبهم ^(٢) وكان منه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر استيلاء الفرنج على جبيل

[١٣٨] كان استيلاؤهم على حصن جبيل في مستهل صفر سنة تسعين وخمسمائة بمواطأة ممن كان فيه . وذلك أن الحصن كان عدة من فيه خمسة عشر رجلاً ، فندب متولى البلد منهم عشرة لجباية الجزية ، وخرج متولى الحصن إلى الحمام ، فاستصحب أحد الخمسة الذين تأخروا

(١) ولد الملك العزيز عثمان بدمشق في ٨ جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م - السلوك ج ١ ص ١١٤ .

(٢) عن أسباب الوحشة بين الأخوين - انظر مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤ - ١٥ .

بالحصن معه ، وبقي به أربعة من الأكراد ، فأغلقوا باب الحصن . وتوجه أحدهم إلى الفرنج الذين بالتيرون فأخبرهم بخلو الحصن ، وكان به حداد نصراني ، فصعد هو والثلاثة إلى أعلى الحصن . فلما عاد الوالي منعه من الدخول ورموه بالحجارة ، فكسروا يده ، وقالوا هذه القلعة قد صارت للقومص . وجاء أهل التيرون بالليل فطردوا من كان بالباشورة من المسلمين .

ووصل ابن ريمون أخو صاحب جبيل وتحدثوا مع الأكراد ، فنزل أحدهم إليهم وقرّر معهم أن يعطوا نصف ما بالحصن من سائر الخواصل وغيرها ، وأن تكون لهم ثلاثة ضياع من عمل طرابلس ؛ واستحلفهم على ذلك . وتسلموا الحصن ، فرتب الفرنج فيه من الجرّحية^(١) ألفاً وخمسين جرّخياً^(٢) .

فلما اتصل الخبر بالسلطان الملك العزيز عظم عليه ، وأخرج خيامه في يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الأول ، وأمر بالاستعداد للخروج إلى الشام لاستنقاذ جبيل من الفرنج ، وأرسل شمس الخلافة رسولا إلى الفرنج بسبب إعادة جبيل فتوجه في سادس عشر شهر ربيع الآخر .

وفي سنة تسعين وخمسمائة ، لسبع بقين من شهر ربيع الأول ، عُزل القاضي صدر الدين بن درباس وفوض القضاء بالديار المصرية للقاضي زين الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن رمضان الدمشقي ؛ فولّى سنة وعُزل في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وأعيد القاضي صدر الدين . وقيل بل ولي القاضي محيي الدين محمد بن عبد الله بن أبي عصرون ، وعُزل في يوم الأحد سادس عشر المحرم سنة اثنتين وتسعين

(١) المقصود رماة السهام الجرّحية .

(٢) انظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٠ ، ص ١٧٧ .

وخسمائة . وأعيد القاضي زين الدين الدمشقي فولى سنةً ، ثم عزل ،
وأعيد القاضي صدر الدين إلى أن توفي في سنة خمس وستمائة والله أعلم .

ذكر مسير الملك العزيز إلى الشام والصلح بينه وبين أخيه الملك الأفضل وعوده إلى القاهرة

قال : وفي تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وخسمائة توجه
الملك العزيز إلى الشام وترك بالقاهرة من الأمراء بهاء الدين قراقوش
وصيرم ، وجَهَّز ثلاثة عشر لواءً إلى ثغرى الإسكندرية ودمياط ومعهم
سبعمائة فارس . واستصحب معه من الأمراء سبعة وعشرين أميراً عدتهم
تقدير ألفى فارس ، ومن الحلقة ألف فارس . فلما اتصل بالأفضل خروجه
استعد وأنفق النفقات الوافرة ، وخرج إلى رأس الماء في سبعمائة فارس ،
ولما وصل الملك العزيز إلى الغور احتاط على الخاص الأفضل به ، وشرع
في إقطاع أعمال الشام . وجَهَّز من أمرائه : قائماز ، وعشرين أميراً ،
منهم ، جهار كس ، وميمون القصري ، وسنقر الكبير ، والشجاع الخادم ،
والجناح ، وجرديك . فتقدموا ووقعوا على أطراف العسكر الشامي ،
فرجع الأفضل إلى دمشق وغلقت أبواب البلد لما قرب العسكر المصري
منها .

وتقدم العزيز وترك يثقله بمسجد القصب بظاهر دمشق ، ونزل هو
بالكسوة^(١) ؛ فاستنجد الأفضل بعنه الملك العادل فحضر إلى دمشق ،
وحضر الظاهر من حلب ، وناصر الدين صاحب حماة ، وأسد الدين

(١) الكسوة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر .

صاحب حمص ، وعسكرُ الموصل وغيره . فلما رأى العزيز اجتماعهم علم أن لا قُدرة له بهذا الجمع ، وكتب إلى عمه العادل يقول : أنا ما خرجت من الديار المصرية إلا لاستنقاذ جُبيل من الفرنج ، فبلغني أن الملك الأفضل حالف الفرنج على ، واستنصر بهم ، ووعدهم أن يُعيد البلاد إليهم ، فاقضى ذلك سوقنا إليه . [١٣٩] وبلغنا أنك تدخل بيننا وبينه ، وحوشيت من ذلك ، وأنا خير لك من غيري . وإن أردت أن تكون السلطان ورئيس الجماعة فأنا راضٍ بذلك .

وكتب لأخيه الملك الظاهر وغيره من [حكام] (١) الممالك وتردّت الرسائل بينهم .

وتقرّرت الحال على أن يكون للملك العزيز البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين ؛ وأن تكون دمشق وطبرية وأعمال الغور للملك الأفضل ؛ وأن يُعطى الأفضل لأخيه الملك الظاهر جبلة واللاذقية ؛ وأن يكون للملك العادل بالديار المصرية إقطاعه الأول ، وأن يُخطب للملك العزيز ببلاده وتُنقش السُّكّة باسمه ؛ وأن الملك العزيز يمده بألف فارسٍ إعانةً له على فتح خِلاط .

واجتمع الملك العادل بالملك العزيز ، وتزوج العزيز ابنته ، وجاء الملك الظاهر صاحب حلب إلى أخيه الملك العزيز . وتقرّرت قواعد الصلح . وتأخر الملك العزيز إلى الكُسوة ثم إلى مرج الصفر (٢) ، ومرض به ثم أفاق .

ولما عزم على العود إلى الديار المصرية خرج لوداعه سائر الملوك الذين حضروا لنصرة الأفضل ، ثم خرج إليه الأفضل في سابع شعبان

(١) [إضافة تنفق والسياق .

(٢) « مرج الصفر » من نواحي دمشق ، إلى الجنوب الغربي منها — معجم البلدان .

وأدركه بنيق ، وهي أعلى الغور ، فأكرمه الملك العزيز ، وبألغ في احترامه وساله الأفضل أن يرجع إلى دمشق ليزور قبر أبيه ، فأجاب إلى ذلك ؛ ثم أشار عليه أصحابه ألا يفعل ، فامتنع . وعاد الأفضل ، وسار العزيز إلى الديار المصرية فدخلها في أواخر شعبان .

وفي مستهل جماد سنة تسعين وخمسمائة هبت رياح عاصفة بالقاهرة من وقت العصر ، وسقط في ثالث الشهر بردٌ كثيرٌ أكبره قدر البيض وأصغره قدر النبق ، وصار على جبل المقطم منه شيء كثيرٌ كالجبل الثاني ؛ ونقل الناس منه مدة أربعة أيام ؛ ثم سأل حتى ملأ الخندق ، ودخل الماء من المرامي التي في السور إلى القاهرة ، وعلاً ، حتى خيف على البلد .

ذكر خروج الملك العزيز لقصد الشام ثانياً ورجوعه
وقصد العادل والأفضل الديار المصرية
وما تقرر من القواعد

كان سبب ذلك أن الملك الأفضل قلّد وزارة دمشق لضياء الدين ابن [(١)] الأثير الجزري وحكّمه في البلاد ، فقصد الأمراء بالأذى والإطراح ، وتشاغل الأفضل عنهم . ففارق خدمة الأفضل [فارس الدين] [(٢)] ميمون القصرى [وشمس الدين] [(٣)] وسنقر الكبير وعز الدين سامة ، وغيرهم . وحضر بعض هؤلاء إلى الديار المصرية وانضموا إلى الملك العزيز ، وقالوا له : إن الأفضل مسلوب الاختيار ؛ وحرّضوه على قصد دمشق ؛ فخرج إليها في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

[(١)] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١٠ ، السلوك ج ١ ص ١٢٣ .

[(٢)] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١١ .

[(٣)] إضافة من مفرج الكروب ج ٣ ص ١١ .

فلما اتصل خبرُ خُروجه بالأفضل ركبَ من دمشق في رابعِ جُمادى الأولى وتوجّه إلى عمه الملك العادل ، وهو بقلعة جَعْبَر ، واستنجد به ، وسار إلى أخيه الملك الظاهر بحلب واستنجد به أيضاً ، فركبَ الملك العادلُ وجَدَّ في السَّيرِ إلى دمشق خوفاً أن يسبقه العزيز إليها . وكاتبَ الملكُ العادلُ الأمراءَ الذين صُحِبَته العزيز ، وكان العزيز قد نزلَ بمنزلة القوّارِ على مرحلتين من دمشق ، واستمالهم وحذّره من العزيز ، فمالوا إليه ، واستمالوا أبا الهيجاء السّمين ، وفارقوا العزيز وقصدوا دمشق ؛ وذلك في يوم الاثنين رابعِ شوال من السّنة .

فلما وصلوا إلى دمشق اتفقَ العادلُ والأفضل ، وتحالفاً على قصد العزيز وانتزاع الديار المصرية منه ، على أن يكون ثلثُ الديار المصرية للملك العادل إقطاعاً والثلثان للملك الأفضل . وساروا في طلب العزيز ، فرجع إلى الديار المصرية وجَدَّ في السَّيرِ ودخلَ القاهرة ^(١) .

قال : ولما وصلَ العادل والأفضل إلى القدس سلّمناه وأعماله وما يجاوره من أعمال السّاحل لأبي الهيجاء السّمين ، فرتبَ فيه نوابه ، وسار معها إلى الديار المصرية . فنزلَ الملكُ العادل على بلييس ، وكان السعر ما شيا ^(٢) فاستظهر العزيز عليهم .

[١٤٠] قال : ولم يكن غرضُ العادل قصدَ مِصرٍ وإنما خشي على الملك العزيز من الأمراء أن يقتلوه ويستولوا على الديار المصرية ، فقصدتها لهذا السبب .

ولما ضاقت الميرة على العسكر الشّامي وقتلت أزوادهم ندموا على وُصولهم إلى الديار المصرية ؛ فأرسلَ الملك العادل إلى القاضي الفاضل

(١) انظر تفصيل ذلك في مفرج الكروب جـ ٣ ص ٤٦ - ٤٩ .

(٢) « وكانت أيام زيادة النيل ، والأسعار غالية ، والعلف متعذر » في السلوك جـ ١ ص ١٢٦ .

عبد الرحيم في الاجتماع به ، فأذن له العزيز في ذلك ؛ فخرج إليه ، فاستبشر الناس بخروجه رجاء وقوع الصلح . وركب العادل وتلقاه على فراسخ^(١) ، فاجتمعا ، واستقرت القواعد على أن يكون إقطاع العادل بمصر على عادته ، وأن تكون إقامته عند الملك العزيز بالقاهرة ، وأن يعفو [العزيز]^(٢) عن الأسدية والأكراد .

واجتمع العادل بالأفضل وأمره بالرجوع إلى دمشق . ثم اجتمع الأفضل بالعزيز ، واستقر الصلح بينها ، وأهدى العزيز إليه هدايا جليلة المقدار . ورجع الأفضل إلى دمشق ومعه أبو الهيجاء السمين ، فدخلها في المحرم سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

ولم تطل المدة إلى أن بلغ الملك العادل عن الأفضل ما استوغر خاطره ، فعند ذلك قرّر ، مع الملك العزيز ، أن يُجهز العساكر لتمهّد قواعد الملك بالشام وسائر البلاد ، واتفقا على أن يكون العزيز بدمشق والعادل ينبؤ عنه بالديار المصرية .

ذكر ملك الملك العزيز دمشق وخروج الأفضل إلى صرخد

قال : ولما اتفق الملك العادل والملك العزيز على ما قرراه تجهز [الملك العادل]^(٣) للمسير إلى دمشق وبرز بخيابه من القاهرة في يوم السبت

(١) المقصود أنه سار عدة أميال لاستقباله .

(٢) [إضافة للتوضيح ، وانظر مفرج الكروب جـ ٣ ص ٥٢ ، السلوك جـ ١ ص ١٢٨ .

(٣) [إضافة للتوضيح — انظر ما يلي عند الحديث عن خروج العزيز .

مستهل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [في]^(١) ثلاثة آلاف فارس . ثم برز الملك العزيز في يوم الثلاثاء ، رابع الشهر ، وظاهرُ خُروجه ودأعه لعمه الملك العادل ، وحث العساكر المجردة على الخروج . وأقام ببركة الجب .

فلما كان في العشرين من الشهر اتصل بالملك العادل عن الملك الأفضل أنه كاتب الأسيديّة ، وأنه قبض على أموال كانت للعادل بدمشق ، وأطلق رهائن كانت عند نوابه ، وأنه وافق الظاهر صاحب حلب ؛ فقرر مع الملك العزيز أن يتوجّها جميعاً وأخذاً دمشق من الأفضل وحلب من الظاهر ، فاتفقا على ذلك وعقدا بينهما .

وشرع الملك العزيز في تجهيز رجال الحلقة والأعيان ، ورحل هو وعمه الملك العادل من البركة في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى ، فحصل للعادل ضعف في هذا النهار منعه عن الحركة . وكان وضوؤها إلى بلبيس في سابع عشر الشهر ، وكملت صحة العادل في العشرين من الشهر ، وسار إلى الشام على مهل ورفق .

فلما تحقق الملك الأفضل قصدها لبلاده استشار شيوخ دولته ، فأشاروا عليه أن يستقبل أخاه وعمه ويسلم لها الأمر ؛ وأشار وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزري بالتصميم والمخالفة ، فرجع إلى رأيه ، وحصن البلد ، وفرّق الأمراء على الأسوار . فلما رأى شيوخ الدولة وأكابرها أنه لم يرجع إليهم واعتمد على رأى وزيره راسلوا الملك العزيز والملك العادل في انتهاز الفرصة ؛ فركبنا بعساكرها وتأهبنا في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب وخرج أهل دمشق لقتالهم ؛ والتقوا في السابع والعشرين من الشهر . فلم يكن بأسرع من انهزام العسكر

(١) [إضافة تنفق والسيان .

الشامي . وتبعهم العزيز والعاذل حتى ألبأوهم إلى سور البلد ، ودخلوا دمشق (١) ، وتبعهم العسكر ، فملكأ البلد .
فبعنأها ركب الملك الأفضل إلى خيمة أخيه الملك العزيز ، واجتمع به بظاهر دمشق .

قال : ودخل الملك العادل ومن معه باب ثوما والباب الشرقي ، ونزل بالدار الأسدية . ودخل الملك العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية (٢) . وملك العزيز دمشق وأقيمت له الخطبة في يوم الجمعة الثامن والعشرين من الشهر .

قال : ولما ملك الملك العزيز دمشق ندم على ما كان قرر من إقامته بالشام وتمكين عمه الملك العادل من الديار المصرية واعتذر [١٤١] إلى أخيه الملك الأفضل في السر . فأظهر الأفضل سره لمن معه فظنوا أن هذه خديعة . فأرسل إلى العادل وأعلمه بمرسلة العزيز ، فعتبه العادل ، فأنكر الحال (٣) . وخرج الأفضل إلى صرخد (٤) وقرر له في كل سنة مائتي ألف درهم من صرخد وغيرها ، وهو كاره لذلك . وسأل أن يكون بمكة ؛ وينقطع إلى الله تعالى ، وينزل عن الملك ، فلم يجبه العزيز .

وكان خروج الأفضل من دمشق إلى صرخد يوم الاثنين ، ثاني شعبان سنة اثنتين وتسعين ، فكانت مدة ملكه لدمشق ، منذ وفاة والده إلى أن ملكها العزيز ، ثلاث سنين وخمسة أشهر .

(١) « من دمشق » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٢) « وبات عند عمته ست اشام بنت أيوب - المروفة بالحسامية - والدة حسام الدين بن

لاحين ، وإليها تنسب مدرسة ست الشام بدمشق » - مفرج الكروب ج ٣ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) انظر مفرج الكروب ج ٣ ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) صرخد : قلعة حصينة ، من أعمال دمشق ، ملاصقة لبلاد حوران - معجم البلدان .

وَدَخَلَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ قَلْعَةَ دِمَشْقَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَجَلَسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِدَارِ الْعَدْلِ وَأَسْقَطَ مِنَ الْمَكُوسِ بِدِمَشْقَ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ عَلَى سُوقِ الرَّقِيقِ وَسُوقِ الدُّوَابِّ وَدَارِ الْبَطِيخِ ، وَالْمَلَاهِي ، وَالْعَصِيرِ ، وَالْفَحْمِ ، وَالْحَدِيدِ ، وَسَبْكَى الْفُؤَادَ وَالرَّجَاجَ .

قال : وهرب ضياءُ الدين ابن الأثير ونهبت داره .

وَنُودِيَ فِي دِمَشْقَ أَنَّ يَلْبَسُ أَهْلَ الذِّمَّةِ الْعِمَامَةَ الْغِيَارَ لِيُعْرِفُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ لَمَّا جَلَسَ بِدَارِ الْعَدْلِ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ لَهُ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ ، فَمَا شَكَ الْعَزِيزُ أَنَّهُ مِنَ الْأَشْرَافِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ ذِمِّيٌّ أَمَرَ بِذَلِكَ .

قال : ولاطف الملكُ العزيزُ عمه الملكَ العادلَ إلى أن قام بدمشقَ في النِّيَابَةِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ امْتِنَاعِ . وَسَلَّمَ دِيوانَ دِمَشْقَ لَصَفَى الدِّينِ ابْنِ شُكْرٍ ^(١) كَاتِبِ الْعَادِلِ .

وَفَارَقَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ دِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَعَادَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ الْمَلِكَ الْعَادِلَ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ دِمَشْقَ وَمَا هُوَ مِضَافٌ إِلَيْهَا مِنَ الْقَلَاعِ وَالْحِصُونِ وَالْأَعْمَالِ ؛ وَالْخُطْبَةِ وَالسَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ .

وَدَخَلَ الْعَزِيزُ إِلَى الْقَاهِرَةِ جَرِيدَةً فِي رَابِعِ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ وَفَوَّضَ شَدَّ الْأَمْوَالِ وَالْخُطَابِ عَلَيْهَا لِلْأَمِيرِ فَخَرَ الدِّينِ إِيَّازَ جَهَارَكْسَ ؛ وَضَمَّنَ الْخُمْورَ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِسَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَتَجَاهَرَ النَّاسُ بِهَا وَظَهَرَ

(١) هو عبد الله بن علي ، صفى الدين ابن شكر ، وزير الملك العادل الأيوبي ، ثم وزير الملك الكامل الأيوبي ، وتوفى سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٥ م — السلوك ج ١ ص ٢٢٠ .

الفساد وفشا في الناس؛ واجتمع الرجال والنساء في شهر رمضان من غير استتار، سيما في الخليج وساحل مصر؛ ورتب ضمان الخمر في النفقة على طعام السلطان؛ وهذه من البليات التي لم يُسمع بمثلا، فإن عادة الملوك والأكابر [أن] ^(١) يجتهدوا أن يكون مأكلهم من أجل الجهات كالجوالي ^(٢) وما يناسبها. ويسبب إطلاق الخمر كثير القتل بالقاهرة والجراحات، وخطف العمائم والأمتعة والمآكل من الأسواق.

قال المؤرخ: وغلت الأسعار في هذه السنة بالديار المصرية، واشتد الأمر على الناس، وكثر الوباء، وبلغ القمح كل أردب دينارين، وأطن الدينار ثلاثة عشر درهما وتلث درهم، وهذا كان نهاية القلاء في ذلك العصر.

ولقد وصف ^(٣) الفاضل من عظم ما حلّ بالناس غلو السعر أمرا عظيما فكيف لو أدرك الفاضل الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة وقد أبيع القمح سعر الأردب ثلاثة عشر دينارا ونصف دينار وأبيع الفروج بخمسين درهما، ورطل البطيخ الأخضر بأربعة دراهم، والسفرجلة بثلاثين درهما ^(٤).

قال المؤرخ: وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسائة كانت وفاة الشيخ السيد الشريف عبد الرحيم ^(٥)، قدس الله روحه ونور ضريحه، بقنا من أعمال قوص ودُفن بجبانته، وضريحه معروف هناك من أعظم مزارات

(١) [إضافة يقتضيه السياق .

(٢) الجوالي : مصطلح بمعنى الجزية المفروضة على أهل الذمة .

(٣) « وصل » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٤) يقارن التويرى بالفترة التي عاصرها .

(٥) هو عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القناني ، المتوفى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م - الطالع

السعيد ص ٢٩٧ رقم ٢٣٠ .

أهل الصَّلاح بالدُّنيا .

ومَّا نُقِلَ من كلامه ، قدسَ اللهُ روحه ، وقد سَمِعَ المؤذِّن يقول : أشهد أن لا إله إلا اللهُ ، فقال الشيخُ شَهدنا بما شَاهدنا . ومن كلامه : لا يستطيع العارفُ أن يوصلَ إلى مَنْ لا يعرفُ حقيقةَ ما عَرَفَ ، كما لا يستطيع البصيرُ أن يوصلَ إلى الأَكْمَه^(١) حقيقةَ الألوان . وعُرضَ هذا الكلامُ على الشيخِ عزِّ الدِّينِ عبدِ العزيز^(٢) بنِ عبدِ السَّلامِ ، رحمه اللهُ ونفعَ به ، فقالَ هذا كَلامٌ من غرقٍ في الحقيقة .

[١٤٢] ذكر استيلاء الفرنج على بيروت

وفي يوم الجمعة عاشر ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ملكَ الفرنج مدينةَ بيروت من المسلمين وسببُ ذلك أنَّ فرنج السَّاحلِ راسَلُوا مَلِكَ الألمان^(٣) في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وكان قد ملكَ جزيرةَ صقلية ، وعرفوه أنَّ المسلمين قد اشتغلوا بحرب بعضهم بعضاً ؛ فأقبل في مراكبه^(٤) إلى عكا . وصادفَ ذلك سقوطَ الكُنْدَهري^(٥) ملكِ عكا من

(١) الأكمه : الذي يولد أعمى - اللسان .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي ، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد ، توفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م - طبقات الشافعية الكبرى ج ٨ ص ٢٠٩ رقم ١١٨٣ .

(٣) هو الامبراطور هنري السادس ، الذي عمل على استعادة مكانة الألمان في الأرض المقدسة ، فأرسل حملة ألمانية عاجلة على رأسها أدولف وكونراد - انظر تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٦٩ .

(٤) انظر الهامش السابق .

(٥) هو هنري كونت - شامبانيا . ولقى مصرعه في ١٠ سبتمبر ١١٩٧ م - تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٢ .

شُبَّاكٍ فَهَلَكَ ، فَمَلَكَ مَلِكُ قَبْرِصَ (١) عَكَا ، وَخَرَجَ إِلَى بَيْرُوتَ فَمَلَكَهَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ بِهَا عَزَّ الدِّينَ أَسَامَةَ . فَعَمَّرَهَا الْفَرَنْجَ وَلَمْ تَنْزَلْ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ فَتَحَهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ (٢) فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ التُّرْكِ .

وَفِيهَا خَرَجَتِ الْمَرَائِكِبُ الْحَرْبِيَّةُ لِقَصْدِ بِلَادِ الْفَرَنْجِ ، فَوَجَدُوا بَطْشًا لِلْفَرَنْجِ فَمَلَكَوْهَا ، فَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا أَمْوَالًا جَلِيلَةً .

وَفِيهَا أَنْشَأَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ إِيَّازْجَهَارَكْسَ النَّاصِرِيَّ الْقَيْسَارِيَّةَ الْمَعْرُوفَةَ بِهَ بِالقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْأَبْنِيَّةِ (٣) .

ذِكْرُ وِفَاةِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ بْنِ أَيُّوبَ مَلِكِ الْيَمَنِ وَمَلِكِ وَلَدِهِ شَمْسِ الْمَلُوكِ

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّلَاثِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ تَوَفَّى الْمَلِكُ الْعَزِيزُ سَيْفُ الْإِسْلَامِ طُغْتَكِينَ بْنِ أَيُّوبَ ، أَخُو السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ [صِلَاحِ الدِّينِ] (٤) بِالْمَنْصُورَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِالْيَمَنِ . وَكَانَ قَدْ طَرَدَ وَلَدَهُ شَمْسَ الْمَلُوكِ [إِسْمَاعِيلَ] (٥) إِلَى الْحِجَازِ . فَلَمَّا سَمِعَ بِوَفَاةِ وَالِدِهِ سَارَ إِلَى الْيَمَنِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ .

(١) « ملك الألمان » في الأصل ، والتصحيح من تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١٧٤ .

(٢) هو الأشرف خليل بن قلاوون .

(٣) قيسارية جهاركس بالقاهرة : انظر المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) [إضافة للتوضيح .

(٥) [إضافة للتوضيح ، وانظر مفرج الكروب حيث ورد به أن أباه أبعده إلى الشام — ج ٣

وإلى سيف الإسلام هذا يُنسب البستان^(١) الذي كان بظاهر القاهرة، وهو الآن عمائر تُعرف أرضها بحجر سيف الإسلام.

ذكر وفاة الملك العزيز وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الأحد العشرين^(٢) من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة بداره بالقاهرة.

وكان قد خرج إلى الفيوم لقصد الصيد إلى ذات الصفا، فحم، فعاد إلى القاهرة واشتد مرضه، فمات. وقيل إنه ساق خلف الصيد فكبا به فرسه مرة بعد أخرى، فمات بعد ثلاث. ودُفن بداره بالقاهرة [وكان مولده بالقاهرة]^(٣) في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين، وقال الفاضل في جمادى الآخرة. فكانت مدة عمره سبعا وعشرين سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوما؛ ومدة ملكه خمس سنين وعشرة أشهر وعشرين يوما.

وكان رحمه الله عادلاً كريماً بالمال، بخيلاً على طعامه شجاعاً حسن الأخلاق.

وخلّف من الأولاد أحد عشر ولداً، وهم الملك المنصور محمد، القائم بعده؛ وعلى، وعمر، وإبراهيم؛ وعيسى؛ ومحمود؛ ورعاه، ويوسف؛

(١) بستان سيف الإسلام: شرقي بركة الفيل فيما بين البركة والجبل الذي عليه قلعة الجبل -

المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٣٣، الانتصار ق ٥ ص ٤٥.

(٢) « السابع والعشرين » في مفرج الكروب ج ٣ ص ٨٣، السلوك ج ١ ص ١٤٤.

(٣) [إضافة تتفق مع السياق من الروضتين ج ١ ص ٧٠٩، مفرج الكروب ج ٢ ص

ويونس ؛ وولدان صغيران . ولم يخلف في خزانته ذهباً ولا دراهم إلا بعض
قماش ليس بالطائل .

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك العزيز ابن الملك الناصر وهو الثالث من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية

[١٤٣] ملك الديار المصرية بعد وفاة أبيه في يوم الأحد
العشرين^(١) من المحرم سنة خمس وتسعين وخسمائة بوصية منه . ولما مات
الملك العزيز كان عمه الملك العادل يحاصر مآردين فاجتمعت الأمراء
الصّلاحية وعقدوا الأمر لولده ولقبوه بالملك المنصور ، وكان قبل ذلك
يلقب بالناصر وإنما تركوا الناصر لموافقته لقب الخليفة^(٢) وركب في يوم
الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم ، وشق القاهرة من باب زويلة إلى
باب النصر ، والأمراء في خدمته . وكتب الأمراء إلى الملك العادل يعزونه
في ابن أخيه الملك العزيز ، ويدكرون اتفاقهم على تنصيب^(٣) ولده في
السُّلطنة بعده ، وأنهم على طاعة الملك العادل .

ثم اجتمع الأمراء الأسيديّة والصّلاحية بظاهر القاهرة وقالوا : إن
الذي فعلناه من حفظ الملك العزيز في ولده هو نعم الرأي ، وإنما هو صغير
السِّن لا يفهم ما يُقال له ، ولا يقوم بأعباء الملك ، ولا بد لنا من كبير من

(١) « حادى عشر المحرم » في السلوك ج ١ ص ١٤٦ ، وهو يتناقض مع ما سبق وروده في
السلوك من أن وفاة العزيز كانت في ٢٧ محرم — انظر السلوك ج ١ ص ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٢) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، الذى ولى الخلافة العباسية في الفترة من ٥٧٥ -
٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣ .

(٣) « نصب » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

هذا البيت يُرِيه وَيُكْفُّه وَيُدَبِّرُ أحوال الدُّولة ، وَلَيْسَ لها مثلُ الملكِ العادل ، وهو الآن مشغول ببلاد الشَّرْقِ . وَقَصَدُوا أَنْ يَكْتُبُوا إليه وَيَسْتَدْعُوهُ فِكْرَةَ بَعْضِهِمْ شِدَّةَ أخلاقه ومُماقَنَتَهُ^(١) لِلجندِ فَعَدَلُوا عنه واتفقوا على اسْتِدْعاءِ الملكِ الأفضَلِ من صرْحَدِ .

وَأَنْ يَتَوَلَّى أتابِكِيَّةَ الملكِ المنصورِ وَأَنْ يَنُوبَ عن الأفضَلِ إلى حين وصوله ، أخوه الملكِ الظَّافِرِ خُضْرٍ ، فاستقرَّ ذلك^(٢) .

وكتبوا إلى الأفضَلِ وَذَلِكَ في يومِ الخميسِ سادسِ عَشْرِ صَفَرٍ من السَّنَةِ ونزل الملكِ الظَّافِرِ بِدَارِ السُّلْطَنَةِ في القاعةِ العزيميةِ ، وقام بِنِياةِ السلطنةِ .

قال : ولَمَّا وصل كِتَابُ الأُمراءِ إلى الأفضَلِ خَرَجَ من صرْحَدِ في ليلةِ الأربِعاءِ التاسعِ والعشرينِ من صفرٍ ، وسلكَ البُرِّيَّةَ إلى البيتِ المقدَّسِ .

ذِكْرُ وصولِ الملكِ الأفضَلِ إلى القاهرةِ وإستقراره في تدبيرِ دولةِ المنصورِ

كان وصولُهُ إلى القاهرةِ في يومِ الخميسِ السَّابعِ من شَهْرِ ربيعِ الأوَّلِ سَنَةِ خمسٍ وتسعينٍ وخمسمائةٍ ؛ فبرَزَ الناسُ لِلِقائِهِ ، وَزُيِّنَتِ المَدِينَةُ ، لِقُدومِهِ . ولَمَّا دخلَ أَقرَأَ الخُطْبَةَ باسمِ الملكِ المنصورِ ابنِ أخيه ، وَنَقَشَ السُّكَّةَ باسمِهِ ، وكان الأفضَلُ يُذكَرُ بعدهِ . وَكَتَبَ إلى عمِّهِ الملكِ العادلِ يبيِّدُ له الطَّاعَةَ والانقيادَ إلى أمرِهِ

(١) ماقت الرجل : أبغضه أشد البغض ، والمماقنة من المشاركة : أى أن البغض متبادل بين العادل والجنود من الصلاحية - القاموس .

(٢) « وأقيم الملك الظافر مظفر الدين خضر بن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة حتى يقدم الأفضَل » - السلوك ج ١ ص ١٤٦ .

قال : ولما وصل الملك الأفضل إلى بلبس خرج فخر الدين إياز جهار كس وزين الدين قراجا على أنها يلتقيانه ، فتوجها إلى الملك العادل . ثم خرج في يوم وُضِوه الأمير شمس الدين ^(١) سراسنقر بماليكه وجماعة من أصحابه والتحق بالملك العادل ، وسار إليه ، إلى ماردين .

ذكر مسير الملك الأفضل إلى الشام وحصار دمشق وعوده عنها وخروجه عن الديار المصرية

قال : ولما استقرَّ الأفضل في تدبير الدولة بالديار المصرية ، ولم يبقَ للملك المنصور معه إلا الشركة في الخطبة ، حمله أصحابه على قصد دمشق وحصرها ، وقالوا : هي لك بوصية أبيك الملك الناصر ، فعزم على المسير إليها ، وأمر العساكر بالاستعداد لذلك . وبرز إلى المخيم ببركة الجب ، هو وابن أخيه الملك المنصور ، في يوم السبت العشرين من جمادى الأولى من السنة واستحث العسكر على الخروج .

ووصل إليه في يوم الأربعاء ، السادس من جمادى الآخرة ، رسول من أخيه الملك الظاهر صاحب حلب وهو يُلومُه على إنفاذ الرُّسل بالطاعة للعادل ، ويقول : إن أكثر الناس كانوا منصرفين عنه فانصرفوا إليه ، وحثه على سرعة قصد دمشق ؛ ويقول : اغتنم الفرصة مادام العادل في حصار ماردين ؛ ووعدّه بالوصول إليه فأكد ذلك ما عنده ، وأقام ببركة الجب وهو يحث العسكر على سرعة الحركة ، إلى ثانی شهر رجب ، فرحل عنها .

(١) « أسد الدين » في السلوك ج ١ ص ١٤٧ ، ومفرج الكروب ج ٣ ص ٩٢ .

وفي مدّة مقامه ببيركة الجب أحضر قاضي القضاة والشهود ،
وأشهدهم على نفسه [١٤٤] أنه وقف المطرية^(١) ومنية الباسل^(٢) والرّباع
المسوغة والمستمرّة بيد الدّيوان على عمارة سُور القاهرة ومصر
والبيمارستان بالقاهرة .

قال : ولما وصل الأفضل إلى بليس احتاط على ما كان باسم العادل
والزّامه بالديار المصريّة ؛ وأقطعه ، ثم قبض على أخيه الملك المؤيد وقيدّه
وأعادّه إلى القاهرة ، فاعتقل بالقلعة . وتمادى الملك الأفضل في سيره إلى
دمشق . هذا ما كان منه .

وأما الملك العادل فإن سراسنقر النّاصري وصل إليه بما ردين
واستحثّه على العود إلى دمشق ، فأوصى ولده الملك الكامل بمحاصرتها .
وفارقها العادل لخمس بقين من شهر رجب ، ووصل إلى دمشق في يوم
الاثنين حادى عشر شعبان ، وأخذ في تحصين البلد . ووصلت العساكر
المصرية في يوم الخميس ، وربّ الأطلاب وسار الملك المنصور بن الملك
العزیز في القلب وزحف على البلد فأخذ قصر حجاج والشاغور . وكان
العادل لما شاهد إقبال العساكر أمر بإحراق قصر حجاج ، فأحرق ،
واحترق فيه عدّة مساجد وأطفال . وأحاطت العساكر المصريّة بدمشق ،
ودخلها جماعة منهم من باب السّلامة ، وانتهوا إلى السوق الكبير ،
وخرجوا من باب الفراديس . وقدم الأفضل الميدان الأخضر^(٣) ثم تأخر
إلى ميدان الحصى ؛ واستقر بهذه المنزلة أكثر من ستة أشهر .

(١) المطرية : من ضواحي القاهرة - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ١١ .

(٢) منية الباسل = المنيا = منية الباسك = من إقليم الاطفيحية ، وهي حاليا تابعة لمركز الصف
بمحافظة الجيزة - القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٣ ص ٣١ .

(٣) « وسير الأفضل بالديوان الأخضر » في الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ج ٣ ص

وكتب الملك العادل جماعة من الأمراء المصريين ، ففارقوه ودخلوا إلى دمشق فأكرمهم .

ثم وصل الملك الظاهر صاحب حلب ومعه أخواه الظاهر والمعز وجاءهم الملك المجاهد صاحب حمص ، وعسكر حماة دون سلطانها^(٢) ، وحسام الدين بشارة صاحب حمص بانياس ، وكان من أكابر الدولة ، فأشار بالصلح .

قال : ولما حاصر الملك الأفضل دمشق منع من يدخل إليها بشيء من الميرة ، وقطع عنها الأنهار ؛ فاشتد الأمر على أهل دمشق ، واستغاثت الرعايا على العادل ، وتسلطوا عليه ، وحملوه على تسليم البلد . وانتقل أكثر من في البلد إلى العسكر ، ونصبوا به أخصاصاً ومساكن ؛ وأقيمت الأسواق به .

فلما اشتد الأمر على العادل كتب إلى الظاهر يستميله وقال : أنا أسلم البلد إليك دون غيرك ، فنبى الخبر إلى الأفضل ، فاضطرب رأيها ، وقيل بل كتب إليهما يقول : أنا أسلم البلد إليكما بعد سبعة أشهر فأجاباه إلى ذلك . وقيل إنه كان يكتب إلى الأفضل يقول الظاهر قد صالحني ، وإلى الظاهر بمثل ذلك .

واتفق في فساد حال الأفضل أن جماعة الأمراء كان بأيديهم إقطاعات بالديار المصرية جليلة المقدار ، فحسداهم آخرون عليها ، فكانوا يأتون إلى الملك الأفضل ويقولون : إن فلاناً قد عزم على قصد عمك العادل والانضمام إليه ، ويأتون لذلك الأمير فيقولون : إن الأفضل قد عزم القبض عليك ، ويأتي ذلك الأمير إلى الأفضل فيرى في وجهه أثر التغيير لما نقل عنه ، فلا يشك ذلك الأمير في صدق الناقل فالتحق به جماعة من الأمراء

فبينما الأفضل كذلك إذ قَدِمَ الملكُ الكامل بن الملكِ العادل من الشرق ، في تاسع عشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، بالعساكر والترُكمان فاشتدَّ به عَضْدُ أبيه . وتأخر الأفضل بمن معه إلى سَفْحِ جَبَلِ العَقَبَةِ ، ثم انتقل إلى مَرْجِ الصُّفْرِ في يوم الاثنين ثاني عشرى صفر ؛ وعَادَ الظَّاهِرَ والمجاهد^(١) .

واشتد البرد على العسْكرِ المِصرى فعاد الأفضل إلى الديارِ المِصريةِ ، وساقَ العادل بعساكره في أثره . فكان وُصُولُ الأفضل إلى بلبيس في حَادِي عشرى شهر ربيع الأول فأشار عليه أصحابه بالإقامة بها . قال : ولَمَّا وَصَلَ الملكُ العادلُ إلى تَلِّ العُجُولِ^(٢) أقام به حتى اجتمع إليه أصحابه ، ورأسل الأفضل ، فعاجز جوابه أنه لا يصلح له حتى يفارق الأمراء الصلاحية .

فلما اتصل ذلك بالصلاحية غضبوا وعزموا على المسير إليه . هذا والأفضل على بلبيس ، وقد تفرق معظم أصحابه إلى إقطاعاتهم وجماعة منهم باطنوا الملك [العادل]^(٣) .

(١) كان يتولى حماة وتوابعها المنصور محمد بن تقي الدين عمر ، وذلك في الفترة من ٥٨٧ - ٦١٧ هـ / ١١٩١ - ١٢٢٠ م - تاريخ الدول الإسلامية ص ١٤٧ .

(٢) تل العجول : بالقرب من غزة - معجم البلدان .

(٣) [] إضافة يقتضيها السياق ، انظر مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٨ ، السلوك ج ١ ص ١٥٠ .

وعند هذا الموضع تنتهي اللوحة ١٤٤ وهي آخر ما وجد من ج ٢٦ من مخطوط نهاية الأرب . ومن الأرجح أن هناك ورقة أخرى مفقودة فيها ذكر للأحداث التي تربط بين ما جاء في هذه الورقة وبداية الجزء التالي من المخطوط والذي يبدأ بالكلام عن أخبار الملك العادل ودخوله القاهرة في ٢٢ ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ ، وذلك تحت عنوان : « ذكر أخبار السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وسلطنته » .

[ومضى الملك العادل يطوي المراحل إلى أن دخل الرمل وبلغ الملك الأفضل ذلك ، فرام جمع عساكره ، فتعذر ذلك عليه لتفرقهم في أخبارهم ، وتشتتهم في الأماكن التي يربعون فيها خيلهم ، فخرج في جمع قليل ، ونزل السانح .

ووصل الملك العادل ، وضرب معه مصافا ، فانكسر عسكر الملك الأفضل ، وولوا منهزمين لا يلوون على شيء .

ثم سار الملك العادل بالعساكر ، ونزل بركة الجب ، وسير إلى الملك الأفضل يقول له : « أنا لا أحب أن أكسر ناموس القاهرة ، لأنها أعظم معاقل الإسلام ، ولا تمهوجني إلى أخذها بالسيف ، واذهب الى صرخد وأنت آمن على نفسك » .

فاستشار الملك الأفضل الأمراء فرأى منهم تحاذلا ، فأرسل إلى عمه يطلب منه أن يعوضه عن الديار المصرية بالشام ، فامتنع من ذلك ، فطلب أن يعوضه حران والرها فامتنع ، فطلب منه جاق وجبل جور وميافارقين وسميساط ، فأجابته إلى ذلك ، وتسلم القاهرة منه . [(١)]



[انتهى الجزء السادس والعشرون من كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السابع والعشرون ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل] (٢) .

(١) [إضافة لربط أحداث نهاية هذا الجزء بالأحداث التالية في بداية الجزء التالي - مفرج

الكروبي ج ٣ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) خاتمة للجزء تتفق وسياق خاتمة الجزء السابق من كتاب نهاية الأرب .

مختصرات مصادر ومراجع التحقيق

تحتوى القائمة التالية على أسماء المصادر والمراجع الإضافية ومختصراتها التى استلزمها تحقيق الجزء الثامن والعشرين من كتاب نهاية الأرب للنويرى .^(١)

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر والمراجع :

(١) اتعاظ الحنفا = المقرئى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

— اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .

٣ أجزاء — تحقيق جمال الدين الشيال — محمد حلمى محمد أحمد — القاهرة

١٩٦٧ — ١٩٧٣ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة = ابن ظافر (جمال الدين بن على ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :

أخبار الدول المنقطعة — دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين — تحقيق

أندريه فريه .

المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٢ .

(٣) أخبار مصر = المسبحى (محمد بن عبيد الله بن أحمد ، ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) :

— الجزء الأربعون من أخبار مصر .

تحقيق أمين فؤاد سيد ، وتيارى بيانكى — القسم التاريخى .

المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٧٨ .

(١) تخفيفاً لهوامش التحقيق استخدمنا مختصرات فى الإشارة إلى المصادر والمراجع ، وفى هذه القائمة أثبتنا

أسماء المصادر والمراجع فى مرتبة ترتيبها أبجدياً . وأمام كل مختصر اسم المصدر أو المرجع

- (٤) الإشارة = ابن الصيرفي (علي بن منجب بن سليمان ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) :
 - الإشارة إلى من نال الوزارة .
 تحقيق عبد الله مخلص .
 المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٢٤ .
- (٥) الاعتبار = أسامة بن منقذ ، ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) :
 - كتاب الاعتبار .
 نشره فيليب حتى .
 جامعة برنستون - الولايات المتحدة ١٩٣٠ .
- (٦) أعلام الإسكندرية = جمال الدين الشيال :
 - أعلام الإسكندرية - القاهرة ١٩٦٧ .
- (٧) افتتاح الدعوة = القاضي النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن حيون ، ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) :
 - كتاب افتتاح الدعوة .
 تحقيق فرحات الدشراوى - تونس ١٩٧٥ .
- (٨) الانتصار = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ، ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
 - الانتصار لواسطة عقد الأمصار .
 نشر فولرز - بولاق ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٣ م .
- (٩) البداية والنهاية = ابن كثير (إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
 - البداية والنهاية - ١٤ جزء - بيروت ١٩٦٦ .
- (١٠) تاريخ الحروب الصليبية = رنسمان :
 - تاريخ الحروب الصليبية - ترجمة السيد الباز العريفي .
 ٣ أجزاء - بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٩

- (١١) تاريخ الدول الإسلامية = أحمد السعيد سليمان
 — تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة —
 جزآن — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٩ .
- (١٢) تاريخ دولة الكنوز الإسلامية = عطية القوصي
 — تاريخ دولة الكنوز الإسلامية — القاهرة ١٩٧٦ .
- (١٣) تاريخ ابن الفرات = ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المصري ، ت ٨٠٧ هـ /
 ١٤٠٤ م) :
 — تاريخ الدول والملوك .
 المجلد الرابع — البصرة ١٩٦٧ .
 المجلد ٧ — ٩ — بيروت ١٩٣٦ — ١٩٤٢
- (١٤) تاريخ مدينة الإسكندرية = جمال الدين الشيال
 — تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي —
 القاهرة ١٩٦٧ .
- (١٥) تاريخ ووصف قلعة القاهرة = كازانوفا :
 — تاريخ ووصف قلعة القاهرة — ترجمة أحمد دراج — القاهرة ١٩٧٤ .
- (١٦) تكملة تاريخ ابن البطريق = يحيى بن سعيد الأنطاكي .
 — تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي
 نشر كراتشكوفسكى — ١٩٢٤ .
- (١٧) الحركة الصليبية = سعيد عبد الفتاح عاشور
 — الحركة الصليبية — جزآن —
 القاهرة ١٩٦٢ .

- (١٨) حسن المحاضرة = السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
 - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة -
 جزآن - القاهرة ١٩٦٧ .
- (١٩) خزانة السلاح = مجهول
 خزانة السلاح ، مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها - نشر نبيل محمد عبد
 العزيز
 القاهرة ١٩٧٨ .
- (٢٠) ذيل تاريخ دمشق = ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي ، ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) :
 - ذيل تاريخ دمشق - نشر أمدروز -
 بيروت ١٩٠٨ .
- (٢١) رحلة ابن جبير = محمد بن أحمد بن جبير ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :
 - رحلة ابن جبير - بيروت ١٩٦٤ .
- (٢٢) الروضتين = أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) :
 - الروضتين في أخبار الدولتين .
 الجزء الأول تحقيق محمد حلمي محمد أحمد -
 القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٢ .
- (٢٣) السلوك = المقرئزي (أحمد بن علي ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
 - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
 ح ١ - ٢ تحقيق د . محمد مصطفى زيادة -
 القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ .

(٢٤) سيرة ابن طولون = البلوى (عبد الله بن محمد بن عمير ، ت بعد ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م :

— سيرة أحمد بن طولون — تحقيق محمد كرد على —
دمشق ١٣٥٨ هـ .

(٢٥) شذرات الذهب = ابن العماد الحنبلي (عبد الحى بن أحمد بن محمد ، ت ١٠٨٩ هـ — ٦٧٨ م) :

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب — ٨ أجزاء — بيروت .
(٢٦) الشرق الأوسط والحروب الصليبية = السيد الباز العرينى
— الشرق الأوسط والحروب الصليبية — القاهرة ١٩٦٣ .

(٢٧) شفاء القلوب = الحنبلى :

— شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣٦ .

(٢٨) صبح الأعشى = القلقشندى (أحمد بن على ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء — ١٤ جزء —
القاهرة ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

(٢٩) الطالع السعيد = الادفوى (جعفر بن ثعلب ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :
— الطالع السعيد الجامع أساء نجباء الصعيد —
تحقيق سعد محمد حسن — القاهرة ١٩٦٦ .

(٣٠) طبقات الشافعية الكبرى = السبكى (عبد الوهاب بن على ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) :

— طبقات الشافعية الكبرى — ١٠ أجزاء — القاهرة ١٩٧٦ .

- (٣١) العبر = الذهبي (محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
 - العبر في خبر من غير ، نشر صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد - ٥ أجزاء -
 الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
- (٣٢) العقد الثمين = الفاسي (محمد بن أحمد الحسني المكي ، ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) :
 - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .
 تحقيق فؤاد السيد - ٨ أجزاء - القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٩ .
- (٣٣) عقد الجمان = العيني (محمد بن أحمد ، بدر الدين ، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) :
 - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان .
 مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- (٣٤) القاموس الجغرافي = محمد رمزي :
 - القاموس الجغرافي للبلاد المصرية .
 قسمان في ٥ أجزاء - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٣ .
- (٣٥) القاموس المحيط = الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب الشيرازي ، ت ٨٠٣ هـ /
 ١٤٠٠ م) :
 ٤ أجزاء - القاهرة ١٩٥٢ .
- (٣٦) قوانين الدواوين = ابن مثنى (الأسعد شرف الدين أبو المكارم ت ٦٠٦ هـ /
 ١٢٠٩ م) :
 - كتاب قوانين الدواوين - تحقيق عزيز سوريال عطية - مصر ١٩٤٣ .
- (٣٧) الكامل = ابن الأثير (علي بن أبي الكرم ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :
 - الكامل في التاريخ .
 ١٣ جزء - بيروت ١٩٨٣ .

(٣٨) كنز الدرر = ابن أبيك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ، ت بعد ٧٣٦ هـ /
١٢٣٥ م) :

— كنز الدرر وجامع الفرر .

الجزء السادس : الدررة الماضية في أخبار الدولة الفاطمية .

— تحقيق صلاح الدين المنجد — القاهرة ١٩٦١ .

الجزء السابع : الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب .

— تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة ١٩٧٢ .

(٣٩) الكواكب السيارة = ابن الزيات (محمد الأنصارى ت ٨١٤ هـ / ١٤١١ م) :

— الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة .

بولاق ١٣٢٥ هـ .

(٤٠) لسان العرب = ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ، ت ٧١١

هـ / ١٣١١ م) :

— لسان العرب — ٢٠ جزء — بولاق ١٣٠٠ — ١٣٠٨ هـ .

(٤١) المختصر = أبو الفدا (إسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

— المختصر في أخبار البشر — ٤ أجزاء — استانبول ١٩٣٨ .

(٤٢) المسلمون والبيزنطيون = أحمد عبد الكريم سليمان .

— المسلمون والبيزنطيون في شرقى البحر المتوسط .

الجزء الأول — القاهرة ١٩٨٢ .

(٤٣) مصر في عصر الإخشيديين = سيدة إسماعيل كاشف .

— مصر في عصر الإخشيديين — القاهرة ١٩٧٠ .

(٤٤) مضمار الحقائق = محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) :

— مضمار الحقائق وسر الخلائق — تحقيق حسن حبشى — القاهرة ١٩٦٨ .

- (٤٥) معجم البلدان = ياقوت (ياقوت الحموى ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :
 - معجم البلدان - ٥ مجلدات - بيروت .
- (٤٦) معجم البلدان الليبية = الطاهر أحمد الزاوى .
 - معجم البلدان الليبية .
 طرابلس - ١٩٦٨ .
- (٤٧) معجم السفن الإسلامية = درويش النخيلي .
 - السفن الإسلامية على حروف المعجم .
 القاهرة ١٩٧٩ .
- (٤٨) المغرب = البكرى (أبو عبيد ، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :
 - المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب - نشر دى سلان - الجزائر ١٨٥٧ .
- (٤٩) مفرج الكروب = ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) :
 - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .
 ج ١ - ٣ نشر جمال الدين الشيبان - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠ .
- (٥٠) الملل والنحل = الشهرستاني (محمد عبد الكريم) :
 - الملل والنحل - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٦٨ .
- (٥١) المنتقى من أخبار مصر = ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف جلب راغب ، ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) :
 - المنتقى من أخبار مصر .
 تحقيق أيمن فؤاد سيد .
 المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨١ .

- (٥٢) المواعظ والاعتبار = المقرئى (أحمدبن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار -
 جزءان - بولاق ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .
- (٥٣) النجوم الزاهرة = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :
 - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
 ١٦ جزء - القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٧٢ .
- (٥٤) نصوص من أخبار مصر = ابن المأمون (موسى بن المأمون البطانحى ، ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) :
 - نصوص من أخبار مصر .
 تحقيق أمين فؤاد سيد .
 المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨٣ .
- (٥٥) النكت العصرية = عمارة اليمنى (أبو الحسن نجم الدين ، ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) :
 - كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية - باريس ١٨٩٧ م .
- (٥٦) نهاية الأرب = النوبرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :
 - نهاية الأرب فى فنون الأدب .
 ٢٧ جزء - مطبوع بالقاهرة ١٩٢٣ - ١٩٨٥ .
- (٥٧) النوادر السلطانية = ابن شداد (يوسف بن رافع ، بهاء الدين ، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :
 - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية -
 تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤ .

(٥٨) وصف قلعة الجبل = كرزويل :

— وصف قلعة الجبل — ترجمة جمال محمد محرز — القاهرة ١٩٧٤ .

(٥٩) وفيات الأعيان = ابن خلكان (أحمد بن محمد ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان —

٨ أجزاء — تحقيق إحسان عباس — بيروت ١٩٦٨ — ١٩٧٢ .

(٦٠) الولاية والقضاة = الكندي (محمد بن يوسف ، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) :

— كتاب الولاية وكتاب القضاة ، صححه رفرن كست — بيروت ١٩٠٨ .

محتويات الكتاب
 الباب الثاني عشر من القسم الخامس
 من الفن الخامس
 أخبار ملوك الديار المصرية
 الدولة الطولونية

الصفحة	الموضوع
١١	خروج أحمد بن طولون إلى الشام سنة ٢٦٤ هـ ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون
١٤	على أبيه وما كان من أمره
١٦	ذكر خلاف لؤلؤ على أحمد
١٩	ذكر وفاة أحمد بن طولون وشيء من أخباره وسيرته ذكر ولاية أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون
٢٢	وهو الثاني من ملوك الطولونية ذكر مسير إسحاق بن كنداجق ومحمد بن
٢٣	أبي الساج إلى الشام
٢٤	ذكر وقعة الطواحين
	ذكر اختلاف محمد بن أبي الساج وإسحاق بن كنداجق
٢٦	والخطبة لخمارويه بالجزيرة
٢٧	ذكر الاختلاف بين خمارويه ومحمد بن أبي الساج والحرب بينهما
٢٨	ذكر الدعاء لخمارويه بطرسوس
٢٨	ذكر الفتنة بطرسوس

الصفحة	الموضوع
	ذكر زواج المعتضد بالله بابنة خمارويه بن
٢٩	أحمد بن طولون
٣٠	ذكر مقتل أبي الجيش خمارويه
	ذكر ولاية أبي العشائر جيش بن أبي الجيش
٣١	خمارويه بن أحمد بن طولون ، وهو الثالث من الملوك الطولونية ..
٣٢	ذكر عصيان دمشق على جيش ، وخلاف جنده وقتله
	ذكر ولاية أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه
٣٣	ابن أحمد بن طولون ، وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية ..
٣٤	ذكر انقراض الدولة الطولونية
	ذكر أخبار من ولي مصر بعد انقراض الدولة الطولونية وإلى قيام
	الدولة الإخشيدية من الأعمال وملخص ما وقع في أيامهم من
٣٧	الحوادث
٣٧	ذكر إبراهيم الخليلجي وما كان من أمره
٣٩	ذكر استيلاء حباسة على الإسكندرية
	ذكر وصول أبي القاسم بن المهدي إلى الديار المصرية واستيلائه على
٤٠	الإسكندرية والفيوم والأشمونين
	ذكر أخبار الدولة الإخشيدية وابتداء أمر من قام بها ،
	وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده
٤٤	إلى أن انقرضت أيامهم
٤٨	ذكر مسير الإخشيد إلى الشام ووفاته وشيء من أخباره وسيرته ..
٤٩	ذكر ولاية أبي القاسم أنوجور
٥٠	ذكر قيام أبي نصر غلبون بن سعيد المغربي وما كان من أمره ...
٥٢	ذكر وفاة الوزير أبي بكر بن الماذرائي وشيء من أخباره ومآثره ..
	ذكر وفاة أبي القاسم أنوجور وولاية أخيه
٥٣	أبي الحسن علي بن الإخشيد

الصفحة	الموضوع
	ذكر ولاية أبي المسك كافور الخصى الإخشيدي واستقلاله
٥٤	بملك مصر دون شريك ولا منازع
	ذكر أخبار الدولة العبيدية التي انتسب ملوكها إلى الشرف وألقوا
٦٣	نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما
٦٦	ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم
	ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعي داعي المغرب وما كان من أمره ،
٧٧	وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب
	ذكر انتقال أبي عبد الله الشيعي عن بني سكتان
٨٥	إلى بني عصمة بتازارات
٩١	ذكر تغلب أبي عبد الله الشيعي على مدينة ميّلة
	ذكر الحرب بين أبي عبد الله الشيعي وبين
٩٢	أبي حوال محمد بن أبي العباسي
٩٣	ذكر تغلب أبي عبد الله الشيعي على مدينة سَطِيف
٩٤	ذكر خروج إبراهيم بن حنبل إلى بلد كتامة
٩٦	ذكر هرب زيادة الله إلى المشرق
٩٧	ذكر رجوع أبي عبد الله الشيعي إلى أفريقيا
٩٨	ذكر خروج أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة
	ذكر ابتداء الدولة العبيدية وأخبار المهدي عبيد الله
	وما كان من أمره منذ خرج من الشام إلى أن
١٠٠	ملك البلاد وتسلم الأمر من أبي عبد الله الشيعي
١٠٠	ذكر رحيل عبيد الله من الشام ووصوله إلى سجلماسة
	ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس وما كان من
١٠٦	أمرهما بعد قيام عبيد الله المهدي إلى أن قتلها
١١٠	ذكر أخبار من خالف على عبيد الله وما كان من أمرهم
١١١	ذكر بناء مدينة المهدي

الصفحة	الموضوع
١١٢	ذكر خروج أبي القاسم إلى بلاد المغرب وبنائه مدينة المسيلة ...
١١٣	ذكر وفاة عُبيد الله المهدي وشيء من أخباره
١١٣	ذكر بيعة القائم بأمر الله
١١٦	ذكر وفاة القائم بأمر الله وشيء من أخباره
١١٧	ذكر بيعة المنصور بنصر الله
١١٨	ذكر وفاة المنصور بنصر الله وشيء من أخباره
١١٩	ذكر بيعة المعز لدين الله
	ذكر خبر إرسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر
١٢٢	إلى الديار المصرية
١٢٢	ذكر خبر وصول جوهر القائد بالعساكر إلى الديار المصرية ...
	ذكر إقامة الخطبة ، وضرب السكة بمصر للمعز لدين الله
١٣١	وما قيل في الدعاء له على المنبر ، وما نقش على السكة
١٣٤	ذكر خروج تبر الإخشيدى والقبض عليه
١٣٥	ذكر فتوح الشام
١٣٦	ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق
	ذكر خروج المعز لدين الله من بلاد الغرب إلى الديار المصرية ،
١٣٩	وما رتبه ببلاد المغرب قبل مسيره
١٤٥	ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطى ، وجواب القرمطى له ...
١٥٠	ذكر فتوح طرابلس الشام
١٥١	ذكر وفاة المعز لدين الله وشيء من أخباره
١٥٣	ذكر بيعة العزيز بالله
١٥٤	ذكر الحرب بين أفتكين التركى وعساكر العزيز بالله
١٥٧	ذكر حرب أفتكين وأسرهم
١٥٨	ذكر فتوح اللاذقية

الصفحة	الموضوع
١٥٩	ذكر فتح قنسرين ومحص
	ذكر وفاة العزيز بالله وشيء من أخباره وأخبار وزيره
١٦٣	يعقوب بن كلس ومن ولى بعده
١٦٥	ذكر أخبار الوزير يعقوب بن كلس
١٦٧	ذكر بيعة الحاكم بأمر الله
١٦٨	ذكر القبض على الوزير عيسى بن نسطورس النصراني وقتله ..
١٦٩	ذكر مخالفة منجوتكين بدمشق وحربه وأسره وسبب ذلك
	ذكر الفتنة بين المشاركة والمغاربية ،
١٧١	وهرب ابن عمار وما كان من أمره
١٧٤	ذكر قتل برجوان الخصى
	ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله وأمر به من الأمور الدالة
١٧٦	على اضطراب عقله بعد أن استقل بالأمر بمفرده
١٧٦	ذكر بناء الجامع المعروف بجامع راشدة
	ذكر بناء الجامع المعروف بالحاكم الذى هو
١٧٧	بين باب النصر وباب الفتوح بالقاهرة
١٨٠	ذكر أبو ركوة وظهوره ، وما كان من أمره إلى أن قتل
	ذكر خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعتهم لأبي الفتوح
١٨٥	الحسن بن جعفر الحسنى وما كان من أمرهم
١٨٨	ذكر تفويض السفارة والوساطة لأحمد بن محمد القشورى وقتله ..
١٩١	ذكر هدم كنائس الديار المصرية
١٩٢	ذكر البيعة بولاية العهد لأبي القاسم عبد الرحيم
١٩٣	ذكر إحراق مصر وقتال أهلها
	ذكر غيبة الحاكم بأمر الله وعدمه ، والسبب الذى نقل فى إعدامه ،
١٩٤	وشىء من أخباره وسيرته غير ما تقدم

الصفحة	الموضوع
	ذكر مولد الحاكم ومدة عمره وملكه وأولاده وكتابه ووسائطه
٢٠١	وفضائه ونقش خاتمه
٢٠٢	ذكر بيعة الظاهر لإعزاز دين الله
٢٠٤	ذكر مقتل الحسين بن دواس
	ذكر وفاة الظاهر لإعزاز دين الله على بن الحاكم بلمر الله
٢٠٧	وشىء من أخباره
٢٠٩	ذكر بيعة المستنصر بالله
٢١٢	ذكر عود حلب إلى ملك الديار المصرية
	ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبي القاسم الجرجاني ،
٢١٢	وأمر الجيوش أنوشتكين الدزبرى
٢١٣	ذكر ظهور سكين المشبه بالحاكم وقتله
	ذكر وفاة الوزير صفى الدين أبي القاسم أحمد بن على الجرجاني
٢١٤	وشىء من أخباره
	ذكر مقتل أبي سعيد التسترى وعزل الوزير
٢١٦	وقتله ووزارة ابن الجرجاني
	ذكر القبض على الوزير أبي محمد
	الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى وقتله ،
٢٢١	وشىء من أخباره
٢٢٤	ذكر الفتنة الواقعة التى أوجبت خراب الديار المصرية
٢٢٧	ذكر الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأترك
٢٣٠	ذكر الحرب بين ناصر الدولة والأترك
٢٣٠	ذكر الصلح بين ناصر الدولة والأترك
	ذكر الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى
٢٣١	وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل
٢٣٣	ذكر الغلاء الكائن بالديار المصرية

الصفحة	الموضوع
	ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى مصر
٢٣٤ واستيلائه على الدولة
٢٣٦ ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كتز الدولة
٢٣٨ ذكر بناء باب زويله بالقاهرة
٢٣٩ ذكر وفاة أمير الجيوش بدر الجمالى وولاية ولده الأفضل
٢٤٠ ذكر وفاة المستنصر بالله وشيء من أخباره
٢٤٣ ذكر بيعة المستعلى بالله
٢٤٥ ذكر ما اتفق لئزار ومن معه
٢٤٦ ذكر استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس
	ذكر استيلاء الفرنج على ما تذكره من البلاد الإسلامية
٢٤٧ بالساحل والشام والبيت المقدس
٢٤٨ ذكر ملكهم مدينة أنطاكية
٢٥٣ ذكر مسير المسلمين لحرب الفرنج وما كان من أمرهم
٢٥٥ ذكر ملكهم معرة النعمان
٢٥٦ ذكر استيلائهم خذلم الله تعالى على البيت المقدس
٢٥٩ ذكر ظفر المسلمين بالفرنج
	ذكر قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين وما اسولى عليه الفرنج
٢٦٠ من البلاد وهى : حيفا وأرسوف وقيسارية والرها وسروج
	ذكر أخبار صنعيل الفرنجى وما كان منه فى حروبه وحصار
٢٦١ طرابلس والطوبان وملك انطرسوس
٢٦٢ ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا
٢٦٤ ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت
٢٦٧ ذكر ملك الفرنج جبلة وبلنّياس
٢٦٨ ذكر ملكهم مدينة صيدا
٢٦٩ ذكر استيلائهم على حصن الأثارب وحصن زردنا

الصفحة

الموضوع

- ٢٧٠ ذكر حصر مدينة صور وفتحها
- ٢٧٣ ذكر وفاة المستعلى بأحكام الله
- ٢٧٤ ذكر بيعة الأمر بأحكام الله
- ٢٧٥ ذكر إنشاء ديوان التحقيق
- ٢٧٦ ذكر حل الإقطاعات وتحويل السنة
- ٢٧٧ ذكر أخذ الفرما وهلاك بغدوين الفرنجى صاحب القدس
- ٢٧٨ ذكر نصب ثغر عيذاب
- ذكر مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش بن
- ٢٧٩ أمير الجيوش بدر الجمالى وشىء من أخباره
- ٢٨٨ ذكر تفويض أمور الدولة وإمرة الجيوش للمأمون البطائحي
- ٢٩١ ذكر القبض على المأمون
- ٢٩٢ ذكر أخبار أبي نجاح بن فنا النصراني الراهب وقتله
- ٢٩٤ ذكر مقتل الأمر بأحكام الله وشىء من أخباره
- ٢٩٦ ذكر بيعة الحافظ لدين الله
- ذكر قيام أحمد بن الأفضل الحافظ وما كان من أمر أحمد
- ٢٩٦ إلى أن قُتل
- ٢٩٨ ذكر بيعة الحافظ لدين الله الثانية
- ٢٩٩ ذكر الخُلف بين أبنى الحافظ لدين الله
- ٣٠٠ ذكر مقتل حسن بن الحافظ
- ٣٠٠ ذكر وزارة بهرام الأرمني
- ٣٠٢ ذكر خروج بهرام من الوزارة ووزارة رضوان ابن الوحشى
- ٣٠٤ ذكر خروج رضوان من الوزارة وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٣٠٦ ذكر وفاة بهرام الأرمني
- ٣٠٧ ذكر وفاة الحافظ لدين الله وشىء من أخباره
- ٣١٠ ذكر بيعة الظافر بأعداء الله

الصفحة	الموضوع
٣١١	ذكر قيام العادل بن السُّلار ووزارته ومقتل ابن مصال ذكر ما فعله الفرنج بالفرما وما جهزه العادل
٣١٣	من الأسطول إلى بلادهم
٣١٤	ذكر مقتل العادل بن السُّلار وسلطنة ربيبه عباس
٣١٥	ذكر مقتل الظافر بأعداء الله وأخويه
٣١٨	ذكر بيعة الفائز بنصر الله
٣١٨	ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره
٣١٩	ذكر وزارة الصالح أبي الغارات طلائع بن رُزَيْك
٣٢٢	ذكر وفاة الفائز بنصر الله
٣٢٢	ذكر بيعة العاضد لدين الله ذكر مَقْتَل الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك ، وقيام ولده
٣٢٤	الملك العادل رُزَيْك
٣٢٨	ذكر ظهور حسين بن نزار وقتله
٣٢٨	ذكر انقراض دولة بني رزك
٣٣٠	ذكر وزارة شاور الأولى وخروجه منها
٣٣١	ذكر وزارة الضَّرغام بن سوار
٣٣٢	ذكر قدوم شاور من الشام وعُودَه إلى الوزارة ثانياً وقتل الضَّرغام
٣٣٤	ذكر غدر شاور بشيركوه ذكر عُوْد أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية بالعساكر
٣٣٥	الشامية وانفصاله
٣٣٩	ذكر وصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية
٣٤١	ورحيل الفرنج عنها
٣٤٢	ذكر مقتل شاور

الصفحة	الموضوع
	ذكر انقراض الدولة العبيدية والخطبة
٣٤٤	للمستضىء بنور الله العباسى
٣٤٦	جامع أخبار الدولة العبيدية ومدتها ومن ملك من ملوكها
٣٥١	ذكر أخبار الدولة الأيوبية
٣٥١	ذكر نسب الملك الأفضل نجم الدين
	ذكر ابتداء حال الملك الأفضل نجم الدين أيوب وأخيه
٣٥٤	أسد الدين شيركوه
	ذكر وزارة الملك المنصور أسد الدين شيركوه
٣٥٦	بالديار المصرية ووفاته
	ذكر أخبار الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك
٣٥٨	الأفضل نجم الدين أيوب ووزارته بالديار المصرية
	ذكر مقتل مؤتمن الخلافة جوهر زمام القصور
٣٦٠	وانتقال وظيفته إلى قراقوش الأسدى وحرب السودان
٣٦٢	ذكر الحوادث فى الأيام الناصرية غير الفتوحات والغزوات
	ذكر وصول الملك الأفضل نجم الدين أيوب والد
٣٦٢	الملك الناصر إلى الديار المصرية
٣٦٢	ذكر إبطال الأذان بحى على خير العمل
	ذكر ما أنشأه الملك الناصر صلاح الدين بالقاهرة
٣٦٣	ومصر من المدارس والخوانق
	ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية للقاضى
٣٦٤	صدر الدين بن درباس
٣٦٥	ذكر وفاة الملك الأفضل نجم الدين أيوب
٣٦٥	ذكر عمارة قلعة الجبل والسور
٣٦٧	ذكر قتل جماعة من المصريين
	ذكر ما استولى عليه الملك الناصر من
٣٧١	البلاد الإسلامية بنفسه وأتباعه

الصفحة	الموضوع
٣٧٣	ذكر استيلائه على اليمن
٣٧٤	ذكر ملكه مدينة دمشق
٣٧٥	ذكر ملكه مدينة حمص وحماه
٣٧٦	ذكر حصره حاب وعوده منها وملكه قلعة حمص وبعلبك
٣٧٧	ذكر انهزام عسكر سيف الدين غازى من الملك الناصر وحصره حلب ثانيا
٣٧٨	ذكر الحرب بين الملك الناصر وسيف الدين غازى وانهزام غازى ذكر ما ملكه الملك الناصر من بلاد الملك الصالح بعد هذه الواقعة
٣٧٩	ذكر حصره مدينة حلب والصلح عليها
٣٨١	ذكر نهبه بلاد الإسماعيلية
٣٨١	ذكر عبوره الفرات وملكه الديار الجزيرية
٣٨٢	ذكر ملكه مدينة سنجار
٣٨٣	ذكر ملكه مدينة آمد وتسليمها إلى صاحب حصن كيفا
٣٨٤	ذكر ملكه تل خالد وعين تاب
٣٨٤	ذكر ملكه حلب
٣٨٥	ذكر فتح الملك الناصر حارم
٣٨٦	ذكر حصار الموصل
٣٨٧	ذكر ملكه ميأفارقين
٣٨٨	ذكر عوده إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين صاحبها
٣٩٠	ذكر غزوات الملك الناصر وما افتتحه من بلاد الفرنج
٣٩١	ذكر غزوة بلاد الفرنج وفتح أيلة
٣٩١	ذكر محاصرة الشوبك وعوده عنها
٣٩٢	ذكر وصول أسطول صقلية إلى ثغر الإسكندرية وانهزامه
٣٩٣	ذكر مسيره إلى عسقلان وغيرها ، وانهزام عسكر وعوده

الصفحة	الموضوع
٣٩٤	ذكر وقعة مرج عيون وانهزام الفرنج وأسر ملوكهم
٣٩٥	ذكر هدم بيت الأحزان
٣٩٦	ذكر مسير الملك الناصر إلى بلاد الأرمن
٣٩٦	ذكر مسيره إلى الشام والإغارة على طبريه وبيسان ، وما كان من الظفر بمراكب الفرنج ببحر عيذاب
٣٩٨	ذكر الإغارة على الغور
٣٩٨	ذكر غزوة الكرك والشوبك وفتح طبريه ومجدل يابا ويافا
٤٠١	ذكر فتح عكا ونابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرية ومعلبا والقلعة والطور والشقيف وغير ذلك
٤٠١	ذكر فتح تبنين وصيدا وصرند وبيروت وجبيل
٤٠٢	ذكر فتح عسقلان وما يجاورها
٤٠٣	ذكر فتح البيت المقدس
٤٠٥	ذكر رحيله ومحاصرة صور
٤٠٧	ذكر فتح هونين
٤٠٨	ذكر فتح حصن برزية
٤٠٩	ذكر فتح قلعة دَرَبَسَاك
٤٠٩	ذكر فتح قلعة بَغْرَاس
٤١٠	ذكر الهدنة بين المسلمين وبين صاحب أنطاكية
٤١٠	ذكر فتح الكرك والشوبك وما يجاورهما
٤١١	ذكر فتح قلعة صنفد
٤١١	ذكر فتح كوكب
٤١٣	ذكر فتح شقيف أرنوم
٤١٤	ذكر مسير السلطان من مرج عيون إلى صور وما كان عليها من الوقائع

الصفحة	الموضوع
٤١٥	ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها
٤١٩	ذكر رحيل السلطان عن منزلته وتمكن الفرنج من حصار عكا ..
٤٢٠	ذكر وصول العسكر المصرى فى البر والأسطول فى البحر
٤٢١	ذكر خبر ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته
٤٢٥	ذكر الوقعة العادلية على عكا
	ذكر وصول الكندهرى إلى عكا نجدة للفرنج
٤٢٦	وما جده من آلة الحصار
	ذكر ما كان من أمر الفرنج بعد وصول ابن ملك الألمان
٤٢٧	إلى عكا وما اتخذوه من آلات الحصار
٤٣٠	ذكر وصول ملك افرنسيس
٤٣١	ذكر وصول ملك الإنكلتير
٤٣٢	ذكر استيلاء الفرنج على عكا
٤٣٤	ذكر ما كان بعد أخذهم عكا
٤٣٤	ذكر هدم عسقلان
٤٣٦	ذكر وقوع الصلح والهدنة العامة بين المسلمين والفرنج
٤٣٧	ذكر وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
	ذكر من ملك الممالك التى كانت جارفة فى ملك السلطان
٤٤٠	الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى
	ذكر أخبار الملك العزيز عماد الدين أبى الفتح عثمان ابن الملك
٤٤٢	الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
٤٤٢	ذكر استيلاء الفرنج على جبيل
	ذكر مسير الملك العزيز إلى الشام والصلح بينه وبين
٤٤٤	أخيه الملك الأفضل وعوده إلى القاهرة
	ذكر خروج الملك العزيز لقصد الشام ثانيا ورجوعه
٤٤٦	وقصد العادل والأفضل الديار المصرية وما تقرر من القواعد ..
٤٤٨	ذكر ملك الملك العزيز دمشق وخروج الأفضل إلى صرخد ...

الصفحة	الموضوع
٤٥٣	ذكر استيلاء الفرنج على بيروت
	ذكر وفاة سيف الإسلام بن أيوب ملك اليمن
٤٥٤	وملك ولده شمس الملوك
٤٥٥	ذكر وفاة الملك العزيز وشيء من أخباره
	ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك العزيز بن
٤٥٦	الملك الناصر وهو الثالث من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية .
	ذكر وصول الملك الأفضل إلى القاهرة
٤٥٧	واستقراره في تدبير دولة المنصور
	ذكر مسير الملك الأفضل إلى الشام وحصار دمشق وعوده
٤٥٨	عنها وخروجه عن الديار المصرية

انتهى بحمد الله الجزء الثامن والعشرون - من مجزئة المطبوع - من
 كتاب نهاية الأرب ، ويليهِ - إن شاء الله تعالى - الجزء التاسع
 والعشرون .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٧٩/١٩٩٢

ISBN 977-01-2945-3